التبيان

في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن

الطوسي

المجلد ٣

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

التبيان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۳

اشارهٔ

شماره بازیابی:۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه:طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور:التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه:آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها. تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری:گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری:نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود:امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه:یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرهٔ المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر:شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه:نسخه بررسی شده.اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی:زبان:عربی

عنوانهای دیگر:تفسیر تبیان

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده:حسین بن محمد، قرن ۶ق. کاتب

المجلد الثالث

[تتمة سورة آل عمران ..... ص: ۳

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴۱]..... ص: ۳

اشارة

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ (۱۴۱)

المعنى، و اللغة..... ص: ۳

قيل فى معنى قوله: «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: ليبتلى، «وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ» بنقصهم فى قول ابن عباس، و قال غيره يهلكهم، و قال الفراء: معنى «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» يعنى ذنوب المؤمنين. و قال الزجاج: يخلصهم من الذنوب و هذا قريب من قول الفراء: و قال الرمانى معناه «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» ينجيهم من الذنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء. و أصل التمحيص التخليص فى قول أبى العباس تقول محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا خصلته. و قال الخليل: المحص الخلوص من العيب، محصته محصاً أى خلصته من كل عيب، و محص الجمل: إذا ذهب و بره يمحص. و جبل محص أى ملص، و محص الظبى، و يمحص إذا عدا عدواً شديدا محصاً، و يستحب أن تمحص قوائم الفرس أى تخلص من الرهل. و تقول: اللهم محص عنا ذنوبنا أى اذهبها عنا، لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات. و يقال تمحص الفرس:

إذا ذهب شحمه الردىء، و بقى لحمه، و قوته بالضمور. و أصل المحق فناء الشيء حالا بعد حال، و لهذا دخله معنى النقصان. و أمحق الشيء امحاقاً. و المحاق: آخر الشهر إذا أمحق الهلال، فلم ير، لذهاب ضوئه حالا بعد حال. و امتحق الشيء و تمحق:

إذا ذهبت بركته بنقصانها حالا بعد حال. و محقه تمحيقاً. و إنما قابل بين التمحيص، و المحق، لأن محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم، و هذه مقابلة فى المعنى. و قيل فى تمحيص المؤمنين بالمداولة قولان:

أحدهما- لما فى تخليتهم مع تمكين الكافرين منهم من التعريض للصبر الذى يستحقون به عظيم الأجر، و يحط كثيراً من الذنوب.

الثانى- لما فى ذلك من اللطف الذى يعصم من اقتراف المعصية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴۲]..... ص: ۴

اشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (۱۴۲)

آية بلا خلاف.

القراءة و المعنى و اللغة:..... ص: ۴

قرأ الحسن «وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» بكسر الميم. الباقون بفتحها. و وجه قراءة الحسن أنه عطف على، و لما يعلم اللّه كأنه قال، و لما يعلم اللّه و يعلم الصابرين. و قوله:

«أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه: أ حسبتم «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» و قيل معنى (أم) معنى بل على جهة الإنكار، لأن يحسبوا ذلك الحسبان، كما يقال: قد صممت على الخلاف أم تتوهم الإهمال، و الفرق بين لم و لما أن لما جواب، لقول القائل: قد فعل فلان يريد به الحال، فجوابه (لما فعل) و إذا قال: فعل فجوابه (لم يفعل)، فلما كانت (لما) مؤكدة بحرف كانت جواباً لما هو مؤكد بحرف. و أيضاً، فانه يجوز الوقف على (لما) فى مثل أن يقول القائل: قد جاء فلان، فيجيبه آخر فيقول:

لما أى لما يجىء، و لا يجوز ذلك فى (لم). و معنى «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» أى لما يعلم اللّه جهادكم يعنى أنهم لا يدخلون الجنة إلا بفعل الجهاد، لأنه من أعظم أركان الشرع. و قوله: «وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفى الثانى، و الاول، و إنما هو على نفى اجتماع الثانى و الاول، نحو قولهم: لا يسعنى شىء و يعجز عنك. و قال الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم «١»

و انما جاز «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» على معنى نفى الجهاد دون

---

(١) قائله أبو الأسود الدؤلى، و نسب للمتوكل الكنانى معجم البلدان ٧: ٣٨۴، و الاغانى ١١: ٣٩ طبعة بولاق. و البيت من الأبيات الحكمية المشهورة و قبله:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵

العلم، لما فيه من الإيجاز فى انتفاء الجهاد، لأنه لو كان لعلمه. و تقديره و لما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم، لأن المعنى مفهوم لا يشتبه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۴٣]..... ص: ۵

اشارة

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١۴٣)

المعنى:..... ص: ۵

قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و قتادة، و السدى: كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد، فلما رأوه يوم أحد أعرض كثير منهم عنه، فانهزموا فعاتبهم اللّه على ذلك. و قوله: «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» فيه حذف و معناه رأيتم أسباب الموت، لأن الموت لا يرى كما قال الشاعر:

و محلما يمشون تحت لوائه و الموت تحت لواء آل محلم

أى أسباب الموت.و قال البلخى: معنى «رَأَيْتُمُوهُ» أى علمتم، و أنتم تنظرون أسباب الموت من غير أن يكون فى الأول حذف. فان قيل هل يجوز أن يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة؟ قلنا: لا، لأن قتل المشركين لهم معصية، و لا يجوز تمنى المعاصى، كما

لا ـ يجوز إرادتهـا، و لا ـ الأـمر بها. فإذا ثبت ذلك، فتمنيهم الشـهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا. و قال الجبائى: إنما تمنوا الموت دون القتـل إذا كانوا مجاهـدين. قال الازهرى قوله: «رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» معناه و أعينكم صـحيحة، كما يقول القائل رأيت كـذا، و ليس فى عينـك سـوء. و الفرق بين التمنى و الاـرادة أن الاـرادة من أفعـال رأيت كـذا، و ليس فى عينـك سـوء. و الفرق بين التمنى و الاـرادة أن الاـرادة من أفعال القلوب، و التمنى هو قول القائل: ليت كان كـذا و ليت لم يكن كـذا. و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» بعـد، قوله «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون تأكيداً للرؤية، كما تقول: رأيته عياناً و رأيته بعينى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶

و سمعته باذنى، لئلا يتوهم رؤية القلب، و سمع العلم.

و الثـانى- أن يكون معنـاه و أنتم تتأملون الحال فى ذلك كيف هى، لأن النظر هو تقليب الحدقـة الصـحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته، و ليس معناه الرؤية على وجه الحقيقة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۴۴]..... ص: ۶

اشارة

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (۱۴۴)

آية بلا خلاف.

القصة، و النزول:..... ص: ۶

قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاك، و مجاهد: إن سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بان النبى (ص) قتل يوم أحد و اشيع ذلك، قال نـاس لو كـان نبياً مـا قتـل. و قـال آخرون نقاتـل على مـا قاتـل عليه حتى نلحق به. و كـان سـبب انهزامهم و تضعضـعهم إخلال الرماة بمكـانهم من فم الشـعب، و كان النبى (ص) نهاهم عن الإخلال به، و حـذرهـم من الانصـراف عن الشـعب مخافـة أن يخرج منه كمين عليهم، فلما انهزم المشـركون فى الجولة الأولى، فتبعوهـم المسـلمون، و تواقعوا فى غنائمهم فقال الموكلون بالشعب: يغنمون و لا نغنم، فقال لهم رئيسـهم: اللّه اللّه لا تفعلوا فان النبى (ص) أمرنا ألا نبرح، فلم يقبلوا منه و انصرفوا، و ثبت رئيسهم مع اثنى عشر رجلا، فقتلوا، خرج عليهم خالد بن الوليد فى مأتى فارس من الشعب، و كان كامنا فيه.

و كان ذلك سـبب هزيمـة المسـلمين، و إصابة رباعية النبى (ص) و جرحه. و كان الذى جرحه و كسـر رباعيته عتبة بن أبى وقاص، و قيل إن عبد اللّه ابن قمية ضـربه على حبل عاتقه، و مضـى إلى المشـركين، و قال قتلت محمداً و شاع ذلك فأنزل اللّه هذه الآية. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷

فـان قيـل: كيف دخـل الاسـتفهام على الشـرط. و إنمـا هو كغيره من الانقلاب و التقـدير أ تنقلبون إن مات أو قتل؟ قيل: لأنه لما انعقد الشـرط به صار جملـة واحـدة و خبراً واحـداً بمنزلة تقديم الاسم قبل الفعل فى الذكر إذا قيل أزيد قام، و كذلك تقديمه فى القسم، و الاكتفاء بجواب الشرط من جواب القسم، كما قال الشاعر: «۱»

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل أمامك بيت من بيوتى سائر «۲»

أى حلفت له لا ـ يزال امامك بيت و أجـاز الفراء فى مثله أ فإن مات أو قتل تنقلبون بالرفع، و الجزم و معنى «انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ» أى ارتـددتم كفاراً بعـد إيمانكم، لأن الرجوع من الحق إلى الباطل بمنزلة رجوع القهقرى فى القبح، و التنكيل «۳» بالنفس فجرى كالمثل

فی هذا المعنی. و الالف فی قوله: «أ فإن» ألف انکار بصورة ألف استفهام، لأن التقریر به یظهر ما فیه من المنکر، فلذلک أخرج مخرج الاستفهام مع أن معناه الإنکار. و مثله أ تختار الفساد علی الصلاح و الخطأ علی الصواب. و قوله: (أ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ) یدل علی أن الموت غیر القتل لأنه لو کان هو إیاه لما عطف به علیه، لأن الشیء لا یعطف علی نفسه. و القتل هو نقض بنیه الحیاة. و الموت: فی الناس من قال: هو معنی یضاد الحیاة. و فیهم من قال: هو افساد البنیة التی تحتاج الحیاة إلیها بفعل معان فیه تضاد المعانی التی تحتاج إلیها الحیاة. و قوله: «وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ» أی من یرتد و یرجع عن الإسلام «فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً» لأنه لا یجوز علیه المضار بل مضرته عائدة علیه، لأنه یستحق العقاب الدائم. و قوله: «وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ» معناه یثیب

---

(۱) هو الراعی.

(۲) معانی القرآن للفراء ۱: ۶۹- ۲۳۶ و المعانی الکبیر: ۸۰۵. و خزانة الأدب ۴. ۴۵۰. و روایة المعانی الکبیر (عائر) بدل (سائر) و قال: أی بیت هجاء عائر. من قولهم: عار الفرس: إذا ذهب و جاء متردداً و یقال: قصیدة عائرة أی سائرة فی کل وجه.

ادلج: سار فی أول اللیل.

(۳) فی المخطوطة (و السیل) و الصحیح ما فی المطبوعة

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۸

اللّه الشاکرین علی شکرهم لنعم اللّه و اعترافهم بها. و وجه اتصال هذا بما قبله اتصال الوعد بالوعید، لأن قوله: «فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً» دلیل علی معنی الوعید، لأن معناه انما یضر نفسه باستحقاقه العقاب «وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ» بما یستحقونه من الثواب.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۱۴۵]..... ص: ۸

اشارة

وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ کِتاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ یُرِدْ ثَوابَ الدُّنْیا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ یُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِی الشَّاکِرِینَ (۱۴۵)

آیة بلا خلاف.

المعنی، و الاعراب، و اللغة:..... ص: ۸

قیل فی السبب الذی اقتضی قوله: «وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قولان:

أحدهما- التسلیة عما یلحق النفس بموت النبی (ص) من جهة أنه بإذن اللّه عز و جل.

الثانی- للحض علی الجهاد من حیث لا یموت أحد إلا بإذن اللّه تعالی.

و قوله: «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» یحتمل أمرین:

أحدهما- إلا بعلمه. و الثانی إلا بأمره. و قال أبو علی: الآیة تدل علی أنه لا یقدر علی الموت غیر اللّه، کما لا یقدر علی ضده من الحیاة إلا اللّه، و لو کان من مقدور غیره لم یکن باذنه، لأنه عاص اللّه فی فعله.

و قوله: «کِتاباً مُؤَجَّلًا» نصب علی المصدر بفعل محذوف دل علیه أول الکلام مع العلم بأن کلما یکون فقد کتبه اللّه، فتقدیره کتب اللّه ذلک «کِتاباً مُؤَجَّلًا» . و یجوز أن یدل علیه الفعل المحذوف مصدره المنتصب به. و قوله: «وَ مَنْ التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹ یُرِدْ ثَوابَ الدُّنْیا نُؤْتِهِ مِنْها»

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة- في قول ابن إسحاق- أى فلا يغتر بحاله في الدنيا.

[الثاني - «۱» من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي النصيب من الغنيمة في قول أبي علي الجبائي.

الثالث- من يرد ثواب الدنيا بالتعرض له بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزى بها في الدنيا من غير حظ في الآخرة لإحباط عمله بفسقه على مذهب من يقول بالإحباط، و من يرد بعلمه ثواب الآخرة نؤته إياها. و (من) في قوله:

«منها» تكون زائدة. و يحتمل أن تكون للتبعيض، لأنه يستحق الثواب على قدر عمله. و إنما كرر قوله: «وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» ها هنا، و في الآية الأولى، لأمرين:

أحدهما- للتأكيد ليتمكن المعنى في النفس.

الثاني- «وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» من الرزق في الدنيا، عن ابن إسحاق لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطاه الكافر مما قسم له في الدنيا. و قال الجبائي في الآية دلالة على أن اجل الإنسان إنما هو أجل واحد. و هو الوقت الذي يموت فيه، لأنه لا يقتطع بالقتل عن الأجل الذي أخبر اللّه أنه اجل لموته. و قال ابن الاخشاد:

لا دليل فيه على ذلك، لأن للإنسان أجلين أجل يموت فيه لا محالة، و أجل هو موهبة من اللّه تعالى له، و مع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جعله اللّه أجلا لموته. و الأقوى الأول، لأن الأجل عبارة عن الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل، و بالتقدير لا يكون الشيء أجلا كما لا يكون بالتقدير ملكا، و قد بينا في شرح الجمل ذلك مستوفى.

---

(۱) في المطبوعة (الثاني) ساقطة.

التبيان في تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۰

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۴۶]..... ص: ۱۰

اشارة

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (۱۴۶)

آية بلا خلاف.

القراءة و اللغة:..... ص: ۱۰

قرأ ابن كثير «كاين» على وزن كاعن. و الباقون «كأين» مشددة على وزن كعين. و معناهما واحد، و هو بمعنى كما قال جرير:

و كائن بالاباطح من صديق يراني لو اصبت هو المصابا «۱»

و قال آخر:

و كائن رددنا عنكم من مدجج يجيء أمام الالف يردى مقنعا «۲»

و مثل المشدد قول الشاعر:

كاين في المعاشر من أناس أخوهم فوقهم و هم كرام

و أصل كاين (أي) دخلت عليها كاف التشبيه، كما أن أصل (كذا) (إذا) دخلت عليها كاف التشبيه. و انما غيرت في اللفظ لتغيرها في المعنى، لأنها نقلت إلى معنى (كم) في التكثير. و من خفف فلكراهية التضعيف، كما خفف لا سيما. و قرأ أهل الكوفة، و ابن عامر

(قاتل) الباقون (قتل) فمن قرأ (قتل) نفى الوهن عمن بقى. و من قرأ (قاتل) نفاه عمن ذكر.

المعنى، و اللغة:..... ص: ١٠

و قوله: (ربيون) قيل فى معناه أقوال.

أحدها- قال ابن عباس، و الحسن: علماء فقهاء. و قال مجاهد، و قتادة:

---

(١) ديوانه ١: ٩.

(٢) الكامل للمبرد: ١٠٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١١

جموع كثيرة. و قال الأخفش: هم منسوبون إلى الرب. و معناه المتمسكون بعبادة اللّه. و قال غيره: منسوبون إلى علم الرب. و قال الزجاج:

الربو عشرة آلاف، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

، و ارتفاعه يحتمل أمرين:

أحدهما- على مذهب الحسن فى أنه لم يقتل نبى قط فى معركة فيرتفع بأنه لم يسم فاعله فى (قتل)، و على مذهب ابن إسحاق، و قتادة، و الربيع، و السدى: رفع بالابتداء، فقدم عليه الخبر بمعنى قتل، و معه ربيون كثير، فعلى هذا يكون النبى المقتول، و الذين معه لا يهنون، و ذلك

أن يوم أحد كان ارجف بأن النبى (ص) قتل، فبين اللّه تعالى انه لو قتل لما أوجب ذلك أن تهنوا و تضعفوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و الوهن هو الضعف و إنما قال: فما وهنوا، و ما ضعفوا من حيث أن الوهن انكسار الجد بالخوف، و نحوه. و الضعف: نقصان القوة و قوله: «وَ مَا اسْتَكانُوا» معناه ما ظهروا الضعف. و قيل معناه ما خضعوا، لأنه يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد، فلم يهنوا بالخوف، و لا ضعفوا بنقصان العدة، و لا استكانوا بالخضوع.

و قال ابن إسحاق: فما وهنوا بقتل نبيهم، و لا ضعفوا عن عدوهم، و لا استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن دينهم. و قال الزجاج معنى ما وهنوا ما فتروا، و ما ضعفوا و ما جبنوا عن قتال عدوهم. و ما استكانوا ما خضعوا. و قال الازهرى: الاستكانة أصلها من الكنية، و هى الحالة السيئة يقال بات بكنية يعنى بيتة سوء، و مجيئة سوء أى بحال سوء. و قوله: «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» معناه يريد ثواب من صبر فى جنبه فى امتثال أمره، و القيام بواجباته التى من جملتها الجهاد فى سبيل اللّه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۴٧]..... ص: ١١

اشارة

وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (١۴٧)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢

المعنى و اللغة:..... ص: ١٢

هذا إخبار عن الربيين الذين ذكرهم فى الآية الاولى بأنهم كانوا يقولون فى أكثر أحوالهم «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» لأن من المعلوم أنهم قد كانوا يقولون أقوالا غير هذا، لكن لما كان هذا هو الأكثر لم يعتد بذلك. و قيل: معناه و ما كان قولهم حين قتل نبيهم إلا هذا القول انقطاعاً إلى اللّه و طلباً لمغفرته. و قوله:

«اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» أى استرها علينا بترك عقابنا، و مجازاتنا عليها «وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا» فالإسراف هو مجاوزة المقدار الذى تقتضيه الحكمة. و الإسراف مذموم، كما أن الإقتار مذموم، كما قال تعالى: «وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» «۱» و كما قال «وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً» «۲» و الإسراف، و الافراط بمعنى، و ضدهما التقصير و التقتير. و قيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان. و الأول أظهر. و أصل الإسراف مجاوزة الحد يقال: سرفت القوم إذا جاوزتهم، و أنت لا تعرف مكانهم و سرفت الشيء إذا نسيته لأنك جاوزته إلى غيره بالسهو عنه. و يقال: أصنع من سرفة، و هى دويبة صغيرة تنقب الشجر، و تبنى فيه بيتاً.

إن قيل: كيف قوبل الذنوب و الإسراف فى الامر؟ قلنا: قال الضحاك: هو بمنزلة اغفر لنا الصغير و الكبير من خطايانا.

الاعراب، و المعنى:..... ص: ۱۲

و «قولهم» نصب بأنه خبر (كان) و الاسم (أن قالوا)، و انما اختير ذلك، لأن ما بعد الإيجاب معرفة، فهو أحق بأن يكون الاسم، كقول الشاعر:

و قد علم الأقوام ما كان داءها بثهلان إلا الخزىُ ممن يقودها «۳»

---

(۱) سورة الإسراء آية: ۲۹.

(۲) سورة الفرقان آية: ۶۷.

(۳) سيبويه ۱: ۲۴ و لم ينسبه. يصف كتيبة متهزمة يقول: لم يكن سبب انهزامها الا جبن من يقودها، فجعل الخزى كناية عن الجبن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳

و يجوز الرفع على أنه اسم (كان) و قد قرئ به فى الشواذ. و مثله قوله:

«ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «۱» «وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا» «۲» و قوله:

«وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا» أى أعنا و ألطف لنا بما تثبت معه أقدامنا و إن كان ثبوت القدم من فعل العباد لكن لما كان بلطفه و معونته جاز نسبته إليه مجازا.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴۸]..... ص: ۱۳

اشارة

فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۴۸)

المعنى، و اللغة:..... ص: ۱۳

قوله: «فَآتاهُمُ اللَّهُ» يعنى من تقدم ذكره من الربيين الذين وصفهم. و قال الجبائى: يعنى به المسلمين الذين صفتهم ما تقدم ذكره أى

أعطاهم اللّه ثواب الدنيا قال قتادة، و الربيع: هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم، و قهروهم. و «ثَوابِ الْآخِرَةِ» : الجنة. و زاد ابن جريج الغنيمة. و يجوز أن يكون ما آتاهم اللّه فى الدنيا من الظفر و النصر و أخذ الغنيمة ثواباً مستحقاً لهم على طاعاتهم، لأن فى ذلك تعظيما لهم و تبجيلا، و لذلك تقول: إن المدح على أفعال الطاعة و التسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب، و يجوز أن يكون اللّه تعالى أعطاهم ذلك تفضلا منه تعالى، أو لما لهم فيه من اللطف، فتكون تسميته بأنه ثواب مجازاً. و حد الثواب هو النفع الخالص المستحق الذى يقارنه تعظيم و تبجيل، و العوض هو النفع المستحق الخالى من التعظيم و التبجيل، و التفضل هو النفع الذى ليس بمستحق و لا معه تعظيم و تبجيل.

و انما جاز تأخير الثواب المستحق مع ثبوت الاستحقاق له عقيب الطاعة لامرين:

أحدهما- قال أبو على: لأنه يوفر عليه ما يفوته فى زمان التكليف إلى خير الثواب. و قال الرمانى: لأنه إذا أخر عظم ما يستحقه بالتأخر على ما كان

---

(۱) سورة الجاثية آية: ۲۴.

(۲) سورة الاعراف آية: ۸۱ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴

لو قدم، لأنه إذا استحق مثلا مائة جزء عاجلا، فإذا أخر استحق مائة و عشرة أو مائة و جزء. و قيل فى وجه حسن تأخيره أنه لو كان عقيب الطاعة لأدى إلى أن يكون المكلف ملجأ إلى فعل الطاعة، لأن المنافع الكثيرة تلجئ إلى الفعل كما أن دفع المضار العظيمة تلجئ إلى مثله، و ذلك ينافى التكليف. و قوله: «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم و تعظيمهم و تبجيلهم و الفرق بين الإحسان و الانعام أن الإحسان قد يكون إنعاماً بأن يكون نفعاً للمنتفعين به، و قد يكون احساناً بأن يكون فعلا حسناً، و من القسم الأخير يقال هو تعالى محسن بفعل العقاب، و لا يقال محسن من القسم الأول. و يقال و هو محسن بفعل الثواب على الوجهين معا «۱» .

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۴۹ الى ۱۵۰]..... ص: ۱۴

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۱۴۹) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (۱۵۰)

آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ۱۴

هذا خطاب للمؤمنين حذرهم اللّه من أن يطيعوا الكفار، و بين أنهم إن أطاعوهم ردوهم كافرين. و المعنى ب «الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل فيهم قولان:

أحدهما- قال الحسن، و ابن جريج إنهم اليهود، و النصارى أى إن تستنصحوهم و تقبلوا رأيهم يردوكم خاسرين. و قال السدى: أراد إن تطيعوا أبا سفيان و أصحابه يرجعوكم كافرين. و الطاعة موافقة الارادة المرغبة فى الفعل، و بالترغيب ينفصل من الاجابة، و إن كان موافقة الارادة حاصلة. و فى الناس من قال: الطاعة هى موافقة الأمر، و الاول أصح، لأن من فعل ما يقتضى العقل وجوبه أو حسنه يقال: إنه

---

(١) فى المخطوطة بالسقط (معاً).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥

مطيع للّه، و ان لم يكن هناك أمر على أن من امتثل الأمر إنما سمى مطيعاً لموافقة الارادة المرغبة من حيث أن الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به، و الطاعة تكون بمتابعة الواجب و الندب معاً، لأن الارادة تتناولهما.

الاعراب، و الحجة، و اللغة، و المعنى:..... ص: ١٥

و قوله: (إن تطيعوا) جزم بأنه شرط. و قوله: «يردوكم» جزم بأنه جواب الشرط. و قوله: «فتنقلبوا» جزم بالعطف عليه. و قوله: «خاسرين» نصب على الحال. و قوله: «بل اللّه»، فحقيقة (بل) الاضراب عن الأول إلى الثانى سواء كانا موجبين أو نفيين أو إحداهما موجباً و الآخر نفياً تقول: جاء زيد بل عمرو، و ما جاء زيد بل عمرو لم يجئ، و ما أتى زيد بل خالد.

فان قيل: كيف عطف ببل و هى لا تشرك الثانى مع الأول فى المعنى؟ قلنا:

لأن الاضراب عن الاول كالبدل، و لذلك وجب العطف بالاشراك فى الاعراب كما يجب فى البدل غير أن البدل لم يحتج إلى حرف، لأن الثانى هو الأول أو فى تقدير ما هو كالأول، و (لكن) للاستدراك أيضاً، و هو يقتضى نفياً إما متقدماً أو متأخراً كقولك ما جاءنى زيد، لكن عمرو، و جاء زيد لكن عمرو لم يأت، و بهذا فارقت بل. و قوله: «بل اللّه» كان يجوز النصب فى (اللّه) قال الفراء: على معنى أطيعوا اللّه مولاكم، لأن قبله «إِنْ تُطِيعُوا» ثم أضرب عن الأول و أوجب الثانى بل أطيعوا اللّه (مولاكم). و الرفع يحتمل أن يكون على الابتداء و مولاكم خبره، و يحتمل أن يكون مولاكم مبتدأ، و (اللّه) خبره، و قد قدم عليه. و معنى مولاكم أى هو أولى بطاعتكم و نصرتكم. و قيل معناه وليكم بالنصرة بدلالة قوله: «هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» و الأصل فيه، ولى الشيء الشيء من غير فصل بينه و بينه، فالولاية إيلاء النصرة، و يجوز لأنه يتولى فعل النصرة، و ان لم يكله إلى غيره، لأن من فعل شيئاً فقد تولى فعله. فان قيل: كيف قال: «وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» مع أنه لا يعتد بنصر غير اللّه مع نصرته؟ قيل: معناه إنه ان اعتد بنصرة غير اللّه فنصرة التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٦

اللّه خير منها، لأنه لا يجوز أن يغلب، و غيره يجوز أن يغلب، و ان نصر فالثقة بنصرة اللّه تحصل، و لا تحصل بنصرة غيره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٥١]..... ص: ١٦

اشارة

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)

- آية بلا خلاف-.

ذكر ابن إسحاق أنه لما نال المسلمين ما نالهم يوم أحد بمخالفة الرماة أمر نبيهم (ص)، و كان من ظهور المشركين عليهم ما كان عرفهم اللّه عز و جل الحال فى ذلك ثم وعدهم بالنصر لهم، و الخذلان، لأعدائهم بالرعب. و ذكر السدى: أن أبا سفيان و أصحابه هموا بالرجوع بعد أحد لاستئصال المسلمين عند أنفسهم، فالقى اللّه الرعب فى قلوبهم حتى انقلبوا خائبين عقوبة على شركهم «بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» يعنى برهاناً.

اللغة، و الحجة:..... ص: ١٦

فالسلطان معناه ها هنا الحجة، و البرهان. و أصله القوة، فسلطان الملك قوته. و السلطان: البرهان لقوته على دفع الباطل. و السلطان: التوكيل على المطالبة بالحق، لأنه تقوية عليه، و التسليط على الشيء: التقوية عليه مع الإغراء به.

و السلاطة: حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع إثبات «١» فعله:

و السليط: الزيت لقوة اشتعاله بحدته. و الإلقاء حقيقته في الأعيان، كقوله:

«وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ» «٢» و استعمل في الرعب مجازاً، و مثل قوله: «وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» «٣»، و قوله: «وَ مَأْواهُمُ النَّارُ» أي مستقرهم و في الآية دلالة على

(١) في المخطوطة (إيثار)

(٢) سورة الاعراف آية: ١۴٩.

(٣) سورة طه آية: ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧

فساد التقليد، لأنه لا برهان مع صاحبه على صحة مذهبه، فكل من قال بمذهب لا برهان عليه، فمبطل بدلالة الآية. و قوله: «وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» فالمثوى:

المنزل، و أصله الثواء، و هو طول الاقامة ثوى يثوى ثواء: إذا طال مقامة و أثواني فلا مثوى أي أنزلني منزلا و ربة البيت: أم مثواه. و الثوى: الضيف لأنه مقيم مع القوم. و انما قيل لجهنم «بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» و بئس للذم، كما أن نعم للحمد لامرين:

أحدهما- إن الضرر تنفر منه النفس كما ينفر العقل من القبح فجرى التشبيه على وجه المجاز- هذا قول أبي علي-. و قال البلخي: لأن الذم يجرى على النقص كما يجرى على القبح حقيقة فيهما، نحو قولهم: الأخلاف المحمودة و الأخلاق المذمومة

و روى عن النبي (ص) أنه قال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)

و قد رعبته رعباً أي أ فزعته، و الاسم الرعب و رعبت الأناء إذا ملأته، فهو مرعوب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۵٢]..... ص: ١٧

اشارة

وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١۵٢)

المعنى، و القصة:..... ص: ١٧

ذكر ابن عباس، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة، و السدي، و الربيع، و ابن إسحاق: أن الوعد المذكور كان يوم أحد، لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين قتلا ذريعاً حتى أخل الرماة بمكانهم الذي أمرهم النبي (ص) بملازمته، فحينئذ حمل خالد بن الوليد من وراء المسلمين، و تراجع المشركون، و قتل من المسلمين التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٨

سبعون رجلا ثم هزموا، و قد نادى مناد قتل محمد ثم من اللّه على المسلمين، فرجعوا و قويت نفوسهم، و نزل الخذلان بعدوهم، حتى و لوا عنهم، و معنى «تحسونهم» تقتلونهم.

اللغة:..... ص: ١٨

و الحس هو القتل على وجه الاستئصال قال جرير:

تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى أجم الحصيد «١»

و أصله الاحساس. و منه قوله: «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» «٢» و قوله:

«فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ» «٣» أى وجده من جهة الحاسة، و حسه يحسه:

إذا قتله، لأنه أبطل حسه بالقتل، و التحسس طلب الاخبار. و فى التنزيل «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» «۴» و ذلك لأنه طلب لهما بحاسة السمع.

و المحسة التى ينفض بها التراب عن الدابة، لأنه يحس بها من جهة حكها لجلدها.

و قوله: «باذنه» معناه بعلمه. و يجوز أن يكون المراد بلطفه، لأن أصل الاذن الإطلاق فى الفعل، فاللطف تيسر «۵» له، كما أن الاذن كذلك إلا أن اللطف تدبير يقع معه الفعل لا محالة اختياراً كما يقع فى أصل الاذن اختياراً.

المعنى:..... ص: ١٨

قال أبو على قوله: «إِذْ تَحُسُّونَهُمْ» يعنى يوم بدر «حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ» يوم أحد «مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ» يوم بدر. و الأولى أن يكون هذا حكاية عن يوم أحد على ما بيناه. و قوله: «حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ» معناه جبنتم عن عدوكم و كعتم

---

(١) ديوانه ١: ۴٧ من قصيدة يمدح بها الحجاج.

(٢) سورة الكهف آية: ٩٩.

(٣) سورة آل عمران آية: ۵٢.

(۴) سورة يوسف آية: ٨٧.

(۵) فى المخطوطة (تفسير).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩

«وَ تَنازَعْتُمْ» فى الأمر يعنى اختلفتم «مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ» معناه أنهم أعطوا النصر، فخالفوا فى ما قيل لهم من لزوم فم الشعب. و اختلفوا، فعوقبوا بأن ديل عليهم فى قول الحسن. و قوله: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا» أى منكم من قصده الغنيمة فى حربكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» أى بثبوته فى موضعه بقصده بجهاده إلى ما عند اللّه فى قول ابن مسعود، و ابن عباس، و الربيع.

الاعراب، و المعنى:..... ص: ١٩

فان قيل أين جواب «حتى إذا» قلنا: فيه قولان:

أحدهما- إنه محذوف، و تقديره امتحنتم.

و الآخر- على زيادة الواو و التقديم و التأخير، و تقديره حتى إذا تنازعتم فى الأمر، فشلتم- فى قول الفراء-، كما قال «فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ» «١» و معناه ناديناه، و الواو زائدة. و مثله «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ... وَ اقْتَرَبَ» «٢» و معناه اقترب. و مثله قوله: «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ» «٣» و أنشد:

حتى إذا قملت بطونكم و رأيتم أبناءكم شبوا

قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب «۴»

و البصريون لا يجيزون زيادة الواو و يتأولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ فى الكلام، و أحسن من جهة الإيجاز. و قوله: «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» قيل فى إضافة انصرافهم إلى اللّه مع أنه معصية قولان:

---

(١) سورة الصافات: آية ١٠٣- ١٠۵.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٧۶- ٧٧.

(٣) سورة الزمر: آية ٧٣.

(۴) قائلهما الأسود بن يعفر النهشلي و هو فى اكثر الكتب غير منسوب معانى القران: للفراء ١: ١٠٧، ٢٣٨ و اللسان: (قمل) و تأويل مشكل القرآن ٢ ٣٨١. المعانى الكبير: ۵٣٣ و اللسان: (وقب) قملت بطونكم: كثرت قبائلكم المجن: الترس. الخب المخادع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠

أحدهما- إنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه، و منهم من لم يعص، لأنهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة، فانصرفوا بإذن اللّه بأن التجأوا إلى أحد، لأن اللّه إنما أوجب ثبات المائة للمائتين فإذا نقصوا، لا يجب عليهم ذلك. و جاز أن يذكر الفريقين فى الجملة بأنه صرفهم، و بأنهم عفا عنهم، و يكون على ما بيناه فى التفصيل هذا قول أبى على. و قال البلخى «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم «لِيَبْتَلِيَكُمْ» بالمظاهرة فى الانعام عليكم، و التخفيف عنكم. و قوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ» فإذ تصعدون متعلق بقوله: «وَ لَقَدْ عَفا» فى قول الزجاج. و قال الجبائى قوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ» خاص لمن لم يعص بانصرافه، و الأولى أن يكون عاماً فى جميعهم، لأنه لا يمتنع أن يكون اللّه عفا لهم عن هذه المعصية.

و قال البلخى: معناه «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ» بتتبعهم بعد أن كان أمرهم بالتتبع لهم، فلما بلغوا حمراء الأسد أعفاهم من ذلك، و لا يجوز أن يكون، صرفهم فعل اللّه، لأنه قبيح و اللّه تعالى لا يفعل القبيح.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۵٣]..... ص: ٢٠

اشارة

إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١۵٣)

آية

القراءة، و الحجة، و اللغة، و المعنى:..... ص: ٢٠

التقدير اذكروا «إِذْ تُصْعِدُونَ» و يجوز أن يكون متعلقاً بقوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ... إِذْ تُصْعِدُونَ»، و القراء كلهم على ضم التاء من الإصعاد. و قرأ الحسن بفتح التاء و العين من الصعود، و قيل: الإصعاد فى مستوى الأرض، و الصعود فى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١

ارتفاع يقال أصعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها و كذلك أصعدنا من الكوفة إلى خراسان على قول الفراء، و المبرد، و الزجاج. و وجه ذلك أن الإصعاد إبعاد فى الأرض كالابعاد فى الارتفاع، و على ذلك تأويل «تُصْعِدُونَ» أى أصعدوا فى الوادى يوم أحد عن

قتادة، و الربيع. و قال ابن عباس و الحسن انهم صعدوا فى أحد فى الجبل فراراً، فيجوز أن يكون ذلك بعد أن أصعدوا فى الوادى. و قوله «وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ» معناه لا تعرجون على أحد. و قوله: «وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ»

قال ابن عباس و السدى، و الربيع: إن النبى (ص) كان يدعوهم، فيقول: ارجعوا أى عباد اللّه ارجعوا أنا رسول اللّه.

و قوله: «فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ» فى معناه قولان:

أحدهما- إنه إنما قيل فى الغم ثواب، لأن أصله ما يرجع من الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية ثم كثير فى جزاء الطاعة كما قال الشاعر:

و ارانى طرباً فى إثرهم طرب الواله أو كالمختبل

فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على فعلهم، و هزيمتهم. و الثانى- أن يكون وضع الشىء مكان غيره كما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۱» أى ضعه موضع البشارة، كما قال الشاعر:

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه أداهم سودا او محدرجة سمرا «۲»

أراد بقوله سودا قيودا. و قيل فى معنى قوله: «غَمًّا بِغَمٍّ» قولان:

أحدهما- غماً على غم، كما يقال: نزلت ببنى فلان و على بنى فلان. و قال قتادة، و الربيع: الغم الأول: القتل و الجراح. و الثانى: الإرجاف بقتل محمد (ص).

و القول الثانى- غماً بغم أى مع غم كما يقال: ما زلت بزيد حتى فعل أى

---

(۱) سورة الأنبياء: ۳، و التوبة آية: ۳۵، و الانشقاق آية: ۲۴. [.....]

(۲) قائله الفرزدق. ديوانه: ۲۲۷، و النقائض: ۶۱۸ و طبقات فحول الشعراء:

۲۵۶، و تاريخ الطبرى ۶: ۱۳۹، و معانى القرآن للفراء ۱: ۲۳۹. و رواية مختلفة. و فى أغلب المصادر هكذا:

و لما خشيت أن يكون عطاؤه....

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۲

مع زيد. و قال الحسن غما يوم أحد بعد غم يعنى يوم بدر. أى كله للاستصلاح و ان احتلف الحال. و قال الحسين بن على المغربى: معنى «غَمًّا بِغَمٍّ» يعنى غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم على حمراء الأسد، فجعل هذا الغم عوض غم المسلمين بما نيل منهم. و قوله: «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» معناه ما فاتكم من الغنيمة «وَ لا ما أَصابَكُمْ» من الهزيمة فى قول ابن زيد. و اللام فى قوله: «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله: «عَفا عَنْكُمْ» «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» و يحتمل أن يتعلق ب «فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» من الغنيمة و لا ما أصابكم من الشدة فى طاعة اللّه، لأن ذلك يؤديكم إلى مضاعفة الغم عليكم.

و قوله: (وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) فيه تجديد تحذير بأنه لا يخفى عليه شىء من أعمال العباد.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۵۴]..... ص: ۲۲

اشارة

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ

كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

آية بلا خلاف.

القراءة و المعنى و الحجة و الاعراب و القصة:..... ص: ٢٢

قرأ حمزة، و الكسائي: تغشى بالتاء الباقون بالياء. فمن قرأ بالتذكير أراد التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣
النعاس، و من أنث أراد الامنة، و مثله «أ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى «١» «و إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي» «٢» بالتاء، و الياء. و قرأ أبو عمرو، وحده «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ» بالرفع. الباقون بالنصب، و وجه الرفع أنه على الابتداء، كما قال: «وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ» «٣» و يكون (للّه) خبره، لأنه لما وقع الأمر فى الجواب اديت صورته فى الاسم ثم جاءت الفائدة فى الخبر، و لأنه نقيض بعض، فكما يجوز الرفع فى (بعض) يجوز فى (كل) نحو إن الأمر بعضه لزيد. و النصب على أنه تأكيد للأمر «و امنة» منصوب، لأنه مفعول به، و نعاساً بدلا منه، و النعاس هو الامنة.

و هذه الأمنة التي ذكرها اللّه فى هذه الآية نزلت يوم أحد فى قول عبد الرحمن ابن عوف و أبى طلحة، و الزبير بن العوام، و قتادة، و الربيع، و كان السبب فى ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع، فكانوا تحت الجحف متهيئين للقتال فأنزل اللّه تعالى الأمنة على المؤمنين، فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن، فطير عنهم النوم على ما ذكره ابن إسحاق و ابن زيد، و قتادة، و الربيع. و قوله: «يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ» يعنى النعاس يغشى المؤمنين «وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ» الفراء على الرفع. و الواو واو الحال كأنه قال: يغشى النعاس طائفة فى حال ما أهمت طائفة منهم أنفسهم. و رفعه بالابتداء، و الخبر يظنون، و يصلح أن يكون الخبر «قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» و الجملة فى موضع الحال. و لا يجوز النصب على أن يجعل واو العطف كما تقول ضربت زيداً و عمراً كلمته. و التقدير و أهمت طائفة أهمتهم أنفسهم.

المعنى:..... ص: ٢٣

و قوله: (يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) قيل فى معناه قولان:

---

(١) سورة القيامة آية: ٣٧.

(٢) سورة الدخان: ٤٣- ٤٥.

(٣) سورة النمل آية: ٨٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤

أحدهما- قال الحسن أخرجنا كرهاً، و لو كان الأمر إلينا ما خرجنا.

و ذلك من قبل عبد اللّه بن أبى بن سلول، و معتب بن قشير على قول الزبير بن العوام، و ابن جريج.

و الآخر- أى ليس لنا من الظفر شيء كما عدونا على وجه التكذيب بذلك «يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ» أى من الشك، و النفاق، و تكذيب الوعد بالاستعلاء على أهل الشرك ذكره الجبائى. و قوله: «وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم مظاهرة فى العدل عليكم و إخراج مخرج كلام المختبر لهذه لعلة، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها، فلا يبتلى ليستفيد علماً.

و الثاني- ليبتلى أولياء اللّه ما في صدوركم إلا أنه أضيف الابتلاء إلى اللّه عز و جل تفخيما لشأنه. و قوله: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ) يحتمل أمرين: أحدهما- لو تحلتفتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل و لم يكن لينجيه قعودكم- عن أبي علي-.

الثاني- لو تخلفتم لخرج المؤمنون، و لم يتخلفوا بتخلفكم ذكره البلخي، و لا يوجب ذلك أن يكون المشركون غير قادرين على ترك القتال من حيث علم اللّه منهم ذلك، و كتبه، لأنه كما علم أنهم لا يختارون ذلك بسوء اختيارهم علم انهم قادرون. و لو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادرا على ما علم أنه لا يفعله و ذلك كفر باللّه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٥٥]..... ص: ٢۴

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)

آية التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥

المعنى، و اللغة:..... ص: ٢٥

روى عن عمر بن الخطاب، و قتادة، و الربيع: ان المعنى بالمتولى في هذه الآية هم الذين و لو الدبر عن المشركين بأحد. و قال السدي: هم الذين هربوا إلى المدينة في وقت الهزيمة. و قوله: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا) قيل في الكسب الذي أداهم إلى الفرار الذي اقترفوه قولان:

أحدهما- محبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة، و في ذلك الوجه عما يؤدي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور على قول الجبائي.

و الثاني- ذكره الزجاج، استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم، فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها، و الخروج من المظلمة فيها. و قوله: (وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) يحتمل أمرين:

أحدهما- قال ابن جريج، و ابن زيد: حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة به، ليدل على عظم تلك المعصية.

و الآخر- عفا لهم تلك الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصوا التوبة. و قوله:

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ فحلمه تعالى عنهم هو إمهاله بطول المدة بترك الانتقام مع ما فعل بهم من ضروب الانعام.

و أصل الحلم الاناة، و هي ترك العجلة، فالامهال بفعل النعمة بدلا من النقمة كالاناة بترك العجلة. و منه الحلم في النوم، لأن حال السكون و الدعة كحال الاناة. و منه الحلمة: رأس الثدي، لخروج اللبن الذي يحلم الصبي.

و ذكر البلخي أن الذين بقوا مع النبي (ص) يوم أحد فلم ينهزموا ثلاثة عشر رجلا: خمسة من المهاجرين: علي (ع) و أبو بكر، و طلحة، و عبد الرحمن ابن أبي عوف، و سعد بن أبي وقاص، و الباقون من الأنصار. فعلي و طلحة، لا خلاف فيهما. و الباقون فيهم خلاف. و أما عمر،

فروى عنه أنه قال: رأيتني التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۶

أصعد في الجبل كاني أروى «١» . و عثمان انهزم، فلم يرجع إلا بعد ثلاثة [أيام «٢» فقال له النبي (ص): لقد ذهبت فيها عريضة.

و في الآية دليل على فساد قول المجبرة: من أن المعاصي من اللّه، لأنه تعالى نسب ذلك في الآية إلى الاستزلال الشيطان.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٥۶]..... ص: ٢۶

اشارة

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قـالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)

آية

المعنى، و اللغة، و الاعراب:..... ص: ٢۶

هـذا خطاب متوجه إلى المؤمنين الـذين نهاهم اللّه أن يكونوا مثل الذين كفروا، و قالوا لإخوانهم،، و هم عبد اللّه بن أبى بن سـلول، و أصـحابه- فى قول السدى و مجاهد-: إذا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ» أى سافروا فيها لتجارة أو طلب معيشة- فى قول ابن إسـحاق، و السدى-، فأصـله الضـرب باليد. و قيل الأصل فى الضـرب فى الأرض الإيغال فى السير «أَوْ كانُوا غُزًّى» أى جمع غاز كما قالوا: شاهد و شهد، و قائل و قول، قال رؤية:

فاليوم قد نهنهنى تنهنهى و أول حلم ليس بالمسفه

و قوّل: الاده فلاده «٣»

---

(١) اروى: ضأن الجبل. ج أروية- بضم الهمزة و كسرها-.

(٢) (ايام) ساقطة من المطبوعة

(٣) ديوانه: ١۶۶ و مجاز القرآن لأبى عبيـدة ١: ٩٠۶ و اللسان: (قول)، (ده) و خزانـة الأدب ٣: ٩٠ و غيرها و هو من قصـيدة يذكر فيها شبـابه. نهنهت فلانـا عن الشـيء-- فتنهنه زجرته فـانزجر. و الأول: الرجوع و قـد اختلف فى تفسير (الاده فلاده). قال أبو عبيـدة: ان لم يكن هذا، فلا ذا و قال ابن قتيبة: ان لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره.

و يروى أهل العربية ان الدال مبدلة من ذال. قال بعضـهم: هذا مثل يضـرب للرجل يطلب شيئاً فإذا منعه، طلب غيره. و قال الأصمعى: لا أدرى ما أصله. قال بعضهم: (ده) كلمة فارسية:

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧

و يجوز فيه غزاة كقاض، و قضاة. و غزاء ممـدود كخارب و خراب، و كاتب و كتاب. و يجوز (قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ) و لا يجوز أكرمتك إذا زرتنى على أن توقع إذا موضع إذ، لأمرين:

أحدهما- لأنه متصل ب «لا تكونوا» كهؤلاء إذا ضرب إخوانكم فى الأرض.

الثـانى- لأن (الـذى) إذا كان مبهما غير موقت يجرى مجرى ما فى الجزاء، فيقع الماضـى فيه. موقع المسـتقبل، نحو «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «١» معناه يكفرون، و يصدون. و مثله «إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ» «٢» معناه إلا من يتوب. و مثله كثير. و يجوز لأكرمن الـذى أكرمك إذا زرته، لابهام الـذى، و لا يجوز لأكرمن هذا الذى أكرمك إذا زرته، لتوقيت الذى من أجل الاشارة إليه بهذا و لأنه دخله معنى كلما ضربوا فى الأرض، فلا يصح على هذا المعنى إلا بإذا دون إذ قال الشاعر:

و انى لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر و استيجاب ما كان فى غد «٣»

أى ما يكون فى غـد، و هـذا قول الفراء و اللام فى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْـرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» متعلقة ب «لا تكونوا» كهؤلاء الكفار فى هذا القول منهم، «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» دونكم.

و الثانى- قالوا ذلك ليجعله حسرة على لام العاقبة- و هذا قول أبى على- و الحسرة عليهم فى ذلك من وجهين:

أحدهما- الخيبة فيما أملوا من الموافقة لهم من المؤمنين، فلما لم يقبلوا منهم،

---

(۱) سورة الحج: آية ۲۵.

(۲) سورة مريم: آية ۶۰.

(۳) انظر ۱: ۳۵۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۸

كان ذلك حسرة فی قلوبهم.

و الآخر- ما فاتهم من عز الظفر و الغنيمة. قوله: «وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ» معناه هاهنا الاحتجاج على من خالف أمر اللّه فی الجهاد طلباً للحياة، و هرباً من الموت، لأن اللّه تعالى إذا كان هو الذی يحيی و يميت لم ينفع «۱» الهرب من أمره بذلك خوف الموت، و طلب الحياة «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أی مبصر. و يحتمل أن يكون بمعنى عليم. و فيه تهديد، لأن معناه أن اللّه يجازی كلا منهم بعمله ان خيراً فخيراً و ان شراً فشراً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۵۷]..... ص: ۲۸

اشارة

وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (۱۵۷)

آية

المعنى، و الاعراب:..... ص: ۲۸

إن قيل كيف قال: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» مع تفاوت ما بينهما ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الإنسان للمدرة «۲» خير من البعرة؟! قيل: إنما جاز ذلك لأن الناس يؤثرون حال الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد فی سبيل اللّه محبة للدنيا، و الاستكثار منها، و ما جمعوا فيها.

فان قيل أين جواب الجزاء ب (ان)؟ قيل: استغنى عنه بجواب القسم فی قوله: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ» و قد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب، فكان جواب القسم أولى بالذكر- لأن له صدر الكلام- مما يذكر فی حشوه.

فان قيل: لم شرط «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» و هو خير كيف

---

(۱) فی المخطوطة (لم يمنع).

(۲) فی المخطوطة (الذرة).

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۹

تصرفت الحال؟ قلنا: لأنه لا يكون «المغفرة» بالتعرض للقتل فی سبيل اللّه خيراً من غير أن يقع التعرض لذلك لاستحالة استحقاقها بما لم يكن منه، لأنه لم يفعل.

فان قيل: لم جاز جواب القسم مع الماضی فی الجزاء دون المستقبل فی نحو قولهم لئن قتلتم لمغفرة خير؟ قلنا: لأن حرف الجزاء إذا لم يعمل فی الجواب لم يحسن أن يعمل فی الشرط، لأن إلغاءه من أحدهما يوجب الغاءه من الآخر كما أن اعماله فی أحدهما يوجب

اعماله فی الآخر لئلا یتنافر الکلام بالتفاوت.

فان قیل: لم أعلمت (ان) و لم تعمل (لو) و کل واحدة منهما تعقد الفعل بالجواب؟ قلنا: لأن (ان) تنقل الفعل نقلین علی «۱» الاستقبال، و الجزاء، و لیس کذلک (لو) لأنها لما مضی.

ان قیل: کیف وجب بالتعرض للقتل المغفرة و إنما تجب بالتوبة؟ قلنا: لأنه یجب به تکفیر الصغیرة مع أنه لطف فی التوبة من الکبیرة. و معنی الآیة أن المنافقین کانوا یثبطون المؤمنین عن الجهاد، علی ما تقدم شرحه فی هذه السورة فبین اللّه تعالی لو انکم إن قتلتم أو متم من غیر أن تقتلوا «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ» تنالونها «خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ» من حطام الدنیا، و البقاء فیها، و انتفاعکم فی هذه الدنیا، لأن جمیع ذلک إلی زوال.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۱۵۸]..... ص: ۲۹

اشارة

وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَی اللَّهِ تُحْشَرُونَ (۱۵۸)

آیة

اللغة، و الاعراب، و المعنی:..... ص: ۲۹

اللام فی قوله: (وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ) یحتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون خلفاً من القسم، و یکون اللام فی قوله: «لَإِلَی اللَّهِ» جواباً کقولک: و اللّه ان متم أو قتلتم لتحشرون إلی اللّه.

---

(۱) فی المطبوعة (فی) بدل (الی)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۰

و الثانی- أن تکون مؤکدة لما بعدها، کما تؤکد (ان) ما بعدها، و تکون الثانیة جواباً لقسم محذوف، و النون مع لام القسم فی فعل المضارع لا بد منها، لأن القسم أحق بالتأکید من کلما تدخله النون من جهة أن ذکر القسم دلیل أنه من مواضع التأکید فإذا جازت فی غیره من الأمر، و النهی، و الاستفهام، و العرض، و الجزاء مع ما إذ کان ذکر القسم قد أنبأ أنه من مواضع التأکید، لزمت فیه، لأنه أحق بها من غیره «۱» . و الفرق بین لام القسم و لام الابتداء: أن لام الابتداء تصرف الاسم إلیه، فلا یعمل فیه ما قبلها نحو (قد علمت لزید خیر منک) (و قد علمت بأن زیداً لیقدم). و لیس کذلک لام القسم، لأنها لا تدخل علی الاسم، و لا تکسر لها لام (إن) نحو قد علمت ان زیداً لیقومن، و یلزمها النون فی المستقبل. و الفرق بین (أو) و (أم) أن (أم) استفهام، و فیها معادلة الالف نحو (أزید فی الدار أم عمرو) و لیس ذلک فی (أو) و لهذا اختلف الجواب فیهما، فکان فی (أم) بالتعیین و فی (أو) ب (نعم) أو (لا) و معنی الآیة الحث علی الجهاد و ترک التعاقد. و یقال أن اللّه یحشر العباد لیجزی کل واحد علی ما یستحقه: المحسن علی إحسانه و المسیء علی إساءته سواء قتل أو مات کیف تصرفت به الحال.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۱۵۹]..... ص: ۳۰

اشارة

فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (۱۵۹)

آیة.

---

(۱) فی المخطوطة (لم لام الاخر من تفسیر) بدل (فیه لأنه أ حق بها من غیر) و قد أثبتنا ما فی المطبوعة لأنه أوضح. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۱

الاعراب و المعنی:..... ص: ۳۱

قوله:(فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) معناه فبرحمة، و ما زائدة بإجماع المفسرین ذهب إلیه قتادة، و الزجاج، و الفراء و جمیع أهل التأویل. و مثله قوله: «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ» فجاءت (ما) مؤكدة للكلام و سبیل دخولها لحسن النظم، كدخولها لا تزان الشعر، و كل ذلک تأکید لیتمکن المعنی فی النفس، فجری مجری التکریر. قال الحسن بن علی المغربی عندی أن معنی (ما) أی و تقدیره فبأی رحمة من اللّه، و هذا ضعیف. و رحمة مجرورة بالباء، و لو رفعت کان جائزاً علی تقدیر فیما هو رحمة. و المعنی ان لینک لهم مما یوجب دخولهم فی الدین، لأنک تأتیهم بالحجج و البراهین مع لین خلق.

اللغة، و المعنی:..... ص: ۳۱

و قوله: (وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) فالفظ الجافی، و الغلیظ القلب القاسی، یقال فیه فظظت تفظ فظاظة، فأنت فظ، و هو علی وزن فعل إلا أنه ادغم كضب. و أصل الفظاظة الجفوة. و منه الفظاظة. و منه الفظاظ:

خشونة الکلام. و الافتظاظ: شرب ماء الکرش لجفائه علی الطباع.

و قوله: (فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) انما جمع بین الصفتین مع اتفاقهما فی المعنی، لازالة التوهم أن الفظاظة فی الکلام دون ما ینطوی علیه القلب من الحال، و هو وجه من وجوه التأکید إذ یکون لازالة الغلط فی التأویل، و لتمکین المعنی فی النفس بالتکریر، و ما یقوم مقامه.

و قوله: (وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أمر من اللّه تعالی لنبیه أن یشاور أصحابه یقال شاورت الرجل مشاورة و شواراً و ما یکون عن ذلک اسمه المشورة. و بعضهم یقول المشورة. و فلان حسن الشورة، و الصورة أی حسن الهیئة و اللباس و إنه لشیر صیر، و حسن الشارة، و الشوار: متاع البیت. و معنی شاورت فلاناً أی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۲

أظهرت ما عندی فی الرأی، و ما عنده «۱» . و شرت الدابة أشورها: إذا امتحنتها فعرفت هیئتها فی سیرها. و قیل فی وجه مشاورة النبی (ص) إیاهم مع استغنائه بالوحی عن تعرف صواب الرأی من العباد ثلاثة أقوال:

أحدها- قال قتادة، و الربیع، و ابن إسحاق أن ذلک علی وجه التطییب لنفوسهم، و التألف لهم، و الرفع من أقدارهم إذ کانوا ممن یوثق بقوله: «و یرجع إلی رأیه» .

و الثانی- قال سفیان بن عیینه: وجه ذلک لتقتدی به أمته فی المشاورة و لا یرونها منزلة نقیصة کما مدحوا بأن أمرهم شوری بینهم.

الثالث- قال الحسن، و الضحاک: انه للأمرین، لاجلال الصحابة و اقتداء الأمة به فی ذلک. و أجاز أبو علی الجبائی: أن یستعین برأیهم فی بعض أمور الدنیا.

و قال قوم: وجه ذلک أن یمتحنهم فیتمیز الناصح فی مشورته من الغاش النیة.

و قوله: «فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» فالتوكـل على اللّه هو تفويض الأمر إليه للثقـة بحسن تـدبيره، و أصـله الاتكال. و هو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج إليه بمن يسند إليه. و منه الوكالـة، لأنها عقـد على الكفايـة بالنيابة و الوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر إليه. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» معناه يريد ثوابهم على توكلهم و اسنادهم أمورهم إلى اللّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۶۰]..... ص: ۳۲

اشارة

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۶۰)

– آية بلا خلاف–.

المعنى:..... ص: ۳۲

معنى هذه الآية الترغيب فى طاعة اللّه التى يستحق بها النصرة، و التحذير

---

(۱) فى المخطوطة ساقطة جملة (فى الرأى و ما عنده).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۳۳

من معصيته التى يستحق بها خذلانه مع إيجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه أن يكلهم إلى أنفسهم فيهلكوا، و لأنه إذا نصرهم اللّه فلا أحـد يقـدر على مغالبته، و إذا خـذلهم فلا أحـد يقـدر على نصـرتهم بعـده. و (من) فى قوله: «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» معناها التقرير بـالنفى فى صورة الاسـتفهام أى لاـ ينصـركم أحـد من بعـده، كما تقول من يعـد لك إن فسـقك الامام. و إنما تضـمن حرف الاستفهام معنى النفى، لأن جوابه يجب أن يكون بالنفى، فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه.

و كـان أبلغ لتقرير المخـاطب فيه. قال أبو على الجبائى: و فى الآيـة دليل على أن من غلبه أعـداء اللّه من الباغين لم ينصـره اللّه، لأنه لو نصـره لمـا غلبوه، و ذلـك بحسب مـا فى المعلوم من مصالـح العبـاد من تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبة الفجار، و هذا إنما هو فى النصـر بالغلبة، فاما النصـر بالحجة، فان اللّه تعالى نصـر المؤمنين من حيث هـداهم إلى طريق الحق بمـا نصب لهم من الأدلـة الواضـحة و البراهين النيرة، و لو لاـ ذلـك لما حسن التكليف. قال البلخى: المؤمنون منصورون أبـداً إن غلبوا، فهم المنصورون بالغلبـة، و ان غلبوا، فهم المنصورون بالحجـة. قال الجبائى: و النصـر بالغلبـة ثواب، لأنه لا يجوز أن ينصر اللّه الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم.

و قال ابن الأخشاد: ليس بثواب كيف تصـرفت الحال، لأن اللّه قد أمرنا أن ننصر الفئة المبغى عليها. و قال البلخى لا يجوز أن ينصر اللّه الكافر على وجه. فأما الخـذلان فعقاب بلا خلاف. و الخـذلان هو الامتناع من المعونـة على العـدو فى وقت الحاجـة إليها، لأنه لو امتنع إنسان من معونـة بعض الملوك على عدوه مع اسـتغنائه عنها لم يكن خاذلا، و كذلك سبيل المؤمن المغلوب فى بعض الحروب ليس يحتاج إلى المعونة مع الاستفساد بها بدلا من الاستصلاح، فلذلك لم يكن ما وقع به على جهة الخذلان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۳۴

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۶۱]..... ص: ۳۴

اشارة

وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (١۶١)

آية

القراءة، و المعنى، و الحجة، و النزول، و اللغة:..... ص: ٣۴

قرأ ابن كثير و ابن عمرو، و عاصم «يغل» بفتح الياء و ضم الغين. الباقون بضم الياء و فتح الغين. فمن قرأ بفتح الياء و ضم الغين، فمعناه ما كان لنبى أن يخون يقال من الغنيمة غل يغل: إذا خان فيها. و من الخيانة أغل يغل قال النمر بن تولب:

جزى اللّه عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب

بما سألت عنى الوشاة ليكذبوا على و قد أوليتها فى النوائب «١»

[و يقال من «٢» الخيانة غل يغل، و من قرأ بضم الياء و فتح الغين أراد، و ما كان لنبى أن يخون أى ينسب إليه الخيانة. و يحتمل أن يكون أراد ما كان لنبى أن يخان بمعنى يسرق منه. و يكون تخصيص النبى بذلك تعظيما للذنب. قال أبو على الفارسى: لا يكاد يقال: ما كان لزيد أن يضرب، فهذه حجة من قرأ بفتح الياء. و قال ابن عباس، و سعيد بن جبير: سبب نزول هذه الآية أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم لعل النبى (ص) أخذها. و قال الضحاك إنما لم يقسم للطلائع من المغنم، فعرفه اللّه الحكم. و روى عن الحسن أنه قال: معنى يُغل يُخان. و قال بعضهم: هذا غلط، لأنه لا يجوز أن يخان أحد نبياً كان أو غيره، فلا معنى للاختصاص. و هذا الطعن ليس بشىء لأن وجه اختصاصه بالذكر لعظم خيانته على خيانة غيره، كما قال: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «٣» و إن وجب اجتناب جميع الارجاس، و قد يجوز أن يخص النبى بالذكر، لأنه القائم

---

(١) الصحاح للجواهر (غلل).

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

(٣) سورة الحج: آية: ٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣۵

بأمر الغنائم، فيكون بمنزلة ما كان لأحد أن يغل. و أصل الغلول هو الغلل، و هو دخول الماء فى خلل الشجر تقول: انغل الماء فى أصول الشجر ينغل انغلالا، فالمغلول الخيانة، لأنها تجرى فى الملك على خفى من غير الوجه الذى يحل كالغلل، و انما خصت الخيانة بالصفة دون السرقة، لأنه يجرى إليها بسهولة، لأنها مع عقد الامانة. و منه الغل الحقد، لأن العداوة تجرى به فى النفس كالغلل. و منه الغل. و منه الغليل:

حرارة العطش. و الغلة، لأنها تجرى فى الملك من جهات مختلفة، و الغلالة، لأنها شعار تحت. البدن و الغلالة مسمار الدرع. و قوله: (وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يأتى به حاملا له على ظهره، كما

روى عن النبى (ص) أنه كان إذا غنم مغنماً بعث منادياً ألا لا يغلن أحد مخيطا فما دونه، ألا لا يغلن أحد بعيراً فيأتى به على ظهره له رغاء، ألا لا يغلن أحد فرساً فيأتى به يوم القيامة على ظهره له حمحمة

- فى قول ابن عباس، و أبى هريرة و أبى حميد الساعدى، و عبد اللّه بن أنيس و ابن عمر، و قتادة- و ذلك ليفضح به على رؤوس الاشهاد. قال البلخى: يجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كأن اللّه تعالى إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أن يكون حاملا له و له صوت.

الثانی- يأتی به يوم القيامة، لأنه لم يكفر عنه، كما تكفر الصغائر، فهو يعاقب عليه.
و فی الآية دلالة علی فساد قول المجبرة: إن اللّه تعالی لو عذب الأنبياء و المؤمنين لم يكن ظلماً لهم، لأنه قد بين أنه لو لم يوفها ما كسبت، لكان ظلماً لها

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶٢]..... ص: ٣۵

اشارة

أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١۶٢)
آية بلا خلاف- التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣۶

المعنی، و النزول:..... ص: ٣۶

قيل. فی معنی الآية ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و الضحاك معناها، أ فمن اتبع رضوان اللّه فی ترك الغلول كمن باء بسخط من اللّه فی فعل الغلول، و هو اختيار الطبری قال: لأنه أشبه بما تقدم.
الثانی- قال ابن إسحاق «أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ» فی العمل بطاعته علی ما كره الناس «كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» فی العمل بمعصيته علی ما أحبوا.
الثالث- قال الزجاج، و أبو علی: «أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ» بالجهاد فی سبيله «كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» بالفرار منه رغبة عنه.
و
سبب نزولها أن النبی (ص) لما أمر بالخروج إلی أحد قعد عنه جماعة من المنافقين، فأنزل اللّه فيهم هذه الآية.

اللغة:..... ص: ٣۶

«رِضْوانَ اللَّهِ» - بكسر الراء و ضمها- لغتان، و قرأ بالضم حفص عن عاصم علی ما حكيناه عنه، فالضم علی وزن الكفران. و الكسر علی وزن حسبان.
و باء معناه رجع تقول: باء بذنبه يبوء بوءاً إذا رجع به. و بوأته منزلا أی هيأته، لأنه يرجع إليه، لأنه مأواه. و البواء قتل الجانی بمن قتله.
و السخط من اللّه من هو إرادة العقاب بمستحقه، و لعنه و هو مخالف للغيظ، لأن الغيظ هو هيجان الطبع و انزعاج النفس، و لا يجوز إطلاقه علی اللّه تعالی. و المصير: هو المرجع.
و الفرق بينهما أن المرجع هو انقلاب الشیء إلی حال قد كان عليها. و المصير: انقلاب الشیء إلی خلاف الحال التی هو عليها نحو مصير الطين خزفاً، و لم يرجع خزفاً، لأنه لم يكن قبل ذلك خزفاً، فأما مرجع الفضة خاتماً فصحيح، لأنه قد كان قبل خاتماً و أما مرجع العباد إلی اللّه، فلأنهم ينقلبون إلی حال لا يملكون فيها لأنفسهم شيئاً، كما كانوا قبل ما ملكوا.
التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٧

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶٣]..... ص: ٣٧

اشارة

هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (١٦٣)

المعنى:..... ص: ٣٧

قيل معنى قوله: «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ» أن تقديره المؤمنون ذووا درجة رفيعة عند اللّه. و الكفار ذووا درجة خسيسة. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- اختلاف مراتب كل فريق من أهل الثواب، و العقاب، لأن النار أدراك لقوله: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» «١» و الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض، كما

روى أن أهل الجنة ليرون أهل عليين «٢»، كما يرى النجم فى أفق السماء.

و الثانى- اختلاف مرتبتى أهل الثواب، و العقاب بما لهؤلاء من النعيم، و الكرامة و لأولئك من العذاب و المهانة. و عبر عن ذلك بدرجات مجازاً. فان قيل كيف قال: «هم درجات» و انما لهم درجات قيل، لأن اختلاف أعمالهم قد ميزهم بمنزلة المختلفى الذوات كاختلاف مراتب الدرجات لتبعيدهم من استواء الأحوال، فجاء هذا على وجه التجوز، كما قال ابن هرمة- أنشده سيبويه-:

أنصب للمنية تعتريهم رجالى أم هم درج السيول «٣»

و قوله: (وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ) معناه عليم. و فيه تحذير من أن يتكل على الاسرار فى الأعمال ظناً بأن ذلك يخفى على اللّه، لأن أسرار العباد عند الله علانية. و فيه توثيق بأنه لا يضيع للعامل لربه شىء لأنه لا يخفى عليه جميعه.

---

(١) سورة النساء: آية ١۴۴.

(٢) فى المخطوطة (أ) كما

روى أن أهل الجنة ليرون أهل النار يطلعون عليهم فيرونهم كما يرى النجم فى أفق السماء.

و الأصح ما فى المطبوعة.

(٣) سيبويه ١: ٢٠۶، و اللسان (درج) و مجاز القرآن لأبى عبيدة ١: ١٠٧ و الخزانة ١: ٢٠٣ و قد رواه بعضهم:

أ رجما للمنون يكون قومى لريب الدهر أم درج السيول

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٨

اللغة، و الحجة:..... ص: ٣٨

و أصل الدرجة الرتبة، فمنه الدرج، لأنه يطوى رتبة بعد رتبة يقال:

أدرجه إدراجاً. و الدرجان مشى الصبى لتقارب الرتب، درج يدرج درجاً و درجاناً.

و الدرج معروف. و الترقى فى العلم درجة بعد درجة أى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة. فان قيل هلاكا القرآن كله حقيقة، و لم يكن فيه شىء من المجاز، فان الحقيقة أحسن من المجاز؟ قلنا: ليس الأمر على ذلك فان المجاز فى موضعه أولى، و أحسن من الحقيقة لما فيه من الإيجاز من غير إخلال بمعنى، و هى المبالغة بالاستعارة التى لا تنوب منابها الحقيقة، لأن قولهم إذ هو الشمس ضياء أبلغ فى النفوس من قولهم هو كالشمس ضياء، كذلك الجزاء بالجزاء أحسن من الجزاء بالابتداء، لأنه أدل على تقابل المعنى بتقابل اللفظ، فكذلك «هُمْ دَرَجاتٌ» أولى و أبلغ من هم أهل درجات، للإيجاز من غير إخلال.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶۴]..... ص: ٣٨

اشارة

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (١۶۴)

اللغة، و المعنى:..... ص: ٣٨

قوله: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ» معناه أنعم الله. و أصل المن القطع. منه يمنه مناً:
إذا قطعة. «و لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «١» أى غير مقطوع. و المن النعمة، لأنه يقطع بها عن البلية. و يقول القائل: من على بكذا أى استنقذنى به مما أنه فيه.
و المن تكدير النعمة، لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها. و المنة القوة، لأنه

---

(١) سورة حم السجدة: آية ٨ و سورة الانشقاق: آية ٢۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٩

يقطع بها الاعمال. و فى تخصيص المؤمن بذكر هذه النعمة و إن كانت نعمة على جميع المكلفين قيل فيه من حيث أنها على المؤمنين أعظم منها على الكافرين، لأنها نعمة عليهم من حيث هى نفع فى نفسها. و فيما يؤدى إليه من الايمان بها، و العمل بما توجبه أحكامها، فالمؤمن يستحق اضافتها إليه من وجهين، لما بيناه من حالها، و نظائر ذلك قد بيناه مثل قوله: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و غير ذلك و إنما أضافه إلى المتقين من حيث أنهم المنتفعون بها دون غيرهم. و قوله: «إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- من أنفسهم ليكون ذلك شرفا لهم، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الايمان.
الثانى- من أنفسهم، لسهولة تعلم الحكمة عليهم، لأنه بلسانه.
الثالث- من أنفسهم، ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق و الأمانة و العفة و الطهارة. و قال الزجاج: منّ عليهم إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الأميين، لا يتلو كتاباً و لا يخط بيمينه، فنشأ بين قوم يخبرونه و يعرفونه بالصدق و الأمانة و أنه لم يقرأ كتاباً و لا لقنه، فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، فكان ذلك من أدل دليل على صفقة فيما أتى به. و قوله: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ» معناه يقرأ عليهم ما أنزله عليه من آيات القرآن «وَ يُزَكِّيهِمْ» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- يشهد لهم بأنهم أزكياء فى الدين، فيصيروا بهذه المنزلة الرفيعة فى الخلق.
الثانى- يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين سالكين سبيل المهتدين.
الثالث: قال الفراء يأخذ منهم الزكاة التى يطهرهم بها. و قوله: (وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) يعنى القرآن، و هو الحكمة. و إنما كرره بواو العطف لأمرين:
أحدهما- قال قتادة: الكتاب القرآن، و الحكمة السنة.
و الثانى: لاختلاف فائدة الصفتين، و ذلك أن الكتاب ذكر للبيان أنه مما يكتب و يخلد ليبقى على الدهر، و الحكمة و البيان عما يحتاج إليه من طريق المعرفة. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٠
و قوله: (وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) يعنى أنهم كانوا كفاراً. و كفرهم هو ضلالهم فانقذهم اللّه بالنبى (ص).

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶۵]..... ص: ۴۰

اشارة

أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١۶۵)
- آية واحدة-.

المعنى:..... ص: ۴۰

إنما دخلت الواو فى «أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ» لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام، لأن له صدر الكلام. و إنما اتصل الواو الثانى بالأول ليدل على تعلقه به فى المعنى، و ذلك أنه وصل التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة. و المصيبة التى أصابت المسلمين هو ما أصابهم يوم أحد، فانه قتل منهم سبعون رجلا و كانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها، فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين و أسروا منهم سبعين فى- قول قتادة، و الربيع، و عكرمة، و السدى- فقال الزجاج: لأنهم أصابوا يوم أحد منهم مثلهم، و يوم بدر مثلهم، فقد أصابوا مثليهم. و هذا ضعيف، لأنه خلاف لأهل السير، لأنه لا خلاف أنه لم يقتل من المشركين مثل من قتل من المسلمين بل قتل منهم نفر يسير، فحمله على ما قاله ترك الظاهر. و قوله: حكاية عن المسلمين «أَنَّى هذا» أى من أين هذا.

و قوله: «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها-

قال قتادة، و الربيع: لأنهم اختلفوا فى الخروج من المدينة للقتال يوم أحد و كان دعاهم النبى (ص) إلى أن يتحصنوا بها و يدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها، فقالوا كنا نمتنع من ذلك فى الجاهلية، و نحن فى الإسلام، و أنت يا رسول اللّه نبينا أحق بالامتناع و أعز.

و الثانى-

روى عن على (ع) و عبيدة السلمانى أن الحكم كان فى أسرى بدر التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ۴١
القتل، فاختاروا هم الفداء، و شرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم، فقالوا رضينا بذلك، فانا نأخذ الفداء و ننتفع به. و إذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

الثالث- لخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم به النبى (ص) من ملازمة موضعهم.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أنه على كل شىء قدير يدبركم بأحسن التدبير من النصر مع طاعتكم و تركه مع المخالفة إلى ما وقع به النهى، و هذا جواب لقوله: «أنى هذا» و قد تقدم الوعد بالنصرة، و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة: بان المعاصى كلها من فعل اللّه، لأنه تعالى قال «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» و لو لم يكن فعلوه، لما كان من عند أنفسهم كما أنه لو فعله اللّه، لكان من عنده.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶۶]..... ص: ۴١

اشارة

وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۶۶)

- آية-.

المعنى:..... ص: ۴۱

قوله: (وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ) يعنى يوم أحد و ما دخل عليهم من المصيبة بقتل من قتل من المؤمنين. و قوله: «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بعلم اللّه. و منه قوله: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» «۱» معناه اعلموا و منه قوله: «وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ» «۲» أى إعلام. و منه «آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» «۳» يعنى أعلمناك.

الثانى- أنه بتخلية اللّه التى تقوم مقام الإطلاق فى الفعل برفع الموانع،

---

(۱) سورة البقرة: آية ۲۷۹.

(۲) سورة التوبة: آية ۳.

(۳) حم السجدة: آية ۴۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۲

و التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف. و لا يجوز أن يكون المراد به بأمر اللّه، لأنه خلاف الإجماع، لأن أحداً لا يقول: إن اللّه يأمر المشركين بقتل المؤمنين، و لا انه يأمر بشيء من القبائح، و لأن الأمر بالقبيح قبيح، لا يجوز أن يفعله اللّه تعالى. و يمكن أن يحمل مع تسليم أنه بأمر اللّه بأن يكون ذلك مصروفاً الى المنهزمين المعذورين بعد إخلال من أخل بالشعب، و ضعفهم عن مقاومة عدوهم، و ان حمل على الجميع أمكن أن يكون ذلك بعد تفرقهم و تبدد شملهم و انفساد نظامهم، لأن عند ذلك أذن اللّه فى الرجوع و ألا يخاطروا بنفوسهم و قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» ليس معناه أن اللّه يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها و إنما معناه، و ليتميز المؤمنون من المنافقين إلا أنه أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً على المظاهرة فى المجازاة بالقول على ما يظهر من الفعل من جهة أنه ليس يعاملهم بما فى معلومه أنه يكون منهم إن بقوا، بل يعلمهم معاملة من كأنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يظهر. ليكونوا على غاية الثقة بأن اللّه إنما يجازى بحسب ما وقع من الإحسان أو الاساءة.

فان قيل: هل يجوز أن يقول القائل: المعاصى تقع بإذن اللّه، كما قال:

«ما أَصابَكُمْ» من إيقاع المشركين بكم «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» ؟ قلنا: لا يجوز ذلك لأن اللّه تعالى إنما خاطبهم بذلك على وجه التسلية للمؤمنين، فدل ذلك على أن الاذن المراد به التمكين ليتميزوا بظهور الطاعة منهم. و ليس كذلك قولهم: المعاصى بإذن اللّه، لأنه لما عرى من تلك القرينة صار بمعنى اباحة اللّه، و اللّه تعالى لا يبيح المعاصى، لأنها قبيحة، و لأن إباحتها تخرجها من معنى المعصية. و الفاء انما دخلت فى قوله:

«فَبِإِذْنِ اللَّهِ» و لأن خبر (ما) التى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء، لأنه معلق بالفعل فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط، كقولك الذى قام فمن أجل أنه كريم أى، لأجل قيامه صح أنه كريم. و من أجل كرمه قام. و قد قيل أن (ما) هى بمعنى الجزاء، و لا يصح هاهنا لأن الفعل بمعنى المضى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۶۷]..... ص: ۴۳

اشارة

وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ (۱۶۷)

– آية بلا خلاف–.

المعنى:..... ص: ۴۳

قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا» عطف على قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» و قيل فى خبر ليعلم قولان:

أحدهما– أنه مكتف بالاسم، لأنه بمعنى ليعرف المنافقين.

و الثانى– أنه محذوف، و تقديره: و ليعلم المنافقين متميزين من المؤمنين.

و قوله: (وَ قِيلَ لَهُمْ: تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) روى أن القائل لهم ذلك كان عبد اللّه بن عمرو بن خزام يذكرهم اللّه و يحذرهم أن يخذلوا نبيه عند حضوره عدوه– فى قول ابن إسحاق و السدى– و قوله: «أو ادفعوا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما– قال السدى، و ابن جريج: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا.

الثانى– قال ابن عون الانصارى: معناه رابطوا بالقيام على الخيل إن لم تقاتلوا معنا. و قوله: (قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ) قال ابن إسحاق، و السدى ان القائل لذلك عبد اللّه بن أبى بن سلول، انخزل يوم أحد بثلاثمائة نفس، قال لهم علام نقتل أنفسنا ارجعوا بنا، و قالوا للمؤمنين لا يكون بينكم قتال، و لو علمنا أنه يكون قتال لخرجنا معكم و أضمروا فى باطنهم عداوة النبى (ص)، و المؤمنين، فقال اللّه تعالى: «هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ» لأنهم بهذا الاظهار إلى الكفر أقرب منهم للايمان إذا كانوا قبل ذلك فى ظاهر أحوالهم إلى الايمان أقرب التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۴

حتى هتكوا أنفسهم عند من كانت تخفى عليه حالهم من المؤمنين الذين كانوا يحسنون الظن بهم، و ليس المراد أن بينهم و بين المؤمنين قرباً يوجب دخول لفظة أفعل بينهم. و انما هو مثل قول القائل:– و هو صادق– لمن هو كاذب: أنا أصدق منك، و إن لم يكن بينهما مقاربة فى الصدق. و قوله: (يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) انما ذكر الأفواه، و إن كان القول لا يكون إلا بالأفواه لامرين:

أحدهما– للتأكيد من حيث يضاف القول إلى الإنسان على جهة المجاز، فيقال: قد قال كذا: إذا قاله غيره و رضى به، و كذلك «يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» «۱» أى يتلونه على غير جهة الأمر به.

و الثانى– لأنه فرق بذكر الأفواه بين قول اللسان و قول الكتاب.

و قوله: (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ) يعنى أعلم من الكافرين الذين قالوا:

لا يكون قتال، و ما كتموه فى نفوسهم من النفاق.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۶۸]..... ص: ۴۴

اشارة

الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۶۸)

آية

الاعراب:..... ص: ۴۴

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الأعراب:
أحدها- أن يكون نصباً على البدل من الذين نافقوا.
الثانى- الرفع على البدل من الضمير فى يكتمون.
الثالث- الرفع على خبر الابتداء، و تقديره: هم «الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ»

---

(١) سورة البقرة: آية ٧٩.

المعنى:..... ص: ۴۵

و المعنى بهذا الكلام و القائلون لهذا القول عبد اللّه بن أبى و أصحابه من المنافقين قالوه فى قتلى يوم أحد من إخوانهم- على قول جابر بن عبد اللّه، و قتادة، و السدى، و الربيع- و قوله: (قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) معناه ادفعوا قال الشاعر:
تقول إذا درأت لها وضينى أ هذا دينه أبداً و دينى «١»
فان قيل كيف يلزمهم دفع الموت عن أنفسهم بقولهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا؟ قيل لأن من علم الغيب فى السلامة من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فليدفعه، فهو أجدى عليه.
فان قيل: كيف كان هذا القول منهم كذباً مع أنه اخبار على ما جرت به العادة؟ قلنا: لأنهم لا يدرون لعلهم لو لم يخرجوا لدخل المشركون عليهم فى ديارهم، فقتلوهم هذا قول أبى على و قال غيره معنى «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» أى محقين فى تثبيطكم من الجهاد فراراً من القتل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۶٩]..... ص: ۴۵

اشارة

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١۶٩)
- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۴۵

ذكر ابن عباس،، و ابن مسعود، و جابر بن عبد اللّه عن النبى (ص) أنه قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللّه أرواحهم فى حواصل طير خضر ترد انهار الجنة، و تأكل من ثمارها.
قال البلخى: و هذا ضعيف، لأن الأرواح جماد لا حياة فيها،

---

(١) انظر ٢: ١۴٨.

و لو كـانت حيـة لاحتـاجت إلى أرواح أخر و أدى إلى ما لا يتناهى فضـعف الخبر من هـذا الوجه. و فى الناس من قال: إن تأويل الآية اخبار عن صفة حال الشهداء فى الجنة من حيث فسد القول بالرجعة، و هذا ليس بشىء لأنه خلاف الظاهر، و لأن أحداً من المؤمنين لا يحسب أن الشهداء فى الجنة أموات، و أيضاً، فقد وصفهم اللّه بأنهم أحياء فرحون فى الحال، لأن نصب فرحين هو على الحال.

و قوله: (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) يؤكد ذلك، لأنهم فى الآخرة قد لحقوا بهم، و معنى الآية النهى عن أن يظن أحد أن المقتولين فى سبيل اللّه أموات.

و الخطـاب للنبى (ص)، و المراد به جميع المكلفين، كمـا قـال: «يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» و أنه ينبغى أن يعتقـد أنهم «أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمـا آتـاهُمُ اللَّهُ» و بهـذا قـال الحسن، و عمرو بن عبيـد، و واصـل بن عطاء و اختـاره الجبـائى، و الرمانى، و أكثر المفسـرين. و قـال بعضـهم و ذكره الزجـاج: المعنى و لا تحسـبنهم أمواتاً فى دينهم بل هم أحياء فى دينهم، كما قال: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» الآية «١» و قال البلخى معناه: لا تحسـبنهم كما يقول الكفار أنهم لا يبعثون بل يبعثون، و هم «أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ» . و قال قوم: إن أرواحهم تسـرح فى الجنـة و تلتـذ بنعيمها، فهم «أَحْياءٌ عِنْـدَ رَبِّهِمْ» و قوله: «عِنْـدَ رَبِّهِمْ» قيل فى معناه قولان: أحـدهما- أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعا و لا ضرا إلا ربهم و ليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام و ذلك مستحيل عليه تعالى.

و الوجه الآخر- عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس- ذكره أبو على-.

الاعراب:..... ص: ۴۶

و قوله: «بَلْ أَحْياءٌ» رفع على أنه خبر الابتـداء، و تقديره بل هم أحياء، و لا يجوز فيه النصب بحال، لأنه كان يصـير المعنى بل احسـبنهم أحياء، و المراد بل

---

(١) سورة الانعام: آية ١٢٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٧

أعلمهم احياء.

المعنى و الحجة:..... ص: ۴٧

فان قيل لم لا يجوز أن يكون المعنى بل أحياء على معنى أنهم بمنزلـة الأحياء كما يقال لمن خلف خلفاً صالحاً أو ثناء جميلا: ما مات فلان بل هو حى؟ قلنا:

لا- يجوز ذلك لأنه انما جاز هـذا بقرينـة دلت عليه من حصول العلم بأنه ميت فانصـرف الكلام إلى أنه بمنزلـة الحى، و ليس كـذلك الآية لأن إحياء اللّه لهم فى البرزخ جائز مقدور و الحكمة تجيزه.

فـان قيـل أ ليس فى الناس من أنكر الحـديث من حيث أن الروح عرض لا يجوز أن يتنعم؟ قيل: هـذا ليس بصـحيح، لأن الروح جسـم رقيق هوائى مأخوذ من الريح. و الدليل على ذلك أن الروح تخرج من البدن و ترد إليه و هى الحساسة الفعالة دون البدن، و ليست من الحياة فى شـىء، لأن ضـد الحياة الموت و ليس كـذلك الروح- هـذا قول الرمانى سؤاله و جوابه. و فى الآية دليل على أن الرجعة الى دار الـدنيا جـائزة لأـقوام مخصوصـين، لأـنه تعـالى أخبر أن قومـاً ممن قتلوا فى سبيـل اللّه ردهم اللّه أحياء كما كانوا، فأما الرجعـة التى يـذهب إليها أهل التناسـخ، ففاسدة، و القول بها باطل لما بيناه فى غير موضع، و ذكرنا جملة منه فى شـرح جمل العلم فمن أراده وقف

عليه من هناك ان شاء اللّه. و قال أكثر المفسرين الآية مختصة بقتلى أحد.

و قال أبو جعفر (ع)، و كثير من المفسرين: انها تتناول قتلى بدر و أحد معا

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷۰]..... ص: ۴۷

اشارة

فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۱۷۰)

- آية-. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸

الاعراب:..... ص: ۴۸

قوله: «فَرِحِينَ» نصب على الحال من «يُرْزَقُونَ» و هو أولى من رفعه على بل أحياء لأن النصب ينبئ عن اجتماع الرزق و الفرح فى حال واحدة، و لو رفع على الاستئناف لكان جائزا. و قال الفراء: يجوز نصبه على القطع عن الأول.

المعنى، و اللغة:..... ص: ۴۸

و قوله: (بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) معناه بما أعطاهم اللّه من ضروب نعمه، و معنى يستبشرون أى يسرون بالبشارة و أصل الاستفعال طلب الفعل فالمستبشر بمنزلة من طلب السرور فى البشارة، فوجده. و أصل البشارة من البشرة و ذلك لظهور السرور بها فى بشرة الوجه. و منه البشر لظهور بشرته. و معنى قوله:

(وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى هم بمنزلة من قد بشر فى صاحبه بما يسر به. و لأهل التأويل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن جريج، و قتادة: يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة اللّه ما أصبنا.

و الآخرة- أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر ذلك فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا- ذكره السدى- و قال الزجاج: معناه أن لم يلحقوا بهم فى الفعل إلا أن لهم فضلا عظيما بتصديقهم و إيمانهم.

و لحقت ذلك و ألحقت غيرى، مثل علمت و أعلمت، و قيل لحقت و ألحقت لغتان بمعنى واحد مثل بان و أبان، و على ذلك: إن عذابك بالكفار ملحق أى لا حق على هذا أكثر نقاد الحديث. و روى بعض الثقات ملحق بنصب الحاء ذكره البلخى.

و قوله: (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) قيل فى موضع أن قولان:

أحدهما- انه خفض بالباء و تقديره بان لا خوف، هذا قول الخليل، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۹

و الكسائى و الزجاج.

الثانى- ان يكون موضعه نصباً على أنه لما حذف حرف الجر نصب بالفعل كما قال الشاعر:

أمرتك الخير «۱»

أى بالخير فى قول غيرهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷۱]..... ص: ۴۹

اشارة

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۷۱)

آية

القراءة:..... ص: ۴۹

قرأ الكسائى (و إن اللّه)- بكسر الالف- الباقون بفتحها على معنى و بأن اللّه، و رجح هذه القراءة أبو على الفارسى. و الكسر على الاستئناف. و فى قراءة عبد اللّه «و اللّه لا يضيّع أجر المؤمنين» . و هو يقوى قراءة من قرأ بالكسر.

قوله: «يَسْتَبْشِرُونَ» .

المعنى:..... ص: ۴۹

يعنى هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل اللّه الذين وصفهم بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم اللّه من فضله، و انهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فوصفهم هاهنا بأنهم يستبشرون بنعمة من اللّه و فضل. و فضل اللّه و ان كان هو النعمة قيل فى تكراره هاهنا قولان:

أحدهما- لأنها ليست نعمة مضيقة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور و اللذة.

---

(۱) انظر ۲: ۳۴۸ فقد مر البيت هناك كاملا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۰

و الآخر- للتأكيد لتمكين المعنى فى النفس، و المبالغة. و النعمة هى المنفعة التى يستحق بها الشكر إذا كانت خالية من وجوه القبح، لأن المنفعة على ضربين:

أحدهما- منفعة اغترار، و حيلة، و [الثانى - منفعة خالصة من شائب الاساءة. و النعمة: تعظيم بفعل غير المنعم، كنعمة الرسول على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له، لأن دعاءه له نفع من وجهين:

أحدهما- حسن النية فى دعائه إلى الحق ليستجيب له.

و الآخر- قصده الدعاء إلى حق من يعلم انه يستجيب له المدعو و انما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلالة و عظم المنزلة.

و قوله: (وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) و ان كانوا هم علموا ذلك فإنما ذكر اللّه انهم يستبشرون بذلك، لأن ما يعلمون فى دار التكليف يعلمونه بدليل.

و ما يعلمونه بعد الموت يعلمونه ضرورة. و بينهما فرق واضح، لأن مع العلم الضرورى يتضاعف سرورهم، و يشتد اغتباطهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷۲]..... ص: ۵۰

اشارة

الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۷۲)

- آية واحدة-.

سبب النزول و القصة:..... ص: ۵۰

ذكر ابن عباس و السدى، و ابن إسحاق، و ابن جريج، و قتادة: ان سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان: صخر بن حرب، و أصحابه لما انصرفوا عن أحد، ندموا. و قال بعضهم لبعض: لا محمداً قتلتم و لا الكواعب أردفتم فارجعوا فاغيروا على المدينة، و اسبوا ذراريهم. و قيل: إن بعضهم قال لبعض: إنكم قتلتم عدوكم حتى إذا لم يبق إلا الرشيد تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم. فرجعوا الى حمراء الأسد و سمع بهم النبى (ص) فدعا أصحابه إلى الخروج، و قال: لا يخرج معنا التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥١

إلا من حضرنا أمس للقتال، و من تأخر عنا، فلا يخرج معنا.

و

روى أنه (ص) أذن لجابر وحده فى الخروج.- و كان خلفه أبوه على بناته يقوم بهن- فاعتل بعضهم بأن قال: بنا جراح، و آلام فانزل اللّه تعالى «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ»

و قيل نزلت فيهم أيضاً «وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ» «١» ثم استجابوا على ما بهم إلى اتباعهم و ألقى اللّه الرعب فى قلوب المشركين، فانهزموا من غير حرب.

و خرج المسلمون إلى حمراء الأسد. و هى على ثمانية أميال من المدينة.

الاعراب، و اللغة:..... ص: ٥١

و موضع «الذين» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الجر- على أن يكون نعتاً للمؤمنين- و الرفع- على الابتداء- و خبر الذين الجملة- و النصب- على المدح- و قوله: (مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ) معناه من بعد ما نالهم الجراح و أصله الخلوص من الكدر. و منه ماء قراح أى خالص. و القراح من الأرض: ما خلص طينه من السبخ، و غيره. و القريحة خالص الطبيعة. و اقترحت عليه كذا أى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تتوق نفسه إليه، كأنه قال: استخلصته. و فرس قارح أى طلع نابه لخلوصه ببلوغ تلك الحال عن نقص الصغار، و كذلك ناقة قارح أى حامل. فالقرح الجراح، لخلوص ألمه إلى النفس.

و أجاب، و استجاب بمعنى واحد. و قال قوم: استجاب: طلب الاجابة.

و أجاب: فعل الاجابة. و قوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» فالاحسان هو النفع الحسن.

و الإفضال: النفع الزائد على أقل المقدار. و قوله: «وَ اتَّقَوْا» معناه اتقوا معاصى اللّه «أَجْرٌ عَظِيمٌ» معناه هاهنا الذين فعلوا الحسن الجميل من طاعة النبى (ص)، و الانتهاء إلى قوله. و قوله: «منهم» معناه تبيين الصفة لا التبعيض.

---

(١) سورة النساء: آية ١٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٢

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧٣]..... ص: ٥٢

اشارة

الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٥٢

و قيل فى المعنى بقوله: «الناس» الأول ثلاثة أقوال:

أولها- قال ابن عباس، و ابن إسحاق: انهم ركب دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم و قال السدى: هو اعرابى ضمن له جعل على ذلك. و قال الواقدى

هو نعيم بن مسعود الاشجعى و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).

و قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» المعنى به أبو سفيان و أصحابه- فى قول أكثر المفسرين- و قال مجاهد: انما كان ذلك فى بدر الصغرى و هى سنة أربع و كانت أحد فى سنة ثلاث من الهجرة. و إنما عبر بلفظ الجميع عن الواحد فى قوله: «قالَ لَهُمُ النَّاسُ» لأمرين:

أحدهما- ان تقديره جاء القول من قبل الناس، فوضع كلام موضع كلام- ذكره الرمانى-.

و الثانى- إن الواحد يقوم مقام الناس، لأن «الإنسان» إذا انتظر قوماً فجاء واحد منهم، قد يقال: جاء الناس إما لتفخيم الشأن، و أما لابتداء الإتيان.

و قوله: «فاخشوهم» حكاية عن قول نعيم بن مسعود للمسلمين. يعنى اخشوا أبا سفيان، و أصحابه فبين اللّه تعالى ان ذلك القول زادهم ايماناً و ثباتاً على دينهم، و اقامة على نصرة نبيهم. و قالوا عند ذلك «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و معناه كافينا اللّه.

اللغة، و القصة:..... ص: ۵۲

و أصله من الحساب، لأن الكفاية بحسب الحاجة، و بحساب الحاجة. و منه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳

الحسبان و هو الظن. و الوكيل: الحفيظ. و قيل: هو الولى. و أصله القيام بالتدبير.

و المتولى للشيء قائم بتدبيره، و الحافظ له يرجع إلى هذا المعنى. و معنى الوكيل فى صفات اللّه المتولى للقيام بتدبير خلقه، لأنه مالكهم رحيم بهم. و الوكيل فى صفة غيره: انما يعقد بالتوكيل.

و قال قوم من المفسرين: إن هذا التخويف من المشركين كان فى السنة المقبلة، لأن أبا سفيان، لما انصرف يوم أحد، قال موعدكم البدر فى العام المقبل. فقال النبى (ص) لمن حضره: قولوا نعم. فلما كان العام المقبل خرج النبى (ص) بأصحابه، و كان أبو سفيان كره الخروج، فدس من يخوف النبى (ص) و أصحابه لم يسمعوا منهم، و خرجوا إلى بدر فلما لم يحضر أحد من المشركين، رجعوا، و كانوا صادفوا هناك تجارة اشتروها فربحوا فيها، و كان ذلك نعمة من اللّه. و روى ذلك أبو الجارود عن أبى جعفر (ع).

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷۴]..... ص: ۵۳

اشارة

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (۱۷۴)

- آية بلا خلاف-.

المعنى، و اللغة، و الاعراب:..... ص: ۵۳

الانقلاب، و الرجوع، و المصير واحد. و قد فرق بينهما بأن الانقلاب هو المصير إلى ضد ما كان قبل ذلك كانقلاب الطين خزفاً. و لم يكن قبل ذلك خزفاً و الروع هو المصير إلى ما كان قبل ذلك و قوله: «بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان النعمة العافية. و الفضل: التجارة. و السوء: القتل- فى قول السدى، و مجاهد- و قال الزجاج: النعمة هاهنا الثبوت على

الايمان فى طاعة اللّه و فضل الربح فى تجارتهم، لأنه روى أنهم أقاموا فى الموضع ثلاثة أيام فاشتروا أدماً و زبيباً ربحوا فيه: و قال قوم: إن أقل ما يفعله اللّه بالخلق فهو نعمة، و ما زاد عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۴

فهو الموصوف بانه فضل. و الفرق بين النعمة و المنفعة أن النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة، لأنه يستحق بها الشكر و لا يستحق الشكر بالقبيح. و المنفعة قد تكون حسنة و قد تكون قبيحة مثل ان يغصب ما لا ينتفع به- و إن كان قبيحاً- و قوله: (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) موضعه نصب على الحال. و تقديره: فانقلبوا بنعمة من اللّه و فضل سالمين. و العامل فيه «فَانْقَلَبُوا» و المعنى بالآية الذين أمرهم اللّه تعالى بتتبع المشركين إلى حمراء الأسد، فلما بلغوا إليها و كان المشركون أسرعوا فى المضى إلى مكة رجع المسلمون من هناك من غير أن يمسهم قتل و لا- جراح غانمين سالمين، و قد امتثلوا ما أمرهم اللّه تعالى به. و اتبعوا رضوانه «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» أى ذو إحسان عظيم على عباده دينى و دنيوى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷۵]..... ص: ۵۴

اشارة

إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۵)

- آية-

معنى الآية..... ص: ۵۴

انما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان، و باغوائه، و تسويله. و يخوف أولياءه المؤمنين. قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة: يخوف المؤمنين بالكافرين. و قال الزجاج، و أبو على الفارسى، و غيرهما من أهل العربية: إن تقديره يخوفكم أولياءه. أى من أوليائه بدلالة قوله: «فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين باللّه فقد أعلمتكم أنى انصرفكم عليهم، فقد سقط عنكم الخوف. و مثله قوله: «لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ» «۱» و معناه لينذركم بأساً و التقدير لينذركم ببأس شديد، فلما حذف الجار نصبه. و قيل: إن «يخوف» يتعدى إلى مفعولين، لأنك تقول: خفت زيداً و خوفت زيداً عمراً. و يكون فى الآية حذف أحد المفعولين، كما قلناه فى

---

(۱) سورة الكهف: آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵

قولهم: فلان يعطى الدراهم و يكسو الثياب. و قال بعضهم: هذا لا- يشبه الآية، لأنه انما أجازوا حذف المفعول الثانى فى أعطى الدراهم، لأنه لا- يشتبه أن الدراهم هى التى أعطيت. و فى الآية تشتبه الحال فى من المخوف و من المخوّف و قال قوم: «يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ» أى انما خاف المنافقون و من لا حقيقة لإيمانه. و قال الحسن، و السدى:

يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين و يخوف يتعدى إلى مفعولين كما يتعدى، يعطى لأن أصله خاف زيد القتال. و خوفته القتال. كما تقول. عرف زيد أخاك و عرفته أخاك. فان قيل: كيف يكون الأولياء على المفعول الثانى و انما التخويف من الأولياء لغيرهم؟ قيل: ليس التقدير هكذا. و انما هو على (خاف المؤمنون أولياء الشيطان). و هو خوفهم أولياءه. قال الرمانى: و غلط من قدر التقدير الأول. و قوله: «فلا تخافوهم» يعنى لا تخافوا المشركين. و انما قال:

(ذلك) و هى انما يشار بها إلى ما هو بعيد لأنه أراد ذلك القول تقدم من المخوف لهم من قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ» .

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧۶]..... ص: ۵۵

اشارة

وَ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (١٧۶)

- آية بلا خلاف-.

القراءة:..... ص: ۵۵

قرأ نافع فى جميع القرآن «يحزنك» - بضم الياء- إلا قوله: «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «١» . الباقون بفتح الياء فى جميع القرآن. و قرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع. فانه فتح فى جميع القرآن إلا قوله «لا يحزنهم» فانه ضم الياء

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۶

و حكى البلخى عن ابن أبى محيص الضم فى الجميع.

اللغة:..... ص: ۵۶

قال سيبويه: تقول: فتن الرجل، و فتنته. و حزن، و حزنته. و زعم الخليل أنك حيث قلت فتنته، و حزنته، لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً و جعلته فاتناً.

كما انك حين قلت: أدخلته جعلته داخلا، و لكن أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً، و فتنة. فقلت فتنته كما قلت كحلته أى جعلت فيه كحلا- و دهنته جعلت فيه دهناً. فجئت بفعلته- على حده- و لم ترد بفعلته هاهنا نفس قولك حزن و فتن و لو أردت ذلك لقلت أحزنته و أفتنته. و فتن من فتنته مثل حزن من حزنته قال:

و قال بعض العرب: أفتنت الرجل و أحزنته إذا جعلته حزينا، و فاتناً، فغيره إلى أفعل- هذا حكاه أبو على الفارسى حجة لنافع- و قال قوله: «لا يحزنهم» إنما ضم على خلاف أصله لعله اتبع أثراً أو أحب الأخذ بالوجهين:

المعنى:..... ص: ۵۶

و المعنى بقوله: «الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» - على قول مجاهد- و ابن إسحاق- المنافقون. و فى قول أبى على الجبائى: قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام.

فان قيل: كيف قال: «يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ» و الارادة لا تتعلق بألا يكون الشيء و إنما تتعلق بما يصح حدوثه؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- قال ابن إسحاق: «يُرِيدُ اللَّهُ» أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من المعاصى و الكبائر.

و الثانى- ان اللّه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له بتكليفهم، و هو الذى يليق بمذهبنا، لأن الإحباط عندنا ليس بصحيح

فان قیل: کیف قال: «یرید الله» و هذا إخبار عن کونه مریداً فی حال الاخبار، و إرادة الله تعالی لعقابهم تکون یوم القیامة، و تقدیمها علی وجه یکون عزماً و توطیناً للنفس التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۷

لا «۱» یجوز علیه تعالی؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- قال أبو علی: معناه أنه سیرید فی الآخرة حرمانهم الثواب، لکفرهم الذی ارتکبوه.

و الثانی- أن الارادة متعلقة بالحکم بذلک، و ذلک حاصل فی حال الخطاب.

و قال الحسن: یرید بذلک فیما حکم من عدله. و قوله: «یُسارِعُونَ فِی الْکُفْرِ» أی یبادرون إلیه. و السرعة و إن کانت محمودة فی کثیر من المواضع، فإنها مذمومة فی الکفر. و العجلة مذمومة علی کل حال إلا فی المبادرة إلی الطاعات. و قیل:

إن العجلة هی تقدیم الشیء قبل وقته، و هی مذمومة علی کل حال، و السرعة فعل لم یتأخر فیه شیء عن وقته، و لا یقدم قبله، ثم بین تعالی أنهم لمسارعتهم إلی الکفر لا- یضرون الله شیئا، لأن الضرر یستحیل علیه تعالی. و انما یضرون أنفسهم بأن یفوتوا نفوسهم الثواب، و یستحقوا العظیم من العقاب، ففی الآیة تسلیة للنبی (ص) عما یناله من الغم باسراع قوم إلی الکفر بأن و بال ذلک عائد علیهم، و لا یضرون الله شیئاً.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۱۷۷]..... ص: ۵۷

اشارة

إِنَّ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْکُفْرَ بِالْإِیْمانِ لَنْ یَضُرُّوا اللَّهَ شَیْئاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۱۷۷)

- آیة-.

المعنی:..... ص: ۵۷

استأنف اللّه تعالی بهذه الآیة الاخبار بأن من اشتری الکفر بالایمان بمعنی استبدل الکفر بالایمان. و قد بینا فیما مضی أن تسمیة ذلک شراء مجاز لکن لما فعلوا الکفر بدلا من الایمان شبه ذلک بشراء السلعة بالثمن و بین أن من فعل ذلک لا یضر اللّه شیئاً. لأن مضرته عائدة علیه علی ما بیناه. و انما کرر «لَنْ یَضُرُّوا اللَّهَ»

---

(۱) فی المطبوعة (و لا).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۸

فی هذه الآیة، فأنه ذکر فی الآیة الأولی- علی طریقة العلة- لما یجب من التسلیة عن المسارعة إلی الضلالة، و ذکر فی هذه الآیة علی وجه العلة لاختصاص المضرة للعاصی دون المعصی.

اللغة:..... ص: ۵۸

و الفرق بین المضرة و الاساءة أن الاساءة لا تکون إلا قبیحة، و المضرة قد تکون حسنة إذا کانت لطفاً، أو مستحقة أو فیها نفع یوّفی علیها أو دفع ضرر أعظم منها کفعل العقاب، و ضرب الصبی للتأدیب، و غیر ذلک.

الاعراب:..... ص: ۵۸

و قوله: (شيئا) نصب على أنه وقع موقع المصدر، و تقديره «لن يضروا الله شيئا» من الضرر. و يحتمل أن يكون نصباً بحذف الباء كأنه قال بشيء مما يضرّ به، كما يقول القائل: ما ضررت زيداً شيئاً من نقص مال، و لا غيره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧٨]..... ص: ٥٨

اشارة

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (١٧٨)

- آية واحدة بلا خلاف-.

القراءة، و الاعراب:..... ص: ٥٨

قرأ حمزه «و لا تحسبن» بالتاء و فتح السين. الباقون بالياء، و هو الأقوى، لأن حسبت يتعدى إلى مفعولين (و أن) على تقدير مفعولين، لأن قوله: «أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ» سد مسد المفعولين لأنه لا يعمل في (أنما) إلا ما يتعدى إلى مفعولين: نحو حسبت و ظننت و أخواتهما. و حسبت يتعدى إلى مفعولين أو مفعول التبيان في تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ٥٩

يسد مسد المفعولين نحو حسبت أن زيداً منطلق و حسبت أن يقوم عمرو. فقوله:

«أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ»، سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما «يحسبن» و كسر (إن) مع القراءة بالياء ضعيف و قرئ به. و وجه ذلك قال أبو علي الفارسي (إن) يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء، و يدخل كل واحد منهما على الابتداء و الخبر فكسر (إن) بعد «يحسبن» و علق عنها الحسبان، كما يعلق باللام، فكأنه قال: لا يحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم. و من قرأ بالتاء فعلى البدل، كقوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» «١» و كما قال الشاعر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد و لكنه بنيان قوم تهدما «٢»

و قال الفراء: يجوز أن يكون عمل فيه «يحسبن» مقدرة تدل عليها الاولى.

و تقديره: و لا تحسبن الذين كفروا يحسبون انما نملي لهم و هكذا في قوله:

«هَلْ يَنْظُرُونَ» و يجوز كسر (انما) مع التاء في (يحسبن) و هو وجه الكلام، لتكون الجملة في موضع الخبر: نحو حسبت زيداً انه كريم. غير انه لم يقرأ به أحد من السبعة. و قوله: «إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» معنى اللام هاهنا للعاقبة و ليست بلام الغرض. كأنه قال: إن عاقبة أمرهم ازدياد الإثم كما قال:

---

(١) سورة الزخرف: آية ٦۶.

(٢) قائله عبدة بن الطبيب أمالي السيد المرتضى ١: ١١۴، و الاغاني ١٢: ١۴٨ و الحماسة شرح التبريزي ٢: ٢٨۵، ٢٨۶ و غيرها و هو من أبيات قالها في قيس بن عاصم و مطلعها:

عليك سلام الله قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن ترحما

و قيس بن عاصم رجل حليم شريف في قومه، و كان الأحنف بن قيس يقول: انما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم. و قال ابن الاعرابي: قيل ليس بما ذا عدت؟ فقال: بثلاث: بذل الندى و كف الأذى، و نصر المولى. قال التبريزي في شرحه لهذا البيت: يروى (هلك) بالنصب و بالرفع، فإذا نصبته كان (هلكه) في موضع البدل من (قيس) و (ملك) ينتصب على أنه خبر (كان) كأنه قال: فما

كان هلك قيس هلك واحد من الناس بل مات لموته خلق كثير. و إذ رفعته كان (هلكه) فى موضع المبتدأ (و هلك واحد) فى موضع الخبر. و الجملة فى موضع النصب على انها خبر كان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۰

«فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۱» و كما قال: «وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» «۲» و كقوله: «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ...»

إلى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» «۳» و ما قالوا ذلك ليكون حسرة و إنما كان عاقبته كذلك و قال الشاعر:

و أمُ سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالده «۴»

و قال آخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنيها

و قال:

و للمنايا تربى كل مرضعة و للخراب يجد الناس بنيانا

و قال آخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب [فكلكم يصير إلى ذهاب

و يقول القائل: ما تزيدك موعظتى الا شرا، و ما أراها عليك إلا و بالا. و لا يجوز أن يحمل ذلك على لام الغرض و الارادة، لوجهين:

أحدهما- ان ارادة القبيح قبيحة و لا نجوز ذلك عليه تعالى.

و الثانى- لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين للّه من حيث فعلوا ما أراده اللّه و ذلك خلاف الإجماع. و قد قال اللّه تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «۵» و قال: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۶» و قال أبو الحسن الأخفش و الاسكافى: فى الآية تقديم و تأخير. و تقديره و لا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم ليزدادوا إثماً أنما نملى لهم خير لأنفسهم. و هذا ضعيف،

---

(۱) سورة القصص: آية ۸.

(۲) سورة الزمر: آية ۸.

(۳) سورة آل عمران: آية ۱۵۶.

(۴) العجز فى الذيل من سمط الآلى: ۹۲ و هو مثل سائر ينسب لشتيم بن خويلد الفزارى، و لسماك بن عمرو الباهلى.

(۵) سورة الذاريات: آية ۵۶.

(۶) سورة النساء: آية ۶۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۱

لأنه كان يجب لو كان على التقديم، و التأخير أن تكون انما الخيرة مفتوحة الهمزة لأنها معمول تحسبن- على هذا القول- و أن تكون الاولى مكسورة، لأنها مبتدأة فى اللفظ و التقديم و التأخير لا يغير الاعراب عن استحقاقه و ذلك خلاف ما عليه جميع القراء، فإنهم أجمعوا على كسر الثانية. و الأكثر على فتح الاولى. و يمكن أن يقال:- نصرة لأبى الحسن- أن يكون التقدير و لا تحسبن الذين كفروا قائلين:

إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً، بل فليعلموا أنما نملى لهم خير لأنفسهم. فيكون الحسبان قد علق، و لم يعمل. و تكون إنما الثانية كسرت، لأنها بعد القول. و تكون فى موضع نصب بالقول المقدر و تكون أنما الاولى منصوبة بالعلم المقدر الذى بيناه. و على هذا يجوز أن

يكون الوعد عاماً، و يكون الوعيد المذكور مشروطاً بالمقام على الكفر. و على الوجه الأول الذى حملنا اللام على العاقبة لا بد من تخصيصها بمن علم منه انه لا يؤمن، لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه إليهم هذا الوعيد المخصوص و قال البلخي: معناه لا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضاء بأفعالهم، و قبول لها بل هو شر لهم، لأنا نملى لهم و هم يزدادون إثماً يستحقون به عذاباً أليما.

و مثله: «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ» «١» أى ذرأنا كثيراً من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء فعالهم و «ما» فى قوله: «إنما» تحتمل أمرين:

أحدهما- أن تكون بمعنى الذى و التقدير: إن الذى نمليه خير لأنفسهم.

و الآخر- أن يكون ما نملى بمنزلة الاملاء فتكون مصدراً. و إذا كانت كذلك فلا تحتاج إلى عائد يعود إليها. و الاملاء: طول المدة. «نُمْلِي لَهُمْ» معناه نطول أعمارهم. و منه قوله: «وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا» «٢» أى حيناً طويلا- و منه قوله: عشت طويلا، و تمليت حينا. و الملأ: الدهر و الملوان: الليل و النهار، لطول تعاقبهما. و إملاء الكتاب و انما أنكر تعالى أن يكون الاملاء خير لهم- و ان

---

(١) سورة الاعراف: آية ١٧٨. [.....]

(٢) سورة مريم: آية ۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶٢

كانت نعمة دنيوية- من وجهين:

أحدهما- قال الجبائى: أراد خير من القتل فى سبيل اللّه، كشهداء أحد الثانى- قال البلخى: لا تحسبن ان ذلك خير استحقوه بفعلهم، أى لا تغتروا بذلك فتظنوا انه لمنزلة لهم، لأنهم كانوا يقولون: إنه تعالى لو لم يرد ما هم عليه، لم يمهلهم.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ١٧٩]..... ص: ۶٢

ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزة و الكسائى «يميز» - بالتشديد- الباقون بالتخفيف. يقال: مازه يميزه، و ميزه يميزه- لغتان-.

و معنى الآية لم يكن اللّه ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه، فلا يميز المؤمن من المنافق، و الكافر «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» . و قيل فى معنى الخبيث هاهنا:

قولان:

أحدهما- قال مجاهد، و ابن إسحاق، و ابن جريح: هو المنافق. قالوا: كما ميز المؤمن من المنافق يوم أحد. بالامتحان على ما مضى شرحه.

الثانى- قال قتادة، و السدى: حتى يميز المؤمن من الكافر.

و سبب نزول الآية ما قاله السدى: إن المشركين قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا، و من يكفر، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية. و قال قوم: إن كان يعلم المنافقين، فما حاجته إلى اختبارهم؟ فأنزل اللّه تعالى انه يميزهم. و ذلك يكون: تارة باختيارهم، و تارة بتعيينهم.

و التمييز بين الكافر و بين المؤمن أو المنافق و المؤمن بالامتحان و الاختبار فى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶٣

تكليف الجهاد، و نحوه: مما يظهر به حالهم، و تنكشف ضمائرهم و قيل: بالدلالات، و العلامات التى يستدل بها عليهم من غير نص

اعلام لهم فان قيل: هل اطلع نبيه (ص) على الغيب؟ قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما- قال السدى: لا، و لكنه اجتباه، فجعله رسولا و قال ابن إسحاق:

و لكن اللّه اجتبى رسوله بإعلامه كثيراً من الغائبات. و هذا هو الأليق بالآية.

و قال الزجاج قوله: (وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ) سببه أن قوماً قالوا:

هلا- جعلنا اللّه أنبياء؟ فأخبر اللّه تعالى أنه «يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ» و (من) فى الآية لتبيين الصفة لا للتبعيض، لأن الأنبياء كلهم مجتبون.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٨٠]..... ص: ٦٣

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

قرأ حمزة «و لا تحسبن» بالتاء المعجمة من فوق الباقون بالياء، و هو الأقوى، لأن عليه أكثر القراء، فمن قرأ بالتاء فالتقدير على قراءته و لا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم اللّه من فضله هو خير لهم. و جاز حذف البخل مع الفصل لدلالة يبخلون عليه، كما يقال من كذب كان شراً له. و المعنى كان الكذب شراً له. قال الشاعر:

إذا نُهى السفيه جرى إليه و خالف و السفيه إلى خلاف «١»

و معناه خالف إلى السفه. قال الزجاج: إنما تكون هو، و هما، و هم، و أنا و أنت، و نحن فصولا مع الافعال التى تحتاج إلى اسم و خبر، و لم يذكر سيبويه الفصل مع الابتداء، و الخبر. قال: و لو تأول متأول قوله الفصل ها هنا أنه يدل

---

(١) معانى القرآن للفراء ١: ١٠۴- ٢۴٩. آمالى ابن الشجرى ١: ۶٨- ١١٣- ٣٠۵ و ٢: ١٣٢- ٢٠٩ و الانصاف: ۶٣ و الخزانة: ٣٨٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶۴

على أنه جائز فى المبتدأ و الخبر كان جائزاً. قال: و القراءة بالياء عندى هو الأجود و يكون الاسم محذوفاً، قال: و القراءة بالتاء لا تمتنع مثل قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «١» و تقديره و لا تحسبن بخل الباخلين خيراً.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما قاله السدى: إن المعنى بخلوا أن ينفقوا فى سبيل اللّه كما بخلوا بمنع الزكاة. و قيل إنها نزلت فى أهل الكتاب بخلوا أن يبينوه للناس- على قول ابن عباس- و الوجه الأول أظهر لأن أكثر المفسرين على

أنها نزلت فى مانعى الزكاة، و هو قول أبى جعفر (ع)

و قوله: «هُوَ خَيْراً لَهُمْ» فلفظة «هو» فصل، بين الاسم، و الخبر على تقدير و لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم اللّه من فضله البخل هو خيراً لهم فيمن قرأ بالياء و قوله: «سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما-

رواه ابن مسعود عن النبى (ص) أنه شجاع أقرع يطوقونه، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال ابراهيم النخعى:انهم يطوقون طوقاً من نار. و قال أبو على: هو كقوله: «يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» «٢» و قال البلخى معناه سيجاوزن كأنهم طوقوا. و قوله. «وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه أنه يبطل ملك كل شىء إلا ملك اللّه، فيصير كالميراث لصحة الملك الثانى بعد زوال الأول و إن لم يكن فى صفات اللّه على جهة الانتقال، لأنه لم يزل مالكاً (عز و جل) و البخل هو منع الواجب لأنه تعالى ذم به و توعد عليه و أصله فى اللغة مشقة العطاء، و إنما يمنع الواجب لمشقة الإعطاء.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٨١]..... ص: ۶۴

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (١٨١)

---

(١) سورة يوسف: آية ٨٢.

(٢) سورة التوبة: آية ٣۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶۵

- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزة وحده «سيكتب» بضم الياء. الباقون بالنون. ذكر الحسن و قتادة: أن الذين نسبوا اللّه تعالى إلى الفقر و أنفسهم إلى الغناء و هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) «١» قالوا إنما يستقرض الفقير من الأغنياء، فهو فقير و نحن أغنياء، و القائل لذلك حي بن أخطب و فنحاص اليهودى.

و قال أبو على الجبائى: هم قوم من اليهود، و انما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق.

و قيل: انهم قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم لا أنهم اعتقدوا أن اللّه فقير على الحقيقة. و قيل: انهم عنوا بذلك إله محمد الذى يدعى أنه رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة.

فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلك، و إنما قالوه على جهة الإلزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لأنه إلزام باطل من حيث لا يوجبه الأصل الذى الزموا عليه، لأنه إنما قال تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» على وجه التلطف فى الاستدعاء إلى الطاعة، و حقيقته أن منزلة ما ينفقون فى وجوه البر كمنزلة القرض الذى يرجع إليكم و يضاعف به الأجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن الاعتقاد.

و فى الآية دلالة على أن الرضا بقبيح الفعل يجرى مجراه فى عظم الجرم، لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك فى الحقيقة، و إنما ذموا به، لأنهم بمنزلة من تولاه فى عظم الإثم. و قوله: (سَنَكْتُبُ ما قالُوا) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه يكتب فى صحائف أعمالهم، لأنه أظهر فى الحجة عليهم و أجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائحهم- على قول الجبائى-.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢۵۴ و سورة الحديد: آية ١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶۶

الثانى- قال البلخى سيحفظ ما قالوا حتى يجازوا به أى هو بمنزلة ما قد كتب فى أنه لا يضيع منه شيء. و الأولى أظهر. و قوله: (ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ) يعنى المحرق، و الفائدة فيه ان يعلم أنه عذاب بالنار التى تحرق، و هى الملتهبة، لأن ما لم يلتهب لا يسمى حريقاً، و قد يكون العذاب بغير النار. و قوله: «ذُوقُوا» يفيد أنكم لا تتخلصون من ذلك كما يقول القائل: ذق هذا البلاء يعنى انك لست بناج منه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٨٢]..... ص: ۶۶

اشارة

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

آية

المعنى:..... ص: ۶۶

قوله: «ذلـك» اشـارة إلى مـا تقـدم ذكره من قوله: «وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ. ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و معناه بما جنيتموه على أنفسكم، فان اللّه لا يظلم أحداً من عبيده، و لا يبخسهم حقهم.

و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنها تدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد، لكان ظلماً و ذلك بخلاف ما يـذهبون إليه من أن اللّه تعالى يعذب الأطفال من غير جرم. فان قيل: لم نفى كثرة الظلم على وجه لا يدخل فيه القليل، و هلا نفى على وجه العموم كقوله: «لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ» «۱» و كقوله: «لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» «۲» و قوله: «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» «۳» و «نقيرا» ؟ قيـل: لأنه خرج مخرج الجواب لمن توهم مـذهب المجبرة فدل على أنه لو كان على ما يذهبون إليه، لكان ظلاماً للعبيد، و ما هو بظلام لهم. فان قيل: لم

---

(۱) سورة النساء: آية ۳۹.

(۲) سورة يونس: آية ۴۴.

(۳) سورة النساء: آية ۴۸ و سورة الإسراء: آية ۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۷

أضيف التقـديم إلى أيـديهم و إنما هو لهم فى الحقيقـة؟ قيل: لأنه إذا أضـيف على هـذه الطريقة كان أبعد من توهم الفساد فى معنى الاضافة إذ قد يضاف الفعل إلى الإنسان على معنى أنه أمر به و دعا إليه. كما قال: «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ» «۱» و إذا ذكرت اليد دل على تولى الفعل نحو قوله «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً» «۲» .

الاعراب:..... ص: ۶۷

«وَ أَنَّ اللَّهَ» انمـا فتـح ان لأنـه معطوف على ما عملت فيه الباء، و تقـديره و بأن اللّه ليس بظلام للعبيـد أى ذلك العـذاب بما سـلف من الاجرام و بامتناع ظلم اللّه للعباد، فموضع أن جر و موضع الباء فى قوله: «بما» رفع، لأنها فى موضع خبر ذلك و هى متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك مستقر بما قدمت أيديكم، كما يقول القائل: عقابك بما كسبت يداك.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۸۳]..... ص: ۶۷

اشارة

الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۸۳)

- آيـة- المعنى بقوله: «الَّذِينَ قالُوا» هم الـذين وصـفهم اللّه بقوله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ. الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا» .

الاعراب و المعنى:..... ص: ۶۷

و الـذين فى موضع خفض رداً على قوله: «الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» و معنى قولهم «إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا» أى أوصانا فى كتبه، و على ألسـن أنبيائه ألا نصدق

(۱) سورة القصص: آية ۴.

(۲) سورة يس: آية ۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۸

لرسول فيما يقوله: من أنه جاء به من عند اللّه من أمر و نهى، و غير ذلك، فالعهد:

العقـد الـذى يتقـدم به للتوثق، و هو كالوصـية. و قوله: «حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ» معناه حتى يجيئنا بما يقرب به العبـد إلى اللّه من صدقة و بر. و قربان مصـدر على وزن عدوان، و خسـران تقول قربت قرباناً. و أما قوله: «تَأْكُلُهُ النَّارُ» فلأن أكل النار ما قربه أحدهم للّه فى ذلـك الزمـان كـان دليلاـ على قبول اللّه له، و دلالـة على صـدق المقرب فيمـا أدعى أنه حق فيمـا نوزع فيه- فى قول ابن عباس، و الضـحاك-، فقال اللّه تعالى لنبيه (ص) قل لهم يا معشـر من يزعم أن اللّه عهـد إليه ألا يؤمن لرسول حتى يأتيه بقربان تأكله النار، قل: قـد جاءكم رسل من اللّه من قبل. المعنى جاء أسـلافكم بالبينات يعنى بالحجـج الدالة على صدق نبوتهم، و حقيقة قولهم: و قد ادعيتم أنه يـدل على تصـديق من أتى به و الإـقرار بنبوته من أكل النار قربانه، فلم قتلتموه إن كنتم صادقين؟ يعنى قتلتموهم و أنتم مقرون بأن الذين جاءوكم به من ذلك حجة لهم عليكم إن كنتم صادقين فيما عهد إليكم مما ادعيتموه و أضاف القتل إليهم و إن كان أسـلافهم تولوه لأـنهم رضوا بأفعـالهم فنسب ذلـك إليهم كما بيناه فيما تقـدم فى قوله تعالى: «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «۱» فأراد اللّه أن يعلم المؤمنين ان هؤلاء معاندون متعنتون، و إلا فهم عالمون بصـفات النبى (ص) و ما ذكره اللّه تعالى فى التوراة و انه صادق فيما يدعيه، و إنما لم ينزل اللّه ما طلبوه لأن المعجزات تابعـة للمصالـح و ليست على الاقتراحات و التعنت. فان قيل هلا قطع اللّه عذرهم بالذى سألوا من القربان الذى تأكله النار؟ قيل: له لا يجب ذلك لأن ذلك اقتراح فى الأدلة على اللّه و الذى يلزم من ذلك أن يزيح علتهم بنصـب الادلة على ما دعاهم إلى معرفته.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۸۴]..... ص: ۶۸

اشارة

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ (۱۸۴)

(۱) سورة البقرة: آية ۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۹

- آية واحدة-.

القراءة، و الحجة:..... ص: ۶۹

قرأ ابن عامر وحـده و بالزبر و كذلك هو فى مصاحف أهل الشام. الباقون بحذف الباء، فمن حذف فلأن واو العطف أغنت عن تكرار العامل و من أثبتها فإنما كرر العامل تأكيداً، و كلاهما جيدان.

اللغة، و المعنى:..... ص: ۶۹

و هذه الآية فيها تسلية للنبى (ص) عما كان يصيبه من الأذى من اليهود و أهل الشرك بتكذيبهم إياه بأن قال فقد كذب أسلافهم من رسل اللّه من جاءهم بالبينات و الحجج القاطعة، و الأدلة الواضحة. و الزبر جمع زبور و هو البينات و كل كتاب فيه حكمة فهو زبور. و منه قول امرئ القيس:

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمان «۱»

و يقال زبرت الكتاب إذا كتبته، فهو مزبور و زبرت الرجل أزبره: إذا زجرته و الزبرة: القطعة العظيمة من الحديد، و منه قوله: «آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیدِ» «۲» و الزبير: الحماة. و الزبرة مجتمع الشعر على كتف الأسد. و زبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجارة، فهو مزبور و ما لفلان زبر أى عقل، و الكتاب المراد به التوراة و الإنجيل، لأن اليهود كذبت عيسى، و ما جاء به من الإنجيل و حرفت ما جاء به موسى من صفة النبى (ص)، و بدلت عهده إليهم فيه. و النصارى أيضاً جحدت ما فى الإنجيل من نعته و غيرت ما أمرهم فيه به. و قوله: «المنير» معناه الذى ينير، فينير الحق لمن اشتبه عليه، و هو حجة له. و إنما هو من النور، و الاضاءة يقال: قد أنار لك هذا الأمر بمعنى أضاء لك و ينير انارة فهو منير، و هذا قول

---

(۱) ديوانه: ۲۱۰ و روايته (الزبور فى العسيب اليمانى). الزبور الكتاب المزبور أى المكتوب بالمزبر و هو القلم. العسيب اليمانى: سعف النخل.

(۲) سورة الكهف: آية ۹۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷۰

الحسن و ابن جريج و الضحاك، و أكثر المفسرين. فان قيل: لم جمع بين الزبر و الكتاب و معناهما واحد؟ قلنا: لأن أصلهما مختلف، فهو زبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق، و هو كتاب، لأنه ضم الحروف بعضها إلى بعض، و سمى زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ و الزواجر. فان قيل: كيف قال «فَإِنْ كَذَّبُوكَ، فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» و هم و ان لم يكذبوه أيضاً، فقد كذب رسل من قبله؟

قلنا: لأن المعنى فقد جروا على عادة من قبلهم فى تكذيب أنبيائهم إلا أنه ورد على وجه الإيجاز كما تقول: إن أحسنت إلىّ فقد طالما أحسنت.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۸۵]..... ص: ۷۰

كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ (۱۸۵)

- آية بلا خلاف-.

لا يجوز أن يجعل (ما) فى (إنما) بمعنى الذى و ترفع أجوركم، لأن يوم القيامة يصير من صلة توفون و توفون من صلة الذين فلا يأتى ما فى الصلة بعد أجوركم. و أجوركم خبر، و معنى الآية إن مصير هؤلاء المفترين على اللّه من اليهود المكذبين برسوله الذين وصفهم، و مصير غيرهم من جميع الخلق إليه تعالى من حيث حتم الموت على جميعهم، فقال لنبيه (ص) لا يحزنك قولهم و تكذيبهم و افتراء من افترى منهم على اللّه و عليك، و تكذيب من تقدمك من الرسل. فان مرجعهم إلى و أوفى كل نفس منهم جزاء عمله، فقال: توفون أجوركم يعنى أجور أعمالكم إن خيراً فخيراً و ثواباً. و إن شراً فشراً و عقاباً، و هو نصب على أنه مفعول به.

و قوله: «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ» معناه نحى عن النار، و أبعد منها «وَ أَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» أى نجا و ظفر بعظيم الكرامة. و كل من لقى ما يغتبط به فقد فاز، و معنى «فاز» تباعد من المكروه، و لقى ما يجب. و المفازة: مهلكة. و إنما سموها مفازة التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧١

أى منجاة كما سموا اللديغ سيما، و الأعمى بصيراً. و ظاهر الآية يدل على أن كل نفس تذوق الموت، و إن كانت مقتولة- على قول الرمانى- و نحن و إن قلنا: إن الموت غير القتل، فلا بد أن نقول: إن المقتول يختار اللّه أن يفعل فيه الموت إذا كان فى فعله مصلحة. و قوله: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» معناه و ما لذات الدنيا، و شهواتها، و ما فيها من زينتها إلا متعة متعكموها الغرور، و الخداع: المضمحل الذى لا حقيقة له عند الاختبار و الامتحان، لأنكم تلتذون بما يمتعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع و المصائب، فلا تركنوا إليه، و لا تسكنوا، فإنما هى غرور و إنما أنتم منها فى غرور. و قال عكرمة: متاع الغرور، القوارير، و هى فى الأصل كل متاع لا بقاء له، و إنما وصفت الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور مع كشفها عن حالها، لأنها بمنزلة من يغتر بالمحبوب و يبذل ما فيه الفرح و السرور، ليوقع فى بلية تؤدى إلى هلكة، مبالغة فى التحذير منها- على ما بيناه- و فى الآية دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره و لذلك

قال (ص): (موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا، و ما فيها)

و استدل بهذه الآية على أن القتل هو الموت على الحقيقة. و منه من قال فى المقتول: موت، و قتل و للمخالف أن يقول: يمكن أن تكون الآية مخصوصة بمن يموت، و لا يقتل كما قال: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» «١» و هى مختصة بالعقلاء البالغين، و يمكن أن يكون المراد كل نفس تعدم الحياة، فيكون ذلك على وجه الاستعارة. ذكره البلخى. و قوله: «ذائِقَةُ الْمَوْتِ» مجاز، لأن الموت لا يذاق فى الحقيقة، لأن ذلك مشهور فى كلامهم يقولون: ذاق الموت، و شرب بكأس المنون، لأنه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده. و الفرق بين الذوق و إدراك الطعم أن الذوق تقريب جسم المذوق إلى حاسة الذوق، و الإدراك للطعم هو وجدانه «٢» و إن لم يكن هناك احساس، و لذلك يوصف تعالى بأنه مدرك للطعم و لا يوصف

---

(١) سورة المدثر: آية ٣٨. [.....]

(٢) فى المخطوطة: (هو وجدك به...)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧٢

بأنه ذائق له. و يقولون: ذقته فلم أجد له طعماً أى لا بس فمى فلم أحس له طعماً.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ١٨٦]..... ص: ٧٢

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦)

- آية- قوله: «لَتُبْلَوُنَّ» معناه لتختبرن أى توقع عليكم المحن، و تلحقكم الشدائد فى أنفسكم، و أموالكم من قبل الكفار نحو ما نالهم من الشدائد فى أنفسهم يوم أحد، و نحو ما كان اللّه يفعل بهم من الفقر و شدة العسر، و انما فعله ليصبروا و سماه بلوى مجازاً، لأن حقيقته لا تجوز عليه تعالى، لأنها التجربة فى اللغة. و يتعالى اللّه عن ذلك، لأنه عالم بالأشياء قبل كونها. و إنما فعله ليتميز المحق منكم من غيره- هذا قول أبى على الجبائى- و قال البلخى: معناه لتبلون بالعبادات فى أنفسكم كالصلاة و الصيام و غيرهما. و فى أموالكم من الإنفاق فى سبيل اللّه و الزكوات، ليتميز المطيع من العاصى. و اللازم لام القسم. و النون دخلت مؤكدة، و ضمت الواو لسكونها، و سكون النون. و لم تنصب لأنها واو الجمع فرقا بينها و بين واو الاعراب. و يقال للواحد، لتبلين يا رجل و للاثنين لتبليان. و

يفتح الياء فى لتبلين فى الواحد عند سيبويه لسكونها و سكون النون. و فى قول غيره تبنى على الفتح لضم النون إليها، كما يبنى ما قبل هاء التأنيث. و للمرأة لتبلين و للمرأتين لتبليان و للنساء لتبتلينان.

زيدت الالف لاجتماع النونات و قوله: «وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً» يعنى ما سمعوه من اليهود و من كفار مكة و غيرهم من تكذيب النبى (ص) و من الكلام الذى يغمهم و يكثرهم ثم بين تعالى بقوله:

«وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» إنكم ان صبرتم على ذلك و تمسكتم بالطاعة و لم تجزعوا عنده جزعاً يبلغ الإثم، «فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» و معناه من جزم الأمور، أي التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷۳

ما بان رشده و صوابه. و وجب على العاقل العزم عليه. و أذى مقصور. و يكتب بالياء يقال أذى يأذى أذى: إذا سمع ما يسوءه و قد آذانى فلان يؤذينى إيذاءً و تأذيت به تأذياً. و قال عكرمة و غيره: إن هذه الآيات كلها نزلت فى فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع حين كتب النبى (ص) إليه يستمده، فقال فنحاص: قد احتاج ربكم أن نمده. و هو القائل: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ» «۱» و نزلت فيه أيضاً «لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ» «۲» و قال الزهرى: الآية نزلت فى كعب بن الأشرف، و كان يهجو النبى (ص)، و المؤمنين و يحرض المشركين عليهم حتى قتله محمد بن مسلمة غيلة. و البلوى التى ابتلوا بها، قال الحسن: هى فرائض الدين من الجهاد فى سبيل اللّه، و النفقة فى طاعة اللّه، و التمسك بما يجب للّه فى كلما أمر به و دعا إليه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۸۷]..... ص: ۷۳

اشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ (۱۸۷)

- آية بلا خلاف-.

القراءة و الحجة:..... ص: ۷۳

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم «ليبيننه للناس و لا يكتمونه» بالياء فيهما. الباقون بالتاء فيهما، فمن قرأ بالياء، فلأنهم غُيب. و من قرأ بالتاء حكى المخاطبة التى كانت فى وقت أخذ الميثاق «و لتبيينه» لجماعة الرجال و للواحد تفتح النون.

---

(۱) سورة آل عمران: آية ۱۸۱.

(۲) سورة آل عمران: آية ۱۸۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷۴

المعنى:..... ص: ۷۴

و المعنى به اذكروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ» منهم الميثاق ليبينن أمر نبوة النبى (ص) و لا يكتمونه «فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ» أى رموا به فى قول ابن عباس، و لم يعملوا به و إن كانوا مقرين به. و يقال لمن يطرح الشيء و لا يعبأ به رميته بظهر، قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر و لا يعيا علىّ جوابها «۱»

أى لا تتركنها، لا تعبأ بها، فأخبر اللّه تعالى عما حمل اليهود الذين كانوا رؤساء على كتمان أمر النبى (ص)، فقال: «وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً

قَلِيلًا» أى قبلوا على ذلك الرشا، و قامت لهم بذلك رئاسة اكتسبوها فذلك حملهم على الكفر بما يخفونه، ثم ذم تعالى أفعالهم بقوله: «فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ» لأن ما يكون عاقبته الهلاك و العقاب الدائم، و ان كان نفعاً عاجلا، فهو بئس الشيء. و قال ابن عباس و سعيد ابن جبير و عكرمة و السدى و ابن جريج ان المعنى بهذه الآية فنحاص اليهودى، و أصحابه الذين كتموا أمر النبى (ص) و ما بينه اللّه فى التوراة. و قال قتادة و كعب و عبد اللّه بن مسعود هذا ميثاق أخذه اللّه على أهل العلم كافة، فمن علم شيئاً فليعلمه و إياكم و كتمان العلم، فان كتمانه هلاك. و قال الجبائى: المعنى بالآية اليهود و النصارى. و قال الحسن «لتبيننه و لا تكتمونه» معناه لتكلمن بالحق و لتصدقنه بالعمل. و الميثاق الذى ذكره اللّه فى الآية هو الأيمان التى أخذها عليهم أنبياؤهم ليبينن ما فى كتبهم من الاخبار و الآيات الدالة على نبوة النبى (ص) و لا يكتمونه.

و الهاء فى «ليبيننه» عائدة على محمد (ص) فى قول سعيد بن جبير و السدى، فيعود

---

(۱) ديوانه ۱: ۹۵ و روايته:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتى لديك و لا يعيا على جوابها

و فى اللسان و فى الاغانى الصدر كما فى الديوان و العجز هكذا: (بظهر فلا يخفى على جوابها) و معناه أى لا تجبنى بجواب لا أدرى ما هو.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷۵

على معلوم غير مذكور. و قال الحسن و قتادة: هى عائدة على الكتاب فيدخل فيه بيان أمر النبى (ص) لأنه فى الكتاب

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۸۸]..... ص: ۷۵

اشارة

لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۸۸)

- آية بلا خلاف-.

القراءة و الحجة و الاعراب:..... ص: ۷۵

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «لا تَحْسَبَنَّ» بالتاء و فتح الباء، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو بالياء، و ضم الباء. الباقون بالياء و فتح الباء.

«و تَحْسَبَنَّهُمْ» الأخير بالتاء بلا خلاف. قال أبو على من قرأ بالياء، لم يوقع يحسبن على شيء، (و الذين) رفع بأنه فاعل (لا تحسبن) قال:

و وجه قراءة ابن كثير و أبى عمرو فى أن لم يعديا (حسبت) إلى مفعولية ان (يحسب) فى قوله:

«فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» لما جعل بدلا من الأول و عدّى إلى مفعوليه استغنى بها فى تعدية الأول إليهما كما استغنى فى قول الشاعر:

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً على و تحسب

فاكتفى بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر إليهما. فان قال قائل: كيف يستقيم تقدير البدل، و قد دخل الفاء بينهما، و لا يدخل بين البدل و المبدل منه الفاء؟ و الجواب أن الفاء زائدة، يدلك على ذلك أنها لا يجوز أن تكون التى تدخل على الخبر، لأن ما قبل الفاء ليس بمبتدإ، فتكون الفاء خبره، و لا تكون العاطفة، لأن المعنى «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا» و يحبون أنفسهم «بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» فإذا كان ذلك لم يجز تقدير العطف، لأن الكلام التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۷۶

لم يستقل بعد فيستقيم فيه تقدير العطف. و أما قوله: (فلا تحسبنهم) فان فعل الفاعل الذى هو يحسبون تعدى إلى ضميره، و حذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة. و قوله: (بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ) فى موضع المفعول الثانى، و فيه ذكر المفعول الأول. و فعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتنى أخاه، لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على الابتداء و الخبر أشبهت (إن) و أخواتها فى دخولهن على الابتداء و الخبر كدخول هذه الافعال عليهما، و ذلك نحو قولك:

ظننتنى ذاهباً، كما تقول: إنى ذاهب، و لو قلت أظن نفسى تفعل، لم يجز كما يجوز أ ظننتنى فاعلا. و قال أبو سعيد الخدرى، و أبو وهب، و الزجاج: المعنى بهذه الآية قوم من أهل الكتاب دخلوا على النبى (ص) و خرجوا من عنده، فذكروا لمن كان رآهم فى ذلك الوقت أن النبى (ص) قد أتاهم بأشياء قد عرفوها، فحمدهم من شاهدهم من المسلمين على ذلك، و أظهروا خلاف ما أبطنوا، و أقاموا فيما بعد على الكفر، فأعلم اللّه تعالى نبيه أنهم ليسوا بمفازة أى ليسوا ببعد من العذاب.

و قيل معناه ليسوا بمنجاة من العذاب، و وقعت، «فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ» مكررة لطول القصة كما يقولون: لا تظنن زيداً إذا جاءك كلمك بكذا و كذا، فلا تظننه صادقاً، فيعيد فلا تظننه توكيداً، و اعلاماً ان ذلك يتعلق بالأول، و لو لم يكرر كان جائزاً، لكن مع التأكيد أوضح. و قوله: «وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا» قال البلخى:

إنهم قالوا: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «١» و أهل الصوم و الصلاة و ليسوا بأولياء اللّه، و لا أحباؤه، و لا أهل الصلاة و الصيام، و لكنهم أهل شرك و نفاق. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال قوم: «يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا» على أنهم أبطلوا أمر محمد (ص)، و كذبوا ما أبطلوه، و لا لهم قدرة على ذلك.

النزول، و المعنى:..... ص: ٧٦

و روى عن ابن عباس، و سعيد أن الآية نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧٧

باجلال الناس لهم و نسبهم إياهم إلى العلم. و قال الضحاك، و السدى: نزلت فى اليهود حيث فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبى (ص). و قال سعيد بن جبير: فرحوا بما أتى اللّه آل ابراهيم. و قال ابن عباس: إن النبى (ص) سألهم عن شىء، فتكتموه ففرحوا بكتمانهم، و أقوى هذه الأقوال أن يكون قوله: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» يعنى بها من أخبر اللّه عنهم أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد (ص)، و لا يكتمونه، لأن قوله: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» فى سياق الخبر عنهم و شبيه بقصتهم مع أن أكثر أهل التأويل عليه. و قال الجبائى: الآية فى المنافقين، لأنهم كانوا يعطون المؤمنين شيئاً يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة إلى اللّه بل على وجه الرياء و يفرحون بذلك، و يريدون مع ذلك أن يحمدوا على ذلك و يعتقد أنهم فعلوه لوجه القربة، فقال: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا» بمنزلة المؤمنين الذين يفعلون الافعال للّه على وجه القربة إليه. و قال: «فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ» مع ذلك بمنجاة «مِنَ الْعَذابِ» بل «لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يعنى مؤلم فحسبان الثانى متعلق بغير ما تعلق به الأول، فلذلك كرر. فان قيل: أين خبر «لا تَحْسَبَنَّ» الاولى؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- «بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ»، لأنها مكررة لطول الكلام. و قيل: الفاء زائدة على هذا، و هو قول الزجاج.

و الثانى- ان الخبر محذوف، كأنه قال ناجين، و دل الخبر الأخير عليه. فان قيل: كيف يجوز أن يذم بالفرح و ليس من فعل الإنسان؟ قلنا ذم بالتعرض له على جهة الأشر و البطر كما قال: «لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» .

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۸۹]..... ص: ۷۷

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۸۹)

- آية بلا خلاف- التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۷۸

معنى الآية الاخبار من اللّه تعالى بأنه مالك ما فى السماوات، و ما فى الأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما، و تصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فى ذلك و انه المقتدر على جميع ذلك «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، و فى الآية تكذيب لمن قال: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ» «۱» لأن من ملك ما فى السماوات و الأرض لا يكون فقيراً. و فى قوله: (وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تنبيه على أنه قادر على إهلاك من يقول هذا القول جهلا منه و عناداً، لكنه يحلم عنه و يؤخر عذابه لضرب من المصلحة و قوله: «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» خرج مخرج المبالغة، و هو أخص من قوله: «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لأن أفعال العباد لا توصف بالقدرة عليها، و فرق الرمانى بين أن يقال هو قادر على أفعال العباد، و بين قادر على فعلهم، فقال قادر عليها يحتمل ما لا يحتمل قادر على فعلهم لأنه يفيد أنه قادر على تصريفه كما يقولون فلان قادر على هذا الحجر أى قادر على رفعه، و وضعه، و فلان قادر على نفسه أى قادر على ضبطها، و منعها مما تنازع إليه، فعلى هذا جائز أن يقال انه قادر على أفعال العباد بمعنى أنه قادر على المنع منها، و التمكين منها دون ما يستحيل من القدرة على إيجادها

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹۰]..... ص: ۷۸

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ (۱۹۰)

- آية- فى هذه الآية دلالة على وجوب النظر و الفكر، و الاعتبار بما يشاهد من الخلق و الاستدلال على اللّه تعالى، و مدح لمن كانت صفته هذه، ورد على من أنكر وجوب ذلك، و زعم أن الايمان لا يكون إلا تقليداً و بالخبر، لأنه تعالى أخبر عما فى خلق السماوات و الأرض، و اختلاف الليل و النهار من الدلالات عليه

---

(۱) سورة آل عمران: آية ۱۸۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۷۹

و على وحدانيته، لأن من فكر فى السماوات و عظمها و عجائب ما فيها من النجوم و الأفلاك، و مسير ذلك على التقدير الذى تسير عليه، و فكر فى الأرض و ما فيها من ضروب المنافع، و فى اختلاف الليل و النهار و مجيئهما بالأوقات و الازمنة التى فيها المصالح، و اتساق ذلك و انتظام بعضها إلى بعض، و حاجة بعضها إلى بعض حتى لو عدم شيء منه لم يقم ما سواه [مقامه «۱» علم أن ذلك لا يكون إلا من مدبر قادر عليم حكيم واحد، لأنه لو كان قادراً، و لم يكن عالماً بالعواقب لما أغنت القدرة شيئاً، و لو كان عالماً غير حكيم فى فعله لما أغنى العلم شيئاً، و لو كانا اثنين ما انتظم تدبير، و لا تم خلق، و لعلا بعضهم على بعض، كما قال تعالى: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «۲» فكيف ينسب إلى الفقر من كان جميع ما فى السماوات و الأرض بيده، أم كيف يكون غنياً من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه و إذا شاء حرمه، و يدل على أن خالق الجسم لا يشبهه، لأنه لو أشبهه، لكان محدثاً مثله، و يدل على أنه قديم، لأنه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث و لأدى ذلك إلى ما لا يتناهى و يدل أيضاً على أنه قادر على جميع الأجناس، لأنه من قدر على الجسم يقدر على سائر الأجناس، و وجه الدلالة من خلق السماوات و الأرض على اللّه هو ان الإنسان إذا فكر و رأى عظمها، و ثقل الأرض، و وقوفها على غير عمد يقلها، و حركة السماوات حولها لا على شيء يدعهما، علم أن الممسك لذلك هو الذى لا يشبه الأجسام و لا المحدثات، لأنه لو اجتمع جميع الخلق على أن يمسكوا جسما خفيف المقدار، و يقوله فى الجو من غير أن يدعموه لما قدروا عليه، فعلم حينئذ ان الذى يقدر عليه مخالف لجميع الأشياء و علم أيضاً أنها لو كانت السماوات و الأرض معتمدة على

غيرها لكان ذلك الغير يحتاج إلى ما يعتمد عليه و فى ذلك اثبات ما لا يتناهى من الأجسام، و ذلك محال فهذا أحد وجوه دلالة السماوات و الأرض، و هو أحد

---

(١) هكذا فى المخطوطة (أ) و فى المطبوعة ما بين القوسين ساقط، و المخطوطة (ب) ناقصة فى هذا المكان أوراقاً كثيرة.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٨٠

ما قال «إن فى ذلك لآيات لاولى الألباب» و وجه الدلالة من اختلاف الليل و النهار هو أن جميع الخلق لو اجتمعوا على أن يأتوا بالليل بدلا من النهار، أو النهار بدلا من الليل أو ينقصوا، أو يزيدوا من أحدهما فى الآخر لما قدروا عليه، كما قال:

(قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ. وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) الآية «١» و قوله: «لِأُولِي الْأَلْبابِ» معناه لذوى «٢» العقول. و اللب: العقل سمى به لأنه خير ما فى الإنسان و اللب من كل شىء خيره، و خالصه. فان قيل: فما وجه الاحتجاج بخلق السماوات [و الأرض «٣» على اللّه و لم يثبت بعد انها مخلوقة قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أولها- على تقدير اثبات كونها مخلوقة قبل الاستدلال به لأن الحجة به قامت عليه من حيث أنها لم تنفك من المعانى المحدثة.

الثانى- أن الغرض ذكر ما يوجب صحة الذى تقدم ثم يترقى من ذلك إلى تصحيح ما يقتضيه على مراتبه، كالسؤال عن الدلالة على النبوة فيقع الجواب بذكر المعجزة دون ما قبلها من الرتبة.

الثالث- أن تعاقب الضياء و الظلام يدل على حدوث الأجسام.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ١٩١]..... ص: ٨٠

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ (١٩١)

- آية بلا خلاف-.

---

(١) سورة القصص: آية ٧١- ٧٢.

(٢) فى المخطوطة زيادة (و الفكر) فى هذا الموضع.

(٣) فى المطبوعة ما بين القوسين ساقط.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٨١

موضع (الذين) خفض، لأنه نعت: «لأولى الألباب» أى فهؤلاء يستدلون على توحيد اللّه بخلقه السماوات و الأرض، و أنهم يذكرون اللّه فى جميع أحوالهم قياماً و قعوداً، و هو نصب على الحال. و قوله: (و على جنوبهم) أى و مضطجعين، و انما عطف على قياماً و قعوداً، لأن معناه يدل على الحال، لأن الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتاً للنكرة، لأنه من الاستقرار (كما تقول: مررت برجل على الحائط أى مستقراً على الحائط، و مررت برجل فى الدار مثله، كما تقول أنا أصير إلى فلان ماشياً، و على الخيل، و معناه و راكباً، كما) «١» قال: «إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» «٢» و معناه مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً فبين تعالى أن هؤلاء المستدلين على حقيقة توحيد اللّه يذكرون اللّه فى سائر الأحوال.

و قال قوم: «يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ» أى يصلون على قدر إمكانهم فى صحتهم و سقمهم، و هو المروى فى أخبارنا ، و لا تنافى بين التأويلين، لأنه لا يمتنع أن يصفهم بأنهم يفكرون فى خلق السماوات و الأرض فى هذه الأحوال و مع ذلك يصلون على هذه الأحوال فى أوقات الصلوات، و هو قول ابن جريج و قتادة. و قوله: (رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا) انما قال هذا و لم يقل هذه و لا هؤلاء، لأنه أراد به الخلق كأنه قال ما خلقت هذا الخلق باطلا «۳» أى يقولون «رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» بل خلقته دليلا على وحدانيتك و على صدق ما أتت به أنبياؤك، لأنهم يأتون بما يعجز عنه جميع الخلق. و قوله: (سبحانك) معناه براءة لك من السوء و تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلا قال الشاعر:

أقول- لما جاءنى فحره- سبحان من علقمة الفاخر «۴»

---

(۱) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة (أ).

(۲) سورة يونس: آية ۱۲.

(۳) فى المخطوطة نقص سطر فى هذا الموضع. [.....]

(۴) قائله اعشى بنى تغلب. ديوان الأعشى الكبير: ۱۴۳، القصيدة ۱۸، و اللسان (صبح).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۲

و قال آخر:

سبحانه ثم سبحانا يعود له و قبلنا سبح الجودى و الجمد «۱»

و قوله: (فَقِنا عَذابَ النَّارِ) أى فقد صدقنا رسلك بأن لك جنة و ناراً فقنا عذاب النار. و وجه اتصال قوله «فَقِنا عَذابَ النَّارِ» بما قبله قيل فيه قولان:

أحدهما- كأنه قال: «ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» بل تعريضاً للثواب بدلا من العقاب «فَقِنا عَذابَ النَّارِ» بلطفك الذى نتمسك معه بطاعتك.

الثانى- اتصال الدعاء الذى هو طاعة للّه بالاعتراف الذى هو طاعة له.

و فى الآية دلالة على أن الكفر و الضلال و جميع القبائح ليست خلقاً للّه، لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف. و قد نفى اللّه تعالى بحكايته عن أولى الألباب الذين رضى أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه، فيجب بذلك القطع على أن القبائح كلها من فعل غيره، و أنه لا يجوز اضافتها إليه تعالى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹۲]..... ص: ۸۲

رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۱۹۲)

- آية- و هذه أيضاً حكاية عن أولى الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضاً يقولون (رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أى من ناله عذاب النار و ما فيها من الذل و المهانة فهو المخزى. و قال ابن جريج، و قتادة، و أنس بن مالك، و سعيد بن المسيب: الاخزاء يكون بالتأييد فيها. و قال جابر بن عبد اللّه:

إن الخزى يكون بالدخول فيها. و روى عنه عمرو بن دينار و عطا أنه قال: و ما أخزاه من أحرقه بالنار إن دون ذا لخزياً، و هذا هو الأقوى، لأن الخزى إنما هو هتك المخزى، و فضيحته، و من عاقبه اللّه على ذنوبه، فقد فضحه و ذلك هو

---

(۱) اللسان: (سح) نسبه لأمية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۳

الخزى، و لا ينافى ذلك ما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين، لأنه تعالى إذا عفا عن العاصى لا يكون أخزاه و ان أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب، فعلى قول من قال: الخزى يكون بالدوام لا يكون أخزاه، و من قال يكون بنفس الدخول، له أن يقول: إن ذلك و إن كان خزياً، فليس مثل خزى الكفار، و ما يفعل بهم من دوام العقاب، و على هذا يحمل قوله تعالى: (يوم لا يخزى اللّه النبى و الذين آمنوا معه) «۱» و قوله: (وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ) معناه ليس للظالمين من يدفع عنهم على وجه المغالبة و القهر، لأن الناصر هو الذى يدفع عن المنصور على وجه المغالبة و لا ينافى ذلك الشفاعة فى أهل الكبائر لأن الشفاعة هى مسألة و خضوع و ضرع إلى اللّه تعالى، و ليست من النصرة فى شىء و

قوله (ص) (يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمماً و فحماً)

صريح بوقوع العفو عن مرتكبى الكبائر و تأول الرمانى الخبر تأويلين:

أحدهما- أنه لو لا الشفاعة، لواقعوا كبيرة يستوجبون بها الدخول فيها، فيخرجون بالشفاعة على هذا الوجه، كما يقال أخرجتنى من السلعة إذا كان لو لا مشورته، لدخول فيها بابتياعه إياها.

الثانى- لو لا الشفاعة، لدخولها بما معه من الصغيرة ثم أخرجوا عنها إلى الجنة. و الأول فاسد، لأنه مجاز. و الثانى- ليس بمذهب لأحد من القائلين بالوعيد لأن الصغيرة تقع مكفرة لا عقاب عليها فكيف يدخل بها النار.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹۳]..... ص: ۸۳

اشارة

رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ (۱۹۳)

- آية بلا خلاف-.

---

(۱) سورة التحريم: آية ۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۴

فى هذه الآية أيضاً حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم أولوا الألباب و غير ذلك من الأوصاف التى مضت بأنهم يقولون: (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ) و اختلفوا فيمن المنادى هاهنا، فقال محمد بن كعب القرظى و قتادة: هو القرآن.

و قال ابن جريج و ابن زيد: هو رسول اللّه (ص)، و هو الذى اختاره الجبائى، و اختار الطبرى الأول قال: لأنه ليس كل أحد سمع قول النبى (ص) و لا رآه و لا عاينه و سمع دعاءه إلى اللّه تعالى. و القرآن سمعه من رآه و من لم يره كما قال تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا: (سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) و هذا الذى ذكره ليس بطعن، لأنه إذا بلغه دعوة النبى (ص) جاز أن يقول (سَمِعْنا مُنادِياً) و إن كان فيه ضرب من التجوز، و قال قتادة سمعوا دعوة من اللّه فأجابوها و أحسنوا فيها و صبروا عليها. و قوله: (سَمِعْنا مُنادِياً) يعنى نداء مناد لأن المنادى لا يسمع و قوله: (للايمان) معناه إلى الايمان، كما قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا) «۱» و معناه إلى هذا قال الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرت و شدها بالراسيات الثبت «۲»

يعنى أوحى إليها. و منه قوله: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها) «۳» أى إليها، فمعنى الآية (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا) داعياً يدعو إلى الايمان و التصديق بك، و الإقرار بوحدانيتك، و اتباع رسولك و اتباع أمره و نهيه، فصدقنا بذلك يا (رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا) و معناه استرها علينا، و لا تفضحنا بها فى القيامة على رؤوس الاشهاد بعقوبتك، لكن كفرها عنا (وَ كَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا) معناه امحها بفضلك و رحمتك إيانا (وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ) معناه و اقبضنا إليك إذا قبضتنا فى جملة الأبرار، و احشرنا معهم.

(۱) سورة الاعراف: آية ۴۲.

(۲) انظر ۲: ۴۵۹ تعليقة ۱.

(۳) سورة الزلزال: آية ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۵

اللغة، و المعنى:..... ص: ۸۵

و الأبرار جمع بر، و هم الذين بروا اللّه بطاعتهم إياه حتى أرضوه، فرضى عنهم. و قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر و أصل البر الاتساع، فالبر الواسع من الأرض خلاف البحر و البر صلة الرحم و البر: العمل الصالح. و البر: الحنطة و الأبرار على الخصم الزيادة عليه. و ابتر من أصحابه إذا انفرد منهم.

فان قيل: إذا كان النداء إنما هو تنبيه المنادى ليقبل بوجهه على المكلم له، فما معنى ربنا؟ قلنا: الأصل فى النداء تنبيه المنادى ثم استعمل فى استفتاح بالدعاء اقتضاء للاجابة و اعترافاً بالتفضل، و لا يجوز فتح (أن) بعد ربنا بإيقاع النداء عليه، لأن بعده لا يكون إلا جملة و لا يقع فيه مفرد، لأنه لا يجوز ربنا إدخالك النار من أخزيته، لأنه ابتداء لا خبر له. فان قيل: ما معنى قوله: «وَ كَفِّرْ عَنَّا» و قد أغنى عنه قوله: «فَاغْفِرْ لَنا» قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة، و كفر عنا إن تبنا.

و الثاني- اغفر لنا بالتوبة ذنوبنا، و كفر عنا باجتناب الكبائر السيئات، لأن الغفران قد يكون ابتداء و من سبب و التكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد و قوله: «ان آمنوا» تحتمل ان أمرين:

أحدهما- أن تكون بمعنى أى على ما ذكره الرماني.

و الثاني- أن تكون الناصبة للفعل، لأنه لا يقع فى مثله دخول الباء نحو بأن آمنوا.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۹۴]..... ص: ۸۵

رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ (۱۹۴)

- آية بلا خلاف-.

فهذه أيضاً حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۶

لسان رسلك من الثواب و لا تحزنا. و المخزى فى اللغة المذل المحقور بأمر قد لزمه بحجة تقول أخزيته أى ألزمته حجة أذلته معها، و الخزى و الانقماع و الارتداع متقاربة المعنى، و الخزاية شدة الاستحياء. و قوله (إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ) استئناف كلام و لذلك كسرت (إن) و المعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك، و إنك لا تخلف الميعاد. فان قيل: ما وجه مسألتهم للّه أن يؤتيهم ما وعدهم، و المعلوم أن اللّه ينجز وعده، و لا يجوز عليه الخلف فى الميعاد؟ قيل عن ذلك أجوبة:

أحدها- ما اختاره الجبائى، و الرماني ان ذلك على وجه الانقطاع إليه و التضرع له و التعبد له كما قال: (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) «۱» و قوله: (لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) «۲» و أمثال ذلك كثيرة.

و الثاني- قال قوم إن ذلك خرج مخرج المسألة و معناه الخبر، و تقدير الكلام ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار، لتوفينا ما وعدتنا به على رسلك و لا تحزنا يوم القيامة لأنهم علموا ان ما وعد اللّه به فلا بد من أن ينجزه و الثالث- قال قوم: معناه المسألة و الدعاء بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن

رسله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند اللّه فى أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم، لأنه لو كان كذا، لكانوا زكوا أنفسهم و شهدوا لها أنهم ممن قد استوجب كرامة اللّه، و ثوابه، و لا يليق ذلك بصفة أهل الفضل من المؤمنين.

و الرابع- قال قوم إنما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إليه تعالى أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر و إعلاء كلمة الحق على الباطل فيجعل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم اللّه به غير واثقين و لا على غير يقين ان اللّه لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه فى تعجيل ذلك، و لكنهم

---

(۱) سورة الأنبياء: آية ۱۱۲.

(۲) سورة البقرة: آية ۲۸۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۷

كانوا وعدوا النصر و لم يوقت لهم فى ذلك وقت فرغبوا إليه تعالى فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فيه من السرور بالظفر و هو اختيار الطبرى. و قال الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبى (ص) من وطنه و أهله مفارقاً لأهل الشرك باللّه إلى رسول اللّه (ص) و غيرهم من تباع رسول اللّه (ص) الذين رغبوا إليه تعالى فى تعجيل نصرهم على أعدائهم و علموا انه لا يخلف الميعاد ذلك غير أنهم سألوا تعجيله و قالوا لا صبر لنا على أناتك و حلمك و قوى ذلك بما بعد هذه الآية من قوله: «فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا...» الآيات بعدها و ذلك لا يليق إلا بما ذكره، و لا يليق بالأقاويل الباقية و إلى هذا أومأ البلخى، لأنه قال فى الآية الأخرى: انها و التى بعدها فى الذين هاجروا إلى النبى (ص).

و فى الآية دلالة على أنه يجوز أن يدعو العبد بما يعلم أنه يفعله مثل أن يقول رب احكم بالحق. و قوله: «فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» خلاف ما يقوله المجبرة، و لا يلزم على ذلك جواز التعبد بأن يدعو بما يعلم أنه لا يكون مثل أن يقول لا يظلم، لأن فى ذلك تحكما على فاعله و تجبراً عليه فى تدبيره، و لو سوى بينهما كان جائزا كما قلنا فى قوله: (لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) «۱» على أحد الوجهين و قوله: «إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ» فيه اعتراف بأنه لا يخلف الميعاد بعد الدعاء بالايجاز لئلا يتوهم عليهم تجويز الخلف على اللّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹۵]..... ص: ۸۷

فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ (۱۹۵)

---

(۱) سورة البقرة: آية ۲۸۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۸

- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «و قتلوا و قاتلوا» بتقديم المفعولين على الفاعلين الباقون «قاتلوا و قتلوا» بتقديم الفاعلين على المفعولين، و شدد التاء من (قتلوا) ابن كثير و ابن عامر. و قرأ عمر بن عبد العزيز «و قتلوا» بلا الف «و قتلوا» و قال الطبرى القراءة بتقديم المفعولين لا تجوز، و هذا خطأ ظاهر، لأن من اختار اسم الفاعلين على المفعولين، وجه قراءته أن القتال قبل القتل. و من قدم المفعولين على

الفاعلين وجه قراءته يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون المعطوف بالواو و يجوز أن يكون أو لا فى المعنى. و ان كان مؤخراً فى اللفظ، لأن الواو، لا يوجب الترتيب و هى تخالف الفاء فى هذا المعنى، و هكذا خلافهم فى سورة التوبة.

و الثانى- أن يكون لما قتل منهم قاتلوا و لم ينهوا و لم يضعفوا لمكان من قتل منهم كما قال تعالى (فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) «١» و قوله: (فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي) أى بأنى و حذف الباء، و لو قرئ بكسر الهمزة كان جائزاً على تقدير: قال لهم «أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ» و معنى قوله: «فَاسْتَجابَ» أجابهم ربهم يعنى الداعين بما تقدم وصف اللّه إياهم و أجاب و استجاب بمعنى قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «٢»

أى لم يجبه. «بأنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» من زائدة كما يقال كان من الحديث و من الأمر و من القصة. و من هاهنا أحسن، لأن حرف

---

(١) سورة آل عمران: آية ١۴۶.

(٢) قائله كعب بن سعد الغنوى الاصمعيات: ٩٨ و القصيدة مشهورة، يرثى بها أخاه أبا المغوار مر منها أبيات متفرقة. و قد مر هذا البيت فى ١: ٨۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٨٩

النفى قد دخل فى قوله: «لا أضيع» و قال قوم: من هاهنا ليست زائدة، لأنها دخلت لمعنى و لا يصلح الكلام إلا بها، لأنها للترجمة و التفسير عن قوله: «منكم» بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور و الإناث، قالوا و لا تكون من زائدة إلا فى موضع جحد. و قوله: (لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ) لم يدركه الجحد لأنك لا تقول لا أضرب غلام رجل فى الدار، و لا فى البيت، فيدخل و لا، لأنه لم ينله الجحد و لكن (من) مفسرة. و قوله: «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» معناه لأذهبنها و اسقط عقابها، و هذه الآية، و التى قبلها- فى قول البلخى- نزلت فى المتبعين للنبى (ص) و المهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلك سبيلهم و اتبع آثارهم من المسلمين. و قوله:

«لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» أى لأغطينها و أ محونها و أحطنها عنهم بما ينالهم من ألم الهجرة و الجهاد و احتمال تلك الشدائد فى جنب اللّه. و حمل السيئات على الصغائر.

و قوله: «ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» نصب على المصدر ذكر على وجه التأكيد، لأن معنى «وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» «١» لأثيبنهم، و مثله «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لأن قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ» «٢» معناه كتب اللّه عليكم «و كتاب الله عليكم» مؤكد و مثل ذلك «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي» «٣» لأن قوله: «وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ» «۴» قد علم منه أن ذلك صنع اللّه. و قوله: «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى

روى انه قيل لرسول اللّه (ص):

ما بال الرجال يذكرون، و لا تذكر النساء فى الهجرة، فأنزل اللّه هذه الآية

روى ذلك عن مجاهد، و عمرو بن دينار، و يقال ان القائل لرسول اللّه (ص) كانت أم سلمة (رض). و قوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قال أبو على: يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد بقوله: «بعضكم» العاملين «من بعض» يعنى بعض العمل الذى أمرتم به.

---

(١) سورة المائدة: آية ١٣.

(٢) سورة النساء: آية ٢٢.

(٣، ۴) سورة النمل: ٨٨. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٠

و الثانى- أن يكون عنى بقوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أن ذكور المؤمنين و أناثهم مستوون فى أن لا يضيع اللّه لأحد منهم عملا، و ان يجازيهم على طاعاتهم، فأناث المؤمنين بعض المؤمنين، و كذلك ذكورهم، فبعضهم كبعض فى هذا الباب.

و قال الطبرى «بعضكم» يعنى الذين يذكروننى «قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ» من بعض فى النصرة، و الملة، و الدين، و حكم جميعكم فيما أفعل بكم حكم أحدكم فى «أَنِّی لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ» ذكر منكم و لا أنثى. و الاضاعة: الإهلاك. ضاع الشىء يضيع: إذا هلك. و أضاعه اضاعة وضيعه تضييعاً، و منه الضيعة: القرية.

و قوله: (فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ) يعنى الذين هاجروا عن قومهم من أهل الكفر فى اللّه إلى إخوانهم المؤمنين «وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ» هم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة «وَ أُوذُوا فِی سَبِيلِی» بمعنى أوذوا فى طاعتى و عبادتى، و دينى. و ذلك هو سبيل اللّه «وَ قاتَلُوا» يعنى فى سبيل اللّه «وَ قُتِلُوا» فيها «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» يعنى لأمحونها عنهم، و لأتفضلن عليهم بعفوى و رحمتى، و لأغفرنها لهم. و ذلك يدل على أن إسقاط العقاب تفضل على كل حال.

«وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً» يعنى جزاء لهم على أعمالهم «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ» معناه أن عنده من حسن الجزاء على الاعمال مالا يبلغه وصف واصف مما لا عين رأت و لا خطر على قلب بشر.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ١٩٧]..... ص: ٩٠

اشارة

لا يَغُرَّنَّکَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی الْبِلادِ (١٩٦) مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (١٩٧)

- آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٩٠

هذا خطاب للنبى (ص). و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان ذلك على وجه التأديب و التحذير، لأن النبى لا تجوز عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩١

المعاصى لمكان التحذير من اللّه و التخويف، كما قال (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ) «١» الثانى- ان الخطاب و ان توجه إليه، فالمراد به جميع المؤمنين، و تقديره لا- يغرنكم أيها المؤمنون ما ترون ان قوماً من الكفار كانوا يتجرون و يربحون فى الاسفار التى كانوا يسافرونها، و يسلمون فيها لكونهم فى الحرم، فأعلم اللّه تعالى أن ذلك مما لا ينبغى أن يغبطوا به، لأن مأواهم و مصيرهم بكفرهم إلى النار، و لا خير بخير بعده النار. و قوله: «مَتاعٌ قَلِيلٌ» معناه ذلك الكسب، و الربح الذى يربحونه متاع قليل و سماه متاعاً، لأنهم متعوا به فى الدنيا، و المتاع النفع الذى تتعجل به اللذة اما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل، و الملك، و غير ذلك من الأولاد و الاخوان. و وصفه بالقلة لسرعة زواله و انقطاعه، و ذلك قليل بالاضافة إلى نعيم الآخرة. و المهاد الموضع الذى يسكن فيه الإنسان و يفترشه.

و وصفه بأنه بئس المهاد على ضرب من المجاز، لما فيه من أنواع العذاب، لأن الذم انما هو على الاساءة كقولك: بئس الرجل- هذا قول أبى على الجبائى- و قال البلخى: هو حقيقة لأنه على وجهين:

أحدهما- هو حقيقة لأنه على وجهين:

أحدهما- من جهة النقص.

و الآخر- من جهة الاساءة، و هو معنى قول السدی، و قتادة، و أكثر المفسرين. و الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه فی المعلوم، و ليس كل إيهام غروراً، لأنه قد يتوهمه مخوفاً فيحذر منه، فلا يقال غره. و الفرق بين الغرر و الخطر ان الغرر قبيح، لأنه ترك الحزم فيما يمكن أن يتوثق منه، و الخطر قد يحسن على بعض الوجوه، لأنه من العظم من قولهم: رجل خطير أی عظيم، و بنی المضارع مع النون الشديدة، لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم للتأكيد.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۹۸]..... ص: ۹۱

لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ (۱۹۸)

---

(۱) سورة العنكبوت: آية ۶۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۲

- آية- قرأ أبو جعفر (لكن) بتشديد النون و فتحها- هاهنا و فی (الزمر)- و قرأ أبو عمرو و الكسائی، و حمزة فی أكثر الروايات (الأشرار، و الأبرار، و القرار) بالامالة. الباقون- بالتفخيم- و الامالة فی فتحة الراء حسنة، لأن الراء المكسورة تغلب المفتوحة كما غلبت المستعلی فی قولهم: قارب و طارد، و قادر فيمن أمالهن، فإذا غلبت المستعلی، فان تغلب الراء المفتوحة أولى، لأنه لا استعلاء فی الراء، و إنما هو حرف من مخرج اللام فيه تكرير. و من لم يمل، فلأن كثيراً من الناس لا يميل شيئاً من ذلك.

لما أخبر اللَّه تعالى عما للكفار من سوء العاقبة و أنواع العذاب بشر المؤمنين بما أعد لهم من الجزاء عند اللَّه و جزيل الثواب، فقال: (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بفعل الطاعات، و ترك المعاصی (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يعنی ثواباً من عند اللَّه، و هو نصب على المصدر على وجه التأكيد، لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها، كأنه قال: نزلوها نزلا، و هو بمعنى أنزلوها إنزالا.

و يحتمل أن يكون نصبا على التفسير، كقولك: هو لك هبة. و واحدة الأبرار بار:

مثل صاحب، و أصحاب. و يجوز أن يكون بر و أبرار- على فعل و أفعال- تقول:

بررت والدی، فانا بر. و أصله برر لكن أدغمت الراء للتضعيف. و قوله: «وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» يعنی من الحباء و الكرامة، و حسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا، لأن ما يتقلبون فيه زائل فان قليل، و ما عند اللَّه دائم غير زائل.

و قد بينا معنى (لكن) فيما مضی، و انها للاستدراك بها خلاف المعنى المتقدم من اثبات بعد نفی أو نفی بعد اثبات. فقوله: (لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی الْبِلادِ) يتضمن معنى فما لهم كبير نفع، فجاء على ذلك، (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ) و قوله: (تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) معناه تجری من تحت شجرها. بيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۳

و يقال انها تجری معلقة من غير أخدود لها. روی ذلك عن عبد اللَّه بن مسعود، ثم قال: ما من نفس برة و لا فاجرة إلا و الموت خير لها «۱»، و قوله فی الفاجرة:

إن الموت خير لها يعنی إذا كانت تدوم على فجورها.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۹۹]..... ص: ۹۳

اشارة

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (١٩٩)

- آية بلا خلاف-.

النزول:..... ص: ٩٣

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية،

فقال جابر بن عبد اللَّه، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و ابن جريج إن النبى (ص) لما بلغه موت النجاشى، دعا له و استغفر له، و صلى عليه، و قال للمؤمنين: صلوا عليه، فقالوا نصلى على رجل ليس بمسلم؟ و قال قوم منافقون: نصلى على علج بنجران؟ فنزلت هذه الآية، فالصفات التى فيها صفات النجاشى.

و قال ابن زيد و فى رواية عن ابن جريج و ابن إسحاق إنها نزلت فى جماعة من اليهودى و كانوا أسلموا، منهم: عبد اللَّه بن سلام، و من معه. و قال مجاهد: إنها نزلت فى كل من أسلم من أهل الكتاب من اليهودى و النصارى و هو أولى، لأنه عموم الآية، و لا دليل يقطع به على ما قالوه على انها لو نزلت فى النجاشى أو من ذكر، لم يمنع ذلك من حملها على عمومها، فى كل من أسلم من أهل الكتاب، لأن الآية قد تنزل على سبب و تكون عامة فى كل من تتناوله.

المعنى:..... ص: ٩٣

و إنما خصوا بالوعيد، ليبين ان جزاء أعمالهم موفر عليهم، لا يضرهم كفر

---

(١) فى المطبوعة: (فيها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٤

من كفر منهم فتأويل الآية «وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» : التوراة و الإنجيل «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق باللَّه و يقر بوحدانيته، «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» أيها المؤمنون من كتابه و وحيه على لسان نبيه محمد (ص)، «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ» يعنى إلى أهل الكتاب من الكتب «خاشِعِينَ» يعنى خاضعين بالطاعة مستكينين لها بها متذللين قال ابن زيد:

الخاشع: المتذلل الخائف. «لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» معناه لا يحرفون ما أنزل اللَّه فى كتبه من أوصاف محمد (ص) فيبدلونه، و لا غير ذلك من أحكامه، و حججه لغرض من الدنيا خسيس يعطونه على التبديل، و ابتغاء الرئاسة على الجهال، كما فعله غيرهم ممن وصفه بقوله تعالى: «أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى «١» و قال: «أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ» «٢» لكن ينقادون للحق، و يعلمون بما أمرهم اللَّه به مما أنزل إليهم، و ينتهون عما نهاهم عنه ثم قال: «أولئك» يعنى هؤلاء الذين يؤمنون «بِاللَّهِ. وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ... لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى لهم عوض أعمالهم و ثواب طاعاتهم فيما يطيعونه فيها مذخور عند ربهم حتى يوفيهم يوم القيامة «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» وصفه بالسرعة لأنه لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب، لأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها و بعد أن عملوها، فلا حاجة به إلى احصاء، عدد فيقع فى الإحصاء إبطاء و قال الجبائى: لأنه قادر على أن يكلمهم فى حال واحدة كل واحد بكلام يخصه. لأنه قادر لنفسه و «خاشعين» نصب على الحال، و يمكن أن يكون حالا من الضمير فى «يؤمن» و هو عائد إلى قوله: «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» و يمكن أن يكون حالا- من قوله: (إليهم) و قال الحسن: الخشوع: الخوف اللازم للقلب من اللَّه. و أصل الخشوع: السهولة: و الخشعة، سهولة الرمل كالربوة. و الخاشع من الأرض: الذى لا يهتدى له، لأن الرمل

يعفى اثاره.

(١) سورة البقرة: آية ١۶.

(٢) سورة البقرة: آية ٨۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٥

و منه قوله: «خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ» «١» «وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ» «٢» و الخاشع: الخاضع ببصره. و الخشوع: التذلل خلاف التصعب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٢٠٠]..... ص: ٩٥

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

- آية بلا خلاف-.

اختلفوا فى تأويل هذه الآية، فقال قوم: معنى اصبروا اثبتوا على دينكم و صابروا الكفار و رابطوهم يعنى فى سبيل اللَّه ذهب إليه الحسن، و قتادة، و ابن جريج، و الضحاك و قال آخرون: معناها «اصْبِرُوا» على دينكم «وَ صابِرُوا» الوعد الذى وعدتكم به «وَ رابِطُوا» عدَّوى و عدوكم ذهب إليه محمد بن كعب القرظى. و قال آخرون «اصْبِرُوا» على الجهاد «وَ صابِرُوا عدوكم وَ رابِطُوا» الخيل عليه ذهب إليه زيد بن أسلم. و قال آخرون:

رابطوا الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة، لأن المرابطة لم تكن حينئذ و هذا مروى عن على (ع)

ذهب «٣» إليه أبو سلمة بن عبد الرحمن، و جابر بن عبد اللَّه و أبو هريرة و الأولى أن تحمل الآية على عمومها فى الصبر على كل ما هو من الدين، فعلا كان أو تركا.

و أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو، و الربط الشد، و منه قولهم: ربط اللَّه على قلبه بالصبر، ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراء من أرادهم بسوء و ينبغى «۴» أن يحمل قوله رابطوا أيضاً على المرابطة لما عند اللَّه لأنه العرف فى استعمال الخبر، و على انتظار الصلاة واحدة بعد أخرى. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا ان تخالفوه فيما يأمركم به لكى تفلحوا [و تفوزوا] «۵» بنعيم الأبد و تنجحوا بطاعتكم من الثواب الدائم.

(١) سورة القلم: آية ۴٣.

(٢) سورة طه: آية ١٠٨.

(٣) فى المخطوطة (و ذهب).

(۴) فى المطبوعة (ينبغى) بإسقاط الواو.

(۵) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩۶

و روى عن أبى جعفر (ع) انه قال اصبروا على المصائب، و صابروا على عدوكم، و رابطوا عدوكم.

و انما جمع بين «اصْبِرُوا وَ صابِرُوا» من أن المصابرة من الصبر، للبيان عن تفصيل «١» الصبر الذى يعنى به فى الذكر لأن المصابرة صبر على جهاد العدو يقابل صبره لأن المفاعلة بين اثنين.

و إنما وصف (أى) بالموصول و لم يوصف بالمضاف، لأن (الذى) يجرى مجرى الجنس، لأن فيه الالف و اللازم بمنزلة قوله يا أيها المؤمنون، و لا يجوز يا أيها أخو زيد، لأنه لا يصح فيه الجنس.

(١) فى المطبوعة (تفضيل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٧

٤-سورة النساء..... ص: ٩٧

اشارة

مائة و سبعون آية كوفى. و خمس و سبعون بصرى و هى مدنية كلها و قد روى عن بعضهم أنه قال: كلما فى القرآن من قوله: (يا أيها الناس) نزل بمكة، و الأول قول قتادة، و مجاهد، و عبد اللَّه بن عباس بن أبى ربيعه، و قال بعضهم: ان جميعها نزلت بالمدينة إلا آية واحدة و هى قوله. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها) «١» فإنها نزلت بمكة حين أراد النبى (ص) أن يأخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة و يسلمها إلى عمه العباس

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١]..... ص: ٩٧

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)
- آية- بلا خلاف-.

القراءة و الحجة:..... ص: ٩٧

قرأ أهل الكوفة (تساءلون به) بتخفيف السين، و الباقون بتشديدها، و قرأ حمزة وحده «و الأرحام» بجر الميم، الباقون بفتحها. فمن قرأ من أهل الكوفة

(١) سورة النساء: آية ٥٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٨

«تَسائَلُونَ بِهِ» بالتخفيف فوجهه ان أصله تتساءلون، فحذف احدى التاءين و هى الاصلية، لأن الاخرى للمضارعة، و انما حذفوها لاستثقالهم إياها فى اللفظ فحذفت لأن الكلام غير ملتبس. و من شدد أدغم احدى التاءين فى السين، لقرب مكان هذه من هذه.

المعنى:..... ص: ٩٨

و معنى «تَسائَلُونَ بِهِ» تطلبون حقوقكم به «و الأرحام» القراءة المختارة عند النحويين النصب فى الأرحام على تقدير: و اتقوا الأرحام. و تكون «١» معطوفة على موضع «به» ذكره أبو على الفارسى، فأما الخفض فلا يجوز عندهم إلا فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر أنشده سيبويه:

فالیوم قربت تهجونا و تشتمنا فاذهب فما بک و الأیام من عجب

فجروا الأیام عطفاً علی موضع الکاف فی «بک» و قال آخر:

نعلق فی مثل السواری سیوفنا و ما بینها و الکعب غوط نفانف «۲»

فعطف الکعب علی الهاء و الالف فی (بینها) و هو ظاهر علی مکنی و قال آخر:

و ان اللَّه یعلمنی و وهباً و انا سوف نلقاه سِوانا

فعطف وهباً علی الیاء فی یعلمنی، و مثل ذلک لا یجوز فی القرآن و الکلام.

قال المازنی: لأن الثانی فی العطف شریک للأول، فان کان الأول یصلح أن یکون شریکا للثانی جاز و إن لم یصلح أن یکون الثانی شریکا له لم یجز، قال: فکم الا تقول:

مررت بزید و ذاک «۳» لا تقول مررت بک و زید. و قال أبو علی الفارسی: لأن المخفوض حرف متصل غیر منفصل فکأنه کالتنوین فی الاسم فقبح أن یعطف باسم

---

(۱) فی المطبوعة: (أو یکون).

(۲) قائله مسکین الدارمی معانی القرآن للفراء ۱: ۲۵۳، و الانصاف: ۱۹۳ و الخزانة ۳۳۸۲. السواری جمع ساریة و هی الاسطوانة و الغوط: المطمئن من الأرض. و النفانف جمع نفنف و هو الهواء بین الشیئین و البیت کنایة عن طول قامتهم

(۳) فی النسخ المخطوطة و المطبوعة (کذلک) و الظاهر ما ذکرنا. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۹

یقوم بنفسه علی اسم لا یقوم بنفسه. و یفسد من جهة المعنی من حیث ان الیمین بالرحم لا یجوز،

لأن النبی (ص) قال: (لا تحلفوا بآبائکم)

فکیف تساءلون به و بالرحم علی هذا و قال إسماعیل بن إسحاق:

الحلف بغیر اللَّه أمر عظیم، و ان ذلک خاص اللَّه تعالی، و هو المروی فی أخبارنا.

و قال ابراهیم النخعی و غیره: انه من قولهم: نشدتک باللَّه و بالرحم. و قال ابن عباس، و السدی، و عکرمة، و الحسن، و الربیع، و الضحاک، و ابن جریج، و ابن زید، و قتادة: المعنی و الأرحام فصلوها.

و هذه الآیة خطاب لجمیع المکلفین من البشر.

و قوله: (و اتقوا ربکم) فیه وعظ بان یتقی عصیانه بترک «۱» ما أمر به و ارتکاب ما نهی عنه. و حذر من قطع الأرحام لما أراد من الوصیة بالأولاد و النساء و الضعفاء، فأعلمهم انهم جمیعاً من نفس واحدة، فیکون ذلک داعیاً لهم إلی لزوم أمره و حدوده فی ورثتهم و من یخلفون بعدهم، و فی النساء، و الأیتام عطفاً لهم علیهم. ثم اخبر تعالی انه خلق الخلق من نفس واحدة فقال: «الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و المراد بالنفس هاهنا آدم عند جمیع المفسرین: السدی و قتادة و مجاهد و غیرهم. و قوله: (وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها) یعنی حوَّاء. روی انها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ذهب إلیه أکثر المفسرین.

و قال أبو جعفر (ع): خلقها من فضل الطینة التی خلق منها آدم

، و لفظ النفس مؤنث بالصیغة، و معناه التذکیر هاهنا، و لو قیل نفس واحد لجاز.

المعنی، و اللغة:..... ص: ۹۹

و قوله: (وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً) معنی بث نشر، یقال: بث اللَّه الخلق.

و منه قوله: «كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ» «۲» و ذلك يدل على بث. و بعض العرب يقول أبث اللَّه الخلق، و يقال بثثتك سرى، و أبثثتك سرى لغتان.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) أى حافظاً تقول رقب يرقب رقاباً و انما

---

(۱) فى المطبوعة: (بقول).

(۲) سورة القارعة: آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۰۰

قال: «كانَ عَلَيْكُمْ» و لفظ كان يفيد الماضى لأنه أراد أنه كان حفيظاً على من تقدم زمانه من عهد آدم و ولده إلى زمان المخاطبين، و انه كان عالماً بما صدر منهم، لم يخف عليه منه شىء. و الرقيب الحافظ فى قول مجاهد. و قال ابن زيد: الرقيب العالم، و المعنى متقارب، يقال: رقب يرقب رقوباً و رقباً و رقبة. قال أبو داود:

كقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد «۱»

و قيل فى معنى «الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ» قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و ابراهيم: هو من قولهم: اسألك باللَّه و الرحم، فعلى هذا يكون عطفاً على موضع به كأنه قال: و تذكرون الأرحام فى التساؤل.

الثانى- قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك و الربيع و ابن زيد

و هو المروى عن أبى جعفر (ع): و اتقوا الأرحام أن تقطعوها

، فعلى هذا يكون معطوفا على اسم اللَّه تعالى، و وجه النعمة فى الخلق من نفس واحدة انه أقرب إلى أن يتعطفوا و يأمن بعضهم بعضاً و يحامى بعضهم عن بعض، و لا يأنف بعضهم عن بعض، لما بينهم من القرابة و الرجوع إلى نفس واحدة، لأن النفس الواحدة هاهنا آدم (ع) بإجماع المفسرين: الحسن و قتادة و السدى و مجاهد. و جاز من نفس واحدة لأن حواء من آدم على ما بيناه، فرجع الجميع إلى آدم و انما أنت النفس و المراد بها آدم لأن لفظ النفس مؤنثة، و ان عنى بها مذكر كما قال الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذاك الكمال «۲»

فانث على اللفظ، و قد حكينا عن أكثر المفسرين: ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و السدى و ابن إسحاق: ان حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم.

و روى عن النبى (ص) انه قال: (المرأة خلقت من ضلع، و انك ان أردت أن تقيمها كسرتها و ان تركتها و فيها عوج استمعت بها).

و روى عن أبى جعفر (ع)

---

(۱) مجاز القرآن لأبى عبيدة ۱: ۱۱۳، و اللسان (رقب) و هو من أبيات فى نعت الثور الأبيض. و الرقباء جمع رقيب و هو أمين أصحاب الميسر بحفظ ضربهم بالقداح.

و الضرباء جميع ضريب و هو: الضارب بالقداح. و قيل أن الضمير فى (أيديهم) يعود الى الضرباء.

و قيل انه يعود الى الرقباء، و هو الأصح.

(۲) انظر ۲: ۴۴۹ تعليقة ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۰۱

أن حواء خلقت من فضل طينة آدم (ع).

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۲]..... ص: ۱۰۱

اشارة

وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً (٢)
- آية- بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۱۰۱

هذا خطاب لأوصياء اليتامى، أمرهم اللّه بأن يعطوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا الحلم و أونس منهم الرشد، و سماهم يتامى بعد البلوغ، و إيناس الرشد مجازاً،
لأن النبى (ص) قال: (لا يتم بعد احتلام)
كما قالوا فى النبى (ص) إنه يتيم أبى طالب بعد كبره يعنون انه رباه. و قوله. (وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ) معناه: لا تستبدلوا لما حرمه اللّه عليكم من أموال اليتامى بما أحله اللّه لكم من أموالكم، و اختلفوا فى صفة التبديل فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و الرفيع منه و يجعلون مكانه الردىء الخسيس، ذهب إليه ابراهيم النخعى، و السدى، و ابن المسيب، و الزهرى، و الضحاك، و قال قوم: معناه «وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ» بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذى قدر لكم. ذهب إليه أبو صالح، و مجاهد. و قال ابن زيد: معناه ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، من أنهم لم يكونوا يرزقون النساء و لا الصغار بل يأخذه الكبار.
و أقوى الوجوه الوجه الأول، لأنه ذكر عقيب مال اليتامى و إن حمل على عموم النهى عن التبديل بكل مال حرام كان قوياً. و قوله: (وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ) يعنى أموال اليتامى مع أموالكم و التقدير: و لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوهما جميعاً، فأما خلط مال اليتيم بمال نفسه إذا لم يظلمه فلا بأس به بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠٢
قال الحسن لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى، فشق ذلك عليهم، فشكوا ذلك إلى رسول اللّه، فانزل اللّه تعالى: (وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) «١» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قوله: (إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً) يعنى إن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم حوب كبير، أى اثم كبير فى قول ابن عباس و مجاهد.
و الهاء فى قوله: «انه» دالة على اسم الفعل الذى هو الاكل. و الحوب الإثم، يقال: حاب يحوب حوباً و حباة و الاسم الحوب. و قرأ الحسن حوباً: ذهب إلى المصدر. و يقال:
تحوب فلان من كذا إذا تخرج منه. و يقال نزلنا بحوبة من الأرض و بحيب من الأرض يعنى بموضع سوء. و حكى الفراء عن بنى أسد ان الحائب القاتل. و قال الشاعر:
إيها تطيع ابن عباس انها رحم حُبتم بها فاناختكم بجعجاع «٢»
أى أثمتم و الحوبة الحزن، و التحوب التحزن، و التحوب التأثم، و التحوب الصياح الشديد، و الحوباء الروح و الكبير العظيم

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۳ الى ۴]..... ص: ۱۰۲

اشارة

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (۴)

- آيتان-.

---

(١) سورة آل عمران: آية ٢٢٠.

(٢) اللسان (حوب) نسبه الى النابغة و فى (جعع) نسبه الى نهيكة الفزارى و رواية البيت فيهما:

صبراً بغيض بن ريث انها رحم...

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠٣

النزول، و المعنى:..... ص: ١٠٣

و اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية على ستة أقوال:

أولها- ما روى عن عائشة انها قالت: نزلت فى اليتيمة التى تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها و جمالها، و يريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها، و أمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى الأربع «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً» من سواهن «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» و مثل هذا ذكر فى تفسير أصحابنا. و قالوا: انها متصلة بقوله: (وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) «١» (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) الآية و به قال الحسن و الجبائى و المبرد.

و الثانى- قال ابن عباس و عكرمة: ان الرجل منهم كان يتزوج الأربع و الخمس و الست و العشر و يقول ما يمنعنى أن أ تزوج كما تزوج فلان فإذا فنى ماله مال على مال اليتيم فأنفقه، فنهاهم اللَّه تعالى عن أن يتجاوزوا بالأربع إن خافوا على مال اليتيم و إن خافوا من الأربع أيضاً أن يقتصروا على واحدة.

و الثالث- قال سعيد بن جبير و السدى و قتادة و الربيع و الضحاك. و فى احدى الروايات عن ابن عباس قالوا: كانوا يشددون فى أمر اليتامى و لا يشددون فى النساء، ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن، فقال اللَّه تعالى كما تخافون ألا تعدلوا فى اليتامى فخافوا فى النساء، فانكحوا واحدة إلى الأربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة:

و الرابع- قال مجاهد: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى معناه: ان تحرجتم

---

(١) سورة النساء: آية ١٢۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠۴

من ولاية اليتامى و أكل أموالهم إيماناً و تصديقاً فكذلك تحرجوا من الزنا، و انكحوا النكاح المباح من واحدة إلى أربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة.

و الخامس- قال الحسن: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتيمة المرباة فى حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قراباتكم مثنى و ثلاث و رباع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت ايمانكم. و به قال الجبائى و قال:

الخطاب متوجه إلى أولياء اليتيمة إذا أراد أن يتزوجها إذا كان هو وليها كان له أن يزوجها قبل البلوغ و له أن يتزوجها.

و السادس- قال الفراء: المعنى ان كنتم تتحرجون من مؤاكلة اليتامى فاحرجوا من جمعكم بين اليتامى، ثم لا تعدلون بينهن. و قوله: (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ) جواب لقوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا) على قول من قال ما رويناه أولا عن عائشة و أبى جعفر (ع). و من قال:

تقديره: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء الجواب قوله: «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» و التقدير: فان خفتم ألا ـ تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء، فلا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور، مثنى و ثلاث و رباع، و ان خفتم أيضاً من ذلك فواحدة، فان خفتم من الواحدة فما ملكت ايمانكم، فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء لدلالة الكلام عليه و هو قوله: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) و معنى «أَلَّا تُقْسِطُوا» أى لا تعدلوا و لا تنصفوا، فالاقساط هو العدل و الانصاف و القسط هو الجور. و منه قوله: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً) «١» و قد بيناه فيما مضى. و اليتامى جمع لذكران اليتامى و إناثهم فى هذا المعنى.

المعنى، و اللغة، و الاعراب..... ص: ١٠۴

و قال الحسين بن على المغربى: معنى ما طاب أى بلغ من النساء كما يقال:

طابت الثمرة إذا بلغت، قال: و المراد المنع من تزويج اليتيمة قبل البلوغ لئلا يجرى

---

(١) سورة الجن: آية ١۵.

عليها الظلم، فان البالغة تختار لنفسها، و قيل: معنى «ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» من أحل لكم منهن دون من حرم عليكم، و انما قال: «ما طاب» و لم يقل: من طاب و ان كان من لما يعقل و ما لما لا يعقل لأن المعنى: انكحوا الطيب أى الحلال هذه العدة، لأنه ليس كل النساء حلالا، لأن اللَّه حرم كثيراً منهن بقوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ» «١» الآية. هذا قول الفراء. و قال مجاهد: فانكحوا النساء نكاحاً طيباً. و قال المبرد: «ما» هاهنا للجنس كقول القائل: ما عندك؟ فتقول: رجل أو امرأة، فالمعنى بقوله: ما طاب الفعل دون اعيان النساء و اشخاصهن، لأن الأعيان لا تحرم و لا تحلل، و إنما يتناول التحريم و التحليل التصرف فيها، و جرى ذلك مجرى قول القائل: خذ من رقيقى ما أردت: إذا أراد خذ منهم ارادتك و لو أراد خذ الذى تريد لم يجز إلا أن يقول خذ من رقيقى من أردت و كذلك قوله:

«أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» معناه أو ملك ايمانكم، و معنى «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» فلينكح كل واحد منكم مثنى و ثلاث و رباع، كما قال: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً» «٢» معناه: فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة. و قوله: (مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) بدل من (ما طابَ) و موضعه النصب و تقديره: اثنين اثنين، و ثلاثاً و ثلاثا، و اربعاً أربعا، إلا انه لا ينصرف لعلتين، إحداهما: انه معدول عن اثنين اثنين و ثلاث ثلاث فى قول الزجاج، و قال غيره: لأنه معدول و لأنه نكرة، و النكرة أصل للأشياء، و قال غيرهم: هو معرفة، و هذا فاسد عند البصريين، لأنه صفة للنكرة فى قوله: «أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» «٣» و المعنى اولى اجنحة ثلاثة ثلاثة و أربعة أربعة. و قال الفراء لأنه معدول، لأنه يقع على الذكر و الأنثى، و لأنه مضاف الى ما يضاف إليه الثلاث، فكأن لامتناعه من الاضافة كان فيه الالف و اللام. قال الشاعر:

---

(١) سورة النساء: آية ٢٢٠.

(٢) سورة النور: آية ۴.

(٣) سورة فاطر: آية ١٢.

و لكنها اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحد «١»

و من قال: انه اسم للعدد معرفة استدل بقول تميم بن أبى مقبل:

ترى النعرات الزرق تحت لبانه أحاد و مثنى أصعقتها صواهله «٢»

فرد أحدا و مثنى على النعرات و هى معرفة، و قد يجىء منكراً مصروفاً كما قال الشاعر:

قتلنا به من بين مثنى و موحد باربعة منكم و آخر خامس «٣»

و ترك الصرف أكثر قال صخر الغى:

منت لك أن تلاقينى المنايا أحاد أحاد فى شهر حلال «۴»

و قد تقع هذه الألفاظ على الذكر و الأنثى، فوقوعها على الأنثى مثل الآية التى نحن فى تفسيرها، و وقوعها على الذكر قوله: «أُولِی أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» لأن المراد به الجناح و هو مذكر، و يقال: أحاد و موحد و ثنى و مثنى، و ثلاث و مثلث، و رباع و مربع، و لم يسمع فى ما زاد عليه مثل خماس و لا الخمس و لا السداس و السباع إلا بيت للكميت فانه يروى فى العشرة عشار، و هو قوله:

---

(١) قائله ساعدة بن جؤية الهذلى. اللسان (بغى) و روايته (سباع) بدل (ذئاب).

(٢) معانى القرآن ١: ٢٥٥، ٣۴۵، و اللسان (نعر)، (صعق)، (قرد) (ثنى) و روايته فى (فرد) فراد، بدل، أحاد. و أضعفتها، بدل أصعقتها و فى (نعر) و (صعق) الحضر، بدل، الزرق.

النعرات جمع نعرة و هى ذبابة سقط على الدواب فتؤذيها و أصعقتها صواهله أى قتلتها صهيله

(٣) معانى القرآن للفراء ١: ٢۵۴ و روايته:

و ان الغلام المستهام بذكره قتلنا به من بين مثنى و موحد

باربعة منكم و آخر خامس و ساد مع الاظلام فى رمح معبد

و لم يعرف لهما قائل. و البيت فى المتن كما ترى ملفق منهما. و ساد- بالتنوين- بمعنى سادس. [.....]

(۴) نسبة محمود محمد شاكر فى تفسير الطبرى ٧: ۵۴۵ الى عمرو ذى الكلب و خطأ من نسبه الى غيره، و هذا خطأ منه لا محالة لأن رواية القدماء أكثرها إذا لم تكن جميعها تنسبه الى صخر الغى. و قد اعترف هو أن الطبرى روايته كذلك. و فى بعض الروايات (فى شهر حلال). منت لك. أى قدرت لك نيتك أن تلقانى فى شهر حلال، أو حرام على اختلاف الرواية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠٧

فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا «١» يريد عشراً. و قال صخر السلمى فى ثنا و موحد:

و لقد قتلتكم ثناء و موحداً و تركت مرة مثل أمس الدابر «٢»

و لم يرد أنه قتل الثلاثة، و انما أراد انه قتل نفراً كثيراً منهم واحداً بعد واحد و اثنين بعد اثنين، و قوله: «فواحدة» نصب على انه مفعول به، و التقدير:

فان خفتم ألا تعدلوا فيما زاد على الواحدة فانكحوا واحدة، و لو رفع كان جائزاً، و قد قرأ به أبو جعفر المدنى، و تقديره: فواحدة كافية، أو فواحدة مجزية، كما قال: (فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ) «٣» و من استدل بهذه الآية على أن نكاح التسع، جائز فقد اخطأ، لأن ذلك خلاف الإجماع، و أيضاً فالمعنى:

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ان أمنتم الجور و إما ثلاث ان لم تخافوا ذلك أو رباع ان أمنتم ذلك فيهن، بدلالة قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً» لأن معناه فان خفتم فى الثنتين فانكحوا واحدة، ثم قال: فان خفتم أيضاً فى الواحدة فما ملكت ايمانكم. على أن مثنى لا- يصح إلا لاثنين اثنين، أو اثنتين اثنتين على التفريق فى قول الزجاج، فتقدير الآية «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ» [فثلاث «۴» بدلا من مثنى و رباع بدلا من ثلاث، و لو قيل ب (أو) لظن أنه ليس لصاحب مثنى ثلاث، و لا لصاحب الثلاث

رباع. و من استدل بقوله: «فانكحوا» على وجوب التزويج من حيث أن الامر يقتضى الإيجاب، فقد اخطأ، لأن ظاهر الأمر و إن اقتضى الإيجاب، فقد ينصرف عنه بدليل، و قد قام الدليل على أن التزويج ليس بواجب على أن الغرض بالآية النهى عن العقد

---

(١) مجاز القرآن ١: ١١٦، و الاغانى ٣: ١٣٩ و اللسان (عشر) استراثه:

استبطأه، و عشار أى عشرا عشرا.

(٢) مجاز القرآن ١: ١١٥، و الاغانى ١٣: ١٣٩. و روايته فيهما (المدبر) بدل (الدابر).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(۴) أثبتنا ما بين القوسين لعدم استقامة المعنى بدونه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠٨

على من يخاف ألا يعدل بينهن، و التقدير: و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى، فتحرجتم فيهم، فكذلك فتحرجوا فى النساء، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجور فيه «١» منهن، مما أحللته لكم منهن، من الواحدة الى الأربع، و قد يراد بصورة الأمر ما يراد بالنهى «٢» أو التهديد كقوله: «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» «٣» و قال: «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» «۴» و المراد بذلك كله التهديد و الزجر، فكذلك معنى الآية النهى، و تقديرها: فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء على ما بيناه.

و قوله: (ذلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا) اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها، أو الاقتصار على ما ملكت إيمانكم، و معنى «أدنى» أقرب «أَلَّا تَعُولُوا» و قيل فى معنى ألا تعولوا ثلاثة أقوال:

أحدها- و هو الأقوى و الأصح- أن معناه: ألا تجوروا، و لا تميلوا يقال منه: عال الرجل يعول عولا و عيالة إذا مال و جار، و منه عول الفرائض، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص، قال أبو طالب:

بميزان قسط وزنه غير عائل «۵»

و قال أبو طالب أيضاً:

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل «۶»

و روى: لا يضل شعيرة، و بهذا قال ابراهيم، و عكرمة، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالك، و الربيع بن أنس، و السدى، و ابن عباس، و اختاره الطبرى، و الجبائى. و قال قوم: معناه: ألا تفتقروا، و هذا خطأ، لأن [العول «٧» الحاجة، يقال منه: عال الرجل يعيل عيلة إذا احتاج، كما قال الشاعر:

---

(١) فى المطبوعة: (الا ما أمنتم به الجور فيه...)

(٢) فى المطبوعة: (ما يراد النهى.) و فى المخطوطة: (ما يراد به النهى...)

(٣) سورة الكهف: آية ٢٩.

(۴) سورة النحل: آية ۵۵، و سورة الروم: آية ٣۴.

(۵- ۶) سيرة ابن هشام ١: ٢٩۶. و فى البيت رواية أخرى هى (بميزان صدق).

(٧) أثبتنا ما بين القوسين لعدم تمامية المعنى الا به.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٠٩

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «١»

أى: متى يفتقر. و قال ابن زيد: معناه: ألا تكثر عيالكم، و هذا أيضاً خطأ، لأن المراد لو كان ذلك لما أباح الواحدة، و ما شاء من ملك

الايمان، لأن اباحة كل ما ملكت اليمين أزيد فى العيال من أربع حرائر، على أن من كثرة العيال يقال: أعال يعيل فهو معيل، إذا كثر عياله و عال العيال: إذ أمانهم، و منه قوله: ابدأ بمن تعول. و حكى الكسائى، قال: سمعت كثيراً من العرب يقول:

عال الرجل يعول إذا كثر عياله. و قوله: «وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً» فصدقاتهن:

جمع صدقة، يقال: هو صداق المرأة، و صدقة المرأة، و صُدقة، المرأة، و صداق المرأة، و الفتح أقلها. و من قال: صُدقة المرأة قال: صدقاتهن، كما تقول: غرفة و غرفات، و يجوز صدقاتهن، بضم الصاد و فتح الدال، و صدقاتهن، ذكره الزجاج. و لا يقرأ من هذه إلا بما قرئ به صدقاته، لأن القراءة سنة متبعة. و قوله: «نحلة» نصب على المصدر، و معناه، قال بعضهم: فريضة، و قال بعضهم ديانة، كما يقال: فلاـ ينتحل كذا و كذا، أي يدين به، ذكره الزجاج، و ابن خالويه. قال بعضهم: هى نحلة من اللّه لهن، أن يجعل على الرجل الصداق و لم يجعل على المرأة شيئاً من الغرم، و ذلك نحلة من اللّه تعالى للنساء. و يقال: نحلت الرجل: إذا وهبت له نحلة و نحلا، و نحل جسمه و نحل: إذا دق، و سمى النحل نحلا لأن اللّه نحل الناس منها العسل الذى يخرج من بطونها، و النحلة عطية عليك على غير جهة المثامنة، و النحلة الديانة، و المنحول من الشعر ما ليس له، و اختلفوا فى المعنى بقوله «وَ آتُوا النِّساءَ» فقال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد، و اختاره الطبرى، و الجبائى، و الرمانى، و الزجاج: المراد به الازواج، أمرهم اللّه تعالى بإعطاء المهر إذا دخل بها كملا، إذا سمى لها، فأما غير المدخول بها إذا طلقت فان لها نصف المسمى، و إن لم يكن سمى

(١) قائله أحيحة بن الجلاح الأوسى. معانى القرآن للفراء ١: ٢٥٥، و الكامل لابن الأثير ١: ٢٧٨، و اللسان (عيل) من قصيدة قالها فى حرب بين قومه و بين الخزرج، و فى معانى القرآن بدل (و ما) فى الموضعين (و لا).

فلها المتعة على ما بيناه فيما مضى.

و قال أبو صالح: هذا خطاب للأولياء، لأن الرجل منهم كان إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها، فنهاهم اللّه عن ذلك، و أنزل هذه الآية. و روى هذا أبو الجارود، عن أبى جعفر (ع)، و ذكر المعمر بن سليمان عن أبيه، قال: زعم حضرمى ان اناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته، و يأخذ أخت الرجل، و لا يأخذون كثير مهر، فنهى اللّه عن ذلك، و أمر بإعطاء صداقهن،

و أول الأقوال أقوى، لأن اللّه تعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين للنساء، و نهاهم عن ظلمهن و الجور عليهن، و لا ينبغى أن يترك الظاهر من غير حجة و لا دلالة، و قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً) اختلفوا فيمن المخاطب به، فقال عكرمة، و ابراهيم، و علقمة، و قتادة، و ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد: الخطاب متوجه الى الازواج، لأن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شيء مما ساق إلى امرأته، فانزل اللّه هذه الآية. و قال أبو صالح: المعنى به الأولياء، لأنه حمل أول الآية أيضاً عليهم، على ما حكيناه عنه، و الأول هو الأولى، لأنا بينا أن الخطاب متوجه إلى الازواج الناكحين، فكذلك آخر الآية. و معنى «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً» إن طابت لكم أنفسهن بشيء، و نصبه على التمييز، كما يقولون: ضقت بهذا الأمر ذرعا، و قررت به عيناً، و المعنى ضاق به ذرعى و قرت به عينى، كما قال الشاعر:

إذ التياز ذو العضلات قلنا «اليك اليك» ضاق بها ذراعا «١»

و إنما هو على ذرعا و ذراعا، لأن المصدر و الاسم يدلان على معنى واحد، فنقل صفة الذراع الى رب الذراع، ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل، و لذلك وحد النفس لما كانت مفسرة لموقع الخبر، و النفس المراد به الجنس، يقع على الواحد

(١) قائله القطامى، ديوانه: ۴۴. و اللسان (تيز) و معانى القرآن ١: ٢٥۶.

و التياز: الكثير اللحم. و قوله (اليك اليك) أي: خذها.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۱۱

و الجمع، کما قال الشاعر:

بها جیف الحسری فأما عظامها فبیض و أما جلدها فصلیب «۱»

و لم یقل: فجلودها، و لو قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ) أنفساً لمجاز، و کذلک ضقت به أذرعا و ذراعا. فأما قوله: (بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالًا) «۲» إنما جمع لئلا یوهم أنه عمل یضاف الی الجمیع، کما یضاف القتل إلی جماعة إذا رضوا به، و مالئوا علیه. و مثل الآیة: أنت حسن وجهاً، فالفعل للوجه، فلما نقل الی صاحب الوجه، نصب الوجه علی التمییز. و قوله: (فَکُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً) فهنیئاً مأخوذ من هنأت البعیر بالقطران، و ذلک إذا جرب فعولج به، کما قال الشاعر:

متبذلا تبدو محاسنه یضع الهناء مواضع النقب «۳»

.فالهنی شفاء من المرض، کما أن الهناء شفاء من الجرب. و معنی (فَکُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً) أی دواء شافیاً، یقال منه: هنأنی الطعام و مرأتی: إذا صار لی دواء و علاجاً شافیاً، و هنینی و مرینی بالکسر، و هی قلیلة، و من قال: هنانی یقول فی المستقبل: یهنانی، و میرانی، و من یقول: هنأنی، یقول یهنئنی، و یمرئنی، فإذا أفردوا قالوا:

قد أمرانی هذا الطعام، و لا یقولون: أهنانی، و المصدر منه هنأً، مرأً، و قد مرؤ هذا الطعام مرأً، و یقال: هنأت القوم إذا علتهم، و هنأت فلاناً المال إذا وهبته له، أهنؤه هنأً، و منه قولهم: انما سمیت هانیاً لتهنا، أی: لتعطی، و معنی قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ) یعنی من المهر، و «من» هاهنا لیست للتبعیض و انما معناه لتبیین الجنس، کما قال (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ) «۴»

---

(۱) قائلة علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) دیوانه: ۲۷، و شرح المفضلیات: ۷۷۷، و سیبویه ۱: ۱۰۷ من قصیدة فی الحارث بن جبلة بن أبی شمر الغسانی حین أسر أخاه شأسا، فرحل الیه علقمة یطلب فکه. و قوله: (بها جیف الحسری) الضمیر راجع الی المطلوب فی البیت السابق، و هی آثار الطریق، و الصلیب الودک الذی یسیل من خلودها بعد موتها. [.....]

(۲) سورة الکهف: آیة ۱۰۴.

(۳) قائله درید بن الصمة. اللسان (نقب) و الأغانی ۱۰: ۲۲، و الشعر و الشعراء ۳۰۲. و النقب- بضم النون و سکون القاف و فتحها- جمع نقبه، أول الجرب حین یبدو.

(۴) سورة الحج: آیة ۳۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۱۲

و لو وهبت له المهر کله لجاز، و کان حلالا بلا خلاف. و استدل أبو علی بهذه الآیة علی أن لولی الیتیمة الذی هو غیر الأب أن یزوج الیتیمة، أو یتزوجها قبل أن تحیض، أو یکمل عقلها، بأن «۱» قال الخطاب فی قوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْیَتامی متوجه إلی الأولیاء الذین کانوا یتحرجون من العقد علی الیتامی اللائی لهم علیهن ولایة، خوفا من الجور، فقال اللَّه لهم: ان خفتم من العقد علی أربع فعلی ثلاث، أو اثنتین، أو واحدة، أو ما ملکت أیمانکم من سواهن، ثم أمرهم بإعطائهن المهر، ثم قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ) یعنی الأزواج الذین هم الأولیاء، «عن شیء» من ذلک، «فَکُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً» و هذا الذی قاله لیس بصحیح، لأنه لا یسلم له أولا أنه خطاب للأولیاء فما الدلیل علی لک ثم إن عندنا و عند الشافعی لیس لأحد من الأولیاء أن یزوج الصغیرة إلا الأب «۲» خاصة فکیف یسلم له ما قاله؟ و من قال: یجوز ذلک، قال: یکون العقد موقوفا علی بلوغها و رضاها، فان لم ترض کان لها الفسخ، فعلی کل حال لا یصح ما قاله.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۵]..... ص: ۱۱۲

اشارة

وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٥)

- آية-.

القراءة، و المعنى:..... ص: ١١٢

قرأ نافع، و ابن عباس، قيما بغير الف. اختلف أهل التأويل فيمن المراد بالسفهاء المذكورين فی الآية، فقال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدی، و الضحاك، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالك:

إنهم النساء و الصبيان، و هو الذی رواه أبو الجارود، عن أبی جعفر (ع)

و قال سعيد بن جبير، و الحسن

(١) فی المطبوعة: فان، و قد صححنا على المخطوطة.

(٢) فی المطبوعة: الى الأب، و هو تحريف.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ١١٣

و قتادة، و فی رواية أخرى عنهم: أنهم الصبيان الذين لم يبلغوا فحسب، و قال أبو مالك، معناه: لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذی هو قيامك و قال ابن عباس فی رواية أخرى: إنها نزلت فی السفهاء و ليس لليتامى فی ذلك شیء، و به قال ابن زيد، و قال ابو موسى الاشعری ثلاثة يدعون فلا يستجيب اللَّه لهم:

رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، و قال: اللهم خلصنی منها، و رجل أعطى ما لا سفيهاً، و قد قال اللَّه: «وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ»، و رجل له على غيره مال فلم يشهد عليه.

و قد روی عن أبی عبد اللَّه (ع) ان السفيه شارب الخمر، و من جرى مجراه

، و قال المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمی أن المراد به النساء خاصة، و روی ذلك عن مجاهد، و الضحاك، و ابن عمر، و الأولى حمل الآية على عمومها فی المنع من إعطاء المال السفيه، سواء كان رجلا أو امرأة بالغا أو غير بالغ.

و السفيه هو الذی يستحق الحجر عليه، لتضييعه ماله، و وضعه فی غير موضعه، لأن اللَّه تعالى قال عقيب هذه الأوصاف: «وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ» فأمر الأولياء بدفع الأموال إلى اليتامى إذا بلغوا، و أونس منهم رشد، و قد يدخل فی اليتامى الذكور و الإناث، فوجب حملها على عمومها.

اللغة:..... ص: ١١٣

فأما من حمل الآية على النساء خاصة، فقوله ليس بصحيح، لأن فعلية لا يجمع فعلاء، و انما يجمع فعايل و فعيلات، كغريبة و غرائب و غريبات، و قد جاء: فقيرة و فقراء، ذكره الرمانی. فأما الغرباء فجمع غريب

المعنى:..... ص: ١١٣

و قوله: «أَمْوالَكُمُ الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ» التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ١١٤

اختلفوا فى معناه. فقال ابن عباس، و أبو موسى الاشعرى، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و حضرمى. معناه: لا تؤتوا يا أيها الرشد السفهاء من النساء و الصبيان- على ما ذكرنا من اختلافهم- «أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ» يعنى أموالكم التى تملكونها، فتسلطوهم عليها، فيفسدوها، و يضيعوها، و لكن «ارْزُقُوهُمْ فِيها» إن كانوا ممن يلزمكم نفقته، و اكسوهم «وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً» . و قال السدى: معناه: لا تعط امرأتك و ولدك مالك، فيكونوا هم الذين ينفقون و يقومون عليك، و أطعمهم من مالك، و اكسهم. و به قال ابن عباس، و ابن زيد. و قال سعيد ابن جبير: يعنى ب «أموالكم» أموالهم، كما قال: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» «١» قال:
و اليتامى لا تؤتوهم أموالهم، «وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ» . و الاولى حمل الآية على الامرين، لأن عمومه يقتضى ذلك، فلا يجوز أن يعطى السفيه الذى يفسد المال، و لا اليتيم الذى لم يبلغ، و لا الذى بلغ و لم يؤنس منه الرشد، و لا أن يوصى إلى سفيه، و لا يختص ببعض دون بعض، و إنما يكون اضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم، على ضرب من المجاز، أو لأنه أراد: لا تعطوا الأولياء ما يخصهم لمن هو سفيه «٢» و يجرى ذلك مجرى قول القائل لواحد: يا فلان أكلتم أموالكم بالباطل، فيخاطب الواحد بخطاب الجميع، و يريد به أنك و أصحابك أو قومك أكلتم، و يكون التقدير فى الآية: «وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ» التى بعضها لكم، و بعضها لهم، فيضيعوها.

اللغة:..... ص: ١١٤

و قوله: (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً) معناه: ما جعله قوام معايشكم و معايش سفهائكم، التى بها تقومون قياماً، و قيما، و قواماً، بمعنى واحد. و أصل القيام:
القوام، فقلبت الواو ياء للكسرة التى قبلها، كما قالوا: صمت صياماً، و حلت

---

(١) سورة النساء: آية ٢٨.

(٢) هكذا فى المطبوعة و المخطوطة، و هى كما ترى

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١١٥

حيالا، و منه: فلان قوام أهله، و قيام أهله. و منه: قوام الأمر و ملاكه، و هو اسم. و القيام مصدر.

المعنى:..... ص: ١١٥

و بهذا التأويل قال أبو مالك، و السدى، و ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن زيد. و قوله: (وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ) اختلفوا فى تأويله، فمن قال:
عنى بقوله: (وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ) يعنى أموال أولياء السفهاء، فإنهم قالوا: معناه: و ارزقوا أيها الناس سفهاءكم، من نسائكم و أولادكم من أموالكم، طعامهم، و ما لا بد لهم منه. ذهب إليه مجاهد، و السدى، و غيرهما ممن تقدم ذكره. و من قال: إن الخطاب للأولياء، بأن لا يؤتوا السفهاء أموالهم، يعنى أموال السفهاء، حمل قوله: «وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ» على أنه من أموال السفهاء، يعنى ما لا بد منه من مؤنهم، و كسوتهم، و إذا حملنا الآية على عمومها، على ما بيناه، فالتقدير: و ارزقوا أيها الرشد من خاص أموالكم من يلزمكم النفقة عليه، مما لا بد منه من مؤنة و كسوة، و لا تسلموا إليه إذا كان سفيهاً، فيفسد المال. و يا أيها الأولياء، أنفقوا على السفهاء من أموالهم، التى لكم الولاية عليها، قدر ما يحتاجون إليه من النفقة و الكسوة. و قوله:
(وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً) قال مجاهد، و ابن جريج. قولوا لهم، يعنى للنساء و الصبيان، و هم السفهاء، «قَوْلًا مَعْرُوفاً» فى البر و الصلة. و

قال ابن زيد: ان كان السفيه ليس من ولدك، و لا يجب عليك نفقته، فقل له قولا معروفا، مثل:

عافانا اللَّه و إياك، بارك اللَّه فيك. و قال ابن جريج. معناه: يا معاشر ولاة السفهاء، قولوا قولا معروفا للسفهاء، و هو: إن صلحتم و رشدتم، سلمنا إليكم أموالكم، و خلينا بينكم و بينها، فاتقوا اللَّه فى أنفسكم و أموالكم، و ما أشبه ذلك، مما هو واجب عليكم، و يحثكم على الطاعة، و ينهاكم عن المعصية. و قال الزجاج: معناه:

علموهم مع إطعامكم إياهم و كسوتكم إياهم، و أمر دينهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۱۶

و فى الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ، و لم يؤنس منه الرشد، لأن اللَّه تعالى منع من دفع المال إلى السفهاء، و قد بينا أن المراد به أموالهم على بعض الأحوال.

و فى الآية دلالة على وجوب الوصية، إذا كان الورثة سفهاء، لأن ترك الوصية بمنزلة إعطاء المال فى حال الحياة إلى من هو سفيه، و إنما سمى الناقص العقل سفيهاً «۱»، و إن لم يكن عاصياً، لأن السفه هو خفة الحلم، و لذلك سمى الفاسق سفيهاً، لأنه لا وزن له عند أهل الدين «۲»، و العلم فثقل الوزن و خفته، ككبر القدر و صغره.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶]..... ص: ۱۱۶

اشارة

وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (۶)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۱۱۶

هذا خطاب لأولياء اليتامى، أمر اللَّه تعالى بأن يختبروا عقول اليتامى فى أفهامهم، و صلاحهم فى أديانهم، و إصلاحهم أموالهم. و هو قول قتادة، و الحسن، و السدى، و مجاهد، و ابن عباس، و ابن زيد. و قد بينا أن الابتلاء معناه الاختبار فيما مضى. و قوله: «حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ» معناه: حتى يبلغوا الحد الذى يقدرون على مجامعة النساء و ينزل، و ليس المراد الاحتلام، لأن فى الناس من

---

(۱) (سفيهاً) ساقطة من المطبوعة.

(۲) عند (أهل الدين) ساقطة من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۱۷

لا يحتلم، أو يتأخر احتلامه، و هو قول أكثر المفسرين: مجاهد، و السدى، و ابن عباس، و ابن زيد. و منهم من قال: إذا كمل عقله، و أونس منه الرشد، سلم إليه ماله، و هو الأقوى. و منه من قال: لا يسلم إليه حتى يكمل له خمس عشرة سنة، و إن كان عاقلا، لأن هذا حكم شرعى، و بكمال العقل تلزمه المعارف لا غير، و قال أصحابنا: حد البلوغ إما بلوغ النكاح، أو الانبات فى العانة، أو كمال خمس عشرة سنة. و قوله: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» معناه: فان وجدتم منه رشدا و عرفتموه، و هو قول ابن عباس.

اللغة:..... ص: ۱۱۷

تقول: آنست من فلان خيراً إيناساً و أنست به أنساً: إذا ألفته. و في قراءة عبد اللَّه: فان أحسيتم يعنى أحسستم، أي وجدتم، و الأصل فيه: أبصرتم.

و منه قول: «آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً» «۱» أي أبصر، و منه أخذ انسان العين، و هو حدقتها التي يبصر بها.

المعنى:..... ص: ۱۱۷

و اختلفوا في معنى الرشد «۲»، فقال السدي، و قتادة: معناه عقلا و ديناً و صلاحاً. و قال الحسن «۳»، و ابن عباس: معناه: صلاحاً في الدين، و إصلاحاً للمال. و قال مجاهد، و الشعبي: معناه العقل. قال: لا يدفع إلى اليتيم ماله، و إن أخذ بلحيته، و إن كان شيخاً، حتى يؤنس منه رشده: العقل. و قال ابن جريج:

صلاحاً، و علماً بما يصلحه.

و الأقوى أن يحمل على

أن المراد به العقل، و إصلاح المال، على ما قال ابن عباس، و الحسن، و هو المروي عن أبي جعفر (ع)

، للإجماع على أن من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله، و ان كان فاجراً في دينه، فإذا كان ذلك اجماعا

---

(۱) سورة القصص: آية ۲۹.

(۲) (و اختلفوا في معنى الرشد) ساقطة من المطبوعة.

(۳) (الحسن) ساقط من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۱۸

فكذلك إذا بلغ، و له مال في يد وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله، وجب عليه أن يسلم إليه ماله، إذا كان عاقلا، مصلحاً لما له، و إن كان فاسقاً في دينه. و في الآية دلالة على جواز الحجر على العاقل، إذا كان مفسداً في ماله، من حيث أنه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مفسداً له، فكذلك في حال كمال العقل إذا صار بحيث يفسد المال، جاز الحج عليه، و هو المشهور في أخبارنا.

و من الناس من قال: لا يجوز الحجر على العاقل، ذكرناه في الخلاف.

و قوله: (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً) فهو خطاب لأولياء اليتيم، أمرهم اللَّه تعالى إذا بلغ اليتيم، و أونس منه الرشد، على ما فسرناه، أن يسلم إليه ماله، و لا يحبسه عنه. و قوله: (وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً) معناه بغير ما أباحه اللَّه لكم. و قال الحسن، و السدي: الإسراف في الاكل. و أصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، و ربما كان ذلك في الافراط، و ربما كان في التقصير، غير أنه إذا كان في الافراط يقال منه: أسرف يسرف إسرافاً، و إذا كان في التقصير يقال: سرف يسرف سرفاً، يقال: مررت بكم فسرفتكم، يريد:

فسهوت عنكم، و اخطأتكم، كما قال الشاعر:

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من و لا سرف «۱»

يعني لا خطأ فيه، يريد أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطونها. و قوله:

«وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا» فالبدار و المبادرة مصدران، فنهى اللَّه تعالى أولياء اليتامى أن يأكلوا أموالهم اسرافاً بغير ما أباح اللَّه لهم أكله، و لا مبادرة منكم بلوغهم، و إيناس الرشد منهم، حذراً أن يبلغوا، فيلزمكم تسليمه إليهم، و به قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن، و السدي، و ابن زيد.

(۱) قـائله جرير ديوانه ۲: ۱۵ و اللسان (هنـد) و (سـرف) و هو من قصـيدة يمـدح بها يزيـد بن عبد الملك، و يهجو آل المهلب. قوله: (هنيـدة) اسم لكل مائـة من الإبل، و (هنيد) لا يصـرف و لا يدخل عليه الالف و اللام و لا يجمع و ليس له واحد من جنسه. و (ثمانية) أى ثمانية من العبيد. و كان فى المخطوطة و المطبوعة (عطاءكم) و هو مناسب فى المعنى و لكن لم أجد أحد يرويه الا (عطائهم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۱۹

و أصل البدار الامتلاء. و منه البدر القمر، لامتلائه نوراً، و البدرة:

لامتلائها بالمال، و البيدر: لامتلائه بالطعام، و موضع «أن» نصب بالمبادرة، و المعنى:

لاـ تأكلوهـا مبـادرة كبرهم. و قوله: «وَ مَنْ كـانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كـانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى: من كان غنياً من ولاة أموال اليتامى فليستعفف بماله عن أكلها، و به قال ابن عباس، و ابراهيم. و قوله: (وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) قال عبيدة:

معناه القرض، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

، أ لا ترى أنه قال: (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) «وَ مَنْ كانَ فَقِيراً» فاختلفوا فى الوجه الذى يجوز له أكل مال اليتيم به إذا كان فقيراً، و هو المعروف، فقال سعيد بن جبير، و عبيدة السلمانى، و أبو العالية، و أبو وائل، و الشعبى، و مجاهد، و عمر بن الخطاب: هو أن يأخذه قرضاً على نفسه فيما لا بد له منه، ثم يقضيه، و بينا أنه المروى عن أبى جعفر (ع).

و قـال الحسن، و إبراهيم، و مكحول، و عطـاء بن أبى ربـاح: يأخـذ ماسـد الجوعـة، و وارى العورة، و لاـ قضاء عليه، و لم يوجبوا أجرة المثل، لأن أجرة المثل ربما كانت أكثر من قـدر الحاجـة. و الظاهر فى أخبارنا أن له أجرة المثل، سواء كان قدر كفايته، أو لم يكن. و سئل ابن عباس عن ولى يتيم له إبل هل له أن يصـيب من ألبانها؟ فقال: إن كنت تلوط حوضها، و تهنأ جرباها، فأصبت من رسلها، غير مضر بغسل و لا ناهكه فى الحلب.

معنى تلوط حوضـها: تطينه، و تهنأ جرباها، و معناه: تطليها بالهناء، و هو الخضخاض، ذكره الازهرى، و الرسل اللبن، و النهك: المبالغة فى الحلب.

و اختلفوا فى هـل للفقير من ولى اليتيم أن يأكـل من مـاله هو و عيـاله، فقال عمرو بن عبيـد: ليس له ذلك، لقوله: «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» فخصه بالأكل، و قال الجبائى: له ذلك لأن قوله: «بالمعروف» يقتضى أن يأكل هو و عياله، على ما جرت به العادة فى أمثاله، و قال إن كـان المـال واسـعاً كـان له أن يأخـذ قـدر كفايته، له و لمن يلزمه نفقته من غير إسـراف، و إن كان قليلا كان له أجرة المثل التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۲۰

لاـ غير، و إنمـا لم يجعـل له أجرة المثل إذا كان المال كثيراً لأنه ربما كان أجرة المثل أكثر من نفقته بالمعروف، و على ما قلناه من أن له أجرة المثـل سـقط هـذا الاعتبـار و قوله: (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْـهِدُوا عَلَيْهِمْ) خطـاب لأولياء اليتامى، إذا دفعوا أموال اليتامى إليهم، أن يحتـاطوا لأنفسـهم بالإشـهاد عليهم، لئلاـ يقع منهم جحـود، و يكونوا أبعـد من التهمـة، و سواء كـان ذلـك فى أيـديهم، أو استقرضوه ديناً على نفوسهم، فان الاشهاد يقتضيه الاحتياط، و ليس بواجب. و قوله:

(كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً) معناه: كفى اللَّه، و الباء زائدة، و قال السدى: معناه شـهيدا هاهنا، و قيل: معناه: و كفى باللَّه كافياً من الشهود، و لأن أحسبنى معنـاه: كفـانى، و المعنى: و كفى بـاللَّه شـهيداً فى الثقـة بإيصـال الحق إلى صـاحبه و المحسب من الرجال المرتفع النسب. و المحسب، المكفى. و ولى اليتيم المأمور بابتلائه، و هو الذى جعل إليه القيام به، من وصـى، أو حـاكم، أو أمين، ينصبه الحاكم. و أجاز أصحابنا الاستقراض من مال اليتيم إذا كان ملياً، و فيه خلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷]..... ص: ۱۲۰

اشارة

لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ کَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (٧)

- آية بلا خلاف-.

النزول:..... ص: ١٢٠

اختلفوا فی سبب نزول هذه الآية، فقال قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد:

إن أهل الجاهلية کانوا يورثون الذکور دون الإناث، فنزلت هذه الآية رداً لقولهم. و قال الزجاج: کانت العرب لا تورث إلا من طاعن بالرماح، و ذاد عن الحريم و المال، فنزلت هذه الآية رداً عليهم، و بين أن للرجال نصيباً مما ترک الولدان و الأقربون، «وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ کَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً» يعنی حظاً مفروضاً، قال الزجاج: مفروضاً. نصب علی الحال، التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢١

و قال غيره: هو اسم فی موضع المصدر، کقولک قسما واجباً، و فرضاً لازماً، و لو کان اسماً ليس فيه معنی المصدر، لم يجز قولک: عندی حق درهماً، و يجوز: لک عندی درهم هبة مفترضة «١» و أصل الفرض الثبوت، و الفرض: الحز فی سية القوس حيث يثبت الوتر، و الفرض: ما أثبته علی نفسک من هبة أو صلة، و الفرض: إيجاب اللَّه عز و جل علی العبد ما يلزمه فعله لإثباته عليه، و الفرض: جند يفترضون، و الفرض: ما أعطيت من غير قرض، لثبوت تمليکه، و الفرض:

ضرب من التمر. و الفارض المسنة، و الفرضة: حيث ترمی «٢» السفن من النهر و کل ضخم فارض، و الفرق بين الفرض و الوجوب أن الفرض هو الإيجاب، غير أن الفرض يقتضی فارضاً فرضه، و ليس کذلک الواجب لأنه قد يجب الشیء فی نفسه من غير إيجاب موجب، و لذلک صح وجوب الثواب و العوض علی اللَّه تعالی، و لم يجز فرضه عليه. و أصل الوجوب الوقوع، يقال: وجب الحائط وجوباً فهو واجب، إذا وقع، و سمعت وجبة أی وقعة کالهدة، و منه «وَجَبَتْ جُنُوبُها» «٣» أی وقعت لجنوبها، و وجب الحق وجوبا، إذا وقع سببه، کوجوب رد الوديعة، و قضاء الدين، و وجوب شکر المنعم، و وجوب الأجر، و إنجاز الوعد، و وجب القلب وجيباً إذا خفق من فزع وقعة کالهدة.

و فی الآية دليل علی بطلان القول بالعصبة، لأن اللَّه تعالی فرض الميراث للرجال و النساء، فلو جاز أن يقال: النساء لا يرثن فی موضع، لجاز لآخرين أن يقولوا: و الرجال لا يرثون، و الخبر المدعی فی العصبة خبر واحد، لا يترک له عموم القرآن، لأنه معلوم، و الخبر مظنون، و قد بينا ضعف الخبر فی کتاب تهذيب الأحکام، فمن أراده وقف عليه من هناک.

و فی الآية أيضاً دلالة علی أن الأنبياء يورثون، لأنه تعالی عم الميراث للرجال و النساء، و لم يخص، نبياً من غيره، و کما لا يجوز أن يقال: النبی لا يرث،

---

(١) فی المطبوعة: مقبوضة. [.....]

(٢) فی المطبوعة: ترقا.

(٣) سورة الحج: آية ٣٦.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٢

لأنه خلاف الآية، فکذلک لا يجوز أن يقال: لا يورث، لأنه خلافها، و الخبر الذی يروون أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما ترکناه صدقة، خبر واحد، و قد بينا ما فيه، فی غير موضع، و تأولناه، بعد تسليمه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۸]..... ص: ۱۲۲

اشارة

وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (۸)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۱۲۲

هذه الآية عندنا محكمة، و ليست منسوخة، و هو قول ابن عباس، و سعيد ابن جبير، و الحسن، و ابراهيم، و مجاهد، و الشعبى، و الزهرى، و يحيى بن يعمر، و السدى، و البلخى، و الجبائى، و الزجاج، و أكثر المفسرين و الفقهاء. و قال سعيد ابن المسيب، و أبو مالك، و الضحاك، هى منسوخة، و إرزاق من حضر قسمة الميراث من هذه الأصناف، ليس بواجب، بل هو مندوب إليه، و هو الذى اختاره الجبائى، و البلخى، و الرمانى، و جعفر بن مبشر، و أكثر الفقهاء و المفسرين. و قال مجاهد: هو واجب، و حق لازم ما طابت به أنفس الورثة. و كل من ذهب إلى أنها منسوخة قال: إن الرزق ليس بواجب، و كذلك من قال انها فى الوصية.

و اختلفوا فيمن المخاطب بقوله: «فَارْزُقُوهُمْ» فقال أكثر المفسرين: إن المخاطب بذلك الورثة، أمروا بأن يرزقوا المذكورين، إذا كانوا لا- سهم لهم فى الميراث، و قال آخرون إنها تتوجه إلى من حضرته الوفاة، و أراد الوصية، فانه ينبغى له أن يوصى لمن لا يرثه من هؤلاء المذكورين، بشيء من ماله. و روى هذا القول الأخير عن ابن عباس، و عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبى بكر، و سعيد ابن المسيب، و اختار الطبرى هذا الوجه، و الوجه، الاول روى عن ابن عباس، و عبد اللَّه بن الزبير، و أبى موسى الاشعرى، و ابن سيرين، و الحسن، و سعيد بن جبير. قال سعيد بن جبير: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت وصيته، و إن التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۲۳

كان الورثة كباراً أرضخوا لهم، و إن كانوا صغاراً قال وليهم: إنى لست أملك هذا المال، و ليس لى، إنما هو للصغار، فذلك قوله: «وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً» و به قال السدى، و ابن عباس. و اختلفوا فيمن المأمور [بقول «۱» المعروف، فقال سعيد بن جبير: أمر اللَّه أن يقول الولى الذى لا- يرث، للمذكورين قولا- معروفا، و يقول: إن هذا لقوم غيب أو يتامى صغار، و لكم فيه حق، و لسنا نملك أن نعطيكم منه. و قال قوم: المأمور بذلك الرجل الذى يوصى فى ماله، و القول المعروف: أن يدعو لهم بالرزق و الغنى، و ما أشبه ذلك.

و روى عن ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و ابن زيد: أن الآية فى الوصية، على أن يوصوا للقرابة، و يقولوا لغيرهم قولا معروفا. و من قال إنها على الوجوب، قال: لا- يعطى من مال اليتيم شيئاً، و يقول قولا معروفاً، ذهب إليه ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدى. و روى ابن عُلَيَّة، عن عبيدة، أنه ذبح شاة من مال اليتيم، و قسمه بينهم، و قال: كنت أحب أن يكون من مالى لو لا هذه الآية.

و عمل ابن سيرين فى مال اليتيم ما عمل عبيدة، و أقوى الأقوال أن يكون الخطاب متوجهاً إلى الوارث البالغين، لأن فيه أمراً بالرزق لمن حضر، و لم يخاطب اللَّه من لا- يملك أن يخرج من مال غيره شيئاً، فكأن اللَّه تعالى حث هؤلاء، و رغبهم فى أن يجعلوا للحاضرين شيئاً مما يحقهم «۲»، و يقولوا لهم قولا معروفا، فيصير رداً جميلا، من غير تأفف، و لا تضجر، و كذلك لو قلنا إنها متوجهة إلى الموصى، لكان محمولا على أنه يستحب له أن يوصى لهؤلاء بشيء من ماله، ما لم يزد على الثلث، فان لم يختر ذلك قال لهم قولا جميلا، لا يتألمون منه، و لا يغتمون به.

و فى الآية حجة على المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَارْزُقُوهُمْ» و فيه دلالة على أن الإنسان يرزق غيره على معنى التمليك، و أن اللَّه لا يرزق حراماً، لأنه لو رزقه لخرج برزقه إياه من أن يكون حراماً، و مثله قوله: «وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» .

(١) فى المطبوعة: لقوله المعروف، و فى المخطوطة: لقوله بالمعروف، و كلاهما تحريف.
(٢) هكذا فى المطبوعة و المخطوطة و الأولى: مما يلحقهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٤

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۹]..... ص: ۱۲۴

اشارة

وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٩)
- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۱۲۴

قيل فى معنى الآية أربعة أقوال:
أحدها- النهى عن الوصية بما يجحف بالورثة، و يضر بهم، هذا قول ابن عباس، فى بعض الروايات، و سعيد بن جبير، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الضحاك، و مجاهد.
الثانى- قال الحسن: كان الرجل يكون عند الميت فيقول: أوص بأكثر من الثلث من مالك، فنهاه اللَّه عن ذلك.
الثالث- روى عن ابن عباس: أنه خطاب لولى مال اليتيم، يأمره بأداء الأمانة فيه، و القيام بحفظه، كما لو خاف على مخلفيه، إذا كانوا ضعافا، و أحب أن يفعل بهم.
الرابع- قال مقسم: هى فى حرمان ذوى القربى أن يوصى لهم، بأن يقول الحاضر للوصية: لا توص لأقاربك، و وفر على ورثتك.

اللغة:..... ص: ۱۲۴

و الذرية: على وزن فعلية، منسوبة إلى الذر، و يجوز أن يكون أصلها ذرورة، لكن الراء أبدلت ياء، و أدغمت الواو فيها، و هى بضم الذال، و يجوز فيها كسرها، و قد قرئ به فى الشواذ، و من كسر الذال فلكسرة الراء، كما قالوا فى عنى عتى و عصى، و ضعاف: جمع ضعيف و ضعيفة، و كقولك: ظريف و ظريفة و ظراف، و خبيث و خباث، و يجمع أيضاً ضعفاء. و أصل الضعاف من الضعف، و هو النقص، فى القوة، و منه المضاعف، لأنه ينفى الضعف، و منه الضعف.
و قوله: «فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ» يعنى: فليتقوا معاصيه، «وَ لْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً» التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٥
و هو السليم من خلل الفساد، و ذلك الحق بالدعاء إلى العدل فى القسم بما لا- يجحف بالورثة، و لا يحرم ذوى القربى، و أصل السديد من سد الخلل، تقول: سددته أسده سدا، و السداد: الصواب، و السداد- بكسر السين- من قولهم: فيه سداد من عوز، و سدد السهم: إذا قومه، و السد الردم، و السدة فى الأنف.

المعنى:..... ص: ۱۲۵

و معنى الآية، أنه ينبغى للمؤمن الذى لو ترك ذرية ضعافا بعد موته، خاف عليهم الفقر و الضياع، أن يخشى على ورثة غيره من الفقر

و الضياع، و لا يقول لمن يحضر وصيته أن يوصى بما يضر بورثته، و ليتق اللّه فى ذلك، و ليتق الإضرار بورثة المؤمن،، و ليقل قولا سديدا، و لذلك

نهى النبى (ص) أن يوصى بأكثر من الثلث، و قال: (و الثلث كثير) و قال لسعد (لأن تدع ورثتك أغنياء أحب الى من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم).

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰]..... ص: ۱۲۵

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (۱۰)
- آية-

القراءة و الحجة:..... ص: ۱۲۵

قرأ ابن عامر، و أبو بكر، عن عاصم: و سيصلون- بضم الياء- الباقون، بفتحها، و الفتح أقوى، لقوله: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى» «۱» و قوله: «إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ» «۲» و من ضم الياء ذهب إلى أصلاه اللّه إذا أحرقه بالنار.

المعنى:..... ص: ۱۲۵

و إنما علق اللّه تعالى الوعيد فى الآية لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، لأنه قد

---

(۱) سورة الليل: آية ۱۵.

(۲) سورة الصافات: آية ۱۶۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۲۶

يأكله على وجه الاستحقاق، بأن يأخذ منه أجرة المثل، على ما قلناه. أو يأكل منه بالمعروف على ما فسرناه، أو يأخذه قرضاً على نفسه، فان قيل: إذا أخذه قرضاً على نفسه، أو أجرة المثل، فلا يكون أكل مال اليتيم، و إنما أكل مال نفسه. قلنا: ليس الامر على ذلك، لأنه يكون أكل مال اليتيم، لكنه على وجه التزم عوضه فى ذمته، أو استحقه بالعمل فى ماله، فلم يخرج بذلك من استحقاق الاسم بانه مال اليتيم، و لو سلم ذلك، لجاز أن يكون المراد بذلك ضربا من التأكيد و بياناً، لأنه لا يكون أكل مال اليتيم إلا ظلماً. و نصب ظلماً على المصدر، و تقديره: إن من أكل مال اليتيم فانه يظلمه ظلماً. و قوله: «إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً» قيل فى معناه وجهان:

أحدهما- ما قاله السدى من أن من أكل مال اليتيم ظلماً يبعث يوم القيامة و لهب النار يخرج من فيه، و من مسامعه، و من أذنيه و أنفه و عينيه، و يعرفه من رآه. بأكل مال اليتيم.

الثانى- أنه على وجه المثل، من حيث أن فعل ذلك يصير إلى جهنم، فتمتلئ بالنار أجوافهم، عقابا على ذلك الأكل منهم، كما قال الشاعر:

و ان الذى أصبحتم تحلبونه دم غير أن اللون ليس باحمرا

يصف أقواماً أخذوا الإبل فى الدية، يقول: فالذى تحلبون من ألبانها ليس لبناً، إنما هو دم القتيل.

اللغة:..... ص: ۱۲۶

و قوله: «وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً» فالصلاة لزوم النار، للإحراق، أو التسخن، أو الإنضاج، يقال: صلى بالنار يصلى صلا بالقصر، قال العجاج:

و صاليات للصلا صلى «۱»

و يقال الصلا بالكسر و المد، قال الفرزدق:

---

(۱) ديوانه: ۶۷ من أرجوزته المشهورة.

و قاتل كلب الحى عن نار أهله ليربض فيها و الصلا متكنف «۱»

و اصطلى صلى بالنار اصطلاء، و أصليته النار أصلا، إذا ألقيته فيها. و فى التنزيل: «فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً» «۲» و الصالى بالشر الواقع فيه قال الشاعر:

لم أكن من جناتها علم اللَّه و انى بحرها اليوم صالى «۳»

و منه شاة مصلية، أى مشوية. و السعير بمعنى مسعورة، مثل كف خضيب، بمعنى مخضوبة، و السعر إشعال النار تقول سعرتها أسعرها سعراً. و منه قوله:

«وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» «۴» و استعرت النار فى الحطب استعاراً، و استعرت الحرب و الشر استعاراً، و منه سعر السوق، لاستعارها به فى النفاق.

المعنى:..... ص: ۱۲۷

و أكل مال اليتيم على وجه الظلم، و غصبه متساويان فى توجه الوعيد إليه، و لا يدل على مثل ذلك فى غير مال اليتيم، لأن الزواجر عن مال اليتيم أعظم.

و قال الجبائى: هما سواء، و من غصب من مال اليتيم خمسة دراهم فان الوعيد يتوجه إليه و قال الرمانى: لا يتوجه إليه، لأن أقل المال مائتا درهم. و قال الجبائى:

يلزمه كما يلزم مانع الزكاة. و قال الرمانى: هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز أن يكون منع الزكاة أعظم، و ما قلناه أولا أولى بعموم الآية. و قوله: لا يسمى المال إلا مائتا درهم دعوى محضة، لا برهان عليها.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۱]..... ص: ۱۲۷

اشارة

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (۱۱)

---

(۱) ديوانه: ۵۶ و النقائض ۵۶۱ و اللسان (صلا) و المعنى: ان الكلب يزاحم أهل الحى على النار و هم متجمعون- متكنفون- عليها من

شدة البرد.

(٢) سورة النساء: آية ٢٩.

(٣) قـائله الحارث بن عباد البكرى اصـمعيات ٦٧ القصيدة ١٧، و حماسة البحترى ٣٣ و الكامـل لابن الأثير ١: ٢٢٠ و خزانة الأدب ١: ٢٢٥ و غيرها. و قد مر البيت فى ١: ١٩٥ من هذا الكتاب.

(۴) سورة التكوير: آية ١٢.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٣، ص: ١٢٨

- آية بلا خلاف-

القراءة و الحجة:..... ص: ١٢٨

قرأ ابن عـامر، و ابن كثير، و أبو بكر، عن عـاصم: يوصـى- بفتـح الصـاد- الباقون بكسـرها، و هو الأقوى، لقوله: «مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ» فتقدم ذكر الميت، و ذكر المفروض مما ترك «١»، و من فتحها فلأنه ليس لميت معين، و إنما هو شائع فى الجميع.

سبب النزول و القصة:..... ص: ١٢٨

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحـدهما- قال السدى، و ابن عباس: إن سـبب نزولها، أن القوم لم يكونوا يورثون النساء و البنات و البنين الصـغار، و لم يورثوا إلا من قاتل و طاعن، فأنزل اللَّه الآيـة، و أعلمهم كيفيـة الميراث. و قال عطاء، عن ابن عباس، و ابن جريـج، عن مجاهـد، عن ابن عباس، إنهم كانوا يورثون الولد، و للوالدين الوصية، فنسخ اللَّه ذلك. و

قـال محمـد بن المنكـدر، عن جـابر، قـال: كنت عليلاـ مـدنفا، فعادة النبى (ص)، و نضـح الماء على وجهه فأفاق، و قال: يا رسول اللَّه، كيف أعمل

---

(١) فى المطبوعة (ما ترك).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٣، ص: ١٢٩

فى مالى: فأنزل اللَّه الآية.

و روى عن ابن عباس أنه قال: كان المال للولد، و الوصية للوالدين و الأقربين، فنسخ «١» ذلك بهذه الآية.

المعنى:..... ص: ١٢٩

و هـذه الآية عامة فى كل ولد يتركه الميت، و ان المال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، و كذلك حكم البنت و البنتين. و البنت «٢» لها النصف، و لهما الثلثان على كل حال، إلا من خصه الـدليل من الرق، و الكفر، و القتل، فانه لا خلاف أن الكافر، و المملوك، و القاتل عمـداً، لاـ يرثون، و إن كـان القاتـل خطأ، ففيه الخلاف و عنـدنا يرث من المال دون الديـة. فأما المسـلم فانه عنـدنا يرث الكافر، و فيه خلاف، ذكرناه فى مسائل الخلاف،

و العبد لا يورث لأنه لا يملك شيئاً، و المرتد لا يرث و ميراثه لورثته المسلمين، و هذا قول على (ع).

و قال سعيد بن المسيب: نرثهم و لا يرثونا و به قال معاوية، و الحسن، و عبد اللَّه بن معقل، و مسروق و

قوله (ص) (لا يتوارث أهل ملتين)

معناه: لا يرث كل واحد منهما صاحبه، فانا نقول: المسلم يرث الكافر، و الكافر لا يرث المسلم، فلم تثبت حقيقة التوارث بينهما.

و معنى «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» فرض عليكم، لأن الوصية من اللّه فرض، كما قال: «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ» «٣» يعنى فرض، عليكم، ذكره الزجاج، و إنما لم يعد قوله: «يوصيكم» إلى (مثل) فينصبه، لأنه كالقول فى حكاية الجملة بعده، و التقدير: قال اللّه: «فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و لأن الغرض بالآية الفرق بين الموصى به و الموصى له، فى نحو أوصيت زيداً بعمرو.

و قوله: «فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» فالظاهر يقتضى أن الثنتين لا يستحقان الثلثين، و إنما يستحق الثلثان إذا كن فوق اثنتين، لكن أجمعت الأمة أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات، فتركنا له الظاهر. و قال أبو العباس المبرد،

---

(١) فى المطبوعة (فنسخ بهذه الآية) بإسقاط ذلك.

(٢) (و البنت) ساقطة من المطبوعة. [.....]

(٣) سورة الانعام: آية ١٥١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٠

و اختاره إسماعيل بن إسحاق القاضى: إن فى الآية دليلا على أن للبنتين الثلثين، لأنه إذا قال: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و كان أول العدد ذكراً و أنثى، للذكر الثلثان و للأنثى الثلث علم من ذلك أن للبنتين الثلثين، و أعلم اللّه أن ما فوق البنتين لهن الثلثان. و حكى الزجاج عمن قال: ذلك معلوم، بقوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ) «١» فجعل للاخت النصف، كما جعل للبنت النصف، ثم قال: «فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ» «٢» فأعطيت البنتان الثلثين «٣»، كما أعطيت الأختان الثلثين و أعطى جملة الأخوات الثلثين، فكذلك جملة البنات. و ذكر عن ابن عباس: أن البنتين بمنزلة البنت، و إنما استحق الثلثين الثلاث بنات فصاعداً. و حكى النظام، فى كتاب النكت، عن ابن عباس: أن للبنتين نصفاً و قيراطاً، قال: لأن للبنت الواحدة النصف، و للثلاث بنات الثلثين، فينبغى أن يكون للبنتين ما بينهما، ثم يشتركان فى النصف و قيراطا بالسوية. و قوله: «وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ» يدل على أن فاطمة (ع) كانت مستحقة للميراث، لأنه عام فى كل بنت، و الخبر المدعى فى أن الأنبياء لا يورثون خبر واحد، لا يترك له عموم الآية لأنه معلوم لا يترك بمظنون. و قوله:

«وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ» ليس فى ذلك خلاف، و كذلك إن كان واحد من الأبوين مع الولد، كان له السدس بالتسمية، بخلا خلاف، ثم ينظر، فان كان الولد ذكراً، كان الباقى للولد واحداً كان أو أكثر، بلا خلاف، و كذلك إن كانوا ذكوراً أو اناثاً فالمال بينهم، «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و إن كانت بنتاً كان لها النصف، و لأحد الأبوين السدس، و الباقى عندنا يرد على البنت و أحد الأبوين على قدر سهامهما، أيهما كان، لأن قرابتهما سواء، و من خالفنا يقول: إن كان أحد الأبوين اباً كان الباقى له، لأنه عصبة و إن كانت أماً ففيهم من يقول بالرد على البنت و على الأم و منهم من يقول: الباقى لبيت المال،

(١، ٢) سورة النساء: آية ١٧٥.

(٣) فى المخطوطة و المطبوعة (فأعطيت البنتين الثلثان) و هو لحن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣١

و إنما رددنا عليهما لقوله: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» «١» و هاهنا هما متساويان، لأن البنت تتقرب بنفسها إلى الميت، فكذلك أحد الأبوين، و الخبر المدعى فى أن ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر، خبر ضعيف، بينا وجهه فى تهذيب الأحكام، لا

يخص به عموم القرآن. و قوله «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ» فمفهومه أن الباقى للأب و ليس فيه خلاف، فان كان فى الفريضهٔ زوج كان له النصف، و للأم الثلث بالظاهر، و ما بقى فللأب.

و من قال: للأم ثلث ما يبقى، فقد ترك الظاهر، و بمثل ما قلناه قال ابن عباس، فان كان بدل الزوج زوجهٔ، كان الأمر مثل ذلك، للزوجهٔ الربع، و للأم الثلث، و الباقى للأب، و به قال ابن عباس، و ابن سيرين.

قوله: «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ» ففى أصحابنا من يقول: إنما يكون لها السدس إذا كان هناك أب لأن التقدير: فان لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلأمه الثلث، فان كان له إخوهٔ و ورثه أبواه فلأمه السدس، و منهم من قال: إن لها السدس مع وجود الاخوهٔ، سواء كان هناك أب أو لم يكن، و به قال جميع الفقهاء، غير أنا نقول: إن كان هناك أب، كان الباقى للأب، و إن لم يكن أب كان الباقى رداً على الأم، و لا يرث- أحد من الاخوهٔ و الأخوات مع الأم شيئاً، سواء كانوا من قبل أب و أم أو من قبل أب، أو من قبل أم- على حال، لأن الأم أقرب منهم بدرجهٔ، و لا يحجب عندنا من الاخوهٔ إلا من كان من قبل الأب و الأم، أو من قبل الأب، فأما من كان من قبل الأم فحسب، فانه لا يحجب على حال، و لا يحجب أقل من أخوين، أو أخ و أختين، أو أربع أخوات، فأما الأختان فلا يحجبان على حال، و خالفنا جميع الفقهاء فى ذلك فأما الأخوان «۲» فلا خلاف أنه تحجب بهما الأم عن الثلث إلى السدس، إلا ما قال ابن عباس: أنه لا يحجب بأقل من ثلثهٔ، لقوله: (إخوهٔ) و الثلاثهٔ أقل الجمع، و حكى عن

---

(۱) سورهٔ الانفال: آيهٔ ۷۵.

(۲) فى المطبوعهٔ (الأخوات).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۱۳۲

ابن عباس أيضاً: أن ما يحجبه الاخوهٔ من سهم الأم من الثلث إلى السدس، يأخذه الاخوهٔ دون الأب، و ذلك خلاف ما أجمعت الأمهٔ عليه، لأنه لا خلاف أن أحداً من الاخوهٔ لا يستحق مع الأبوين شيئاً، و إنما قلنا إن اخوهٔ بمعنى أخوين للإجماع من أهل العصر على ذلك، و أيضاً فانه يجوز وضع لفظ الجمع فى موضع التثنيهٔ إذا اقترنت به دلالهٔ، كما قال: «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «۱» و يقول القائل: ضربت الرجلين أرؤسهما، و من أخويك ظهورهما.

فان قيل: لم حجب الاخوهٔ الأم من غير أن يرثوا مع الأب؟ قلنا: قال قتادهٔ: معونهٔ للأب، لأنه يقوم بنفقتهم، و نكاحهم، دون الأم، و هذا بعينه رواه أصحابنا، و هو دال على أن الاخوهٔ من الأم لا يحجبون، لأن الأب لا يلزمه نفقتهم على حال، و قوله: (آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) معناه: لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعاً فى الدين و الدنيا، و اللَّه يعلمه، فاقسموه على ما بينه من يعلم المصلحهٔ فيه. و قال بعضهم: الأب يجب عليه نفقهٔ الابن إذا احتاج إليها، و كذلك الابن يجب عليه نفقهٔ الأب مع الحاجهٔ، فهما فى النفع فى هذا الباب سواء، لا تدرون أيهم أقرب نفعاً. و قيل: لا تدرون أيكم يموت قبل صاحبه، فينتفع الآخر بماله.

فان قيل: كيف قدم الوصيهٔ على الدين فى هذه الآيهٔ و فى التى بعدها، مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف؟ قلنا: لأن (أو) لا توجب الترتيب، و إنما هى لأحد الشيئين، فكأنه قال: من بعد أحد هذين، مفرداً أو مضموماً إلى الآخر كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، أى جالس أحدهما مفرداً أو مضموماً إلى الآخر و يجب البدأهٔ بالدين، لأنه مثل رد الوديعهٔ التى يجب ردها على صاحبها، فكذلك حال الدين، وجب رده أولًا، ثم يكون بعده «۲» الوصيهٔ، ثم الميراث.

و ما قلناه اختاره الجبائى، و الطبرى، و هو المعتمد عليه فى تأويل الآيهٔ. و قوله:

---

(۱) سورهٔ التحريم: آيهٔ ۴.

(۲) فى المطبوعهٔ (هذه) بدل (بعده)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۳

«فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على الحال من قوله: (لأبويه) و تقديره: فلهؤلاء الورثة ما ذكرناه مفروضاً، ف (فريضة) مؤكدة لقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» هذا قول الزجاج، و قال غيره: هو نصب على المصدر من قوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» فرضاً مفروضاً.

و قال غيره: يجوز أن يكون نصباً على التمييز من قوله: «فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ» فريضة، كما تقول: هو لك صدقة، أو هبة.

و الثلث، و الربع، و السدس، يجوز فيه التخفيف و التثقيل، فالتخفيف لثقل الضمة، و قال قوم: الأصل فيها التخفيف، و إنما ثقل للاتباع، قال الزجاج: هذا خطأ لأن الكلام وضع على الإيجاز بالتخفيف عن الثقيل.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» قيل «۱» فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سيبويه: كان القوم شاهدوا علماً: و حكمة، و مغفرة، و تفضلا، فقيل لهم: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» لم يزل على ما شاهدتم عليه «۲».

و الثانى- قال الحسن: كان اللَّه عليما بالأشياء قبل حدوثها، حكيما فيما يقدره و يدبره منها.

الثالث- قال بعضهم: الخبر عن هذه الأشياء بالمضى، كالخبر بالاستقبال و الحال، لأن الأشياء عند اللَّه على كل حال فيما مضى و ما يستقبل.

و إنما قال فى تثنية الأب و الأم: أبوان تغليباً للفظ الأب، و يقال أيضاً للأم أبة، و لا يلزم على ذلك أن يقال: فى ابن و ابنة: ابنان، لأنه يوهم، فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۲]..... ص: ۱۳۳

اشارة

وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (۱۲)

---

(۱) المطبوعة (فيدخل) بدل (قيل).

(۲) هكذا فى المخطوطة و المطبوعة و العبارة فيها ما ترى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۴

- آية بلا- خلاف-. قوله: «وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» لا خلاف أن للزوج نصف ما تترك الزوجة إذا لم يكن لها ولد، فان كان لها ولد فله الربع أيضاً بلا خلاف سواء كان الولد منه أو من غيره، و إن كان ولد لا يرث لكونه مملوكا، أو كافراً، أو قاتلا، فلا يحجب الزوج من النصف إلى الربع، و وجوده كعدمه.

و كذلك حكم الزوجة، لها الربع إذا لم يكن للزوج ولد، على ما قلناه فى الزوجة سواء، فان كان له ولد، كان لها الثمن، و ما تستحقه الزوجة إن كانت واحدة فهو لها، و إن كن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهن أكثر من ذلك بلا خلاف، و لا يستحق الزوج أقل من الربع فى حال من الأحوال، و لا الزوجة أقل من الثمن على وجه من الوجوه، و لا يدخل عليهما النقصان، و كذلك الأبوان لا ينقصان فى حال من الأحوال من السدسين، لأن العول عندنا باطل على ما بيناه فى مسائل الخلاف. و كل من ذكر اللَّه له فرضاً، فإنما يستحقه

إذا أخرج من التركة الكفن، و الدين، و الوصية، فان استغرق الدين المال لم تنفذ الوصية، و لا ميراث، و إن بقى نفذت الوصية، ما لم تزد على ثلث ما يبقى بعد الدين، فان زادت ردت إلى الثلث.

و قوله: (وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) يعنى من الأم، بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۵

الاعراب:..... ص: ۱۳۵

(و كلالة) نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- على أنه مصدر وقع موقع الحال، و تكون كان تامة، و تقديره: يورث متكلل النسب كلالة.

و الثانى- بان يكون خبر كان، ذكره الرمانى، و البلخى، و تقديره (فان كان) (رجل) اسم كان و يورث: صفته. و كلالة خبره. و الأول هو الوجه، لأن (يورث) هو الذى اقتضى ذكر الكلالة، كما تقول: يورث هذا الرجل كلالة، بخلاف من يورث ميراث الصلب، و يورث كلالة عصبة و غير عصبة.

المعنى:..... ص: ۱۳۵

و اختلفوا فى معنى الكلالة، فقال أبو بكر و عمر، و ابن عباس، و ابن زيد، و قتادة، و الزهرى، و ابن إسحاق: هو ما عدا الوالد و الولد «۱» . و روى عن ابن عباس فى رواية أخرى، أن الكلالة ما عدا الوالد «۲»، و ورث الاخوة من الأم السدس مع الأبوين، و هذا خلاف إجماع أهل الاعصار. و قال ابن زيد:

الميت يسمى كلالة. و قال جابر، و ابن زيد: من عدا الوالد و الولد من الورثة يسمى كلالة، فعلى هذا يسمى الزوج و الزوجة كلالة، و قال قوم: الكلالة هو الميت الذى لا ولد له، و لا والد.

و عندنا أن الكلالة هم الاخوة و الأخوات، فمن ذكر فى هذه الآية هو من كان من قبل الأم، و من ذكر فى آخر السورة فهو من قبل الأب و الأم، أو من قبل الأب.

اللغة:..... ص: ۱۳۵

و أصل الكلالة: الاحاطة، فمنه الإكليل، لاحاطته بالرأس، و منه الكل

(۱، ۲) فى المخطوطة (ما عدا الولد) فى الموضعين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۶

لاحاطته بالعدد، و الكلالة لاحاطتها بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد، و منه الكلال، لأنه تعب قد أحاط.

و قال أبو مسلم: أصلها من كل إذا أعيا، فكأنه تناول الميراث من بُعدٍ على كلا و إعياء. و قال الحسين بن على المغربى: أصله عندى ما تركه الإنسان وراء ظهره، مأخوذاً من الكلالة، و هى مصدر الأكل، و هو الظهر، و قال: قرأت على أبى أسامة فى كتاب الجحيم، لأبى عمرو الشيبانى: تقول العرب: و لانى فلان أكله على وزن أظله، أي: و لانى ظهره، قال و هذا الاسم تعرفه العرب، و تخبر به عن جملة النسب و الوارثة، قال عامر بن الطفيل:

و أني و ان كنت ابن فارس عامر و فى السر منها و الصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن كلالة أبى اللَّه ان أسموا بأم و لا أب «۱»

هكذا أنشده الرازى فى كتابه، و ينشد عن وارثة. و قال زياد بن زيد العذرى:

و لم أرث المجد التليد كلالة و لم يأن منى فترة لعقيب

و الكل الثقل، و يقولون لابن الأخ و من يجرى مجراه، ممن يعال على وجه التبرع: هـذا كلى، و من قال: إن الأب لا يدخل فى الكلالة استدل بقول الشاعر:

فان أبا المرء أحمى له و مولى الكلالة لا يغضب «۲»

فأفرد الأب من الكلالة. و لا خلاف أن الاخوة و الأخوات من الأم يتساوون فى الميراث.

الاعراب:..... ص: ۱۳۶

و قوله: «وصية» نصب على المصدر بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» وصية و قال الفراء: نصب بقوله: «فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ» وصية كما تقول: لك درهمان نفقة إلى أهلك، و الأول

---

(۱) اللسان (كلل).

(۲) اللسان (كل).

أعم فائـدة، و أولى. و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ» معناه هاهنا: عليم بمصالـح خلقه، حليم بامهال من يعصـيه، فلا يغتر مغتر بامهاله. و قوله: «وَ إِنْ كـانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ» ثم قـال: «وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ» و لم يقـل: لهمـا، كمـا تقول: من كان له أخ أو أخت فليصـله، و يجوز: فليصـلها، و يجوز: فليصـلهما، فالأول يرد الكناية إلى الأخ، و الثانى على الاخت، و الثالث عليهما، كل ذلك حسن. و قوله: «غَيْرَ مُضَارٍّ» نصب على الحال، يعنى: يوصـى بذلك غير مضار. و قال الزجاج: يجوز أن يكون نصـباً على أنه مفعول به. و حكى البلخى عن أبى عبيدة، و ذكره الزجاج:

«يورث» بكسر الراء، قال: و معناه من ليس بولد و لا والد، و من نصب الراء أراد المصدر.

المعنى:..... ص: ۱۳۷

و مسائل المواريث و فروعها بسطناها فى النهاية و المبسوط، و أوجزناها فى الإيجاز، فى الفرائض، لا نطول بذكرها فى الكتاب، غير أنا نعقـد هاهنا جملـة تـدل على المـذهب فنقول: الميراث يسـتحق بشـيئين: نسب و سـبب، فالسـبب الزوجيـة، و الولاء، و الولاء على ثلاثة أقسام: ولاء العتق، و ولاء تضـمن الجريرة، و ولاء الامامـة، و لا يسـتحق الميراث بالولاء إلا مع عدم ذوى الأنساب. و الميراث بالزوجية ثابت مع جميع الوراث، سواء ورثوا بالفرض أو بالقرابـة، و لا ينقص الزوج عن الربع فى حال، و لا يزاد على النصف، و الزوجـة لا تزاد على الربع، و لا تنقص من الثمن على وجه.

و الميراث بالنسب يستحق على وجهين: بالفرض، و القرابة، فالميراث بالفرض لا يجتمع فيه إلا من كانت قرباه واحدة إلى الميت، مثل البنت أو البنات مع الوالـدين أو أحـدهما، فانه متى انفرد واحـد منهم أخذ المال كله، بعضه بالفرض، و الباقى بالرد، و إذا اجتمعا أخذ كل واحد منهم ما سمى له، و الباقى يرد عليهم، إن

فضـل. على قـدر سـهامهم، و ان نقص، لمزاحمـة الزوج أو الزوجـة لهـم، كـان النقص داخلاـ على البنـت أو البنـات، دون الأـبوين، أو أحدهما، و دون الزوج و الزوجة.

و لا- یجتمع مع الأولاد، و لا مع الوالدین، و لا مع أحدهما أحد ممن یتقرب لهما، کالکلالتین فإنهما لا تجتمعان مع الأولاد، ذکوراً کانوا أو إناثاً، و لا مع الوالدین، و لا مع أحدهما أباً کان أو أماً، بل تجتمع کلالهٔ الأب و کلالهٔ الأم، فکلالهٔ الأم إن کان واحداً کان له السدس، و إن کانا إثنین فصاعداً کان لهم الثلث، لا ینقصون منه، و الباقی لکلالهٔ الأب، فان زاحمهم الزوج أو الزوجهٔ دخل النقص علی کلالهٔ الأب دون کلالهٔ الأم، و لا تجتمع کلالهٔ الأب و الأم مع کلاله الأب خاصهٔ، فان اجتمعا کان المال لکلالهٔ الأب و الأم، دون کلالهٔ الأب، ذکراً کان أو أنثی، أو ذکوراً، أو أناثاً، أو ذکوراً و أناثا «۱» و من یورث بالقرابهٔ دون الفرض لا یجتمع إلا [مع «۲» من کانت قرباه واحدهٔ، و أسبابه و درجته متساویهٔ، فعلی هذا لا یجتمع مع الولد للصلب ولد الولد، ذکراً کان ولد الصلب أو أنثی، لأنه أقرب بدرجهٔ، و کذلک لا یجتمع مع الأبوین و لا مع أحدهما من یتقرب بهما من الاخوهٔ و الأخوات، و الجد و الجدهٔ علی حال، و لا یجتمع الجد و الجدهٔ مع الولد للصلب، و لا مع ولد الولد و إن نزلوا، و یجتمع الأبوان مع ولد الولد و إن نزلوا، لأنهم بمنزلهٔ الولد للصلب، إذا لم یکن ولد الصلب، و الجد و الجدهٔ یجتمعان مع الاخوهٔ و الأخوات، لأنهم فی درجهٔ واحدهٔ «۳» و الجد من قبل الأب بمنزلهٔ الأخ من قبله، و الجدهٔ من قبله بمنزلهٔ الأخت من قبله، و الجد من قبل الأم بمنزلهٔ الأخ من قبلها، و الجدهٔ من قبلها بمنزلهٔ الأخت من قبلها، و أولاد الاخوهٔ و الأخوات یقاسمون الجد و الجدهٔ، لأنهم بمنزلهٔ آبائهم، و لا یجتمع مع الجد و الجدهٔ من یتقرب بهما من العم و العمهٔ، و الخال و الخالهٔ، و لا الجد الأعلی،

---

(۱) (أو ذکورا و أناثا) ساقطهٔ من المطبوعهٔ.

(۲) (مع) ساقطهٔ من المطبوعهٔ. [.....]

(۳) فی المطبوعهٔ (د ج و الجد) بإسقاط واحدهٔ و التأنیث من درجهٔ.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۹

و لا الجدهٔ العلیا، و علی هذا تجری جملهٔ المواریث، فان فروعها لا تنحصر، و فیما ذکرناه تنبیه علی ما لم نذکره.

و أما المسائل التی اختلف قول الصحابهٔ فیها، فقد ذکرناها فی خلاف الفقهاء، فلا وجه لذکرها هاهنا، لأنه یطول به الکتاب.

قوله تعالی:[سورهٔ النساء (۴): الآیات ۱۳ الی ۱۴]..... ص: ۱۳۹

اشارهٔ

تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۱۳) وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِیها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِینٌ (۱۴)

– آیتان بلا خلاف–.

القراءهٔ، و الحجهٔ:..... ص: ۱۳۹

قرأ نافع، و ابن عامر: ندخله بالنون فی الموضعین، الباقون بالیاء، فمن قرأ بالیاء فلأن ما تقدم لفظ الغائب و من قرأ بالنون عدل عن خطاب الغائب إلی الاخبار عن اللَّه بنون العظمهٔ، کما قال: «بَلِ اللَّهُ مَوْلاکُمْ» «۱» و قال بعده:

«سنلقی» فعدل عن الغائب.

المعنی، و الاعراب:..... ص: ۱۳۹

قال الفراء، و الزجاج: معنى (تلك) هـذه، كأنه قال هـذه حـدود اللَّه و اختلفوا فى معنى الحدود، فقال السدى: تلك شروط الله، و قال ابن عباس: تلك طاعة الله، و قال قوم: تلك فرائض اللَّه و أمره، و قال قوم: تلك تفصيلات اللَّه لفرائضه، و هو الأقوى، لأن أصل الحد هو الفصل، مأخوذاً من حـدود الـدار التى تفصلها من غيرها، فمعنى الآيـة: هذه القسـمة التى قسـمها اللَّه لكم، و الفرائض التى فرضـها لأحيائكم من

---

(۱) سورة آل عمران: آية ۱۵۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۰

أمـواتكم حـدود اللَّه، يعنى فصول بين طاعـة اللَّه و معصـيته على مـا قـال ابن عبـاس، و المعنى تلـك حـدود طاعـة اللَّه، و انمـا اختص لوضوح المعنى للمخاطبين.

فان قيل: إذا كان ما تقدم ذكره دل على أنها حدود اللَّه، فما الفائدة فى هذا القول؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- للتأكيد، و الثانى- أن الوجه فى إعادته ما علق به من الوعد و الوعيد الصريح.

فان قيل: لم خصت الطاعـة فى قسـمة الميراث بالوعـد، مع أنه واجب فى كل طاعة إذا فعلت لوجه الوجوب؟ قلنا: للبيان عن عظم موقع هـذه الطاعة، مع التذكير بما يستحق عليها ترغيباً فيها بوعد مقطوع. و قوله: «يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها» نصب على الحال. قال الزجاج و التقدير:

يدخلهم مقدرين الخلود فيها، و الحال يستقبل فيها، كما تقول: مررت برجل معه باز، صائداً به غدا، أى يقدر الصيد به غدا. و قوله: «وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معنـاه الفلاح العظيم، فوصـفه بأنه عظيم و لم يبين بالاضافـة إلى ما ذا، لأن المراد به أنه عظيم بالاضافـة إلى منفعة الخيانـة فى التركـة، من حيث كان أمر الـدنيا حقيراً بالاضافـة إلى أمر الآخرة. و قوله: «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ» معناه يعصى اللَّه فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى، «وَ يَتَعَدَّ» معناه:

يتجاوز ما بين له، «يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ» و خالدا نصب على أحد وجهين.

أحدهما- أن يكون حالا من الهاء فى يدخله.

و الآخرة- أن يكون صـفة لنار فى قول الزجاج، كقولك: زيـد مررت بدار ساكن فيها، على حذف الضـمير، و التقدير: ساكن هو فيها، لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت: يسكن فيها.

و استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن فاسق أهل الصلاة مخلد فى النار، و معاقب لا محالة، و هذا لا دلالة لهم فيه من وجوه، لأن قوله: «وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ» إشارة التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۱

إلى من يتعدى جميع حدود اللَّه، و من كان كذلك فعندنا يكون كافراً، و أيضاً فلا خلاف أن الآية مخصوصة بصاحب الصغيرة، و إن كـان فعـل المعصـية، و تعـدى حـداً فـانه خـارج منها، فان جاز لهم إخراج الصـغيرة منها لـدليل، جاز لنا أن نخرج من يتفضل اللَّه عليه بالعفو، أو يشـفع فيه النبى (ص). و أيضاً فان التائب لا بـد من إخراجه من هـذه الآيـة لقيام الدلالـة على وجوب قبول التوبـة، فكـذلك يجب أن يشترط من يتفضل اللَّه بإسقاط عقابه، فان قالوا: قبول التوبة واجب، و العفو ليس بواجب، قلنا: قبول التوبة واجب إذا حصلت، و كذلك سقوط العقاب واجب إذا حصل العفو، فان قالوا: يجوز أن لا يختار اللَّه العفو، قلنا:

و كـذلك يجوز ألا يختار العاصـى التوبـة، فان جعلوا الآيـة دالـة على أن اللَّه لا يختار العفو، جاز لغيرهـم أن يجعل الآيـة دالـة على أن العاصـى لا يختار التوبـة، على أن هذه الآية معارضة بآيات كثيرة، فى وقوع العفو، كقوله: «وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ» «۱» على ما سنبينه فيما بعـد. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» «۲» و قوله: «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَـذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» «۳» فان شرطوا فى آياتنا التوبـة، شـرطنا فى آيـاتهم ارتفـاع العفو، و الكلام فى ذلك مستقصـىً فى الوعيـد، لا نطول بـذكره هـذا الكتاب. و يمكن- مع تسليم

ذلک- أن تحمل الآية على من يتعدى الحدود مستحلا لها، فانه يكون كافراً، و يتناوله الوعيد، على أن عند كثير من المرجئة العموم لا صيغة له، فمن أين ان (من) يفيد جميع العصاة؟

و ما المنكر أن تكون الآية مختصة بالكفار.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١۵]..... ص: ١۴١

وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (١۵)

---

(١) سورة النساء: آية ۴٧، ١١۵.

(٢) سورة الزمر: آية ۶٣.

(٣) سورة الرعد: آية ٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١۴٢

- آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ١۴٢

قال أكثر المفسرين، كالضحاك، و ابن زيد، و الجبائی، و البلخی، و الزجاج، و مجاهد، و ابن عباس، و قتادة، و السدی: إن هذه الآية منسوخة، لأنه كان الفرض الأول أن المرأة إذا زنت و قامت عليها البينة بذلك، أربعة شهود، أن تحبس فی البيت أبداً حتى تموت، ثم نسخ ذلک بالرجم فی المحصنين، و الجلد فی البكرين.

و اللاتی جمع التی، و كذلک اللواتی، قال الشاعر:

من اللواتی و التی و اللاتی زعمن أن كبرت لداتی «١»

و يجمع اللاتی بإثبات الياء و بحذفها، قال الشاعر:

من اللات لم يحججن يبغين حسبة و لكن ليقتلن البریء المغفلا «٢»

و قوله: «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» قيل فی معنى السبيل ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و عبد اللَّه بن كثير، أنه الجلد للبكر مائة، و للثيب المحصن الرجم، و إذا جلد البكر فانه ينفى سنة عندنا، و به قال الحسن، و قتادة، و فيه خلاف ذكرناه فی الخلاف.

و [الثانی - قال الجبائی: النفی يجوز من طريق اجتهاد الامام، و أما من وجب عليه الرجم فانه يجلد أولا ثم يرجم عند أكثر أصحابنا، و به قال الحسن، و قتادة، و عبادة بن الصامت، و جماعة ذكرناهم فی الخلاف. و فی أصحابنا من يقول: ذلک يختص الشيخ و الشيخة، فإذا لم يكونا كذلک فليس عليهما غير الرجم، و أكثر الفقهاء على أنهما لا يجتمعان، و ثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر على وجه لا يختلج فيه شک، و عليه اجماع الطائفة، بل اجماع الأمة، و لم يخالف فيه إلا الخوارج، و هم لا يعتقد بخلافهم. و قوله: «يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ» يعنی بالفاحشة،

---

(١) اللسان (لنا) و الصحاح، و التاج. و مجاز القرآن ١: ١١٩ و خزانة الأدب و غيرها و لم يعرف قائله.

(۲) نسبه أبو عبيدة الى عمر بن أبى ربيعة و لم نجده فى ديوانه، و نسب الى الحارث بن خلد فى بعض النسخ. مجاز القرآن ۱: ۱۲۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۳

و حذف الباء كما يقولون: أتيت أمراً عظيما، أى: بأمر عظيم، و تكلمت كلاماً قبيحاً، أى بكلام قبيح. و قال أبو مسلم: «وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ» قال: هما المرأة تخلوا بالمرأة فى الفاحشة المذكورة عنهن، «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» فالتزويج و الاستغناء بالحلال، و هذا قول مخالف للإجماع، و لما عليه المفسرون، فإنهم لا يختلفون

أن الفاحشة المذكورة فى الآية الزنا، و أن هذا الحكم منسوخ، و هو المروى عن أبى جعفر (ع) و أبى عبد اللَّه (ع).

و لما نزل قوله: «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» «۱» قال النبى (ص): قد جعل اللَّه لهن سبيلا، البكر بالبكر، جلد مائة و تغريب عام، و الثيب بالثيب الجلد ثم الرجم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶]..... ص: ۱۴۳

اشارة

وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً (۱۶)

- آية بلا خلاف-.

القراءة، و اللغة:..... ص: ۱۴۳

قرأ ابن كثير: (و اللذان) بتشديد النون، و كذلك: (هذان) (و فذانك) و وافقه أبو عمرو فى: فذانك. الباقون بالتخفيف، قال أبو على: من شدد النون فوجهه أنه عوض من الحذف الذى لحق الكلمة، لأن قولهم: (ذا) قد حذف لامها، و قد حذف الياء من اللذان فى التثنية، لأن أصله اللذيان، فعوض عن ذلك التشديد، و فى العرب من يقول: اللذ بلا ياء، و فى التثنية اللذا، و فى الجمع اللذو، و للمرأة اللت، و اللتا، و اللات، بلا ياء، وطى تقول مكان الذى: ذو، و مكان التى: ذات.

المعنى:..... ص: ۱۴۳

و المعنى بقوله: (اللذان) فيه ثلاثة أقوال:

---

(۱) سورة النور: آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۴

أولها- قال الحسن، و عطا: الرجل و المرأة، و قال السدى و ابن زيد:

هما البكران من الرجال و النساء، و قال مجاهد: هما الرجلان الزانيان، قال الرمانى:

قول مجاهد لا يصح، لأنه لو كان كذلك لم يكن للتثنية معنى، لأنه إنما يجيء الوعد و الوعيد بلفظ الجمع، لأنه لكل واحد منهم، أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس الذى يعم جميعهم، و أما التثنية فلا فائدة فيها، قال: و الأول أظهر. قال أبو مسلم:

هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما،

و روى عن النبى (ص) أنه قال: السحاق زناء النساء بينهن، و مباشرة الرجل للرجل زناء، و مباشرة المرأة للمرأة زناء

، قـال: و لاـ يعرف فى كلاـم العرب جمع بين الـذكر و الأـنثى فى لفـظ التـذكير إلاـ إذا تقـدمه ما يـدل عليه، كقوله: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» ثم قال: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» «١» و إلى هـذا التأويل فى معنى الرجلين ذهب أهل العراق، فلا يحـدون للوطى، و هذا قول بعيد، و الـذى عليه جمهور المفسرين أن الفاحشـة الزنـا، و أن الحكم المـذكور فى الآيـة منسوخ بالحـد المفروض فى سورة النور، ذهب إليه الحسن، و مجاهـد، و قتـادة، و السـدى، و ابن زيـد، و الضـحاك، و البلخى، و الجبائى، و الطبرى، و الزجاج، و غيرهم. و بعضـهم قال: نسخها الحدود بالرجم أو الجلد.

و قوله: «فَآذُوهُما» قيل فى معناه قولان:

أحـدهما- قال ابن عباس: هو التغيير باللسان، و الضـرب بالنعال. و قال قتادة، و السـدى، و مجاهـد: هو التعيير و التوبيخ، فان قيل: كيف ذكر الأذى بعد الحبس؟ قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أحـدها- قال الحسن إن هـذه الآية نزلت أولا، ثم أمر بأن توضع فى التلاوة بعد، فكان الأذى أولا، ثم الحبس، بعد ذلك، ثم «٢» نسخ الحبس بالجلد أو بالرجم.

الثانى- قال السدى: انه فى البكرين خاصة، دون الثيبين، و الأولى فى

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٥.

(٢) (ثم) ساقطة من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٤٥

الثيبين دون البكرين.

و الثالث- قال الفراء: هذه الآية نسخت الاولى، قال أبو على الجبائى:

فى الآيـة دلالـة على نسخ القرآن بالسـنة، لأنها نسـخت بالرجم أو الجلد، و الرجم ثبت بالسـنة، و من خالف فى ذلك يقول: هذه الآية نسـخت بالجلـد فى الزنـا، و أضيف إليه الرجم زيـادة لاـ نسـخاً، فلم يثبت نسـخ القرآن بالسـنة. فأمـا الأذى المـذكور فى الآيـة، فليس بمنسوخ، فـان الزانى يؤذى و يعنف، و يوبـخ على فعله، و يـذم. و إنمـا لا يقتصـر عليه، فزيـد فى الأذى إقامـة الحـد عليه، و إنما نسـخ الاقتصار عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٧]..... ص: ١۴۵

اشارة

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧)

- آية واحدة-.

المعنى:..... ص: ١۴۵

التوبـة هى النـدم على القبيـح مع العزم على ألا يعود إلى مثله فى القبـح، و فى الناس من قال: يكفى النـدم على ما مضـى من القبيح، و العزم على ألا يعود إلى مثله، و الاول أقوى، لإجماع الأمة على أنها إذا حصـلت على ذلك الوجه أسـقطت العقاب، و إذا حصلت على الوجه الثانى ففى سـقوط العقاب عنها خلاف، و قـد ذكر اللَّه تعالى فى هـذه الآية أن التوبة إنما يقبلها ممن يعمل السوء بجهالة، و قيل فى معنى بجهالة أربعة أقوال:

أحدها- قال مجاهد، و قتادة، و ابن عباس، و عطاء و ابن زيد: هو أن يفعلوها على جهة المعصية للّه تعالى، لأن كل معصية لها جهالة، لأنه يدعو اليها الجهل، و يزينها للعبد، و إن كانت عمدا.

الثانى- بجهالة، أى بحال كحال الجهالة، التى لا يعلم صاحبها ما عليه فى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۶

مثلها من المضرة.

الثالث. قال الفراء: معنى (بجهالة) أى لا يعلمون كله ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشيء ضرورة.

الرابع- (بجهالة) أى و هم يجهلون أنها ذنوب و معاصى، اختاره الجبائى، قال: يفعلونها بجهالة إما بتأويل يخطئون فيه، أو بان يفرطوا فى الاستدلال على قبحها، قال الرمانى:

هذا ضعيف، لأنه تأويل بخلاف ما أجمع عليه المفسرون، قال أبو العالية: إن أصحاب رسول اللّه (ص) كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فبجهالة، و قال قتادة:

أجمع أصحاب رسول اللّه (ص) على ذلك، و أيضاً فانه يوجب أن من علم أنها ذنوب أن لا يكون له توبة، لأن قوله: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ» يفيد أنه لهؤلاء دون غيرهم، و ظاهر الآية يدل على أن اللّه يقبل التوبة من جميع المعاصى كفراً كان أو قتلا أو غيرهما من المعاصى، و يقربه أيضاً قوله: «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...» إلى قوله: «إِلَّا مَنْ تابَ» «۱» فاستثنى من القتل، كما استثنى من الزنا و الشرك، و حكى عن الحسن أنه قال: لا يقبل اللّه توبة القاتل. و روى أنه إنما قال ذلك لرجل كان عزم على قتل رجل على أن يتوب فيما بعد، فأراد صده عن ذلك. و قوله «فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» بعد قوله «ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» معناه إن اللّه يقبل توبتهم إذا تابوا و أتابوا، و قوله: «من قريب» حث على أن التوبة يجب أن تكون عقيب المعصية، خوفا من الاخترام، و ليس المراد بذلك أنها لو تأخرت لما قبلت. و قال الزجاج: معناه ثم يتوبون قبل الموت، لأن ما بين الإنسان و بين الموت قريب، و التوبة مقبولة قبل اليقين بالموت. و قال الحسن، و الضحاك، و ابن عمر: القريب ما لم يعاين الموت.

و قال على (ع)، و قد قيل له: فان عاد؟ قال: يغفر اللّه له و يتوب، مراراً، قيل:

إلى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور.

و قال السدى، و ابن عباس:

فى حال الصحة قبل الموت. و قوله: «وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» معناه هاهنا: و كان اللّه

---

(۱) سورة الفرقان: آية ۶۸- ۷۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۴۷

عليما بتوبتهم إن تابوا، و إصرارهم إن أصروا، حكيما فى مؤاخذتهم إن لم يتوبوا.

و روى عن النبى (ص) انه قال: لما هبط إبليس قال: و عزتك و عظمتك، لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده، فقال اللّه: و عزتى و عظمتى لا أحجب التوبة عن عبدى حتى يغرغر.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۸]..... ص: ۱۴۷

اشارة

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۸)

آیۀ واحدۀ-.

المعنى:..... ص: ۱۴۷

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآیۀ أنه لا یقبل التوبۀ من الذى یعمل المعاصى حتى إذا حضره الموت قال: إنى تبت الآن، و أجمع أهل التأویل على أن الآیۀ تناولت عصاۀ أهل الصلاۀ، إلا ما حکى عن الربیع أنه قال: إنها فى المنافقین، و هذا غلط لأن المنافقین کفار، و قد بین اللَّه الکفار بقوله. «وَ لَا الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفَّارٌ» و قال الربیع أیضاً: إن الآیۀ منسوخۀ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ» «۱» . و هذا خطأ لأن النسخ لا یدخل فى الخبر الذى یجرى هذا المجرى، و من جوز العفو بلا توبۀ یمکنه أن یقول: إن التوبۀ التى وعد اللَّه بإسقاط العقاب عندها قطعا متى حصلت فى هذا الوقت لا یسقط العقاب، و لا یمنع ذلک من أن یتفضل اللَّه بإسقاط العقاب ابتداء بلا توبۀ، کما لو خرج من دار الدنیا من غیر توبۀ أصلا، لم یمنع ذلک من جواز العفو عنه، فلیس فى الآیۀ ما ینافى القول بجواز العفو من غیر توبۀ. و قال جمیع المفسرین، کابن عباس، و ابن عمر، و ابراهیم، و ابن زید، و غیرهم: إن الذین یحتضرون لا تقبل لهم توبۀ، غیر إن الذین یحضرون المیت لا یعرفون تلک الحال معرفۀ یمکن

---

(۱) سورۀ النساء: آیۀ ۴۷.

التبیان فى تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۴۸

بها الاشارۀ إلیها. فان قیل: فلم لم تقبل التوبۀ فى الآخرۀ؟ قیل: لرفع التکلیف، و حصول الالجاج إلى فعل الحسن دون القبیح، و الملجأ لا یستحق بفعله ثواباً و لا عقابا، لأنه یجرى مجرى الاضطرار. و حکى الرمانى عن قوم أنهم قالوا بتکلیف أهل الآخرۀ، و ان التوبۀ إنما لم یجب قبولها، لأن صاحبها هناک فى مثل حال المتعوذ بها، لا المخلص فیها و هذا خطأ، لأن اللَّه تعالى یعلم أسرارهم کما یعلم إعلانهم. و قوله: «أُولئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِیماً» معناه أعددنا، و قال قوم:

التاء بدل من الدال، و قال آخرون هو أفعلنا من العتاد، و معناه أعددنا، و عتاد الرجل: عدته، و هو الأصل. و الشیء العتید هو المعد، و العتیدۀ: طلبۀ معدۀ للطیب، و معنى إعداد العذاب لهم، إنما هو بخلق النار التى هى مصیرهم. و الألیم بمعنى المؤلم. و لیس فى الآیۀ ما یمنع من جواز العفو عن مرتکبى الکبائر بلا توبۀ، لأن قوله: (أولئک) یحتمل أن یکون راجعاً إلى الکفار لأنه جرى ذکر الکفار و هم أقرب إلى أولئک من ذکر الفساق، و یحتمل أن یکون التقدیر: أعتدنا لهم عذاباً، إن لم نشأ العفو عنهم، و تکون الفائدۀ فیه إعلامهم ما یستحقونه من العذاب، و ألا یأمنوا أن یفعل بهم ذلک، و إن کان تعالى یعلم هل یعفو أو لا یعفو.

قوله تعالى:[سورۀ النساء (۴): آیۀ ۱۹]..... ص: ۱۴۸

اشارۀ

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ کَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَیْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ یَأْتِینَ بِفاحِشَۀٍ مُبَیِّنَۀٍ وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ یَجْعَلَ اللَّهُ فِیهِ خَیْراً کَثِیراً (۱۹)

آیۀ بلا خلاف-.

القراءۀ و اللغۀ:..... ص: ۱۴۸

قرأ (بفاحشة مبينة) بفتح الياء، ابن كثير، و أبو بكر، عن عاصم.

الباقون بالكسر، و هو الأقوى، لأنه لا يقصد إلى إظهارها. و قرأ حمزة و الكسائى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١۴٩

(كرهاً) بضم الكاف هنا و فى التوبة و الأحقاف، وافقهما فى الأحقاف عاصم، و ابن عامر، إلا الحلوانى، و يعقوب.

الكره و الكُره لغتان، مثل الشهيد و الشُهد، و الضعف و الضعف، و الفقر و الفقر.

المعنى:..... ص: ١۴٩

هذا الخطاب متوجه إلى المؤمنين، نهاهم اللَّه أن يرثوا النساء كرها، و اختلفوا فى معنى ذلك، فقال الزهرى، و الجبائى، و غيرهما، و روى ذلك عن أبى جعفر (ع): هو أن يحبس الرجل المرأة عنده، لا حاجة له اليها، و ينتظر موتها حتى يرثها.

فنهى اللَّه (تعالى) عن ذلك.

و قال الحسن، و مجاهد:

معناه ما كان يعمله أهل الجاهلية، من أن الرجل إذا مات، و ترك امرأته قال وليه: ورثت امرأته، كما ورثت ماله، فان شاء تزوجها بالصداق الأول، و لا يعطيها شيئاً، و إن شاء زوجها و أخذ صداقها، و روى ذلك أبو الجارود، عن أبى جعفر (ع).

و قال مجاهد: إذا لم يكن الولى ابنها قال أبو مجلز: و كان أولى بالميراث أولى بها من ولى نفسها. و قوله:

«وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ» قيل فيمن عنى بهذا النهى أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و قتادة، و السدى، و الضحاك: هو الزوج أمره اللَّه بتخلية السبيل إذا لم يكن له فيها حاجة، و لا يمسكها إضراراً بها، حتى تقتدى ببعض مالها.

و الثانى- قال الحسن: هو الوارث، نهى عن منع المرأة من التزويج، كما يفعل أهل الجاهلية على ما بيناه.

و الثالث- قال مجاهد: المراد الولى.

الرابع- قال ابن زيد: المطلق يمنعها من التزويج، كما كانت تفعل قريش فى الجاهلية، ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة، فإذا لم توافقه فارقها، على أن لا تتزوج إلا باذنه، فيشهد عليها بذلك، و يكتب كتاباً، فإذا خطبها خاطب، فان أعطته التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١۵٠

و أرضته، أذن له و إن لم تعطه عضلها، فنهى اللَّه عن ذلك. و الأول أظهر الأقاويل.

اللغة:..... ص: ١۵٠

و العضل هو التضييق بالمنع من التزويج، و أصله الامتناع، يقال: عضلت الدجاجة ببيضتها: إذا عسرت عليها، و منه العضلة: لصلابتها، و منه الداء العضال إذا لم يبرء، و عضل الفضا بالجيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه.

المعنى:..... ص: ١۵٠

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و أبو قلابة، و السدى: يعنى الزنا، و قالوا إذا أطلع منها على زينة فله أخذ الفدية.

و الثانى- قال ابن عباس، و الضحاك، و قتادة:

هو النشوز، و الأولى حمل الآية على كل معصية، لأن العموم يقتضى ذلك، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

و اختاره الطبرى. و قوله: «وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» قال السدى: معناه خالطوهن، و خالقوهن، من العشرة التى هى المصاحبة بما أمركم اللَّه به من المصاحبة، بأداء حقوقهن التى أوجبها على الرجال، أو تسريح بإحسان. و قوله: «فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً» يعنى فى إمساكهن على كره منكم «خَيْراً كَثِيراً» من ولد يرزقكم، أو عطفكم عليهن بعد الكراهية، و به قال ابن عباس، و مجاهد.

الاعراب:..... ص: ١٥٠

و الهاء فى فيه، يحتمل أن ترجع إلى الشىء فى قوله: «أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً» و يحتمل أن تكون راجعة إلى الذى يكرهونه. و قوله: «وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ» يحتمل أن يكون جزماً بالنهى، و يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على قوله: «لا يَحِلُّ لَكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥١
أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ»
و فى قراءة عبد اللَّه: «و لا أن تعضلوهن» بإثبات أن.

النزول:..... ص: ١٥١

و قيل فى سبب نزول هذه الآية أن أبا قيس بين الأسلت لما مات عن زوجته كبشة بنت معن بن عاصم، أراد ابنه أن يتزوجها، فجاءت إلى النبى (ص) فقالت:
يا نبى اللَّه: لا أنا ورثت زوجى، و لا أنا تركت فأنكح، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو جعفر عليه السلام
، و غيره.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٠]..... ص: ١٥١

اشارة

وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (٢٠)
- آية-

المعنى:..... ص: ١٥١

أخذ مال المرأة، و إن كان محرماً على كل حال من غير أمرها، فإنما خص اللَّه تعالى الاستبدال بالنهى، لأن مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع، من حيث أن الثانية تقوم مقام الأولى، فيكون لها ما أعطيته الأولى، فبين اللَّه تعالى أن ذلك لا يجوز. و المعنى: إن أردتم تخلية المرأة سواء استبدل مكانها أو لم يستبدل. و قوله: «وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً» معناه: ليس ما آتيتموهن موقوفاً على التمسك بهن، دون تخليتهن، فيكون إذا أردتم الاستبدال جاز لكم أخذه، بل هو تمليك صحيح، لا يجوز الرجوع فيه. و المراد بذلك ما أعطى المرأة مهراً لها، و يكون دخل بها، فأما إذا لم يدخل بها، و طلقها، جاز له أن يسترجع نصف ما أعطاها، فأما ما أعطاها على وجه الهبة، فظاهر الآية يقتضى أنه لا يجوز له الرجوع فى شىء منه. لكن علمنا بالسنة أن ذلك سائغ له، و إن كان مكروهاً.
التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥٢

اللغة:..... ص: ١٥٢

و القنطار المال الكثير. و اختلفوا فى مقداره، فقال بعضهم هو ملء جلد ثور ذهباً، و قال آخرون: هو دية الإنسان، و غير ذلك من الأقوال التى قدمنا ذكرها فيما مضى. و أصل ذلك مأخوذ من القنطرة، و منه القنطرة الداهية، لأنها كالقنطرة فى عظم الصورة، و إحكام البنية. و يقال: قنطر فى الأمر يقنطر: إذا عظمه، بتكثير الكلام فيه، من غير حاجة إليه. و قوله: «أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يعنى بهتاناً ظلماً كالظلم بالبهتان، و قيل بطلاناً كبطلان البهتان.

الثانى- بهتاناً أى بأن تبهتوا أنكم ملكتموه فتسترجعوه «١» و أصل البهتان الكذب الذى يواجه به صاحبه على وجه المكابرة، و أصله التحير، و منه قوله: «فَبُهِتَ الَّذِی كَفَرَ» «٢» أى تحير عند انقطاع حجته، فالبهتان كذب يحير صاحبه. و نصب بهتاناً على أنه حال فى موضع المصدر، و المعنى أ تأخذونه مباهتين و آثمين. و قوله: «مبيناً» أى ظاهرا لا شك فيه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٢١]..... ص: ١٥٢

اشارة

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (٢١)

آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ١٥٢

قيل فى نسخ هذه الآية، و التى قبلها، ثلاثة أقوال:

أحدها- أنها محكمة ليست منسوخة، لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المختلعة، لأن النشوز منها، فالزوج فى حكم المكره لا المختار للاستبدال، و لا

---

(١) فى المطبوعة (لتستوجبوه).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٨. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥٣

يتنافى حكم الآيتين، فلا يحتاج إلى نسخ إحداهما بالأخرى.

الثانى- قال بكر بن عبد اللَّه المرى: هى محكمة، و ليس للزوج لأجل ظاهرها أن يأخذ من المختلعة شيئاً، و لا من غيرها.

الثالث- قال ابن زيد، و السدى: هى منسوخة بقوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» «١» و قيل فى معنى الإفضاء قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: هو كناية عن الجماع.

الثانى- انه الخلوة، و إن لم يجامع، فليس له أن يسترجع نصف المهر، و إنما يجوز ذلك فيمن لم يدخل بها بالخلوة معها. و كلاهما قد رواه أصحابنا، و اختلفوا فيه، و الاول هو الأقوى.

اللغة و المعنى:..... ص: ۱۵۳

و الإفضاء إلى الشيء هو الوصول إليه بالملابسة له، قال الشاعر:

بلى و ثأى أفضى الى كل كتبة بدا سيرها من ظاهر بعد باطن «۲»

أي وصل البلى و الفساد إلى الحزز، و الفضاء السعة، فضا يفضو فضواً و فضاء إذا اتسع، و منه: تمر فضا، مقصور أي مختلط، و قوله: «وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» قيل في معناه أربعة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و ابن سيرين، و الضحاك، و قتادة، و السدي، و الفراء، و هو

المروي عن أبي جعفر (ع) أنه قوله: «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» «۳»

و قال مجاهد، و ابن زيد، هو كلمة نكاح، التي يستحيل بها الفرج.

الثالث-

قول النبي (ص): أخذتموهن بأمانة اللَّه و استحللتم فروجهن

---

(۱) سورة البقرة: آية ۲۲۹.

(۲) لم يعرف قائله. و هو في تفسير الطبري، ۸- ۱۲۴ مشوه محرف و لم نجده في مصادرنا.

(۳) سورة البقرة: آية ۲۲۹.

التبيان في تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۵۴

بكلمة اللَّه.

الرابع- قال قتادة: كان يقال للنكاح في صدر الإسلام الله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان، و هذا الكلام و إن كان ظاهره للاستفهام، فالمراد به التوبيخ، و التهديد، كما يقول القائل لغيره. كيف تفعل هذا و أنا غير راض به، على وجه التهدد له.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۲۲]..... ص: ۱۵۴

اشارة

وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا (۲۲)

المعنى:..... ص: ۱۵۴

قيل في معنى الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة، و عطاء، و عكرمة: إنه حرَّم عليهم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب.

و الثاني- أن يكون «ما نَكَحَ» بمنزلة المصدر، و التقدير: و لا تنكحوا نكاح آبائكم، أي مثل نكاح آبائكم، فعلى هذا يدخل فيه النهي عن حلائل الاباء، و كل نكاح كان لهم فاسداً، و هو اختيار الطبري و قال: إن هذا الوجه أجود، لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال:

لا تنكحوا من نكح آباؤكم، و هذا ليس بطعن، لأنه ذهب به مذهب الجنس، كما يقول القائل: لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء، فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره.

ب (من). و قوله: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» معنى إلا لكن، و كذلك كل استثناء منقطع، كقول القائل: لا تبع من متاعي إلا ما بعت، أي لكن ما

بعت فلا جناح علیک فیه، و قیل فی معنی الآیة قولان:
أحدهما- «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فإنکم لا تؤخذون به.
الثانی- حکاه بعضهم: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فدعوه فهو جائز لکم، قال التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۵۵
البلخی: و هذا لا یجوز بالإجماع. و الهاء فی قوله: «إِنَّهُ کانَ فاحِشَةً» یحتمل أن تکون عائدة إلی النکاح بعد النهی، و یحتمل أن تکون عائدة علی النکاح الذی کان علیه أهل الجاهلیة، قبل، و لا یکون ذلک إلا و قد قامت علیهم الحجة بتحریمه، من جهة الرسل، فالأول اختاره الجبائی، و هو الأقوی، و تکون «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فالسلامة منه الاقلاع عنه بالتوبة و النابة، قال البلخی: و لیس کل نکاح حرمه اللَّه زنا، لأن الزنا هو فعل مخصوص، لا یجری علی طریقة لازمة، و سنة جاریة، و لذلک لا یقال للمشرکین فی الجاهلیة: أولاد زنا، و لا لأولاد أهل الذمة و المعاهدین: أولاد زنا، إذا کان ذلک عقداً بینهم یتعارفونه.

اللغة و الاعراب، و المعنی..... ص: ۱۵۵

و المقت، هو بغض عن أمر قبیح رکبه صاحبه، و هو مقیت، و قد مقت إلی الناس مقاتة، و مقته الناس مقتاً، فهو ممقوت. و قیل إن ولد الرجل من امرأة أبیه کان یسمی المقتی، قال المبرد: کان زائدة، و التقدیر: إنه فاحشة. و قال الزجاج: هذا لیس بصحیح، لأنها لو کانت زائدة لم تعمل، کما قال الشاعر:
فکیف إذا حللت دیار قوم و جیران لنا کانوا کرام
لما کانت زائدة لم تعمل فی الخبر. و قال الرمانی: هی کقوله «وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً» فدخلت کان لتدل علی أنه قبل تلک الحال کذا، و قال الجبائی:
معناه أنه کان فیما مضی أیضاً فاحشة و مقتا، و کان قد قامت الحجة علیهم بذلک. و کل من عقد علیها الأب من النساء تحرم علی الابن، دخل بها الأب، أو لم یدخل، بلا خلاف، فان دخل بها الأب علی وجه السفاح فهل تحرم علی الابن ففیه خلاف. و عموم الآیة یقضی بأنها تحرم علیه، لأن النکاح یعبر به عن الوطی، کما یعبر به عن العقد، فیجب أن یحمل علیهما، و امرأة الأب و إن علا تحرم علی الابن و ان نزل، بلا خلاف. و قوله: «وَ ساءَ سَبِیلًا» أی قبح ذلک السبیل الذی سلکوه سبیلا، و هو نصب علی التمییز.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۵۶

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۲۳]..... ص: ۱۵۶

اشارة

حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمَّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللاَّتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَ أُمَّهاتُ نِسائِکُمْ وَ رَبائِبُکُمُ اللاَّتِی فِی حُجُورِکُمْ مِنْ نِسائِکُمُ اللاَّتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَکُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ وَ حَلائِلُ أَبْنائِکُمُ الَّذِینَ مِنْ أَصْلابِکُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَیْنَ الْأُخْتَیْنِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً (۲۳)
آیة بلا خلاف-.

المعنی:..... ص: ۱۵۶

فی الناس من اعتقد أن هذه الآیة و ما یجری مجراها، کقوله: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةُ» «۱» مجملة لا یمکن التعلق بظاهرها فی تحریم

شيء، و إنما يحتاج إلى بيان قالوا: لأن الأعيان لا تحرم و لا تحل، و إنما يحرم التصرف فيها، و التصرف يختلف، فيحتاج إلى بيان التصرف المحرم، دون التصرف المباح، و الأقوى أنها ليست مجملة، لأن المجل هو ما لا يفهم المراد بعينه بظاهره، و ليست هذه الآية كذلك لأن المفهوم من ظاهرها تحريم العقد عليهن، و الوطى، دون غيرهما من أنواع الفعل، فلا يحتاج إلى البيان مع ذلك، و كذلك قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» المفهوم الأكل، و البيع، دون النظر إليها، أو رميها، و ما جرى مجراهما كيف و قد تقدم هذه الآية ما يكشف عن أن المراد ما بيناه من قوله: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ» فلما قال. بعده: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ» كان المفهوم

---

(١) سورة المائدة: آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥٧

أيضاً تحريم نكاحهن، و قد استوفينا ذلك فى العدة فى أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

قال ابن عباس: حرّم اللّه فى هذه الآية سبعاً بالنسب، و سبعاً بالسبب، فالمحرمات من النسب الأمهات، و يدخل فى ذلك أمهات الأمهات و إن علون، و أمهات الآباء مثل ذلك، و البنات، و يدخل فى ذلك بنات الأولاد و أولاد البنين و أولاد البنات و إن نزلن، و الأخوات، سواء كن لأب و أم أو لأب أو لأم، و كذلك العمات و الخالات، و إن علون، من جهة الأب كن أو من جهة الأم، و بنات الأخ، و بنات الأخت و إن نزلن.

و المحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة، و الأخوات أيضاً من الرضاعة، و كل من يحرم بالسبب يحرم مثله بالرضاع، و

لقوله (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

و أمهات النساء يحرمن بنفس العقد، و إن لم يدخل بالبنت، على قول أكثر الفقهاء، و به قال ابن عباس، و الحسن، و عطاء، و قالوا: هى مبهمة، و خصوا التقييد بقوله: «وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ»

و رووا عن على (ع)، و زيد بن ثابت، أنه يجوز العقد على الأم ما لم يدخل بالبنت،

و جعلوا قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» راجعاً إلى جميع من تقدم من أمهات النساء، و الربائب.

اللغة:..... ص: ١٥٧

و الربائب: جمع ربيبة، و هى بنت الزوجة من غيره، و يدخل فيه أولادها و إن نزلن، و سميت بذلك لتربيته إياها، و معناها مربوبة، نحو قتيلة فى موضع:

مقتولة، و يجوز أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها و كانت فى حجرة، أو لم تكن، لأنه إذا تزوج بأمها سمى هو رابها، و هى ربيبته، و العرب تسمى الفاعلين و المفعولين بما يقع بهم، و يوقعونه، و يقولون: هذا مقتول، و هذا ذبيح، و إن لم يقتل بعد و لم يذبح، إذا كان يراد قتله أو ذبحه، و كذلك يقولون: هذه التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥٨

أضحية لما أعد للتضحية، و كذلك: هذه قتوبة، و حلوبة، أى مما يقتب، و يحلب فمن قال: إنه لا تحرم بنت الزوجة إلا إذا تربت فى حجره فقد أخطأ على ما قلناه و يقال: لزوج المرأة: ربيب ابن امرأته، يعنى به رابه، نحو: شهيد، بمعنى شاهد، و خبير، بمعنى خابر، و عليهم، بمعنى عالم.

الاعراب:..... ص: ١٥٨

و قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» قال المبرد: «اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» نعت للنساء اللواتى من أمهات الربائب لا غير قال: لإجماع

الناس على أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمها، و إن من أجاز أن يكون قوله: (مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) هو لأمهات نسائكم فيكون معناه: أمهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن، فيخرج أن يكون اللاتى دخلتم بهن لأمهات الربائب، قال الزجاج: لأن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً، لا- يجيز النحويون: مررت بنسائك، و هربت من نساء زيد الظريفات، على أن يكون (الظريفات) نعتاً لهؤلاء النساء، و هؤلاء النساء. و قال:

من اعتبر الدخول بالنساء، لتحريم أمهاتهن يحتاج أن يقدر: أعنى، فيكون التقدير: و أمهات نسائكم أعنى اللاتى خلتم بهن، و ليس بنا إلى ذلك حاجة.

المعنى:..... ص: ۱۵۸

و الدخول المذكور فى الآية قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: هو الجماع، و اختاره الطبرى.

الثانى- قال عطاء: و ما جرى مجراه من المسيس، و هو مذهبنا، و فيه خلاف بين الفقهاء. و قوله: «وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ» يعنى نساء البنين للصلب، دخل بهن البنون أو لم يدخلوا، و يدخل فى ذلك أولاد الأولاد من البنين و البنات، و إنما قال «من أصلابكم» لئلا يظن أن امرأة من يتبنى به تحرم عليه.

و

قال عطاء: نزلت الآية حين نكح النبى (ص) امرأة زيد بن حارثة، فقال التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۵۹

المشركون فى ذلك، فنزلت: «وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ» و قال: «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» «۱» و قال: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» «۲» فأما حلائل الأبناء من الرضاعة فمحرمات بقوله (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب).

و إنما سميت المرأة حليلة لأمرين:

أحدهما- لأنها تحل معه فى فراش.

الثانى- لأنه يحل له وطؤها. و قوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» فيه تحريم الجمع بينهما فى عقد واحد، و تحريم الجمع بينهما فى الوطى بملك اليمين، فإذا وطأ إحداهما لم تحل له الأخرى حتى يخرج تلك من ملكه، و هو قول الحسن، و أكثر المفسرين و الفقهاء، و روى عن ابن عباس أنه أجاز الجمع بينهما بملك اليمين، و توقف فيهما على و عثمان، و باقى الصحابة حرموا الجمع بينهما.

و روى عن على (ع) أنه قال: حرمتها آية، و أحلتهما أخرى، و أنا أنهى عنهما نفسى، و ولدى، فغلب التحريم.

و من أجاز الجمع بينهما فى الوطى بملك اليمين- على ما يذهب إليه داود و قوم من أهل الظاهر- فقد أخطأ فى الأختين، و كذلك فى الربيبة و أم الزوجة، لأن قوله:

«وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ» يدخل فيه المملوكة، و المعقود عليها، و كذلك قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يتناول الجميع، و كذلك قوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» عام فى الجميع على كل حال، فى العقد و الوطى، و إنما أخرجنا جواز ملكهما بدلالة الإجماع، و لا يعارض ذلك قوله: «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» لأن الغرض بهذه الآية مدح من يحفظ فرجه إلا عن الأزواج، أو ملك الايمان، فأما كيفية ذلك فليس فيه، و يمكن الجمع بينهما بأن يقال: «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» إلا على وجه الجمع بين الأم و البنت، أو الأختين و السابعة قوله: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ» و هى امرأة الأب، سواء

---

(۱) سورة الأحزاب: آية ۴.

(۲) سورة الأحزاب: آية ۴۰.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۶۰

دخل بها أو لم يـدخل، و يـدخل فی ذلک نساء الأجـداد و إن علوا، من قبل الأب و الأم بلا خلاف. و قوله: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطع، و تقـديره: لكن ما سـلف لا يؤاخـذكم اللّه به، و ليس المراد أن ما سـلف حال النهی تجوز اسـتدامته، بلا خلاف. و قيل إن إلا بمعنی سـوی. و قـوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا» (أن) فی موضع الرفع، و التقـدير: حرمت عليكم هـذه الأشـياء، و الجمع بين الأخـتين، و كـل من جرمه اللّه فی هذه الآية فإنما هو علی وجه التأبيد، مجتمعات و منفردات، إلا الأختين فإنهما تحرمان علی وجه الجمع دون الانفراد.

و يمكن أن يستدل بهذه الآية علی أنه لا يصح أن يملك واحدة من ذوات الأنساب المحرمات، لأن التحريم عام، و

بقوله (ص) (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

علی أنه لا يصح ملكهن من جهة الرضاع، و إن كان فيه خلاف. و أما المرأة التی وطؤها بلا تزويج، و لا ملك، فليس فی الآية ما يدل علی أنه يحرم وطی أمهـا و بنتهـا، لأـن قوله: «وَ أُمَّهـاتُ نِسـائِكُمْ» و قوله: «مِنْ نِسـائِكُمُ اللَّاتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يتضـمن إضافـة الملك، إما بالعقد أو بملك اليمين، فلا يدخل فيه من وطأ من لا يملك وطأها، غير أن قوماً من أصـحابنا ألحقوا ذلك بالموطوءة بالعقد و الملك بالسنة و الأخبار المروية فی ذلك، و فيه خلاف بين الفقهاء.

و أما الرضاع فلا يحرم عندنا إلا ما كان خمس عشـرة رضـعة متواليات، لا يفصل بينهن برضاع امرأة اخری، أو رضاع يوم و ليلة، أو ما أنبت اللحم و شد العظم.

و فی أصـحابنا من حرم بعشـر رضـعات. و متی دخـل بين الرضـاع رضـاع امرأة أخری، بطـل حكم مـا تقـدم. و حرم الشـافعی بخمس رضعات، و لم يعتبر التوالی. و حرم أبو حنيفة بقليله و كثيره، و هو اختيار البلخی. و فی أصحابنا من ذهب اليه.

و اللبن عندنا للفحل، و معناه إذا أرضـعت امرأة بلبن فحل لها صبياناً كثيرين، من أمهات شتی، فإنهم جميعهم يصيرون أولاد الفحل، و يحرمون علی جميع أولاده الـذين ينتسـبون إليه ولادة و رضاعاً، و يحرمون علی أولاد المرضـعة الـذين ولدتهم، فأما التبيان فی تفسـير القرآن، ج۳، ص: ۱۶۱

من أرضـعته بلبن غير هـذا الفحل، فإنهم لا يحرمون عليهم، و كـذلك إن كان للرجل امرأتان، فأرضـعتا صبيين لأجنبيين، حرم التناكح بين الصبيين. و خالف فی هذه ابن علية.

و لاـ يحرم من الرضـاع عنـدنا إلاـ مـا وصـل إلی الجوف من الثـدی من المجری المعتاد الـذی هو الفم، فأما ما يوجر به، أو يسـعط، أو ينشق، أو يحقن به، أو يحلب فی عينه، فلاـ يحرم بحال. و لبن الميتـة لا حرمـة له فی التحريم، و فی جميع ذلك خلاف. و لا يحرم من الرضاع إلا ما كان فی مدة الحولين، فأما ما كان بعده فلا يحرم بحال.

فأما الجمع بين المرأة و عمتها و خالتها فحرم بالسـنة، و يجوز عندنا نكاح العمة و الخالة علی المرأة، و نكاح المرأة علی العمة و الخالة لاـ يجوز إلاـ برضـاء العمـة و الخالـة، و خـالف فيه جميع الفقهـاء. و المحرمات بالنسب و من يحرم بالسـبب علی وجه التأبيـد يسـمون مبهمات، لأنه يحرم من جميع الجهات، مأخوذ من البهيم الذی لا يخالط معظم لونه لون آخر، يقال: فرس بهيم لا شية فيه، و بقرة بهيم، و الجمع بهم.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» اخبار أنه كان غفوراً حيث لم يؤاخذهم بما فعلوه من نكاح المحرمات، و أنه عفی لهم عما سـلف، و لا يدل علی أنه ليس بغفور فيما بعد، لأن ذلك معلوم بدلالة أخری، و فی الناس من قال: كان زائدة، و قد بينا أن هذا ضعيف، لأنها تكون عبثاً و لغواً، و ذلك لا يجوز.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آية ۲۴]..... ص: ۱۶۱

اشارة

وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (٢۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١۶٢

- آية بلا خلاف-

القراءة:..... ص: ١۶٢

قرأ الكسائى: (المحصنات) و (محصنات)، بكسر الصاد حيث وقع، إلا قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» هاهنا فانه فتح الصاد. و قرأ أهل الكوفة إلا أبو بكر، و أبو جعفر: (و أحل لكم)- بضم الهمزة، و كسر الحاء- الباقون:

بفتحها. و قرأ أهل الكوفة إلا حفصا: (أحصن) بفتح الهمزة و الصاد، الباقون بضم الهمزة و كسر الصاد.

المعنى:..... ص: ١۶٢

قيل فى معنى قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» ثلاثة أقوال:

أحدها- و هو الأقوى- ما

قاله على (ع)، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبو قلابة، و ابن زيد، عن أبيه، و مكحول، و الزهرى، و الجبائى: أن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم، من سبى من كان لها زوج.

و قال بعضهم، مستدلان على ذلک بخبر أبى سعيد الخدرى، أن الآية نزلت فى سبى أوطاس، و من خالفهم ضعف هذا الخبر بأن سبى أوطاس كانوا عبدة الأوثان، دخلوا فى الإسلام.

الثانى- قال أبى بن كعب، و جابر بن عبد اللَّه، و أنس بن مالک، و ابن مسعود- فى رواية أخرى عنه- و سعيد بن المسيب، و الحسن، و ابراهيم: إن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم ممن قد كان لها زوج، لأن بيعها طلاقها.

و قال ابن عباس: طلاق الأمة ست: سبيها طلاقها، و بيعها، و عتقها، و هبتها، و ميراثها، و طلاقها.

و حكى عن على (ع)، و عمر، و عبد الرحمن بن عوف: أن السبى خاصة طلاقها

، قالوا لأن النبى (ص) خير بريرة بعد أن أعتقتها عائشة، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١۶٣

و لو بانت بالعتق لما صح. و زعم هؤلاء أن طلاقها كطلاق الحرة.

الثالث- قال أبو العالية. و عبيدة، و سعيد بن جبير، و عطاء، و اختاره الطبرى: ان المحصنات العفائف، إلا ما ملكت أيمانكم بالنكاح، أو بالثمن ملک استمتاع بالمهر و البينة، أو ملک استخدام بثمن الأمة.

اللغة و الاعراب..... ص: ١۶٣

و أصل الإحصان المنع. و سمى الحصن حصناً لمنعه من أراده من أعدائه، و الدرع الحصينة أى المنيعة، و الحصان الفحل من الأفراس لمنعه صاحبه من الهلاک، و الحصان العفيفة من النساء، لمنعها فرجها من الفساد. و منه قوله: «الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها» «١» و كذلک أحصنها الزوج، و بناء حصين ممتنع، و حصنت المرأة تحصن حصانة، و الحاصن: العفيفة، قال العجاج:

و حاصن من حاصنات ملس من الأذى و من قراف الوقس «٢»

و قال أبو على الفارسى، قال سيبويه: حصنت المرأة حصناً و هى حصان، مثل: جبنت جبناً فهى جبان، و قالوا حصناً، كما قالوا: علما

قال الازهرى: يقال للرجل إذا تزوج: أحصن فهو محصن، كقولهم: ألفج فهو ملفج إذا أعدم و افتقر، و أسهب فهو مسهب، إذا أكثر الكلام. و كلام العرب كله على أفعل فهو مفعل، بكسر العين، مثل أسمع فهو مسمع، و أعرب فهو معرب، و أفصح فهو مفصح، إلا ما ذكرناه و الإحصان على أربعة أقسام:

أحدها- يكون بالزوجة، كقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» .

و الثانى- بالإسلام، كقوله: «فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ» «۳» .

---

(۱) سورة التحريم: آية ۱۲.

(۲) ديوانه ۷۸، و اللسان (قنس)، (و قس)، (حصن) و مجاز القرآن ۱: ۱۲۲ و رواية اللسان (عن) بدل (من) فى العجز فى الموضعين.

(۳) سورة النساء: آية ۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۶۴

و الثالث- بالعفة كقوله: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» «۱» .

الرابع- يكون بالحرية، كقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «۲» و قوله: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يحتمل نصبه وجهين:

أحدهما- أن يكون مصدراً جرى على غير فعله و فيه معناه، كأنه قال:

حرم اللَّه ذلك كتاباً من اللَّه، أو كتب كتاباً، كما قال: «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» «۳» فنصبه بقوله: «وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ» «۴» فكان ذلك دلالة على أنه قد صنعها فنصب على أنه مصدر، و قال الشاعر:

و رضت فذلت صعبة أى إذلال «۵»

لأن معنى رضت أذللت، قال الزجاج: و يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، و يكون (عليكم) مفسراً، و المعنى: الزموا كتاب اللَّه.

الثانى- على الإغراء، و العامل محذوف، لأن عليكم لا يعمل فيما قبله:

و أنشد:

يا أيها المائح دلوى دونكما إنى رأيت الناس يحمد و نكا «۶»

و المعنى هذا دلوى دونكا، و هو معنى قول الزجاج.

المعنى:..... ص: ۱۶۴

و قوله: «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

---

(۱) سورة النور: آية ۴.

(۲) سورة المائدة: آية ۶.

(۳، ۴) سورة النمل: آية ۸۸.

(۵) قائله امرؤ القيس. ديوانه: ۱۶۱. و صدره:

و صرنا الى الحسنى ورق كلامنا

(۶) البيت لجاهلى من بنى أسيد بن عمر بن تميم. معانى القرآن ۱: ۲۶۰، و خزانة الأدب ۳: ۱۷. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۶۵

أحدها- قال عبيدة السلمانى، و السدى: أحل لكم ما دون الخمس، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.

الثانى- قال عطاء أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم.

الثالث- قال قتادة: «ما وَراءَ ذلِكُمْ» مما ملكت أيمانكم.

الرابع- ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع، أن تبتغوا بأموالكم نكاحا، أو بملك يمين، و هذا الوجه أولى، لأنه حمل الآية على عمومها فى جميع ما ذكر اللَّه، و لا تنافى بين هذه الأقوال.

و من فتح الهمزة حمله على أقرب المذكورين فى قوله: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» و من ضم حمله على (حرمت) و موضع «أن تبتغوا» نصب، و يحتمل نصبه على وجهين:

أحدهما- على البدل من ما.

و الثانى- على حذف اللام من «لأن تبتغوا»، و من قرأ بالضم جاز عنده الرفع و النصب، و قوله: (محصنين) أى عاقدين التزويج، غير مسافحين: عافين للفروج، قال مجاهد: و السدى: معناه غير زانين و أصله: صب الماء، تقول:

سفح الدمع إذا صبه، و سفح الجبل أسفله، لأنه مصب الماء منه، و سافح إذا زنا لصبه الماء باطلا. و قال الزجاج: المسافح و المسافحة الزانيان غير ممتنعين من أحد، فإذا كانت تزنى بواحد فهى ذات خدن، فحرم اللَّه الزنا على كل حال، على السفاح و اتخاذ الصديق. و قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد:

هو النكاح، و قال ابن عباس، و السدى: هو المتعة إلى أجل مسمى، و هو مذهبنا، لأن لفظ الاستمتاع إذا أطلق لا يستفاد به فى الشرع إلا العقد المؤجل، ألا ترى أنهم يقولون: فلان يقول بالمتعة، و فلان لا يقول بها، و لا يريدون إلا العقد المخصوص، و لا ينافى ذلك قوله: «وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» «١» لأنا نقول: إن هذه زوجة، و لا يلزم أن يلحقها

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٥- ۶ و سورة المعارج آية ٢٩- ٣٠.

جميع أحكام الزوجات، من الميراث، و الطلاق، و الإيلاء، و الظهار، و اللعان، لأن أحكام الزوجات تختلف، ألا ترى أن المرتدة تبين بغير طلاق، و كذلك المرتد عندنا، و الكتابية لا ترث، و أما العدة فإنها تلحقها عندنا، و يلحق بها أيضاً الولد، فلا شناعة بذلك، و لو لم تكن زوجة لجاز أن يضم ما ذكر فى هذه السورة إلى ما فى تلك الآية، لأنه لا تنافى بينهما، و يكون التقدير: إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم أو ما استمتعتم به منهن و قد استقام الكلام. و روى عن ابن مسعود، و ابن عباس، و أبى بن كعب و سعيد بن جبير: أنهم قرأوا (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) و ذلك صريح بما قلناه، على انه لو كان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد، لأنه قال: (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يعنى مهورهن، عند أكثر المفسرين، و ذلك غير واجب بلا خلاف، و إنما يجب الأجر بكماله فى عقد المتعة. و فى أصحابنا من قال: قوله: (أجورهن) يدل على أنه أراد المتعة، لأن المهر لا يسمى أجراً، بل سماه اللَّه صدقة و نحلة، و هذا ضعيف، لأن اللَّه سمى المهر أجراً فى قوله (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) «١» و قال: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» «٢» و من حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكباً لما يعلم خلافه، و من حمل لفظ الاستمتاع على الانتفاع فقد أبعد، لأنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم من لا ينتفع بها شيء من المهر، و قد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر، و إن خلا بها خلوة تامة لزمه جميع المهر عند كثير من الفقهاء، و إن لم يلتذ و لم ينتفع.

و أما الخبر الذى يروونه

أن النبى (ص) نهى عن المتعة

، فهو خبر واحد لا يترك له ظاهر القرآن، و مع ذلك يختلف لفظه و روايته فتارة يروون أنه نهى عنها فى عام خيبر، و تارة يروون أنه

نهى عنها فى عام الفتح، و قد طعن أيضاً فى طريقه بما هو معروف، و أدل دليل على ضعفه قول عمر: (متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه (ص) أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما) فأخبر أن هذه المتعة كانت على

---

(۱) سورة النساء: آية ۲۵.

(۲) سورة المائدة: آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۶۷

عهد رسول اللَّه (ص)، و أنه الذى نهى عنهما، لضرب من الرأى. فان قالوا. إنما نهى لأن النبى (ص) كان نهى عنهما، قلنا: لو كان كذلك لكان يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) فنهى عنهما، و أنا أنهى عنهما أيضاً، فكان يكون آكد فى باب المنع، فلما لم يقل ذلك دل على أن التحريم لم يكن صدر عن النبى (ص)، و صح ما قلناه.

و قال الحكم بن عتيبة، قال على (ع) لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقى.

و ذكر البلخى عن وكيع، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن عبد اللَّه بن مسعود: قال كنا مع النبى (ص) و نحن شباب، فقلنا يا رسول اللَّه ألا نستخصى، قال: لا، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، إلى أجل.

و قوله: «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ» قال الحسن، و ابن زيد: أى تراضيتم به من حط بعض الصداق أو تأخيره، أو هبة جميعه. و قال السدى و قوم من أصحابنا: معناه: لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة التى تراضيتم عليها، فتزيدها فى الآخر و تزيدك فى المدة. و فى الآية دلالة على جواز نكاح المرأة على عمتها و خالتها، لأن قوله: «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ» عام فى جميعهن، و من ادعى نسخة فعليه الدلالة،

و ما يروى من قوله (ص): (لا تنكح المرأة على عمتها و لا خالتها)

خبر واحد لا ينسخ به القرآن، و لو كان معلوماً لما جاز أن ينسخ به القرآن عند أكثر الفقهاء، لأن نسخ القرآن لا يجوز عندهم بالسنة، و ادعاؤهم الإجماع على الخبر غير مسلم، لأنا نخالف فيه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» معناه عليما بما يصلح أمر الخلق، حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأموال، و الأنساب. قال البلخى: و الآية دالة على أن نكاح المشركين ليس بزنا، لأن قوله: (وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» المراد به ذوات الازواج من أهل الحرب، بدلالة قوله: (إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» بسبيهن و لا خلاف أنه لا يجوز وطى المسبية إلا بعد استبرائها بحيضة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۶۸

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۲۵]..... ص: ۱۶۸

اشارة

وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۵)

- آية بلا خلاف-.

القراءة، و اللغة:..... ص: ۱۶۸

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (فإذا أحصن)- بضم الهمزة و كسر الصاد- الباقون بفتحهما، و قرأ (المحصنات)- بكسر الصاد- الكسائى وحده، قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» معناه: من لم يجد منكم طولا، و قيل فى معنى الطول قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن زيد:

هو الغنى، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و الثانى- قال ربيعة، و جابر، و عطاء، و ابراهيم: أنه الهوى، قال: إذا هوى الأمة فله أن يتزوجها و إن كان ذا يسار. و قال الحسن، و الشعبى: لا يجوز ذلك، و القول الأول هو الصحيح، و عليه أكثر الفقهاء. و الطول الغنى، و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر، فشبه الغنى به، لأنه ينال به معالى الأمور، و قولهم ليس فيه طائل: أى: لا ينال به شىء من الفوائد، و التطول الإفضال التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ١٦٩

بالمال، و التطاول على الناس الترفع عليهم، و كذلك الاستطاعة، و تقول: طال فلان طولا، أى كأنه فضل عليه فى القدرة، و قد طالت طولك و طيلك أى طالت مدتك، قال الشاعر:

انا محيوك فاسلم أيها الطلل و إن بليت و إن طالت بك الطيل «١»

و الطول الحبل.

المعنى:..... ص: ١٦٩

و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، لأنه قيد جواز العقد على الإماء إذا كن مؤمنات، و هو قول مالك بن أنس، و مجاهد، و سعيد بن عبد العزيز، و أبى بكر بن عبد اللَّه بن أبى مريم، و الحسن، و الطبرى، و قال أبو ميسرة، و أبو حنيفة، و أصحابه: يجوز ذلك، لأن التقييد هو على جهة الندب دون التحريم، و الأول أقوى، لأنه الظاهر، و ما قالوه عدول عنه. و منهم من قال:

لأن التأويل: من فتياتكم المؤمنات دون المشركات من عبدة الأوثان، بدلالة الآية التى فى المائدة، و هى قوله تعالى: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «٢» و هذا ليس بشىء، لأن الكتابية لا تسمى مؤمنة. و من أجاز العقد على الكتابية له أن يقول: آية المائدة مخصوصة بالحرائر منهن دون الإماء، و ظاهر الآية يقتضى أن من وجد الطول من مهر الحرة و نفقتها، و لا يخاف العنت، لا يجوز له تزويج الأمة، و إنما يجوز العقد عليها مع عدم الطول، و الخوف من العنت. و هو مذهب الشافعى، غير أن أكثر أصحابنا قالوا: ذلك على وجه الأفضل، لا أنه لو عقد عليها و هو غنى كان العقد باطلا، و به قال أبو حنيفة، و قووا ذلك بقوله:

«وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» «٣» إلا أن من شرط صحة العقد على الأمة عند أكثر الفقهاء، أن لا تكون عنده حرة، و هكذا عندنا، إلا أن ترضى الحرة

---

(١) قائله القطامى ديوانه: ٣٢ و جمهرة الاشعار: ٣١٣ و الطيل جمع طيلة و هى الدهر.

(٢) سورة المائدة: آية ۶.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٢١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ١٧٠

بأن يتزوج عليها أمة، فان أذنت كان العقد صحيحاً عندنا، و متى عقد عليها بغير إذن الحرة كان العقد على الأمة باطلا. و روى أصحابنا أن الحرة تكون بالخيار بين أن تفسخ عقد الأمة، أو تفسخ عقد نفسها، و الاول أظهر، لأنه إذا كان العقد باطلا لا يحتاج إلى فسخه، فأما تزويج الحرة على الأمة، فجائز، و به قال الجبائى. و فى الفقهاء من منع منه، غير أن عندنا لا يجوز ذلك إلا بإذن الحرة، فان لم تعلم الحرة بذلك كان لها أن تفسخ نكاحها، أو نكاح الأمة، و فى الناس من قال: فى عقده على الحرة طلاق الأمة. و قوله: «مِنْ

فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ» فالفتى الشاب، و الفتاة الشابة، و الفتاة الأمة، و إن كانت عجوزاً لأنها كالصغيرة فى أنها لا توقر توقير الكبيرة، و الفتوة حال الحداثة، و منه الفتيا، تقول: أفتى الفقيه. يفتى لأنه يسأله مسألة فى حادثة.

و قوله: «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- كلكم ولد آدم.

و الثانى- كلكم على الايمان. و يجوز أن تكون الأمة أفضل من الحرة، و أكثر ثواباً عند اللَّه، و فى ذلك تسلية لمن يعقد على الأمة، إذا جوز أن تكون أكثر ثواباً عند اللَّه، مع اشتراكهم بأنهم ولد آدم، و فى ذلك صرف عن التغاير بالأنساب. و من كره نكاح الأمة قال: لأن الولد عندنا يلحق بالحرية فى كلا الطرفين.

و قوله: «فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» أى اعقدوا عليهن بإذن أهلهن، و فيه دلالة واضحة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير اذن وليها الذى هو مالكها.

و قوله: «وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» معناه: اعطوا مالكهن مهورهن، لأن مهر الأمة لسيدها، (بالمعروف) و هو ما وقع عليه العقد و التراضى. و قوله:

«مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ» يعنى بالعقد عليهن، دون السفاح معهن، «وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ» و قد بينا الفرق بين الخدن و السفاح فيما مضى، و الخدن هو الصديق يكون للمرأة، يزنى به سراً، كذا كان فى الجاهلية، و السفاح ما ظهر منه، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۷۱

فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا، و لا يحرم ما خفى منه، ذكر ذلك ابن عباس، و غيره من المفسرين. و خدن الرجل و خدينه صديقه.

و قوله: «فإذا أحصن» من قرأ بالضم، قال: معناه تزوجن، ذكر ذلك ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة. و من فتح الهمزة. قال: معناه أسلمن، روى ذلك عن عمر، و ابن مسعود، و الشعبى، و ابراهيم، و السدى. و قال الحسن: يحصنها الزوج، و يحصنها الإسلام، و هو الأولى، لأنه لا خلاف أنه يجب عليها نصف الحد إذا زنت، و إن لم تكن ذات زوج، كما أن عليها ذلك و ان كان لها زوج، لأنه و إن كان لها زوج لا يجب عليها الرجم، لأنه لا يتبعض، فكان عليها نصف الحد خمسين جلدة. على أن قوله: «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ» يعنى نصف ما على الحرائر، و ليس المراد به ذوات الأزواج، فالاحصان المذكور للأمة التزويج، و المذكور للمحصنات الحرية، و بينا أنه يعتبر به عن الأمرين.

و قال بعضهم: إذا زنت الأمة قبل أن تتزوج، فلا حد عليها، و إنما عليها نصف الحد إذا تزوجت بظاهر الآية.

و قوله: «ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ»، فالعنت معناه هاهنا الزنا فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و عطية العوفى، و الضحاك، و ابن زيد. و قال قوم:

هو الضرر الشديد فى الدين أو الدنيا، مأخوذ من قوله: «وَدُّوا ما عَنِتُّمْ» (۱)

و الأول أقوى، و قوله: «وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ» يعنى: عن نكاح الإماء، فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و عطية. و أكمة عنوت صعبة المرتقى. و متى اجتمع عند الرجل حرة و أمة كان للحرة يومان و للأمة يوم، و عندنا أن بيع الأمة طلاقها، إلا أن يشاء المشترى إمضاء العقد، و كذلك الهبة، و كل ما ينتقل به الملك من الميراث، و السبى و غيره. فأما عتقها فانه يثبت به لها الخيار، كما يثبت لبريرة، و متى كانت تحت الزوج الحر أو عبد لغيره، لم يكن للمولى التفرقة بينهما، فان كان جميعا له كان التفرقة إلى المولى.

---

(۱) سورة آل عمران: آية ۱۱۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۷۲

و استدلت الخوارج على بطلان الرجم بهذه الآية، قالوا: لما قال اللَّه تعالى:

«فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ»، و كان الرجم لا يمكن تبعيضه، دل على أنه لا أصل له، و على ما بيناه من أن المراد فعليهن نصف ما على الحرائر، دون ذوات الأزواج، يسقط هذا السؤال. و يدل على أن الإحصان يعبر به عن الحرية زائداً على ما تقدم، قوله فى أول الآية: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» و لا شك أنه أراد الحركة أو العفائف، لأن التى لها زوج لا يمكن العقد عليها، وجد طولها أو لم يجد، و قوله:

«وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ» يدل عليه أيضاً لأن المراد به المسلمة الحرة، سواء كانت ذات زوج أو لم تكن، بلا خلاف. و الرجم معلوم من دين المسلمين بالتواتر فإنهم لا يختلفون

أنه (ص) رجم ما عز بن مالك الأسلمى، و رجم يهودياً و يهودية

، و عليه جميع الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فخلاف الخوارج لا يلتفت إليه. و فى الناس من قال: إن قوله: «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ» المراد به الحرائر دون أن يكون مختصاً بالعفائف، لأنه لو كان مختصاً بالعفائف لما جاز العقد على من ليس كذلك، لأن قوله: «الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» إلى قوله: «وَ حُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» «١» منسوخ بالإجماع، و بقوله: «فَانْكِحُوا ما طابَ» «٢» و بقوله: «وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى «٣» و يمكن أن يخص بالعفائف على الأفضل دون الوجوب، و قوله: (فعليهن) معناه لازم لهن نصف ما يلزم المحصنات، دون أن يكون ذلك واجباً عليهن، و قوله: «وَ أَنْ تَصْبِرُوا» فى موضع رفع، و التقدير و الصبر عن نكاح الأمة خير لكم. و فى الآية تقديم و تأخير، لأن التقدير: «و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم» أى فلينكح مما ملكت أيمانكم «من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض و الله أعلم بايمانكم» ذكره الطبرى و هو جيد مليح.

---

(١) سورة النور: آية ٣.

(٢) سورة النساء: آية ٣.

(٣) سورة النور: آية ٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧٣

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٦]..... ص: ١٧٣

اشارة

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)

آية بلا خلاف-.

الاعراب:..... ص: ١٧٣

اللام فى قوله: «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» للنحويين فيه ثلاثة أقوال:

أولها- قال الكسائى، و الفراء، و الكوفيون: إن معناها (أن)، و إنما لا يجوز ذلك فى أردت و أمرت لأنه تطلب الاستقبال، لا يجوز أردت أن قمت، و لا- أمرت أن قمت فلما كانت (أن) فى سائر الافعال تطلب الاستقبال، استوثقوا له باللام، و ربما جمعوا بين اللام و كى لتأكيد الاستقبال، قال الشاعر:

أردت لكيما لا ترى لى عثرة و من ذا الذى يعطى الكمال فيكمل «١»

و قال الفراء: ربما جاء مع غير الارادة و الأمر، أنشدنى بن الجراح:

أحاول إعنا اتى بما قال أم رجا ليضحك منى أو ليضحك صاحبه «٢»

و معناه: رجا أن يضحك، و مثله: «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ» «٣» و فى موضع آخر: «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» «۴» و ربما جمعوا بين اللام و كى و أن، قال الشاعر:

أردت لكيما أن تطير بقربتى فتركها شناً ببيداء بلقع «۵»

---

(١) معانى القرآن ١: ٢۶٢ أنشده أبو ثروان. و فى شواهد الهمع ٢: ۵ روايته (ترانى عشيرتى) بدل (ترى لى عثرة).

(٢) معانى القرآن ١: ٢۶٢. قائلة أبو الجراح الا نفى من بنى انف الناقة. و كان فى المخطوطة و المطبوعة هكذا.

أحاول اعدائى بما قال أم رجا فيضحك منى أو ليضحك صاحبه

(٣) سورة الانعام: آية ٧١.

(۴) سورة الانعام: آية ١۴. [.....]

(۵) لم يعرف قائله. معانى القرآن ١: ٢۶٢ و الانصاف: ٢۴٢ و الخزانة ٣: ۵٨۵.

و العينى (هامش الخزانة) ۴: ۴٠۵، و حاشية الصبان ٣: ٢٨٠. قوله (أن تطير) كناية عن الهرب، و الشن: الخلق البالى، و البيداء: المغازة: المهلكة، و البلقع: الأرض القفراء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧۴

و لاـ يجوز فى الظن أن تقع اللاـم بمعنى أن، لأـن الظن يصـلح معه الماضـى و المسـتقبل، نحو: ظننت أن قمت، و ظننت أن تقوم، و لا يجوز: ظننت لتقوم بمعنى: ظننت أن تقوم.

الثانى- قال الزجاج لا يجوز أن تقع اللام بمعنى أن، و استشهد بقول الشاعر:

أردت لكيما يعلم الناس إنها سراويل سعد و الوفود شهود

فلو كانت بمعنى أن لم تـدخل على كى، كما لا تـدخل أن على كى، قال: الرمانى و لقائل أن يقول: إن هـذه لام الاضافة مردودة إلى أصـلها، فلا يجب وقوع أن موقعها، و مذهب سيبويه و أصحابه أن اللام دخلت فى هذا على تقدير المصدر، أى: ارادة للبيان لكم، نحو قوله: «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ» «١» «و رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ» «٢» و معناه: إن كنتم تعبرون الرؤيا، قال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

أى: إرادتى لهذا.

الثالث- ضـعف هذين الوجهين بعض النحويين، بأن جعل اللام بمعنى (أن) لم تقم به حجة قاطعة، و حمله على المصدر يقتضى جواز ضربت لزيـد بمعنى ضربت زيـداً، و هـذا لا يجوز، و لكن يجوز فى التقـديم، نحو لزيـد ضـربت و للرؤيا تعبرون، لأن عمل الفعل فى التقديم يضـعف، كعمل المصدر فى التأخير، و لذلك لم يجز إلا فى المتصـرف، فأما «ردف لكم» فعلى تأويل: ردف ما ردف لكم، و على ذلك يريـد ما يريـد لكم، و كذلك قوله: «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ» «٣» أى أمرنـا بما أمرنا لنسـلم، فهى تجرى بهـذا على أصولها، و قياس بابها. و قال قوم معناه:

يريـد اللَّه هذا من أجل أن يبين لكم، كما قال: «وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» «۴» معناه: و أمرت بهـذا من أجل ذلك، و إنما لم يجز أن يراد الماضى لأمرين:

أحدهما- أن الارادة لاستدعاء الفعل، و محال أن يستدعى ما قد فعل، كما

(۱) سورة يوسف: آية ۴۳.

(۲) سورة النمل: آية ۷۲.

(۳) سورة الانعام: آية ۷۱.

(۴) سورة الشورى: ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۷۵

أنه محال أن يؤمر بما قد وقع، لأنه لا يحسن أن يقول: افعل أمس، أو أريد أمس.

و الثانى- أن بالارادة يقع الفعل على وجه دون وجه، من حسن أو قبح، أو طاعة أو معصية، و ذلك محال فيما مضى.

المعنى:..... ص: ۱۷۵

و قوله: «وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل فيه قولان:

أحدهما- «يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، لتكونوا على الاقتداء بهم فى اتباعه لما لكم فيه من المصلحة.

الثانى- «سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، و غيرهم، لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون أو تجتنبون من طرائقهم، و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأن اللَّه تعالى بين أنه يريد أن يتوب على العباد، و هم يزعمون أنه يريد منهم الإصرار على المعاصى. و قال أبو على الجبائى: فى الآية دلالة على أن ما ذكر فى الآيتين من تحريم النكاح أو تحليله، قد كان على من قبلنا من الأمم، لقوله تعالى: «وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى فى الحلال و الحرام. قال الرمانى:

لا يدل ذلك على اتفاق الشريعة، و ان كنا على طريقتهم فى الحلال و الحرام، كما لا يدل عليه و إن كنا على طريقتهم فى الإسلام، و هذا هو الأقوى.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۲۷]..... ص: ۱۷۵

اشارة

وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً (۲۷)

- آية-

المعنى:..... ص: ۱۷۵

معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى أنه يريد من المواجهين بها، أن يتوب التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۷۶

عليهم، بمعنى أن يقبل توبتهم، عما سلف من آثامهم، و يتجاوز عما كان منهم فى الجاهلية، من استحلالهم ما هو حرام عليهم من حلائل الآباء و الأبناء، و غير ذلك مما كانوا يستحلونه، و هو حرام عليهم. إن قيل: لم كرر قوله: «وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» ؟ مع ما تقدم من قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه لما قال فى الأول، و تقديره: يريد اللَّه ليتوب عليكم أتى فى الثانى ب (أن) ليزول الإيهام أنه يريد ليتوب، و لا يريد «۱» أن يتوب علينا.

و الآخر- أن يبين أن ارادته منا خلاف إرادة أصحاب الأهواء لنا، لنكون على بصيرة من أمرنا، و جاء الثانى على التقابل، بأن اللَّه يريد

شيئاً و يريدون خلافه.

و المعنى: بقوله: «وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ» قيل فيه أربعة أقوال:

الأول- قال ابن زيد: كل مبطل، لأنه يتبع شهوة نفسه فى باطله.

الثانى- قال مجاهد: يعنى به: الزناة.

الثالث- قال السدى: هم اليهود و النصارى.

الرابع- اليهود خاصة، لأنهم يحلون نكاح الأخت من الأب، و الأول أقوى، لأنه أعم فائدة، و أوفق لظاهر اللفظ. و قوله: «أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً» معناه أن تعدلوا عن الاستقامة بالاستكثار من المعصية، و ذلك أن الاستقامة هى المؤدية إلى الثواب، و الفوز بالسلامة من العقاب، و أما الميل عن الاستقامة فيؤدى الى الهلاك و استحقاق العقاب. فان قيل: ما معنى إرادتهم الميل بهم؟ قيل قد يكون ذلك لعداوتهم، و قد يكون لتمام الأنس بهم فى المعصية، فبين اللَّه أن إرادته لهم خلاف ارادتهم منهم، و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا يجوز اتباع داعى الشهوة فى شيء البتة، لأنه لا خلاف أن اتباع الشهوة فيما أباحه اللَّه تعالى جائز، و إنما المحظور من

---

(١) فى المخطوطة (و لأنه يريد) بدل (و لا يريد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧٧

ذلك ما يدعو إلى ما حرمه، لكن لا يطلق [على «١» صاحبه بانه متبع للشهوة، لأن إطلاقه يفيد اتباع الشهوة فيما حرم عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٢٨]..... ص: ١٧٧

اشارة

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً (٢٨)

- آية بلا خلاف-.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٧٧

معنى قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» هاهنا أى فى نكاح الإماء، لأن الإنسان خلق ضعيفاً فى أمر النساء، هذا قول مجاهد، و طاوس، و زيد. و أصل التخفيف خفة الوزن، و التخفيف على النفس بالتيسير، كخفة الحمل بخفة الوزن، و منه الخفافة النعامة السريعة، لأنها تسرع إسراع الخفيف الحركة، و الخفوف السرعة، و منه الخف الملبوس لأنه يخفف به التصرف، و منه خف البعير. و المراد بالتخفيف هاهنا تسهل التكليف، بخلاف التصعب فيه، فتحليل نكاح الإماء تيسير بدلا من تصعيب، و كذلك جميع ما يسره اللَّه لنا إحساناً منه إلينا، و لطفا بنا.

فان قيل: هل يجوز التثقيل، فى التكليف، مع خلق الإنسان ضعيفاً عن القيام به بدلا من التخفيف؟ قيل: نعم إذا أمكنه القيام به، و إن كان فيه مشقة، كما ثقل التكليف على بنى إسرائيل فى قتل أنفسهم، غير أن اللَّه لطف بنا فكلفنا ما يقع به صلاحنا، بدلا من فسادنا. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: ان اللَّه يكلف عباده ما لا- يطيقون، لأن ذلك مناف لارادة التخفيف عنهم فى التكليف، من حيث أنه غاية التثقيل. و قوله: «وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً» أى يستميله هواه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٢٩]..... ص: ١٧٧

اشارة

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (٢٩)

---

(١) فى المخطوطة و المطبوعة (لصاحبه) بدل (على صاحبه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧٨

- آية واحدة بلا خلاف-

القراءة، و الاعراب:..... ص: ١٧٨

قرأ أهل الكوفة: (تجارة) نصباً، الباقون: بالرفع، فمن رفع ذهب الى أن معناه: إلا- أن تقع تجارة، و من نصب فمعناه: إلا أن تكون الأموال تجارة، أو أموال تجارة، و حذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، و يكون الاستثناء منقطعاً، و يجوز أن يكون التقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة، كما قال الشاعر:

إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا «١»

و تقديره: إذا كان اليوم يوماً ذا كواكب، ذكره أبو على النحوى. و قال الرمانى التقدير: إلا أن تكون الأموال تجارة، و لم يبين. و القول ما قال أبو على، لأن الأموال ليست تجارة. و من شأن خبر كان أن يكون هو اسمها فى المعنى.

و قيل: الرفع أقوى، لأنه أدل فى الاستثناء على الانقطاع، فان التحريم لأكل المال بالباطل على الإطلاق. و فى الناس من زعم أن نصبه على قول الشاعر:

إذا كان طعناً بينهم و عناقا «٢»

أى إذا كان الطعن طعناً. قال الرمانى: و هذا ليس بقوى، لأن الإضمار قبل الذكر ليس يكثر فى مثل هذا، و إن كان جائزاً، فالرفع يغنى عن الإضمار فيه.

المعنى:..... ص: ١٧٨

و فى معنى قوله: «لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ» قولان:

أحدهما- قال السدى:

بالربا، و القمار، و البخس، و الظلم، و هو المروى عن

---

(١) لم يعرف قائله معانى القرآن للفراء ١: ١٨۶ و سيبويه ١: ٢٢ و صدره:

و للَّه قومى أى قوم لحرة

(٢) لم يعرف قائله معانى القرآن ١: ١٨۶ و صدره: أعينى هلا تبكيان عفاقا.

و عفاق: اسم رجل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٧٩

أبى جعفر (ع).

الثاني- قال الحسن: بغير استحقاق من طريق الأعواض. و كان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية، إلى أن نسخ ذلك بقوله فى سورة النور: «وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...» إلى قوله: «جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً» «۱» و الأول أقوى، لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق فليس هو أكل بالباطل. و قيل: معناه التخاون، و لذلك قال: (بينكم).

و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ» فيه دلالة على بطلان قول من حرم المكاسب، لأنه تعالى حرم أكل الأموال بالباطل، و أحله بالتجارة على طريق المكاسب. و مثل قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «۲» و قيل فى معنى التراضى بالتجارة قولان:

أحدهما- إمضاء البيع بالتفرق، أو بالتخاير بعد العقد فى قول شريح، و ابن سيرين، و الشعبى،

لقوله (ص): البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيع خيار.

و ربما قالوا: أو يقول أحدهما للآخر اختر، و هو مذهبنا.

الثاني- إمضاء البيع بالعقد- على قول مالك بن أنس، و أبى حنيفة، و أبى يوسف، و محمد- بعلة رده إلى عقد النكاح، و لا خلاف أنه لا خيار فيه بعد الافتراق، و قيل: معناه إذا تغابنوا فيه مع التراضى فانه جائز.

و قوله: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال عطاء و السدى، و أبو على الجبائى، و الزجاج: لا يقتل بعضهم بعضاً من حيث كانوا أهل دين واحد، فهم كالنفس الواحدة، كما يقول القائل: قتلنا و رب الكعبة، و معناه قتل بعضنا، لأنه صار كالقتل لهم، و مثله قوله: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» «۳» .

الثاني- قال البلخى: فيه نهى عن قتل نفسه فى حال غضب، أو زجر،

---

(۱) سورة النور: آية ۶۱.

(۲) سورة البقرة: آية ۲۷۵.

(۳) سورة النور: آية ۶۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۸۰

و الأول أقوى، لأنه أكثر و أغلب، و أيضاً فانه إذا حرم عليه قتل غيره من أهل دينه، لأنه بمنزلة قتل نفسه، فقد حرم عليه قتل نفسه.

الثالث- قال قوم: معناه: لا تقتلوا أنفسكم، بأن تهلكوها بارتكاب الآثام، و العدوان فى أكل المال بالباطل، و غيره من ارتكاب المعاصى، التى تستحقون بها العقاب.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع): أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم فى القتال، فتقاتلون من لا تطيقونه.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» قال ابن عباس: كان صلة، و المعنى إن اللَّه غفور رحيم، و يحتمل أن يكون المراد: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» حيث كلفكم الامتناع من أكل المال بالباطل الذى يؤدى إلى العقاب، و حرم عليكم قتل نفوسكم التى حرمها عليكم، و يعلم انه رحيم فيما بعد بدليل آخر.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۰]..... ص: ۱۸۰

اشارة

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۳۰)

- آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ١٨٠

قيل فى تعليق الوعيد و الاشارة بقوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً...»
الآية، أربعة أقوال:
أولها- و هو أقواها- انه على أكل الأموال بالباطل، و قتل النفس بغير حق، و الوعيد بكل واحدة من الخصلتين، لأن الوعيد ذكر عقيب ذكر النهى عن الأمرين، و هو اختيار الطبرى.
الثانى- قال عطاء: هو على قتل النفس المحرمة خاصة.
الثالث- على فعل كلما نهى اللَّه عنه، من أول السورة.
الرابع- أنه راجع إلى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٨١
النِّساءَ كَرْهاً»
«١» لأن ما قبله مقرون بالوعيد.
و قوله: «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» معناه: أنه قادر على إنجاز الوعيد، لا يمكن صاحبه الامتناع منه، و لا الهرب منه، فيتعذر الإيقاع به، فيجب أن تنزلوا الوعيد منزلته، و تكونوا على بصيرة فيه، غير مغترين بأمر يصرف عنه، و إنما قيد قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً» لأن من وقع منه قتل النفس على وجه السهو و الخطأ فى خلاف المراد، لم يتناوله الوعيد، و كذلك إذا أكل من أموال الناس على وجه مباح، لم يتوجه إليه الوعيد. و العدوان تجاوز ما أمر اللَّه به، و الظلم أن يأخذه على غير وجه الاستحقاق، و أصله وضع الشيء فى غير موضعه. و فى المرجئة من قال: إنما قيد بذلك لأن المراد من استحل أكل المال بالباطل، و استحل أيضاً قتل النفوس، و ذلك لا يكون إلا كافراً، فلذلك هدده بالوعيد المخصوص، فأما إذا فعل ذلك محرماً له، فانه يجوز أن يعفو اللَّه عنه، فلا يتناوله الوعيد قطعاً على كل حال، و لو لم تحمل الآية على المستحلين، لأمكننا أن نخص الآية بمن لا يعفو اللَّه عنه، كما أنهم لا بد لهم ان يخصوها بمن لم يتب من ذلك و لا تكون معصية صغيرة، فليس فى الآية ما يمنع من القول بجواز العفو.
و إنما قال: «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» و إن كان يسيراً عليه الآن و فى مستقبل الأوقات، ليعلم أن الأوقات متساوية فى ذلك على كل حال، و لا يجوز أن يقال قياساً على ذلك و كان اللَّه قديماً، لأن قولنا قديم أغنى عن كان، إذ لم يختص بالحال بل أفاد الوجود فى الأزل، فلا معنى لادخال كان فيه. و اليسير السهل، يقال: يسير الشيء إذا سهل فهو يسير، و عسر فهو عسير، إذا لم يتسهل.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٣١]..... ص: ١٨١

اشارة

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً (٣١)

---

(١) سورة النساء: آية ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٨٢

القراءة، و الحجة:..... ص: ١٨٢

قرأ نافع، و أبو بكر، عن عاصم: مدخلا- بفتح الميم- الباقون بضمها، و هو الأقوى، لأنه من ادخلوا و الآخر جائز، لأن فيه معنى:

فيدخلون، و ليس كقول الشاعر:

الحمد للّه ممسانا و مصبحنا بالخير صبحنا ربى و مسانا «۱»

و يروى بفتح الميم فيهما، أنشده البلخى فى البيت، لأنه ليس فيه فعل، و لكن قد حكى بالفتح على التشبيه بالأول، و يحتمل أن يكون من قرأ بفتح الميم أراد: مكاناً كريماً، كما قال: «وَ مَقامٍ كَرِيمٍ» «۲» و قرأ المفضل، عن عاصم (يكفر) (و يدخلكم) بالياء فيهما، الباقون بالنون، و هو الأجود، لأنه وعد على وجه الاستئناف، فالأحسن ألا يعلق بالأول من جهة ضمير الغائب، و اختاره الأخفش، و من قرأ بالياء رده إلى ذكر اللّه فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» .

المعنى:..... ص: ۱۸۲

و المعاصى و إن كانت كلها عندنا كبائر، من حيث كانت معصية للّه تعالى، فانا نقول: إن بعضها أكبر من بعض، ففيها إذا كبير بالاضافة إلى ما هو أصغر منه. و قال ابن عباس: كلما نهى اللّه عنه فهو كبير. و قال سعيد بن جبير: كلما أوعد اللّه عليه النار فهو كبير، و مثله قال أبو العالية، و مجاهد، و الضحاك. و عند المعتزلة أن كل معصية توعد اللّه تعالى عليها بالعقاب، أو ثبت ذلك عن النبى (ص) أو كان بمنزلة ذلك، أو أكبر منه، فهو كبير، و ما ليس ذلك حكمه فانه يجوز أن يكون صغيراً، و يجوز أن يكون كبيراً، و لا يجوز أن يعين اللّه الصغائر، لأن فى تعيينها الإغراء بفعلها، فمن المعاصى المقطوع على كونها كبائر: قذف المحصنات،

(۱) قائله أمية بن أبى الصلت. ديوانه: ۶۲ و معانى القرآن للفراء ۱: ۲۶۴، و الخزانة ۱: ۱۲۰ و اللسان (أمسى). [.....]

(۲) سورة الشعراء: آية ۵۹. و سورة الدخان: آية ۲۶.

و قتل النفس التى حرم اللّه، و الزنا، و الربا، و الفرار من الزحف فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و الضحاك، و مثله عن أبى عبد اللّه (ع)، و زاد:

و عقوق الوالدين، و الشرك، و إنكار الولاية. و قال ابن مسعود: كلما نهى اللّه عنه، من أول السورة إلى رأس الثلاثين، فهو كبير.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: عقوق الوالدين، و شهادة الزور، كبير.

فعلى مذهب المعتزلة: من اجتنب الكبائر، و واقع الصغائر، فان اللّه يكفر الصغائر عنه، و لا يحسن مع اجتناب الكبائر، عندهم المؤاخذة بالصغائر، و متى آخذه بها كان ظالماً. و عندنا أنه يحسن من اللّه تعالى ان يؤاخذ العاصى بأى معصية فعلها، و لا يجب عليه إسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو أكبر منها، غير أنا نقول: إنه تعالى وعد تفضلا منه أن من اجتنب الكبائر فانه يكفر عنه ما سواها، بأن يسقط عقابها عنه تفضلا، و لو أخذه بها لم يكن ظالماً، و لم يعين الكبائر التى إذا اجتنبها كفر ما عداها، لأنه لو فعل ذلك لكان فيه إغراء بما عداها، و ذلك لا يجوز فى حكمته تعالى. و قوله: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ» معناه من تركها جانباً و المدخل الكريم: هو الطيب الحسن المكرم بنفى الآفات و العاهات عنه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۲]..... ص: ۱۸۳

اشارة

وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (۳۲)

- آية بلا خلاف-.

القراءة:..... ص: ۱۸۳

قرأ ابن كثير، و الكسائى (و سلوا) بغير همزة، و كذلك كلما كان أمر للمواجه فى جميع القرآن، الباقون بالهمزة، و لم يختلفوا فى: «وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا» «۱»

---

(۱) سورة الممتحنة: آية ۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۸۴

لأنه أمر لغائب. قال أبو على الفارسى. كلاهما جيد، إن ترك الهمزة و إثباتها.

النزول:..... ص: ۱۸۴

و قيل فى سبب نزول هذه الآية

أن أم سلمة قالت:(يا رسول اللّه لا نغزو مع الرجال، و لنا نصف الميراث، يا ليت كنا رجالا، فكنا تقاتل معهم) فنزلت هذه الآية ، فى قول مجاهد. و قال الزجاج: قال الرجال: ليتنا كنا فضلنا فى الآخرة على النساء، كما فضلنا عليهن فى الدنيا، و به قال السدى.

اللغة:..... ص: ۱۸۴

و التمنى هو قول القائل: ليت كان كذا لما لم يكن، و ليت لم يكن كذا لما كان. و فى الناس من قال: هو معنى فى القلب. و قال الرمانى: هو ما يجب على جهة الاستمتاع به، و من قال: هو معنى فى القلب قال: ليس هو من قبيل الشهوة، و لا من قبيل الارادة، لأن الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه، و التمنى قد يتعلق بما مضى، و الشهوة أيضاً كالارادة فى أنها لا تتعلق بما مضى.

المعنى:..... ص: ۱۸۴

و ظاهر الخطاب يقتضى تحريم تمنى ما فضل اللّه به بعضنا على بعض و قال الفراء: هو على جهة الندب و الاستحباب، و الاول هو حقيقة التمنى، و الذى قلناه هو قول أكثر المفسرين، و وجه تحريم ذلك أنه يدعو الى الحسد، و أيضاً فهو من دنايا الأخلاق، و أيضاً فان تمنى الإنسان لحال غيره قد يؤدى الى تسخط ما قسم اللّه له، و لا يجوز لأحد أن يقول ليت مال فلان لى، و إنما يحسن أن يقول: ليت مثل لى.

و قال البلخى: لا يجوز للرجل أن يتمنى أن كان امرأة، و لا للمرأة أن تتمنى لو كانت رجلا، بخلاف ما فعل اللّه، لأن اللّه لا يفعل من الأشياء إلا ما هو أصلح، فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح، أو ما يكون مفسدة. و يمكن أن يقال: إن ذلك يحسن بشرط أن لا يكون مفسدة، كما يقول فى حسن السؤال سواء. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۸۵

و قوله: «لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- أن لكل واحد حظاً من الثواب على حسب ما كلفه اللّه من الطاعات بحسن تدبيره، فمتى فعل ذلك استحق به علو المنزلة، فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير، لما فيه من حرمان الحظ الجزيل.

الثانى- أن كل أحد إنما له جزاء ما اكتسب، فلا يضيعه بتمنى ما لغيره، مما يؤدى إلى إبطال عمله، فكأنه قيل: لا تضيع ما هو لك،

بتمنى ما لغيرك.

و الثالث- أن لكل فريق من الرجال و النساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا، بالتجارات و الزراعات و غير ذلك من أنواع المكاسب، فينبغى أن يقنع و يرضى بما قسم له. و روى عن ابن عباس أنه قال: ذلك فى الميراث، للرجال نصيب منه، و للنساء نصيب منه.

و الأجوبة الأولى أقرب، لأن الميراث ليس، مما يكتسبه الرجال و النساء، و إنما هو شىء، يورثهم اللَّه تعالى، و الآية تضمنت أن لهم نصيباً مما اكتسبوا، و ذلك لا يليق إلا بما تقدم.

و قوله: «وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» معناه: إن احتجتم إلى ما لغيركم، فاسألوا اللَّه أن يعطيكم مثل ذلك من فضله، بشرط أن لا يكون فيه مفسدة لكم و لا لغيركم، لأن المسألة لا تحسن إلا كذلك، و قال سعيد بن جبير: و اسألوا اللَّه العبادة، و به قال السدى، و مجاهد.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) معناه: إنه قسم الأرزاق على ما علمه من الصلاح للعباد، بدلا من الفساد، فينبغى أن ترضوا بما قسمه، و تسألوه من فضله، غير منافسين لغيركم فى عطيته.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۳]..... ص: ۱۸۵

اشارة

وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (۳۳)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۸۶

- آية بلا خلاف-

القراءة، و الاعراب، و الحجة:..... ص: ۱۸۶

قرأ أهل الكوفة (عقدت) بغير ألف، الباقون بألف، فمن قرأ بإثبات الالف، قال: لأن المعاقدة تدل على عقد الحلف باليمين من الفريقين، و قال بعضهم إنه يعنى عن ذلك جميع الأيمان، قال الرمانى: هذا خطأ، لأنها قد تجمع لردها على أحد الفريقين الحالف بها، قال أبو على الفارسى: الذكر الذى يعود من الصلة إلى الموصول ينبغى أن يكون منصوباً، فالتقدير: و الذين عاقدتم أيمانكم، فجعل الأيمان فى اللفظ هى المعاقدة، و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان، فالمعنى: و الذين عاقدت حلفهم أيمانكم، فحذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، فعاقدت أشبه بهذا المعنى، لأن لكل نفس من المعاقدين يميناً على المحالفة. و من قال: «عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ» كل المعنى: عقدت حلفهم أيمانكم، فحذف الحلف، و أقام المضاف إليه مقامه، و الأولون حملوا الكلام على المعنى، حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين، و من قال: (عقدت) حمل على اللفظ، لفظ الأيمان، لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الأيمان فى اللفظ، و إنما أسند إلى الأيمان.

المعنى و اللغة:..... ص: ۱۸۶

و معنى الآية: جعلنا الميراث لكل من هو مولى الميت، و الموالى المذكورون فى الآية، قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة و ابن زيد: هم العصبة، و قال السدى: هم الورثة، و هو أقواها، و التقدير و لكلكم جعنا ورثة مما ترك الوالدان و الأقربون، ثم استأنف: و الذين.

و أصل الموالى من ولى الشىء يليه ولاية، و هو الاتصال للشىء بالشىء، من غير فاصل، و المولى على وجوه: فالمولى المعتق، و المولى المعتق، و المولى العصبة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۸۷

و المولى ابن العم، و المولى الحليف، و المولى الولي، و المولى الأولى بالشيء و الاحق.

فالمعتق مولى النعمة بالعتق، و المعتق لأنه مولى النعمة، و المولى الورثة، لأنهم أولى بالميراث، و المولى الحليف، لأنه يلى المحالف أمره بعقد اليمين، و المولى ابن العم، لأنه يلى النصرة بتلك القرابة، و المولى الولى، لأنه يلى بالنصرة. و فى التنزيل: (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ) «۱» أى لا ناصر لهم، و هو ناصر المؤمنين، و المولى السيد، لأنه أولى بمن يسوده. قال الأخطل.

فأصبحت مولاها من الناس كلهم و أحرى قريش أن تهاب و تحمدا

و المولى الأولى و الأحق،

و منه قوله (ع): (أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل)

أى بغير إذن من هو أولى بها و أحق. و قال الفضل ابن العباس فى المولى بمعنى ابن العم:

مهلا بنى عما مهلا موالينا لا تظهرون لنا ما كان مدفونا «۲»

و المراد بقوله: (وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ) قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبير، و قتادة، و عامر، و الضحاك: إنهم الحلفاء.

الثانى- قال الحسن، و سعيد بن المسيب: هم رجال كانوا يتبنون، على عادة الجاهلية. ليجعل لهم نصيب من الوصية، ثم هلكوا، فذهب نصيبهم بهلاكهم.

الثالث- فى رواية أخرى

عن ابن عباس، و ابن زيد انهم قوم آخى بينهم رسول اللّه (ص).

و الاول أقوى و أظهر فى أقوال المفسرين.

و قال أبو مسلم: أراد بذلك عقد المصاهرة و المناكحة. و قال أبو علي:

الحليف لم يؤمر له بشيء أصلا، لأنه عطف على قوله «تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» أى: و ترك الذين عاقدت أيمانكم، فآتوا كلا نصيبه من الميراث. و هذا ضعيف لأنه

---

(۱) سورة محمد: آية ۱۱.

(۲) مجاز القرآن لابى عبيدة ۱: ۱۲۵ و الكامل للمبرد ۲: ۲۷۹ و الحماسة للبحترى ۱: ۱۲۱ و اللسان (ولى) و قد روى:

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

يفيد التكرار، لأن قوله. «الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» عام فى كل أحد. و على ما قال المفسرون، يكون قوله: (وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ) إذا كانوا مناسبين له، ثم استأنف حكم الحلفاء، فقال: «فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ» . فان قيل: بم يتصل قوله:

«مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ» و ما العامل فيه؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- يتصل ب (موالى) على جهة الصفة، و العامل الاستقرار، كأنه قال:

موالى مما خلف الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الورثة.

الثانى- يتصل بمحذوف، و التقدير: موالى يعطون مما ترك الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الميراث. و قال أبو على الجبائى تقديره:

و لكل شيء مما ترك الوالدان و الأقربون وارث من الميراث. قال الرمانى: و هذا لا يجوز، لأنه فصل بين الصفة و الموصوف بما عمل

فى الموصوف، نحو: لكل رجل- جعلت درهما- فقير.

و النصيب الذى أمر به للحليف قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن و سعيد بن جبير، و قتادة، و عامر، و الضحاك: انه نصيب على ما كانوا يتوارثون بالحلف فى الجاهلية، ثم نسخ ذلك بقوله: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» .

الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و عطاء، و السدى: انه النصيب من النصرة و النصيحة دون الموارثة، فعلى هذا الآية غير منسوخة.

و روى عنه أنه قال: لا- حلف فى الإسلام، فأما ما كان فى الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً) أى: شاهداً، و ذلك دال على أنه عالم به، لأنه لا يشهد إلا بما علم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٣۴]..... ص: ١٨٨

اشارة

الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً (٣۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٨٩

- آية بلا خلاف-

القراءة و النزول:..... ص: ١٨٩

قرأ أبو جعفر المدنى: «بِما حَفِظَ اللَّهُ» - بالنصب- و معناه: بالذى حفظ اللّه، و يحتمل أن يكون معناه: بحفظ اللّه و هو ضعيف، لأنه يكون حذف الفاعل و هو ضعيف.

و سبب نزول هذه الآية ما

قاله الحسن، و قتادة، و ابن جريح، و السدى: أن رجلا لطم امرأته فجاءت إلى النبى (ص) تلتمس القصاص، فنزلت الآية: «الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ» .

المعنى و اللغة:..... ص: ١٨٩

و المعنى: (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ) بالتأديب و التدبير لما «فَضَّلَ اللَّهُ» الرجال على النساء فى العقل و الرأى. و كان الزهرى يقول: ليس بين الرجل و امرأته قصاص فيما دون النفس. و يقال: رجل قيم، و قوام، و قيام. و معناه:

إنهم يقومون بأمر المرأة بالطاعة للّه و لهم. و قوله: (فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ) قال قتادة: و سفيان: معنى (قانتات) مطيعات للّه و لأزواجهن. و أصل القنوت دوام الطاعة، و منه القنوت فى الوتر لطول القيام. و قوله: «حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ» معناه: قال قتادة، و عطاء، و سفيان: حافظات لما غاب عنه أزواجهن من ماله، و ما يجب من رعايته و حاله، و ما يلزم من صيانتها نفسها له، «بِما حَفِظَ اللَّهُ» قال عطاء، و الزجاج: أى بما حفظهن اللّه فى مهورهن، و ألزم الزوج النفقة عليهن. و قال بعضهم: معناه، و اللّه أعلم: بالشىء الذى يحفظ أمر اللّه، و دين اللّه.

و قوله: «وَ اللَّاتِي تَخافُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- تعلمون، لأن خوف النشز للعلم بموقعه، فلذلك جاز أن توضع التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩٠

مكان تعلم، كما قال الشاعر:

و لا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها «١»

و قال آخر:

أتانى كلام عن نصيب يقوله و ما خفت يا سلام انك عائبى «٢»

و قال الفراء: معناه: ما ظننت، و منه

قوله (ص): أمرت بالسواک حتى خفت أن أدرد.

الثانى- الخوف الذى هو خلاف الأمن، كأنه قال: تخافون نشوزهن لعلمكم بالأحوال المؤذنة به، ذكره محمد بن كعب. و معنى النشوز هاهنا: قال ابن عباس، و السدى و عطاء، و ابن زيد: انه معصية الزوج، و أصله الترفع على الزوج بخلافه، مأخوذاً من قولهم: هو على نشز من الأرض، أى ارتفاع، يقال:

نشزت المرأة تنشز و تنشز، قرئ بهما: «وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا» «٣» فالنشوز يكون من قبل المرأة خاصة، و الشقاق منهما. و قوله: «فَعِظُوهُنَّ» أى خوفوهن باللَّه، فان رجعن و إلا فاهجروهن فى المضاجع. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و عكرمة، و الضحاک، و السدى: هجر الكلام.

و قال سعيد بن جبير: هو هجر الجماع. و قال مجاهد، و الشعبى، و ابراهيم:

هو هجر المضاجعة، و هو قول أبى جعفر (ع).

و قال: يحول ظهره إليها. و قال بعضهم:

«اهْجُرُوهُنَّ» اربطوهن بالهجار، من قولهم: هجر الرجل البعير إذا ربطه بالهجار، و قال امرؤ القيس:

رأت هلكاً بنجاف الغبيط فكادت تجد لذاک الهجارا «۴»

---

(١) انظر ٢: ٢۴۴ تعليقة ٢.

(٢) انظر ٢: ١٨٩، ٢۴۴.

(٣) سورة المجادلة: آية ١١.

(۴) ديوانه: ١١١ و اللسان (هلک). و الهلک: الفراغ. نجاف الغبيط: مدرعة البرذعة.

الهجار: حبل يسوى له عروتان فى طرفيه ثم تشد إحداهما فى رسغ رجل الفرس و تزر و كذلک الاخرى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩١

و هذا تعسف فى التأويل، و يضعفه قوله: «فِي الْمَضاجِعِ» و لا يكون الرباط فى المضجع. و أما الضرب فانه غير مبرح بلا خلاف قال أبو جعفر (ع): هو بالسواک.

و المضاجع جمع مضجع، و أصله الاستلقاء، يقال: ضجع ضجوعاً و اضطجع اضطجاعاً إذا استلقى للنوم، و أضجعته إذا وضعت جنبه بالأرض، فكل شىء أملته فقد أضجعته. و قوله: «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ» أى لا تطلبوا، تقول: بغيت الضالة إذا طلبتها، قال الشاعر يصف الموت:

بغاک و ما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا «١»

و أصل الهجر الترک عن قلى، تقول: هجرت فلاناً أى تركت كلامه عن قلى، و الهجر القبيح من الكلام، لأنه مهجور، و الهجار حبل

يشد به البعير، لأنه يهجر به التصرف، و الهاجرة نصف النهار، لأنه وقت يهجر فيه العمل. و قوله:
«إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً» أى متعالياً عن أن يكلف إلا بالحق، و مقداره الطاقة، و قد قيل: معناه إنه قادر عليه، قاهر له، و ليس المراد به علو المكان، لأن ذلك يستحيل عليه تعالى. و الكبير السيد، يقال: لسيد القوم كبيرهم، و المعنى: فان استقمن لكم فلا تطلبوا العلل فى ضربهن، و سوء معاشرتهن، فان اللّه تعالى قادر على الانتصاف لهن.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۵]..... ص: ۱۹۱

اشارة

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً (۳۵)
- آية بلا خلاف-.

المعنى و اللغة:..... ص: ۱۹۱

قوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ» فى معناه قولان:

---

(۱) قائله سحيم بن الحسحاس ديوانه: ۴۱ و روايته (الا وجدته) بدل (حتى وجدته).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۹۲

أحدهما- إن علمتم.

الثانى- الخوف الذى هو خلاف الأمن، و هو الأصح، لأنه لو علم الشقاق يقيناً لم يحتج إلى الحكمين، فان أريد به الظن كان قريباً مما قلناه. و الشقاق الخلاف.

و العداوة، و اشتقاقه من الشق، و هو الجزء البائن، و منه اسم المتشاقين، لأن كل واحد منهما فى شق أى فى ناحية، و منه المشقة فى الأمر، لأنه يشق على النفس، فأمر اللّه متى خيف ذلك بين الزوجين أن يبعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها، و الحكم القيم بما يسند إليه.

و المأمور ببعث الحكمين قيل فيه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير، و الضحاك، و أكثر الفقهاء، و هو الظاهر فى اخبارنا، انه السلطان الذى يترافعان إليه.

و الثانى- قال السدى: انه الرجل و المرأة، و قيل: أيهما كان ناب عن الآخر، و هو اختيار الطبرى. و اختلف الفقهاء فى الحكمين هل هما وكيلان، أو هما حكمان، فعندنا أنهما حكمان، و قال قوم: هما وكيلان، و اختلفوا هل للحكمين أن يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا؟ فعندنا ليس لهما ذلك إلا بعد أن يستأمراهما، أو كان اذن لهما فى الأصل فى ذلك، و به قال الحسن، و قتادة، و ابن زيد، عن أبيه. و من قال: هما وكيلان، قال: لهما ذلك، ذهب اليه سعيد بن جبير، و الشعبى، و السدى، و ابراهيم و شريح، و رووه عن على (ع).

و قوله: (إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما» معناه يوفق اللّه بينهما، و الضمير فى بينهما عائد على الحكمين، و المعنى: إن أراد إصلاحاً فى أمر الزوجين يوفق اللّه بينهما. و به قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و السدى. و أصل التوفيق الموافقة، و هى المساواة فى أمر من الأمور. و التوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعة، و التوفيق بين نفسين هو الإصلاح بينهما، و الاتفاق فى الجنس و المذهب المساواة بينهما، و الاتفاق فى الوقوع كرمية من غير رام لمساواتهما نادراً.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً» يعنى بما يريد الحكمان من الإصلاح التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۹۳

أو الإفساد. و قيل معناه أنه عالم بما تعبدكم به، و لعلمه بما فيه صلاحكم فى دينكم و دنياكم. «شِقاقَ بَيْنِهِما» إنما أضافه إلى البين لأن البين قد يكون اسماً كما قال:

«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» «١» ممن قرأ بالرفع.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۶]..... ص: ١٩٣

اشارة

وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً (۳۶)

- آية-

المعنى:..... ص: ١٩٣

هذا خطاب لجميع المكلفين، أمرهم اللَّه بأن يعبدوه وحده، و لا يشركوا بعبادته شيئاً سواه «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» نصب على المصدر، و تقديره: و أحسنوا إلى الوالدين إحساناً، و يحتمل أن يكون نصباً على تقدير: و استوصوا بالوالدين إحساناً، لأن قوله: «اعْبُدُوا اللَّهَ» بمنزلة استوصوا بعبادة اللَّه، و أن تحسنوا إلى ذى قرباكم، و إلى اليتامى الذين لا أب لهم، و المساكين و هم الفقراء، و الجار ذى القربى، يعنى الجار القريب.

اللغة:..... ص: ١٩٣

و أصل الجار العدول، جاوره مجاورة و جواراً، فهو مجاور له و جار له، لعدوله إلى ناحيته فى مسكنه، و الجور الظلم، لأنه عدول عن الحق، و منه جار السهم إذا عدل عن قصده، و جار عن الطريق إذا عدل عنه، و استجار باللَّه، لأنه

---

(١) سورة الانعام: آية ۹۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩۴

يسأله العدول به عن النار، و جوار الذمة، لأنه عدول بها إلى ناحية صاحبها.

«وَ الْجارِ الْجُنُبِ» أصل الجنب التنحية، جنبت فلاناً عن كذا فتجنب أى نحيته، و منه قوله: «وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «١» و الجانبان الناحيتان، لتنحى كل واحدة عن الأخرى، و منه جنب الإنسان و كل حيوان، و الاجتناب الترك للشيء، و الجار الجنب معناه الغريب الأجنبى، لتنحيه عن القرابة، قال علقمة بن عبدة:

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب «٢»

أى عن غربة. و قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و ابن زيد:

الجار ذى القربى القريب فى النسب، و الجار الجنب: الغريب، أى عن غربة.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: الجيران ثلاثة، جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، و حق القرابة، و حق الإسلام. و جار له حقان: حق الجوار، و حق الإسلام.

و جار له حق الجوار، و المشرك من أهل الكتاب.

المعنى و اللغة:..... ص: ۱۹۴

«وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و الضحاك: هو الرفيق.

الثانى-

قال عبد اللّه بن مسعود، و على (ع) و ابراهيم، و ابن أبى ليلى: الزوجة.

الثالث- قال ابن زيد، و ابن عباس، فى رواية أخرى عنه: إنه المنقطع اليك رجاء رفدك. و قيل إنه فى جميع هؤلاء، و هو أعم فائدة.

و قال الزجاج. الجار ذى القربى الذى يقاربك و يعرفك و تعرفه، و الجار

---

(۱) سورة ابراهيم: آية ۳۵.

(۲) ديوانه: ۱۰۷ و المفضليات ۷۸۹ و الكامل للمبرد ۴۳۷، و اللسان (جنب).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۹۵

الجنب البعيد. و روى أن حد الجوار إلى أربعين داراً. و روى إلى أربعين ذراعاً.

«وَ ابْنِ السَّبِيلِ» معناه صاحب الطريق، و قيل فى المراد به هاهنا قولان:

أحدهما- قال مجاهد، و الربيع: إنه المسافر.

الثانى- قال قتادة، و الضحاك: انه الضيف، و قال أصحابنا: يدخل فيه الفريقان. «وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» يعنى المماليك من العبيد و الإماء، أمر اللّه بالإحسان إلى هؤلاء أجمع. و قوله. «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا» فالمختال الصلف التياه، و الاختيال هو التطاول، و إنما ذكره اللّه هاهنا و ذمه، لأنه أراد بذلك من يختال فيأنف من قراباته و جيرانه إذا كانوا فقراء، لكبره و تطاوله، فأما الاختيال فى الحرب فممدوح، لأن فى ذلك تطاولا على العدو و استخفافاً به.

و أصل المختال من التخيل، و هو التصور، فالمختال لأنه يتخيل بحاله مرح البطر، و منه الخيل، لأنها تختال فى مشيها، أى تتبختر، و الخيال، لأنه يتخيل به صاحبه، و الأخيل الشقراق، لأنه يتخيل فى لونه الخضرة من غير خلوصها، و الخول الحشم، و خلته راكباً خيلاناً أى تخيلته، و الخال المختال، و الخال أخ الأم، (و الفخور) هو الذى يعدد مناقبه كبراً و تطاولا، و أما الذى يعددها اعترافا بالنعم فيها فهو شكور غير فخور. و روى عن المفضل عن عاصم أنه قرأ:

«وَ الْجارِ الْجُنُبِ» - بفتح الجيم- قال أبو الحسن: هو لغة فى الجنب، قال الراجز:

الناس جنب و الأمير جنب يعنى ناحية: قال أبو على الفارسى: يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد الناحية، و التقدير: ذى الجنب، فحذف المضاف، لأن المعنى مفهوم، لأن الناحية لا تكون هى الجار.

و الثانى- أن يكون وصفاً، مثل: ضرب و ندب و فسل، فهذا وصف جرى على موصوف.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۷]..... ص: ۱۹۵

اشارة

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (۳۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩۶

- آية

القراءة:..... ص: ١٩۶

قرأ حمزة، و الكسائى هاهنا و فى الحديد: (بالبخل) بفتح الباء و الخاء.

الباقون بضم الباء و تسكين الخاء. فمن نصب قال: لأنه مصدر بخل يبخل بخلا، الباب كله هكذا، و من اختار الضم و تسكين الخاء، فلأنه نقيض الجود فحمل على وزنه، فهما لغتان. و حكى لغة ثالثة (بالبخل)- بفتح الباء و سكون الخاء.

الاعراب:..... ص: ١٩۶

و قوله: «الذين» يحتمل أن يكون موضعه نصباً من وجهين، و رفعاً من وجهين، فأحد وجهى النصب أن يكون بدلا من «من» فى قوله: «لا يُحِبُّ مَنْ كانَ» . و الثانى- على الذم. و أحد وجهى الرفع- على الاستئناف بالذم، و يكون خبره «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ» «١» و الآية الثانية عطفاً عليها. و الوجه الثانى- على البدل من الضمير فى «فخور» . و البخل أصله مشقة الإعطاء.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٩۶

و قالوا فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- أنه منع الواجب، لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب كبيرة.

و الثانى- هو منع ما لا ينفع منعه، و لا يضر بذله، و مثله الشح، و ضده الجود، و الأول أليق بالآية، لأنه تعالى نفى محبته عمن كان بهذه الصفة، و ذلك لا يليق إلا بمنع الواجب. قال الرمانى: معناه منع الإحسان لمشقة الطباع، و نقيضه الجود و هو بذل الإحسان لانتفاء مشقة الطباع، و قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: و ابن زيد: إن الآية نزلت فى اليهود، إذ بخلوا بإظهار ما علموه و كتموه من صفة محمد (ص). و قال الجبائى، و البلخى: الآية فى كل من كان بهذه الصفة،

---

(١) سورة النساء: آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩٧

و إنما ذكروا بالكفر لكتمانهم نعمة اللَّه عليهم. و الآمر بالبخل يتناوله الوعيد، كما أن من فعل البخل يتناوله الوعيد. و قيل: معنى «يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» يجحدون اليسار و الثروة اعتذاراً فى البخل، و قوله: «وَ أَعْتَدْنا» قد فسرناه فيما مضى و هو أن معناه أعددناه، و جعلناه ثابتاً لهم و «لِلْكافِرِينَ» يعنى الجاحدين ما أنعم اللَّه عليهم «عَذاباً مُهِيناً» أى يهينهم و يذلهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): آية ٣٨]..... ص: ١٩۶

اشارة

وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً (٣٨)

- آية بلا خلاف-.

الاعراب:..... ص: ۱۹۷

قوله: «و الـذين» عطف على «الـذين» فى الآية الأولى. و اعرابه يحتمل ما قلناه فى الآية الأولى سواء. و قال الزجاج و غيره: المعنى بهذه الآية المنافقون.

و قال مجاهد: المعنى بها اليهود، و الأول أقوى و أظهر، لأن الرياء ضرب من النفاق و واو العطف يقوى ذلك، لأنه لو أراد الموصوفين فى الآية الأولى لقال:

«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ»، مع أنه قـد ورد عطف الصـفات بالواو لموصوف واحـد على ما بيناه فيما مضـى، غير أن الأجود ما قلناه.

المعنى و اللغة:..... ص: ۱۹۷

فـذم اللَّه تعـالى بهـذه الآيـة من ينفق ماله رئاء الناس دون أن ينفقه لوجهه و طلب رضاه، و لا يؤمن باللَّه أى لا يصـدق به، «وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الـذى فيه الثواب و العقاب. ثم قال: «وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً» معناه من قبل من الشـيطان، و أطاعه فيما يدعوه إليه فبئس القرين قرينه. و القرين أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۹۸

الاـقتران، و منه قرن الثور لاقتران بعض ببعض، و القرن أهل العصـر من الناس، و قرنـة الشـيء حرفه، و القرن المقاوم فى الحرب، «وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» «۱» أى مطيقين، و القرين الصاحب المألوف. قال عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل و أبصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى «۲»

و يمكن الإنسان الانفكاك من مقارنة الشيطان بالمخالفة له، فلا يعتد بالمقارنة.

و قـال أبو على: لاـ يمكن ذلـك، لأـنه يقرن به الشـيطان فى النـار فلاـ يمكنه الانفكـاك منه، و قوله: «فَسـاءَ قَرِيناً» نصب على التفسـير، كقوله: «ساءَ مَثَلًا»، و تقديره:

ساء مثلا مثل الذين و تقول: نعم رجلا، و تقديره نعم الرجل رجلا.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۳۹]..... ص: ۱۹۸

اشارة

وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً (۳۹)

- آية واحدة بلا خلاف-.

المعنى و الاعراب:..... ص: ۱۹۸

معنى قوله: «وَ ما ذا عَلَيْهِمْ...» الآية الاحتجاج على المتخلفين عن الايمان باللَّه و اليوم الآخر بما عليهم فيه و لهم، و ذلك أنه يجب على الإنسـان أن يحـاسب نفسه فيمـا عليه و له، فـإذا ظهر له مـا عليه فى فعـل المعصـية من اسـتحقاق العقـاب اجتنبها، و ما له فى تركها من اسـتحقاق الثواب عمـل فى ذلك من الاختيار له، أو الانصـراف عنه. و فى ذلك دلالـة على بطلان قول المجبرة فى أن الكافر لا يقـدر على الايمان، لأن الآيـة نزلت على أنه لا عـذر للكفار فى ترك الايمان، و لو كانوا غير قادرين لكان فيه أوضـح العـذر لهم، و لما جاز أن يقال: «وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ» لأنهم لا يقدرون عليه، كما لا يجوز أن يقال لأهل النار: ما ذا عليهم لو خرجوا منها

(١) سورة الزخرف: آية ١٣. [.....]

(٢) ديوانه فى شعراء الجاهلية: ۴۶۶، و قد شاعت روايته على ألسن الناس:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٩٩

إلى الجنـة، من حيث لاـ يقـدرون عليه، و لاـ يجـدون السبيـل إليه، و لـذلك لا يجوز أن يقال للعاجز: ما ذا عليه لو كان صـحيحاً، و لا للفقير: ما ذا عليه لو كان غنياً.

و موضع «ذا» يحتمل من الاعراب وجهين:

أحدهما- أن يكون رفعاً، لأنه فى موضع الذى، و تقديره: ما الذى عليهم لو آمنوا.

الثاني- لا موضع له، لأنه مع (ما) بمنزلة اسم واحد، و تقديره: و أى شيء عليهم لو آمنوا باللّه، ففى الآية تقريع على ترك الايمان باللّه و اليوم الآـخر، و توبيـخ على الإنفـاق ممـا رزقهم اللّه فى غير أبواب البر و سبيـل الخير على وجه الإخلاص، دون الرياء. و قوله «وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً» معناه هاهنا ان اللّه بهم عليم، يجازيهم بما يسرون من قليل أو كثير، فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۴٠]..... ص: ١٩٩

اشارة

إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً (۴٠)

- آية بلا خلاف-.

القراءة، و الحجة، و الاعراب:..... ص: ١٩٩

قرأ: (و إن تـك حسـنة) بـالرفع ابن كثير، و نـافع. البـاقون بالنصب، فمن نصب معناه: و إن تك زنـة الـذرة حسـنة، أو: و إن تك فعلته حسنة، و من رفع ذهب إلى أن كان تامة، و تقديره: و إن تحدث حسنة. و أصل (تك) تكون، فحذفت الضمة للجزم، و الواو لسكونها و سـكون النون، لكثرة الاسـتعمال، و قد ورد القرآن بإثباتها، قال اللّه تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً» «١» فاجتمع فى النون أنها ساكنة و أنها تشـبه حروف اللين، فحذفت لكثرة الاسـتعمال، كما قالوا لا أدر، و لم ابل، و الأجود: لم أبال و لا أدرى «و يؤت» بغير ياء، سقطت الياء

(١) سورة النساء: ١٣۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠٠

للجزم بالعطف على «يضاعفها» . و لدن فى موضع خفض. و فيها لغات، يقال:

لـدُ و لـدن و لدا و لدا، و المعنى واحد، و معناه من قبله، و لدن لما يليك، و عند يكون لما يليك و لما بعد منك، تقول: عندى مال و إن كـان بينـك و بينه بعـد، فـإذا أضـفته إلى نفسـك فقلت: من لـدنى و من لـدنا زدت فيها نوناً أخرى، و أدغموا الأولى منهما ليسـلم سكون النون و مثله قالوا فى (من)، إذا أضافوه قالوا: منى و منا. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر: (يضـعفها) مشـدده، الباقون: (يضاعفها) من المضاعفة. و الظلم هو الألم الذى لا نفع فيه يوفى عليه، و لا دفع مضـرة أعظم منه عاجلا و لا آجلا، و لا هو مستحق، و لا هو واقع على

وجه المدافعة.

اللغة:..... ص: ٢٠٠

و أصله وضع الشيء فى غير موضعه، و قيل: أصله الانتقاص، من قوله:
«وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» «١» أى لم ينقص. و الظلم انتقاص الحق. و الظلمة انتقاص النور بذهابه، و الظلم الثلج، لانتقاصه بالجمود، و شبه به ماء الأسنان، و فى المثل (من أشبه أباه فما ظلم)، و سقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرك، و الظليم ذكر النعام، لأنه يضع الشيء فى غير موضعه من حيث «٢» يحضن غير بيضه. و أصل المثقال الثقل، فالمثقال مقدار الشيء فى الثقل، و الثقل ما ثقل من متاع السفر، و المثقل الذى أثقله المرض، و الثقيل البطيء فى عمله (فمثقال ذرة): مقدار ذرة فى الزنة. و الذرة النملة الحمراء فى قول ابن عباس، و ابن زيد، و هى أصغر النمل، و هى من ذررت الشيء أذرة ذراً إذا بددته سحوقاً.

المعنى:..... ص: ٢٠٠

و فى الآية دلالة على أن منع الثواب ظلم لأنه لو لم يكن ذلك ظلماً لما كان لهذا الكلام معنى على هذا الترتيب. و فيه أيضاً دلالة على أنه قادر على الظلم، لأنها

---

(١) سورة الكهف: آية ٣٢.

(٢) (من حيث) ساقطة من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠١

صفة تعظيم و تنزيه عن فعل ما يقدر عليه من الظلم، و لو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه مدحة، غير أنه و إن كان قادراً عليه فانه لا يفعله لعلمه بقبحه، و بأنه غنى عنه، و لأنه لو فعل لكان ظالماً، لأن الاشتقاق يوجب ذلك و ذلك منزه عنه تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٤١]..... ص: ٢٠١

اشارة

فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً (٤١)
- آية-

الاعراب:..... ص: ٢٠١

«كيف» لفظها لفظ الاستفهام، و معناها هاهنا التوبيخ، و التقدير فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، و حذف لدلالة الكلام عليه. و العامل فى «كيف» الابتداء المحذوف، لأن التقدير: كيف حالهم، على ما بيناه. و إنما جاز خروج كيف عن الاستفهام إلى التوبيخ لأنه يقتضى إقرار العبد على نفسه بما كان من قبيح عمله، كما يقتضى الجواب فى الاستفهام، و لا يجوز أن يكون العامل فى «كيف» «جئنا» لاضافة «إذا» إليه و المضاف إليه لا يعمل فيما قبله كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول، لأنه من تمام الاسم.

المعنى:..... ص: ٢٠١

و الشـهادة تقع يوم القيامـة من كل نبى بأنه بلغ قومه ما تقوم به عليهم الحجة، و أنه أدى ما تقوم به الحجة عليها من مراد اللَّه، هذا قول عبد اللَّه، و ابن جريح، و السدى. و قال الجبائى: يشهد عليهم بأعمالهم. و قال الزجاج، و الطبرى: يشهد لهم و عليهم بما عملوه، و وجه حسن الشـهادة مـا فى ذلـك من اقامـة الحجـة عليهم، فيسـتجيبون عنـد تصور تلـك الحـال من خزى ذلـك المقـام، و فى ذلـك أكبر الاتعاظ.

و روى عن ابن مسعود أنه قرأ على النبى (ص) سورة النساء فلما بلغ «فَكَيْفَ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠٢

إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً»

فاضت عيناه و قوله:

«وَ جِئْنا بِكَ» يعنى محمداً (ص) «عَلى هؤُلاءِ» يعنى على أمته. و قال السدى:

إن أمـة نبينا تشـهد لأنبياء بالأداء و التبليغ، و يشـهد النبى لأمته بتصـديقهم فى تلك الشـهادة، كما قال: «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» «١» .

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٤٢]..... ص: ٢٠٢

اشارة

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً (٤٢)

- آية بلا خلاف-.

القراءة، و الحجة:..... ص: ٢٠٢

قرأ حمزة، و الكسـائى: «تسوى» مفتوحـة التـاء خفيفـة السـين. و قرأ نـافع و ابن عامر- بفتـح التاء و تشـديـد السـين- الباقون بضم التاء و تخفيف السين. و قال الطبرى: الاختيار فتح التاء، لموافقته لقوله:ا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً»

«٢» و لم يقل: كونت. و قال الرمانى. هـذا ليس بشـىء، لأن التمنى فيه معنى الفعل، و بضم التاء أبين و ليس كذلك الآخر، لأنه بمنزلة التمنى لأن يكون معدوماً لم يوجد قط.

قـال أبو على: من قرأ بضم التاء أراد: لو جعل هو و الأرض سواء، و من فتـح التاء أراد: تتسوى، و إنما أدغم التاء فى السـين، قال: و فى هذا تجوز، لأن الفعل مسـند إلى الأرض و ليس ذلك المراد، لأنه لا فائدة لهم أن تصير الأرض مثلهم. و إنما ودوا أن يتستواهم بما لا يتسوى بهم، و من فتح التاء و خفض السين أراد هذا، غير أنه حذف إحدى التائين و هى الأصلية دون التى للمضارعة.

المعنى:..... ص: ٢٠٢

و معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى أن الكفار يوم القيامة يودون- لعلمهم

---

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٢) سورة النبأ: آية ٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٣، ص: ٢٠٣

بما يصيرون إليه من العذاب و الخلود فى النار- أنهم لن يبعثوا أو أنهم كانوا و الأرض سواء. و روى فى التفسير أن البهائم يوم القيامة تصير ترابا، فيتمنى عند ذلك الكفار أنهم صاروا كذلك ترابا، و هذا لا يجيزه إلا من قال: إن العوض منقطع، فأما من قال: هو دائم لم يصحح هذا الخبر. و قوله: «وَ عَصَوُا الرَّسُولَ» ضموا الواو لأنها واو الجمع، و حركت لالتقاء الساكنين. و قوله: «لو استطعنا» كسرت على أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. و إنما وجب لواو الجمع الضم لأنها لما منعت ما لها من ضم ما قبلها، جعلت الضمة عند الحاجة إلى حركتها فيها. و العامل فى «يومئذ» «يود الذين» و إنما عمل فى (يومئذ) ما بعد (إذ) و لم يجز مثل ذلك فى «إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» لأنه لما أضيف (يوم) إلى (إذ) بطلت إضافته إلى الجملة، و جاء التنوين ليدل على تمام الاسم. يبين ذلك قوله: «مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ» «١».

و قوله: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» لا ينافى قوله: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» «٢» لأنه قيل فى معنى الآية سبعة أقوال:

أحدها- قال الحسن إن الآخرة مواطن، فموطن «فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً» «٣» أى صوتاً خفياً، و موطن يكذبون فيقولون: «ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» «۴» «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» و موطن يعترفون بالخطإ بأن يسألوا اللَّه أن يردهم إلى دار الدنيا.

الثانى- قال ابن عباس: إن قوله: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» داخل فى التمنى بعد ما نطقت جوارحهم بفضيحتهم، فكأنهم لما رأوا المؤمنين دخلوا الجنة كتموا فقالوا: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» فختم اللَّه أفواههم، و أنطق جوارحهم بما فعلوه، فحينئذ تمنوا أن يكونوا «تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» فتمنوا الأمرين و قال الفراء: تقديره: يومئذ يود الذين كفروا

---

(١) سورة المعارج: آية ١٢.

(٢) سورة الانعام: آية ٢٣.

(٣) سورة طه: آية ١٠٨.

(۴) سورة النمل: آية ٢٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٣، ص: ٢٠۴

و عصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض و يودون لا يكتمون اللَّه حديثاً.

الثالث- قال أبو على: انه لا يعتد بكتمانهم، لأنه ظاهر عند اللَّه لا يخفى عليه شى‏ء منه.

الرابع- لم يقصدوا الكتمان، لأنهم إنما أخبروا على ما توهموا، و لا يخرجهم من أن يكونوا كذبوا.

و الخامس- قال بعضهم: إن قوله: «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى‏ أَنْفُسِهِمْ» «١» انما معناه: أوجبوا العذاب بمثل حال الكاذب فى الإقرار، كما يقال: كذب عليك الحج، قال الشاعر:

كذب العتيق و ماء شن بارد إن كنت سائلتى غبوقاً فاذهبى

و قال الرمانى: هذا التأويل ضعيف، لأنه يجرى مجرى اللغز.

و السادس: قال الحسين بن على المغربى: تمنوا أن يكونوا عدماً، و تم الكلام ثم استأنف فقال: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» أى لا تكتمه جوارحهم و إن كتموه هم.

السابع- قال البلخى: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» على ظاهره لا يكتمون اللَّه شيئاً، لأنهم ملجأون إلى ترك القبائح و الكذب. و قوله: «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» أى عند أنفسنا، لأنه كانوا يظنون فى الدنيا أن ذلك ليس بشرك من حيث يقربهم إلى اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۴٣]..... ص: ٢٠۴

اشارة

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری حَتَّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِی سَبِیلٍ حَتَّی تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضی أَوْ عَلی سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِکُمْ وَ أَیْدِیکُمْ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَفُوًّا غَفُوراً (۴۳)

---

(۱) سورة الانعام: ۲۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۰۵

– آیة بلا خلاف–

القراءة و المعنی:..... ص: ۲۰۵

قرأ حمزة، و الکسائی: (أو لمستم النساء) بغیر ألف، الباقون (لامستم) بألف، فمن قرأ (لامستم) بالف قال:

معناه الجماع: و هو قول علی (ع)

، و ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و أبو علی الجبائی، و اختاره أبو حنیفة. و من قرأ بلا الف أراد اللمس بالید و غیرها بما دون الجماع، ذهب إلیه ابن مسعود، و عبیدة، و ابن عمر، و الشعبی، و ابراهیم، و عطاء، و اختاره الشافعی. و الصحیح عندنا هو الأول، و هو اختیار الجبائی، و البلخی، و الطبری، و غیرهم. و الملامسة و اللمس معناهما واحد، لأنه لا یلمسها إلا و هی تلمسه، و قیل: ان الملامسة بمعنی اللمس، کما قیل: عافاه اللَّه، و عاقبت اللص.

النزول:..... ص: ۲۰۵

و قیل فی سبب نزول هذه الآیة قولان:

أحدهما– قال ابراهیم: إنها نزلت فی قوم من الصحابة أصابهم جراح.

و الثانی– قالت عائشة نزلت فی قوم من الصحابة أعوزهم الماء.

المعنی و اللغة:..... ص: ۲۰۵

و ظاهر الخطاب متوجه إلی المؤمنین کلهم بأن لا یقربوا الصلاة و هم سکاری یعنی فی حال سکرهم، یقال: قرب یقرب متعد، و قرب یقرب لازم، و قرب الماء یقربه إذا ورده. و قیل فی معنی السکر المذکور فی الآیة قولان:

أحدهما– قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و ابراهیم: إنه السکر من الشراب، و قال مجاهد، و الحسن، و قتادة نسخها تحریم الخمر.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۰۶

الثانی– قال الضحاک. هو سکر النوم خاصة. و أصل السکر من السکر، و هو سد مجری الماء، یقال سکره یسکره، و اسم الموضع السکر و السکر، لانسداد طریق المعرفة به. سکر یسکر سکراً و أسکره إسکاراً، و سکرة الموت غشیته.

فان قیل: کیف یجوز نهی السکران فی حال سکره مع زوال عقله، و کونه بمنزلة الصبی و المجنون؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما– إنه قد یکون سکران من غیر أن یخرج من نقص العقل إلی ما لا یحتمل الامر و النهی.

الثانى- إنما نهوا عن التعرض للسكر مع أن عليهم صلاة يجب أن يؤدها فى حال الصحو. و قال أبو على: فيه جواب ثالث و هو أن النهى إنما دل على أن عليهم أن يعيدوها إن صلوها فى حال السكر.

فان قيل: كيف يسوغ تأويل من ذهب إلى أن السكران مكلف أن ينتهى عن الصلاة فى حال سكره؟ مع أن عمل المسلمين على خلافه، لأن من كان مكلفاً تلزمه الصلاة، قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه منسوخ.

و الآخر- إنه نهى عن الصلاة مع الرسول (ص) فى جماعة.

و قوله: «وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ» يقال: رجل جنب إذا اجنب، و رجل جنب أى غريب، و لا يثنى و لا يجمع، و يجمع أجناباً أى غرباء، و إنما نصب لأنه عطف على قوله: «وَ أَنْتُمْ سُكارى و هى جملة فى موضع الحال. و قيل فى معناه قولان.

أحدهما-

قال على (ع)، و ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و الحكم، و ابن كثير. و ابن زيد: إلا مسافرين فلكم أن تتيمموا.

الثانى- قال ابن عباس فى رواية أخرى، و جابر، و الحسن، و سعيد بن جبير، و ابراهيم، و الزهرى، و عطاء و الجبائى:

ان معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد إلا مجتازين، و هو قول أبى جعفر (ع)

، و حذف لدلالة الكلام عليه، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠٧

و هو الأقوى، لأنه تعالى بين حكم الجنب فى آخر هذه الآية إذا عدم الماء، فلو حملناه على ذلك لكان تكراراً، و إنما أراد أن يبين حكم الجنب فى دخول المساجد فى أول الآية، و حكمه إذا أراد الصلاة مع عدم الماء فى آخرها.

و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ» فالمرض الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح، و الكسير، و صاحب القروح، إذا خاف من مس الماء فى قول ابن مسعود، و الضحاك، و السدى، و ابراهيم، و مجاهد، و قتادة. و قال الحسن، و ابن جبير: هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء، و لا يكون هناك من يناوله. و كان الحسن لا يرخص للجريح التيمم،

و المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) جواز التيمم عند جميع ذلك.

و قوله: «أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ» يعنى الحدث المخصوص، و أصله المطمئن من الأرض، يقال: غائط و غيطان، و التغوط كناية عن الحدث فى الغائط، و الغوطة موضع كثير الماء و الشجر بدمشق، و قوله: «أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ» قد فسرناه، و عندنا المراد به الجماع. و قوله: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» فالتيمم التعمد، و مثله التأمم قال الأعشى:

تيممت قيساً و كم دونه من الأرض من مهمه ذى شزن «١»

يعنى تعمدت، و قال سفيان: معنى تيمموا تعمدوا و تحروا، و الصعيد وجه الأرض من غير نبات و لا شجر، فى قول ابن زيد قال ذو الرمة.

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الراس خرطوم «٢»

و منه قوله: «فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً» «٣» فبين أن الصعيد قد يكون زلقا. و الصعدات الطرقات، قال الزجاج: لا أعلم خلافا بين أهل اللغة بأن الصعيد وجه الأرض، سواء كان عليه تراب أو لم يكن، و هذا يدل عليه ما نقوله من أن التيمم يجوز بالحجارة سواء كان عليها تراب أو لم يكن (و طيباً) أى طاهراً،

---

(١) ديوانه: ١٩ القصيدة: ٢.

(٢) ديوانه: ٥٧١.

(٣) سورة الكهف: آية ۴. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ٢٠٨

و قال سفيان: يعنى حلالا- و أصل الصعيد من الصعود، و هو ما تصعد على وجه الأرض من ترابها، و الإصعاد فى الماء بخلاف الانحدار، و الصعود عقبة يشق صعودها، و منه قوله: «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «١» و قيل: انه جبل فى النار يؤخذ بصعوده، و الصعدة هى القناة التى نبتت مستوية، لأنها تصعد فى نباتها على استقامة، و الصعداء تنفس بتوجع.

و قوله: «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ» قيل فى صفة التيمم ثلاثة أقوال:

أحدها- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى المرفقين، ذهب إليه ابن عمر، و الحسن، و الشعبى، و الجبائى، و أكثر الفقهاء، و به قال قوم من أصحابنا.

الثانى- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى الزندين، ذهب إليه عمار بن ياسر، و مكحول، و اختاره الطبرى، و هو مذهبنا، إذا كان التيمم بدلا من الجنابة، و ان كان بدلا من الوضوء فيكفيه ضربة واحدة يمسح بها الوجه إلى طرف أنفه و اليدين إلى الزندين.

الثالث- قال أبو اليقظان، و الزهرى: انه إلى الإبطين، و قال قوم انه جائز أن يضرب بيديه على الرمل فيمسح بهما وجهه، و إن لم يعلق بهما شيء، و به نقول:

و يجوز للجنب أن يتيمم عندنا، و عند أكثر الفقهاء و أهل العلم. و به قال عمار بن ياسر و رواه عن النبى (ص).

و روى عن عمر، و ابن مسعود، و ابراهيم: أنه لا- يجوز للجنب أن يتيمم، لقوله: «وَ لا- جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ» و قد بينا نحن أن المراد بذلك النهى عن دخول المساجد، فكأنه قال: و لا تقربوا المساجد للصلاة و أنتم سكارى «وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ» لأن من لم يكن له طريق غير المسجد، أو أصابه الاحتلام فى المسجد جاز له أن يجتاز فيه، و لا يلبث فيه.

و السكران الذى زال عقله لا تصح صلاته، و يجب عليه قضاؤها، و لا يصح منه شيء من العقود و لا رفعها، كالنكاح، و الطلاق، و العتق، و البيع، و الشراء، و غير ذلك. و قضاء الصلاة يلزمه إجماعا، و أما ما يلزم به الحدود و القصاص فعندنا أن

---

(١) سورة المدثر: آية ١٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ٢٠٩

جميع ذلك يلزمه، إن سرق قطع، و إن قذف جُلد، و إن زنا حد، و غير ذلك، لإجماع الفرقة المحققة على ذلك، و لعموم الآية المتناولة لذلك، و لا يلزم على ذلك تكليف من قطع رجل نفسه الصلاة قائماً، لأن ذلك تكليف ما لا يطاق، و إيجاب قضاء الصلاة على السكران ليس كذلك، و كذلك إقامة الحدود، لأن ذلك، تابع للشرع، و فيه خلاف.

و يجوز أن يصلى صلوات الليل و النهار عندنا بتيمم واحد، و هو كالوضوء فى هذا الباب، ما لم يحدث، أو يتمكن من استعمال الماء، و به قال الحسن، و عطاء، و أبو حنيفة و أصحابه، و قال ابن عمر، و الشعبى، و قتادة، و ابراهيم، و الشافعى

يجب التيمم لكل صلاة، و رووا ذلك عن على (ع)

، و ذلك عندنا محمول على الاستحباب.

و لا- يجوز التيمم عندنا إلا- عند تضيق الوقت، و الخوف، من فوته، و اختار ذلك البلخى. و قال الشافعى: لا يجوز إلا بعد دخول الوقت، و قال أبو حنيفة:

يتيمم أى وقت شاء، و إن كان قبل الوقت فهو كالوضوء. و مسائل التيمم استوفيناها فى المبسوط، و النهاية، و لا نطول بذكرها هاهنا.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً» أى يقبل منكم العفو، و يغفر لكم، لأن قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل علينا. و قيل: يعفو بمعنى يصفح عنكم الذنوب، و يغفرها أى يسترها عليكم.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): الآيات ۴۴ الى ۴۵]..... ص: ٢٠٩

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (۴۴) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً (۴۵)

- آيتان-. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١٠

القراءة و النزول:..... ص: ٢١٠

فى الكوفى جعلوا (السبيل) آخر الأولى. و آية واحدة فى غير الكوفى.

ذكر ابن عباس، و قتادة، و عكرمة: أن الآية نزلت فى قوم من اليهود، و كانوا يستبدلون الضلالة بالهدى، لتكذيبهم بالنبى (ص) بدلا من التصديق به، مع قيام الحجة عليهم بما ثبت من صفته عندهم، فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى.

و قال أبو على الجبائى، و غيره: كانت اليهود تعطى أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يصفونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم. و قال الزجاج: كانوا يأخذون الرشا.

المعنى:..... ص: ٢١٠

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التأكيد للأحكام التى يجب العمل بها، بالتحذير ممن يدعو إلى خلافها، و يكذب بها. و قوله: «أَ لَمْ تَرَ» قال الزجاج، معناه: أ لم تخبر فى جميع القرآن؟ و قال غيره: أ لم تعلم؟ و قال الرمانى، معناه: رؤية البصر، و المرئى هو الدين، و إنما دخلت (إلى)، لأن الكلام يتضمن معنى التعجب، كقولك: أ لم تر إلى زيد ما أكرمه؟ تقديره: أ لم تر عجباً بانتهاء رؤيتك إلى زيد؟

ثم بين ذلك بقوله: ما أكرمه، و مثله قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» «١» .

كأنه قال: أ لم تر عجباً بانتهاء رؤيتك إلى تدبير ربك كيف مد الظل؟ قال:

و من فسره على: أ لم تخبر، أ لم تعلم، فإنما ذهب إلى ما يؤول المعنى إليه، لأن الخبر و العلم لا يصلح فيهما (إلى) كما يصلح مع الرؤية. و قوله: «وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ» معناه: يريد هؤلاء اليهود أن تضلوا: معشر المؤمنين، أى تزلوا عن قصد الطريق، و محجة الحق فتكذبوا بمحمد فتكونون ضلالا، و فى ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحوا أحداً من أعداء الإسلام فى شىء من أمورهم لدينهم و دنياهم، ثم

---

(١) سورة الفرقان: آية ۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١١

بين تعالى أنه أعلم منكم بعداوة اليهود لكم أيها المؤمنون، فانتهوا إلى طاعتى، و امتثال أوامرى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم، فانى أعلم بباطنهم منكم، و ما هم عليه من الغش، و الحسد، و العداوة. و قيل: معناه: و اللَّه يجازيهم على عداوتهم، كقولك: إنى أعلم ما تفعل أى اجازيك عليه.

و قوله: «وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً» معناه: إن ولاية اللَّه لكم، و نصرته إياكم، تغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود و من جرى مجراهم، ممن تطمعون فى نصرته. و دخلت الباء فى قوله: «باللَّه» لأحد أمرين:

أحـدهما- للتأكيـد، لأن الاسم فی «كَفَی اللَّهُ» كان يتصل اتصال الفاعل، فلما دخلت الباء صار يتصل اتصال المضاف و اتصال الفاعل، ليعلم أن الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره فی المرتبة، و عظم المنزلة، فضوعف لفظها لمضاعفة معناها.
الثانی- لأنه دخله معنی: اكتفوا باللَّه، ذكره الزجاج، و موضعه رفع بلا خلاف.

اللغة:..... ص: ٢١١

و العـداوة و الابعاد من حال النصـرة، و ضدها الولاية، و هی التقرب من حال النصـرة، و أما البغض فهو إرادة الاسـتخفاف و الاهانة، و ضـده المحبـة و هی إرادة الإعظام و الكرامة. و الكفاية بلوغ الغاية فی مقدار الحاجة، كفی يكفی كفاية فهو كاف، و الاكتفاء الاجتزاء بشـیء دون شـیء، و مثله الاسـتغناء، و النصـرة الزيادة فی القوة للغلبـة، و مثلها المعونة، و ضدها الخذلان، و لا يكون ذلك إلا عقوبة، لأن منع المعونة مع الحاجة عقوبة.

قوله تعالی:[سورة النساء (٤): آية ٤۶]..... ص: ٢١١

اشارة

مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِی الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (۴۶)
التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١٢
- آية بلا خلاف-

المعنی و الاعراب:..... ص: ٢١٢

قيل فی معنی قوله: «مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» قولان:
أحـدهما- قـال الفراء، و الزجـاج، و الرمانی: ان يكون تبيينا للـذين «أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ» و يكون العامل فيه «أوتوا» و هو فی صـلة الذين، و يجوز ألا يكون فی الصلة، كما تقول: انظر إلی النفر من قومک ما صنعوا.
الثانی- أن يكون علی الاستئناف، و التقدير: «من الذين هادوا» فريق «يحرفون الكلم» كما قال ذو الرمة:
فضلوا و منهم دمعه سابق له و آخر يثنی دمعة العين بالمهل «١»
و أنشد سيبويه:
و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أ موت و أخری أبتغی العيش أكدح
و قال آخر:
لو قلت ما فی قومها لم تيثم يفضلها فی حسب و ميسم «٢»
أی أحد يفضلها و قال النابغة:
كأنک من جمال بنی أقيش يقعقع خلف رجليه بشن «٣»
يريد كأنک جمل من جمال بنی أقيش.

(١) ديوانه: ۴٨۵، و روايته (عبرة) بدل (دمعة). (بالهمل) بدل (بالمهل).

(٢) قائله حكيم بن معية انظر الخزانة ٢: ٣١١.

(٣) ديوانه: ۵٨، و سيبويه ١: ٣٧۵، و مجاز القرآن ١: ١٠١. الشن: القربة البالية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١٣

قال الفراء: المحذوف (من) و التقدير: من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون: منا يقول ذاك و منا لا يقوله، قال: و العرب تضمر (من) فى مبتدأ الكلام بمن، لأن من بعض لما هى منه، كما قال: «وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» «١» و قال: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها» «٢» و أنشد بيت ذى الرمة الذى قدمناه، قال: و لا يجوز إضمار (من) فى شىء من الصفات على هذا المعنى إلا فى من لما قلناه، و ضعف البيت الذى أنشدناه: (لو قلت ما فى قومها لم تيثم) و هى لغة هوازن، و تأثم رواية أخرى. و قال انما جاز (فى) لأنك تجد (فى) تضارع معنى (من) لأنه بعض ما أضيف، لأنك تقول: فينا الصالحون و فينادون ذلك، كأنك قلت: منا، و لا يجوز: فى الدار يقول ذلك، و تريد: من يقول ذاك، لأنه إنما يجوز إذا أضفت (فى) إلى جنس المتروك. و قال أبو العباس، و الزجاج ما قاله الفراء لا يجوز، لأن (من) تحتاج إلى صلة أو صفة تقوم مقام الصلة، فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة، كما لا يحسن حذف بعض الكلمة، و إنما قال:

«مِنَ الَّذِينَ هادُوا» لأنه ليس جميع اليهود حرفوا، و إنما حرف أحبارهم و علماؤهم.

و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» يعنى يغيرونها عن تأويلها، و الكلم جمع كلمة. و قال مجاهد: يعنى بالكلم التوراة.

و قوله: «سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» يعنى اليهود يقولون: سمعناه قولك يا محمد، و يقولون سراً عصينا.

و قوله: «وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ» اخبار من اللَّه تعالى عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصره، لأنهم كانوا يسبون رسول اللَّه (ص) و يؤذونه بالقبيح من القول، و يقولون له: اسمع منا غير مسمع، كما يقول القائل لغيره إذا سبه بالقبيح:

اسمع لا أسمعك اللَّه، ذكره ابن عباس، و ابن زيد. و قال مجاهد، و الحسن: ان تأويل ذلك اسمع غير مقبول منك، أى غير مجاب.

---

(١) سورة الصافات: آية ١۶۴.

(٢) سورة مريم: آية ٧١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢١۴

و قوله: «وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- أن هذه اللفظة كانت سباً فى لغتهم، فأعلم اللَّه نبيه ذلك و نهاهم عنها. الثانى- انها كانت تجرى منهم على وجه الاستهزاء و السخرية.

الثالث- انها كانت تجرى منهم على حد الكبر، كما يقول القائل: انصت لكلامنا، و تفهم عنا. و انما راعنا من المراعاة التى هى المراقبة. و قوله: «لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» يعنى تحريكا منهم ألسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه.

اللغة:..... ص: ٢١۴

و أصل اللى الفتل، تقول: لويت العود ألويه لياً، و لويت الغريم إذا مطلته، و اللوى من الرمل- مقصور- مسترقه، و لواء الجيش ممدود، و اللوية ما تتحف به المرأة ضيفها لتولى بقبله إليها، و ألوى بهم الدهر إذا أفناهم، و لوى البقل إذا اصفر و لم يستحكم يبسه.

و اللسان آلة الكلام، و اللسان اللغة، و منه قوله: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ» «١» و لسن فلان فلاناً بلسنه إذا أخذه بلسانه، و رجل لسن:

بين اللسن. و لسان الميزان، و لسان القوم: متكلمهم، و شيء ملسن إذا كان طرفه كطرف اللسان. و قوله: «وَ طَعْناً فِي الدِّينِ» فالأصل الطعن بالرمح و نحوه.

و الطعن باللسان كالطعن بالرمح. و منه تطاعنوا فى الحرب. و أطعنوا مطاعنة و طعناناً، و طعن يطعن و يطعن طعناً. و قوله: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا» يعنى هؤلاء اليهود «سَمِعْنا» يا محمد قولك «وَ أَطَعْنا» أمرك، و قبلنا ما جئنا به «وَ اسْمَعْ» منا «وَ انْظُرْنا» بمعنى انتظرنا نفسهم عنك ما تقول لنا «لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ» يعنى أعدل و أصوب فى القول، مأخوذاً من الاستقامة، و منه قوله: «وَ أَقْوَمُ قِيلًا» «۲» بمعنى و أصوب. و قوله: «وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» يعنى أبعدهم اللّه من ثوابه.

ثم أخبر تعالى، فقال: «فَلا يُؤْمِنُونَ» فى المستقبل «إِلَّا قَلِيلًا» منهم فإنهم آمنوا.

---

(۱) سورة ابراهيم: آية ۴.

(۲) سورة المزمل: آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۱۵

و قال البلخى: معناه لا يؤمنون إلا ايماناً قليلا كما قال الشاعر:

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللّه إلا قليلا «۱»

يريد إلا ذكراً قليلا- و سقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين. و قال أبو روق: إلا قليلا ايمانهم قولهم: اللّه خالقنا و رازقنا، و ليس لعن اللّه لهم بمانع لهم من الايمان، و قدرتهم عليه، لأنه إنما لعنهم اللّه لما كفروا فاستحقوا ذلك، و لو تركوا الكفر و آمنوا، لزال عنهم استحقاق اللعن

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۴۷]..... ص: ۲۱۵

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (۴۷)

- آية-

المعنى:..... ص: ۲۱۵

هذه الآية خطاب لأهل الكتاب: اليهود، و النصارى أمرهم اللّه بأن يؤمنوا بالنبى (ص) و ما أنزل عليه من القرآن. و غيره من الأحكام مصدقاً لما معهم من التوراة و الإنجيل اللذين تضمنا صفة النبى (ص) و صحة ما جاء به. و قوله:

(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها» قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و عطية العوفى و قتادة: معناه نمحو آثارها حتى تصير كالقفا. و نجعل عيونها فى قفاها، فتمشى القهقرى.

الثانى- قال الحسن، و مجاهد، و الضحاك، و ابن أبى نجيح، و السدى،

و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع): أن معناه نطمسها عن الهدى، فنردها على أدبارها فى ضلالتها ذماً لها «۲» بأنها لا تصلح أبداً، و هم و إن كانوا فى

---

(۱) انظر ۲، ۷۶ تعليقة ۲، ۳.

(۲) فى المخطوطة (و مآبها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۱۶

الضلالة فى الحال فتوعدهم بأنهم متى لم يؤمنوا بالنبى (ص) ازدادوا بذلك ضلالا إلى ضلالتهم و إياساً لهم أن يؤمنوا فيما بعد.

الثالث- قال الفراء، و اختاره البلخى، و الحسين بن على المغربى: إن معناه نجعل فى وجوههم الشعر كوجه القرود.

الرابع- قال قوم: معناه أن يردهم إلى الشام من الحجاز الذى هو مسكنهم، و هو أضعف الوجوه، لأنه ترك للظاهر، و خلاف أقوال المفسرين: و الأدبار:

جمع دبر. فان قيل: كيف يجوز تأويل من قال نجعلها كالاقفاء و هذا لم يجز على ما توعد به؟ قيل عنه جوابان:

أحدهما- لأنه آمن من جماعة من أولئك الكفار كعبد اللّه بن سلام و ثعلبة بن شعبة و أسد بن ربيعة، و أسد بن عبيد، و مخيرق «۱»، و غيرهم. و أسلم كعب فى أيام عمر حين سمع هذه الآية، فأما من لم يؤمن منهم فانه يفعل به ذلك فى الآخرة على أنه تعالى قال: أو نلعنهم، و المعنى أنه يفعل أحدهما، و لقد لعنهم اللّه بذلك. و قوله: «كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ» يعنى المسخ الذى جرى عليهم، ذكره البلخى.

و الجواب الثانى- أن الوعيد يقع بهم فى الآخرة، لأن اللّه تعالى لم يذكر أنه يفعل بهم ذلك فى الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخى أيضاً، و الجبائى.

اللغة:..... ص: ۲۱۶

و الطمس هو الدثر، و هو عفو الأثر، و الطامس، و الداثر، و الدارس، بمعنى واحد. و طمست أعلام الطريق تطمس طموساً: إذا دثرت، قال كعب بن زهير:

من كل نضاحة الذفرى إذا غرقت عُرضتها طامس الاعلام مجهول «۲»

---

(۱) فى المطبوعة: (و ثعلبة بن سعنة)، (و أسد بن سعنه)، (و أسد بن عبيد)، (و مخبر ق).

(۲) ديوانه: ۹: نضح الرجل العرق سال منه. الذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن، و الاعلام: أعلام الطريق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۱۷

و العين التى هى الجارية عبارة عن الشق بين الجفنين. و الأدبار جمع دبر، و أصله من الدّبر يقولون دبره يدبره و دبراً فهو دابر: إذا صار خلفه. و الدبر:

خلاف القبل. و الدابر: التابع. و منه قوله: «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» «۱» أى تبع النهار. فأما أدبر فمعناه ولّى. و الدبور: الريح، لأنها تدبر الكعبة إلى جهة المشرق. و الدبار الهلاك. و دابرة الطائر: الإصبع التى من خلف. و الدبر: النحل.

و الدبر: المال الكثير، و التدبير، لأنه احكام ادبار الأمور، و هى عواقبها.

المعنى:..... ص: ۲۱۷

و قوله: «أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ» قال السدى، و قتادة، و الحسن: معناه نمسخهم قردة و إنما كنى عنهم بقوله: «أَوْ نَلْعَنَهُمْ» بعد أن خاطبهم بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ» لأمرين:

أحدهما- التصرف فى الخطاب، و الانتقال من مواجهة إلى كناية كما قال:

«حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ» فخاطب ثم قال: «وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» «۲» فكنى.

و الثانى- أن يعود الضمير على أصحاب الوجوه، لأنه بمنزلة المذكور.

و قوله: «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان كل أمر من أمور الله من وعد أو وعيد أو مخبر خبر فانه يكون على ما أخبر به، ذكره الجبائى.

و الثانى- ان معناه «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» أى الذى يأمر به بقوله:

«كن» و ذلك يدل على أن كلامه محدث. و قال البلخى: معناه أنه إذا أراد شيئاً من طريق الإجبار. و الاضطرار كان واقعاً لا محالة. لا يدفعه دافع، كقبض الأرواح، و قلب الأرض و إرسال الحجارة، و المسخ و غير ذلك، فأما ما يأمر به على وجه الاختيار، فقد يقع، و قد لا يقع. و لا يكون فى ذلك مغالبة له لأنه تعالى لو أراد إلجاءه إلى ما أمره به لقدر عليه.

---

(۱) سورة المدثر: آية ۳۳. [.....]

(۲) سورة يونس: آية ۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۱۸

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۴۸]..... ص: ۲۱۸

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً (۴۸)

- آية واحدة بلا خلاف-.

قال الفراء قوله: «أَنْ يُشْرَكَ» فى موضع النصب، و تقديره «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ» الشرك قال: و يحتمل أن يكون موضعه الجر و تقديره و لا يغفر الذنب مع الشرك. و قال قوم: الفرق بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»، و بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ» الشرك به من وجهين:

أحدهما- أن (أن) تدل على الاستقبال.

و الآخر- ذكره الرمانى أنها تدل على وجه الفعل فى الارادة، و نحوها. إذ كان قد يريد الإنسان الكفر مع ظنه أنه ايمان، كما يريد النصارى عبادة المسيح.

و لا يجوز ارادته أن يكفر مع التوهم انه ايمان و كذلك لا يريد الضر مع التوهم أنه نفع، و لا يجوز ارادته أن يضر مع التوهم أنه نفع، و كذلك أمره بالخطإ مع التوهم أنه صواب، و لا يجوز أمره أن يخطئ مع التوهم أنه صواب، و هذا عندى ليس بصحيح، لأن الشرك مذموم على كل حال سواء علمه فاعله كذلك، أو لم يعلم. ألا ترى أن النصارى يستحقون اللعنة و البراءة على ما يعتقدونه من التثليث و إن اعتقدوا هم صحته، فالفرق الاول هو الجيد و ظاهر الآية يدل على أن اللَّه تعالى لا يغفر الشرك أصلا، لكن أجمعت الأمة على أنه لا يغفره مع عدم التوبة، فأما إذا تاب منه فانه يغفره، و إن كان عندنا غفران الشرك مع التوبة تفضلا، و عند المعتزلة هو واجب، و هذه الآية من آكد ما دل على أن اللَّه تعالى يعفو عن المذنبين من غير توبة و وجه الدلالة منها أنها نفى أن يغفر الشرك إلا مع التوبة و أثبت أنه يغفر ما دونه، فيجب أن يكون مع عدم التوبة، لأنه إن كان ما دونه، لا يغفره إلا مع التوبة، فقد صار ما دون الشرك مثل الشرك، فلا معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۱۹

للنفي، و الإثبات. و كان ينبغى أن يقول: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ) المعاصى إلا بالتوبة ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الحكيم أنا لا أعطى الكثير من مالى تفضلا، و اعطى القليل إذا استحق على، لأنه كان يجب أن يقول: أنا لا أعطى شيئاً من مالى إلا إذا استحق على كيف و فى الآية ذكر العظيم الذى هو الشرك، و ذكر ما هو دونه؟

و الفرق بينهما بالنفى و الإثبات، فلا يجوز ألا يكون بينهما فرق من جهة المعنى. فان قيل: نحن نقول: إنه يغفر ما دون الشرك من الصغائر من غير توبة. قلنا: هذا فاسد من وجهين.

أحدهما- انه تخصيص، لأن ما دون الشرك يقع على الكبير و الصغير. و اللَّه تعالى أطلق أنه يغفر ما دونه، فلا يجوز تخصيصه من غير دليل.

الثانى- ان الصغائر تقع محبطة فلا يجوز المؤاخذة بها عند الخصم و ما هذا حكمه لا يجوز تعليقة بالمشيئة و قد علق اللَّه تعالى غفران ما دون الشرك بالمشيئة، لأنه قال: «لِمَنْ يَشاءُ» فان قيل: تعليقه بالمشيئة يدل على أنه لا يغفر ما دون الشرك قطعاً. قلنا: المشيئة دخلت فى المغفور له لا فيما يغفر، بل الظاهر يقتضى انه يغفر ما دون الشرك قطعاً، لكن لمن يشاء من عباده، و بذلك تسقط شبهة من قال القطع على غفران ما دون الشرك من غير توبة، إغراء بالقبيح الذى هو دون الشرك، لأنه إنما يكون إغراء لو قطع على أنه يغفر ذلك لكل أحد. فأما إذا علق غفرانه لمن يشاء، فلا إغراء لأنه لا أحد إلا و هو يجوز أن يغفر له، كما يجوز أن يؤاخذ به فالزجر حاصل على كل حال، و متى عارضوا هذه الآية بآيات الوعيد كقوله:

«وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً» «۱» و قوله: «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها» «۲» و قوله: «إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» «۳» كان لنا أن نقول: العموم لا صيغة له، فمن أين لكم أن المراد به جميع العصاة ثم نقول نحن نخص آياتكم بهذه الآية و نحملها على الكفار. فمتى قالوا لنا: بل نحن نحمل

---

(۱) سورة الفرقان: آية ۱۹.

(۲) سورة النساء: آية ۱۳.

(۳) سورة الانفطار: آية ۱۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۲۰

آياتكم على أصحاب الصغائر. فقد تعارضت الآيات و وقفنا و جوزنا العفو بمجرد العقل، و هو غرضنا و قد استوفينا ما فى ذلك فى الأصول فى باب الوعيد من أراده وقف عليه من هناك. و قوله: (وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً) معناه من يشرك باللَّه، فقد كذب، لأنه يقول: إن عبادته يستحقها غير اللَّه. و ذلك افتراء، و كذب. و قوله: «إِثْماً عَظِيماً» نصب على المصدر فكأنه قال: افترى، و أثم «اثماً عظيماً» لأن افترى بمعنى أثم، فلذلك نصب المصدر به. و قال ابن عمر:

لما نزل قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» ظن أنه تعالى يغفر الشرك أيضاً، فانزل اللَّه هذه الآية. و قال ابن عمر: ما كنا نشك معشر أصحاب رسول اللَّه (ص) فى قاتل المؤمن، و آكل مال اليتيم و شاهد الزور، و قاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن هذه الشهادة. و هذا يدل على أن الصحابة كانت تقول بما نذهب إليه من جواز العفو عن فساق أهل الملة من غير توبة، بخلاف ما يذهب إليه أصحاب الوعيد من المعتزلة، و الخوارج، و غيرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۴۹]..... ص: ۲۲۰

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (۴۹)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۲۲۰

قد فسرنا معنى «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ» فيما مضى، و أن معناه أ لم تعلم فى قول أكثر أهل العلم، و اللغة و قال بعضهم: معناه أ لم تخبر و فيه سؤال على وجه الاعلام.

و تأويله اعلم قصتهم أ لم ينته علمك إلى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم؟ و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و الضحاك، و قتادة، و ابن زيد،

و هو المروى عن أبى جعفر (ع): انهم اليهود، و النصارى فى قوله: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «١»

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢١

«وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ» «١»

قال الزجاج: اليهود جاءوا إلى النبى (ص) بأولادهم الأطفال، فقالوا يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال (ص): لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار، و ما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال اللَّه تعالى: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ)

و قال:

مجاهد، و أبو مالك: كانوا يقدمونهم فى الصلاة و يقولون: هؤلاء لا ذنب لهم.

و قال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند اللَّه.

الثانى- روى عن عبد اللَّه بن مسعود انه تزكية الناس بعضهم بعضاً لينالوا بذلك مالا من مال الدنيا، فأخبر اللَّه تعالى أنه الذى يزكى من يشاء. و تزكيتهم أنفسهم هو أن يقولوا: نحن أزكياء.

اللغة و الاعراب و النظم:..... ص: ٢٢١

و الزّكا النمو يقال زكا الزرع يزكو و زكا الشيء: إذا نما فى الصلاح و قوله:

«وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» قال الزجاج: لا يظلمون مقدار فتيل. فيكون نصبه على أنه مفعول ثان: كقولك: ظلمته حقه أى انتقصته حقه. قال الرمانى: و يحتمل أن يكون نصباً على التمييز كقولك: تصببت عرقاً. و قيل فى معنى الفتيل هاهنا قولان:

أحدها- هو قول ابن عباس فى رواية و قول عطاء ابن أبى رياح، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و عطية: إنه الذى فى شق النواة. و قال الحسن: الفتيل ما فى بطن النواة، و النقير: ما فى ظهرها، و القطمير قشرها.

الثانى- ما فتلت بين إصبعيك من الوسخ. فى رواية أخرى عن ابن عباس، و أبى مالك، و السدى: و الفتل: لى الشيء يقال. فتلت الحبل أفتله فتلا، و انفتل فلان فى صلاته. و الفتيلة معروفة. و ناقة فتلاء. إذا كان فى ذراعيها فتل عن الجنب.

و الفتيل فى معنى المفتول.

---

(١) سورة البقرة: آية ١١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢٢

و وجه اتصال قوله: «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» بما قبله أنه لما قال: «بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ» نفى عن نفسه الظلم لئلا يظن أن الامر بخلافه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۰]..... ص: ٢٢٢

اشارة

انْظُرْ کَیْفَ یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ کَفی بِهِ إِثْماً مُبِیناً (۵۰)

- آیة بلا خلاف-.

اللغة:..... ص: ۲۲۲

النظر هو الإقبال علی الشیء بالبصر و من ذلک النظر بالقلب، لأنه إقبال علی الشیء بالقلب، فکذلک النظر بالرحمة، و نظر الدهر إلی الشیء: إذا أهلکه، و النظر إلی الشیء تلمسه و النظر إلیه بالتأمیل له. و الانتظار: الإقبال علی الشیء بالتوقع له. و الانظار التأخیر إلی وقت. و الاستنظار سؤال الانظار. و المناظرة: اقبال کل واحد علی الآخر بالمحاجة. و النظیر مثل الشیء لا قباله علی نظیره بالمماثلة.

و الفرق بین النظر بالعین، و بین الرؤیة أن الرؤیة هی إدراک المرئی، و النظر إنما هو الإقبال بالبصر نحو المرئی، و لذلک قد ننظر و لا نراه، کما یقولون: نظرت إلی الهلال فلم أره، و لذلک یجوز أن یقال فی اللَّه أنه رائی. و لا یجوز أن یقال ناظر.

و قوله: «کَیْفَ یَفْتَرُونَ» فالافتراء و الاختلاق متقاربان، و الفرق بینهما أن الافتراء هو القطع علی کذب أخبر به، و اختلق قدر کذباً اخبر به، لأن الفری القطع، و الخلق التقدیر.

المعنی:..... ص: ۲۲۲

و افتراؤهم الکذب علی اللَّه هاهنا المراد به تزکیتهم لأنفسهم بانا «أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» و أنه «لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ کانَ هُوداً أَوْ نَصاری ذکره ابن جریح و قوله: «وَ کَفی بِهِ إِثْماً مُبِیناً» معناه تعظیم إثمه و إنما یقال کفی به فی العظم علی جهة المدح أو الذم، کقولک: کفی بحال المؤمن نبلا و کفی بحال الکافر إثماً التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۲۳

کأنه قیل: لیس یحتاج إلی حال أعظم منه فی المدح أو الذم. کما یقال لیس یحتاج إلی أکثر مما به. و یحتمل أن یکون معناه کفی هذا إثماً أی لیس یقصر عن منزلة الإثم.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۵۱]..... ص: ۲۲۳

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ یَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلًا (۵۱)

- آیة بلا خلاف-.

المعنی:..... ص: ۲۲۳

قیل فی المعنی بهذه الآیة قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة: هم جماعة من الیهود منهم: حی بن أخطب و کعب بن الأشرف، و سلام بن أبی الحقیق، و الربیع بن الربیع «۱» . قالوا لقریش:

أنتم أهدی سبیلا ممن آمن بمحمد.

الثـانی- قـال عكرمـة إن المعنى به كعب بن الأشـرف، لأنـه قـال هـذا القول، و سـجد لصـنمين كانا لقريش. و قيل فی معنى الجبت، و الطاغوت خمسة أقوال:

أحدها- قال عكرمة: إنهما صـنمان. و قال أبو على: هؤلاء جماعة من اليهود آمنوا بالأصـنام التی كانت تعبدها قريش، و العرب مقاربة لهم ليعينوهم على محمد (ص).

الثانی- قال ابن عباس: الجبت الأصنام. و الطاغوت: تراجمة الأصنام الذين يتكلمون بالتكذب عنها.

الثالث- إن الجبت الساحر. و الطاغوت الشيطان، قاله ابن زيد. و قال مجاهد: الجبت: السحر.

---

(١) فی المخطوطة (الربيع) بإسقاط (ابن الربيع) و فی مجمع البيان (أبو رافع).

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢۴

الرابع- قال سعيد بن جبير، و أبو العالية: الجبت: الساحر. و الطاغوت: الكاهن.

و الخـامس- فی روايـة عن ابن عبـاس و الضـحاك: ان الجبت حی بن أخطب، و الطـاغوت كعب بن الأشـرف، لأنهما جاء إلى مكـة، فقال لهما أهل مكة: أنتم أهل الكتاب و أهل العلم القديم، فأخبرونا عنا و عن محمد (ص)، فقالا: ما أنتم و ما محمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء و نسقی اللبن على الماء، و نفك العناة، و نصل الأرحام، و نسقی الحجيج. و محمد منبوز قطع أرحامنا، و اتبعه سراق الحجيج بنو غفار فقالا: أنتم خير منه، و أهدى سبيلا فانزل اللَّه هذه الآية. و قال الزجاج، و الفراء، و البلخی: هما كل معبود من دون اللَّه تعالى.

اللغة:..... ص: ٢٢۴

و وزن طـاغوت فعلوت على وزن رهبوت. قال الخليل: هو من طغا و قلبت اللام إلى موضع العين كما قيل: لاث فی لايث. و شاك فی شايك. و هذا تغيير لا يقاس عليه، لكنه يحمل على النظير. و الجبت لا تصريف له فی اللغة العربية.

و قيـل: هو الساحر بلغـة حبش عن سـعيد بن جبير: و السبيل المـذكور فی الآيـة هو الـدين. و إنما سـمى سبيلا، لأنه كالسبيل الـذی هو الطريق فی الاسـتمرار عليه ليؤدی إلى الغرض المطلوب. و نصبه على التمييز كقولك هو أحسن منك وجهاً و أجود منك ثوباً لأنك فی قولـك: هـذا أجود منـك قـد أبهمت الشـیء الـذی فضـلته به إلاـ أن تريـد ان جملته أجود من جملتك فتقول هـذا أجود منك و تمسك.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵٢]..... ص: ٢٢۴

اشارة

أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً (۵٢)

- آية بلا خلاف-. التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢۵

النزول:..... ص: ٢٢۵

قوله: (أولئك) اشارة إلى الذين ذكرهم فی الآية الاولى. و قال قتادة:

لما قال كعب بن الأشرف، و حى بن أخطب «هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» و هما يعلمان أنهما كاذبان. أنزل اللَّه هذه الآية «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» فالوعيد فيها على ما تقدم من القول على جهة العناد، لأنها اشارة إلى ما تقدم من صفتهم الدالة على عنادهم.

اللغة و المعنى:..... ص: ۲۲۵

(أولئك) لفظ جمع، و واحده ذا فى المعنى كما قالوا: نسوة فى جماعة النساء.

و للواحدة امرأة. و غلب على أولاء (ها) التى للتنبيه. و ليس ذلك فى أولئك، لأن فى حرف الخطاب تنبيهاً للمخاطب إذ كان الكاف انما هو حرف لحق، لتنبيه المخاطب، فصار معاقباً للهاء التى للتنبيه فى أكثر الاستعمال. و اللعنة: الابعاد من رحمة اللَّه عقابا على معصيته، فلذلك لا يجوز لعن البهائم، و لا من ليس بعاقل من المجانين، و الأطفال، لأنه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها. فمن لعن حية أو عقرباً أو نحو ذلك مما لا معصية له فقد اخطأ، لأنه سأل اللَّه عز و جل ما لا يجوز فى حكمته.

فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة، كان ذلك جائزاً. فان قيل: كيف قال: «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» مع تناصر أهل الباطل على باطلهم؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» ينصره من عقاب اللَّه الذى يحله به مما قد أعده له، لأنه الذى يحصل عليه و ما سواه يضمحل عنه.

الثانى- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً»، لأنه لا يعتد بنصرة ناصر له مع خذلان اللَّه إياه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۳]..... ص: ۲۲۵

اشارة

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (۵۳)

آيه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۲۶

النظم و الاعراب:..... ص: ۲۲۶

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال الصفة بالبخل، و الصفة بالحسد و الجهل، لأن قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ، وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» يدل على أنهم حسدوا المؤمنون و أنهم يعملون أعمال الجاهلين، إلا أن الكلام خرج مخرج الاستفهام، للتوبيخ، و التقريع بتلك الحال. و جاءت أم هاهنا غير معادلة للالف لتدل على اتصال الثانى بالأول. و المعنى بل أ لهم نصيب من الملك؟ و تسمى أم هذه المنقطعة عن الالف لأنها بخلاف المتصلة بها على المعادلة. و مثله «الم تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» «۱» و قال بعضهم: إن الالف محذوفة، لأن أم لا تجىء مبتدأة على تقدير أ هم أولى بالنبوة «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» فيلزم الناس طاعتهم. و هذا ضعيف، لأن حذف الالف إنما يجوز فى ضرورة الشعر بالإجماع و لا ضرورة فى القرآن. «و إذاً» لم تعمل فى يؤتون لأنها إذا وقعت بين الفاء، و الفعل، جاز أن تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى (أرى) «۲» إذا توسطت أو تأخرت، لأن النية به التأخير. و التقدير أم لهم نصيب من الملك فلا يؤتون الناس نقيراً اذاً، و كذلك إذا كان معها واو، نحو «وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» «۳» و يجوز أن تقدر مستأنفة، فتعمل مع حرف العطف.

و (اذن) لا تعمل إلا بشروط أربعة: أن تكون جوابا لكلام، و أن تكون مبتدأة فى اللفظ، و لا يكون ما بعدها متعلقاً بما قبلها، و يكون

الفعل بعدها مستقبلا.

و متى نقص واحد من هذه الشروط لم تعمل.

المعنى و اللغة:..... ص: ۲۲۶

و قوله: «لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً» اخبار من اللّه تعالى عن لومهم، و بخلهم

---

(۱) سورة أ لم السجدة: آية ۱، ۲، ۳.

(۲) أى (أرى) القلبية.

(۳) سورة الإسراء: آية ۷۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۲۷

أى لا يؤتونهم نقيراً. و قيل فى معنى النقير هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و قتادة، و السدى، و عطاء، و الضحاك، و ابن زيد: إنه النقطة التى فى ظهر النواة. و قال مجاهد: هو الحبة التى فى بطن النواة. و فى روايـة أخرى عن ابن عبـاس أن النقير ما نقر الرجل بإصـبعه، كما ينقر الـدرهم. و النقر: النكت و منه المنقار، لأنه ينقر به. و الناقور: الصور، لأن الملك ينقر فيه بالنفخ المصوت. و النقرة: حفرة فى الأرض أو غيرها، و النقير:

خشبة تنقر و ينبذ فيها. و المناقرة: مراجعة الكلام. و انتقر: اختص كما يختص بالنقر واحداً واحداً. و المنقر: المقلع عن الشىء، لأنه كما يقلع فى النقر، ثم يعود إليه.

و معنى «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» ما يدعيه اليهود أن الملك يعود إليه.

و قوله: «فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ» يعنى العرب. و ذكر الزجاج فى معناه وجهين:

أحدهما- بل لهم نصيب، لأنهم كانوا أصحاب بساتين و أموال، و كانوا فى غاية البخل.

و الثانى- أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس نقيراً من بخلهم اختاره البلخى و به قال السدى، و ابن جريح.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۴]..... ص: ۲۲۷

اشارة

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (۵۴)

- آية-

المعنى:..... ص: ۲۲۷

المعنى بقوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك، و السدى، و عكرمة:

إنه النبى (ص)، و هو قول أبى جعفر (ع)، و زاد فيه و آله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۲۸

الثانی- قال قتادة: هم العرب «۱» : محمد (ص) و أصحابه، لأنه قد جری ذکرهم فی قوله: «یَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلًا» ذکره الجبائی.

و الفضل المذکور فی الآیة قیل فیه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و ابن جریج: النبوة. و هو

قول أبی جعفر (ع) قال و فی آله الامامة.

الثانی- قال ابن عباس: و الضحاک و السدی ما أباحه اللَّه للنبی من نکاح تسعة.

اللغة:..... ص: ۲۲۸

و الحسد تمنی زوال النعمة عن صاحبها لما یلحق من المشقة فی نیله لها، و الغبطة: تمنی مثل النعمة، لأجل السرور بها لصاحبها، و لهذا کان الحسد مذموماً و الغبطة غیر مذمومة. و قیل: إن الحسد من افراط البخل، لأن البخل مع النعمة، للمشقة بذلها. و الحسد تمنی زوالها لمشقة نیل صاحبها لها بالعمل فیها علی المشقة بنیل النعمة. ثم قال «فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً» فما حسدوهم علی ذلک فکیف حسدوا محمداً و آله ما أعطاهم اللَّه إیاه.

المعنی:..... ص: ۲۲۸

و الملک المذکور فی الآیة هاهنا قیل فیه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس: هو ملک سلیمان، و به قال عطیة العوفی.

الثانی- قال السدی: هو ما أحل لداود من النساء تسع و تسعون امرأة، و لسلیمان مائة لأن الیهود عابت النبی (ص) بکثرة النساء فبین اللَّه ان ذلک و أکثر منه کان فی آل ابراهیم.

الثالث- قال مجاهد، و الحسن: إنه النبوة.

و قال أبو جعفر (ع): انه الخلافة، من أطاعهم، أطاع اللَّه و من عصاهم عصی اللَّه.

---

(۱) فی المخطوطة (الذین هم محمد...).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۲۹

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۵۵]..... ص: ۲۲۹

اشارة

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ کَفی بِجَهَنَّمَ سَعِیراً (۵۵)

- آیة بلا خلاف-.

المعنی:..... ص: ۲۲۹

الضمیر فی قوله: «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» یحتمل أن یکون عائداً إلی أحد أمرین:

أحدهما- قال مجاهد، و الزجاج، و الجبائی: إن من أهل الكتاب من آمن بمحمد (ص) لتقدم الذكر فی «يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ» «١» .

الثانی- فمن أمة ابراهيم من آمن بإبراهيم، و منهم من صد عنه. كما أنكم فی أمر محمد (ص) كذلك. و ليس فی ذلك توهين لأمره كما ليس فيه توهين لأمر ابراهيم. و اتصال الكلام علی هذا الوجه ظاهر و علی الوجه الأول تقديره وقع «٢» هذا كله «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و قال قوم:

«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» بداود و سليمان «وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و ليس فی الآية دلالة علی أن ما تقدم من الوعيد إنما صرف عنهم لأيمان هذا الفريق، لأنه قال فی الآخرة «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» «٣» و قال بعضهم: فيه دلالة علی ذلك، و لذلك قال: «وَ كَفی بِجَهَنَّمَ سَعِيراً» أی ان كان صرف بعض العقاب، فكفی بجهنم استغرافا بالعذاب.

اللغة:..... ص: ٢٢٩

و سعير بمعنی مسعورة و ترك- لأجل الصرف- التأنيث للمبالغة فی الصفة كما قالوا: كف خضيب و لحية دهين. و تركت علامة التأنيث، لأنها لما كان دخولها فيما

---

(١) سورة النساء: آية ۴۶.

(٢) فی المخطوطة (ومع) بدل (وقع).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠۶. [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٠

ليست له، للمبالغة نحو رجل علامة كان سقوطها فيما بقی له للمبالغة فحسن هذا التقابل فی الدلالة. و السعر: إيقاد النار و منه قوله: «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» «١» و استعرت النار و الحرب و الشر استعاراً. و استعرتها اسعاراً. و سعرتها تسعيراً.

و السعر: سعر المتاع و سعروه تسعيراً و ذلك لاستعار السوق بحماها فی البيع.

و الساعور كالتنور فی الأرض. و المسعور: الذی قد ضربته السموم، و العطش.

و زيدت الباء فی قوله: «وَ كَفی بِجَهَنَّمَ» لتأكيد الاختصاص، لأنه يتعلق به من وجهين: وجه الفعل فی كفی جهنم كقولك: كفی اللَّه، و وجه الاضافة فی الكفاية بجهنم. و علی ذلك قيل: كفی باللَّه للدلالة علی أن الكفاية تضاف إليه من أوكد الوجوه، و هو وجه الفعل، و وجه المصدر.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آية ۵۶]..... ص: ٢٣٠

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً (۵۶)

- آية بلا خلاف-.

المعنی و اللغة:..... ص: ٢٣٠

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن من جحد معرفته و كذَّب أنبياءه، و دفع الآيات التى تدل على توحيده، و صدق نبيه أنه صوف يصليه ناراً لتدل على أن ذلك يفعله بهم فى المستقبل، و لم يكن دخولها للشك، لأنه تعالى عالم بالأشياء لا يخفى عليه أمر من الأمور. و معنى نصليه ناراً: نلزمه إياها تقول: أصليته النار: إذا ألقيته فيها، و صليته صلياً: إذا شويته: و شاة مصلية أى مشوية. و الصلا الشواء.

و صلى فلان بشر فلان. و صلى برجل سوء.

و قوله: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها» قيل فيه ثلاثة أقوال:

---

(۱) سورة التكوير: آية ۱۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۱

أحدها- قال الرمانى: إن اللَّه يجدد لهم جلوداً غير الجلود التى احترقت و تعدم المحترقة على ظاهر القرآن من أنها غيرها، لأنها ليست بعض الإنسان. قال قوم هذا لا يجوز، لأنه يكون عذب من لا يستحق العذاب. قال الرمانى: لا يؤدى إلى ذلك، لأن ما يزاد لا يألم، و لا هو بعض لما يألم، و إنما هو شىء يصل به الألم إلى المستحق له. و قال الجبائى: لا يجوز أن يكون المراد ان يزاد جلداً على جلده، كلما نضجت لأنه لو كان كذلك لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام اللَّه العقاب، لأنه كلما نضجت تلك الجلود زاد اللَّه جلدا آخر، فلا بد أن ينتهى إلى ذلك.

و الجواب الثانى- اختاره البلخى و الجبائى، و الزجاج: ان اللَّه تعالى يجددها بان يردها إلى الحالة التى كانت عليها غير محترقة، كما يقال جئتنى بغير ذلك الوجه و كذلك، إذا جعل قميصه قباء جاز أن يقال جاء بغير ذلك اللباس أو غير خاتمه فصاغه خاتماً آخر جاز أن يقال هذا غير ذلك الخاتم، و هذا هو المعتمد عليه.

و الثالث- قال قوم: إن التبديل إنما هو للسراويل التى ذكرها اللَّه فى قوله:

«سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ» «۱» فأما الجلود فلو عذبت ثم أوجدت، لكان فيه تفتير عنهم، و هذا بعيد، لأنه ترك للظاهر و عدول بالجلود إلى السرابيل، و لا نقول إن اللَّه تعالى يعدم الجلود بل على ما قلناه يجددها و يطريها بما يفعل فيها من المعانى التى تعود إلى حالتها، فأما من قال: إن الإنسان غير هذه الجملة، و أنه هو المعذب، فقد تخلص من هذا السؤال. و يقوّى ما قلناه ان أهل اللغة يقولون: أبدلت الشيء بالشيء إذا أزلت عيناً بعين، كما قال الراجز:

عزل الأمير بالأمير المبدل

و بدلت- بالتشديد- إذا غيرت هيئة، و العين واحدة. يقولون: بدَّلت جنتى قميصاً: إذا جعلتها قميصاً ذكره المغربى، و قال البلخى: و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يخلق اللَّه لهم جلداً آخر فوق جلودهم، فإذا احترق التحتانى أعاده اللَّه.

---

(۱) سورة ابراهيم: آية ۵۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۲

و هكذا يتعقب الواحد الآخر قال: و يحتمل أن يخلق اللَّه لهم جلداً لا يألم يعذبهم فيه، كما يعذبهم فى سرابيل القطران.

فان قيل: كيف قال: «لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» مع أنه دائم لازم؟ قيل: لأن احساسهم فى كل حال كاحساس الذائق فى تجدد الوجدان من غير نقصان، لأن من استمر على الأكل، لا يجد الطعم، كما يجد الطعم من يذوقه. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً» معناه أنه قادر قاهر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به أو وعد، و حكيم فى فعله لا يخلف وعيده، و لا يفعل إلا قدر المستحق به فينبغى للعاقل أن يتدبره، و يكون حذره منه على حسب علمه به و لا يغترَّ بطول الامهال، و السلامة من تعجيل العقوبة.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۷]..... ص: ۲۳۲

اشارة

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (۵۷)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۲۳۲

لما ذكر اللَّه تعالى فى الآية الأولى ما توعد به الكفار و الجاحدين لآياته تعالى، وعد فى هذه الآية المصدقين به تعالى، و العاملين الأعمال الصالحات، و هى الحسنات التى هى طاعات اللَّه، و صالح يجرى على وجهين:

أحدهما- على من يعمل الطاعة.

الثانى- على نفس العمل و يقال: رجل صالح، و معناه ذو عمل صالح، و يقال:

عمل صالح، فيجرى عليه الوصف بأنه صالح. وعدهم بأن سيدخلهم جنات و هى جمع جنة و هى البستان التى يجنها الشجر «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و فيه محذوف، لأن التقدير تجرى من تحتها مياه الأنهار، لأن الماء هو الجارى دون الأنهار التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۳

غير أنه بعرف الاستعمال سقط عنه اسم مجاز، كما سقط فى قولهم: هذا شعر امرئ القيس و ان كان المراد انه حكاية عنه، فأما قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» مجاز لا محالة، لأنه لا بد فيه من تقدير أهلها، و قوله: «خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ» يعنى من النفاس و الحيض و من جميع الأقذار، و الأدناس.

اللغة:..... ص: ۲۳۳

و الطهارة نقيض النجاسة. و النجاسة فى الأصل هى ما كان نتناً نحو الجيف، و غيرها، و شبه بذلك نجاسة الحكم تبعاً للشريعة كما يقال فى الخمر: إنها نجسة.

و قوله: «وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا» فالظل أصله الستر من الشمس قال رؤبة: كل موضع يكون فيه الشمس، فتزول عنه، فهو ظل و فيء. و ما سوى ذلك فظل، لا يقال فيه فيء. و الظل: الليل، لأنه كالستر من الشمس. و الظلة: السترة، و ظل يفعل كذا: إذا فعله نهاراً، لأنه فى الوقت الذى يكون للشمس ظل. و الاظلال الدنو، لأن الشيء بدنوه، كأنه قد ألقى عليك ظله. و الأظل: باطن منسم البعير، لأن المنسم يستره. و الظليل: هو الكنين، لأنه لا شمس فيه و لا سموم. قال الحسن:

ربما كان ظل ليس بظليل، لأنه يدخله الحر و السموم، فلذلك وصف ظل الجنة بأنه ظليل. و منه قوله: «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ» «۱» لأنه ليس كل ظل ممدوداً. و

روى أن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام، لا يقطعها و هى شجرة الخلد.

و قيل: إنما قال «ظِلًّا ظَلِيلًا» فرقا بينه و بين «ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» «۲» و قيل يدخلهم ظلا ظليلا فى الموقف حيث لا ظل إلا ظل عرشه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۸]..... ص: ۲۳۳

اشارة

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً (۵٨)

---

(١) سورة الواقعة: آية ٣١.

(٢) سورة المرسلات آية ٣١- ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣۴

- آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ٢٣۴

قيل فى المعنى بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أولها- ما قال ابن عباس، و أبى بن كعب، و الحسن، و قتادة،

و هو المروى عن أبى جعفر (ع)، و أبى عبد اللَّه (ع): إن كل مؤتمن على شيء يلزمه رده.

الثاني- قال زيد بن أسلم، و مكحول، و شهر بن حوشب:

إن المراد به ولاة الأمر و هو اختيار الجبائى، و روى ذلك عن أبى جعفر أيضاً و أبى عبد اللَّه (ع) و قالوا: أمر اللَّه الأئمة كل واحد منهم أن يسلم الأمر إلى من بعده

، و على الوجه الأول يدخل هذا فيه، لأن ذلك من جملة ما ائتمنه اللَّه عليه. و لذلك

قال أبو جعفر (ع): إن أداء الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج من الأمانة، و يكون الأمر لآمر بأداء الأمانة من الغنائم و الصدقات، و غير ذلك مما يتعلق به حق الرعية.

الثالث- قال ابن جريج: نزلت فى عثمان بن طلحة. أمر اللَّه تعالى نبيه أن يرد إليه مفاتيح الكعبة، و المعتمد هو الأول، و إن كان الأخير روى أنه سبب نزول الآية، غير أنه لا يقصر عليه.

اللغة و المعنى:..... ص: ٢٣۴

تقول: أديت الشيء أؤديه تأدية، و هو المصدر الحقيقى، و لو قلت: أديت أداء كان جائزاً يقام الاسم مقام المصدر. و يقال: أدوت للصيد آدو له ادواً:

إذا ختلته، لتصيده. و أدى اللبن يأدى: إذا حمض. و قوله: «وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» أمر اللَّه تعالى الحكام بين الناس أن يحكموا بالعدل لا- بالجور «إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ» معناه نعم الشيء شيئاً يعظكم اللَّه به من أداء الامانة و كتبت (ما) فى (نعما) موصولة، لأنها بمنزلة الكافة فى (إنما)، و (ربما)، غير انها فى نعما التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣۵

اسم يعود إليه الضمير فى (به) فتقديره نعم شيئاً يعظكم به أو نعم وعظاً يعظكم به، و لا يجوز إسكان العين مع الميم فى نعما لأنه جمع بين ساكنين، و لكن يجوز اختلاس الحركة من غير إشباع الكسرة، كالاختلاص فى (يأمركم و بارئكم) و على هذا تحمل قراءة أبى عمر. و قال الزجاج: اجتماع الساكنين فيه ينكره جميع البصريين.

و السميع: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت و البصير من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر

المبصرات إذا وجدت. و السامع هو المدرك للمسموعات. و المبصر هو المدرك للمبصرات. و لذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع بصير، و لا يوصف بأنه سامع مبصر إلا بعد وجود المبصرات و المسموعات.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً» اخبار بأنه كان سميعاً بصيراً فيما مضى.

و ذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به فإذا كان لا يجوز خروجه عن كونه حياً، فلا يجوز خروجه عن كونه سميعاً بصيراً.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۵۹]..... ص: ۲۳۵

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (۵۹)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۲۳۵

هـذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين يأمرهم أن يطيعوه و يطيعوا رسوله و يطيعوا أولى الأمر منهم، فالطاعـة هى امتثال الأمر. فطاعـة اللَّه هى امتثال أوامره و الانتهاء عن نواهيه. و طاعـة الرسول كـذلك امتثال أوامره و طاعة الرسول أيضاً هى طاعة اللَّه، لأنه تعالى أمر بطاعة رسوله، فمن أطاع الرسول، فقد أطاع التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

اللَّه كما قال «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» «۱» فأما المعرفة بأنه رسول، فمعرفة بالرسالة و لا يتم ذلك إلا بعد المعرفة باللَّه، و ليست إحـداهما هى الأخرى، و طاعـة الرسول واجبة فى حياته و بعد وفاته، لأن بعد وفاته يلزم اتباع سـنته، لأنه دعا إليها جميع المكلفين إلى يوم القيامة، كما أنه رسول إليهم أجمعين. فأما أولو الأمر، فللمفسرين فيه تأويلان.

أحدهما- قال أبو هريرة، و فى رواية عن ابن عباس، و ميمون بن مهران، و السدى و الجبائى، و البلخى، و الطبرى: إنهم الامراء.

الثانى- قال جابر بن عبد اللَّه، و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و عطاء، و أبى العالية: انهم العلماء.

و روى أصحابنا عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أنهم الأئمة من آل محمد (ص)

فلذلك أوجب اللَّه تعالى طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعة رسوله و طاعة نفسه كذلك. و لا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كـان معصوماً مأموناً منه السـهو و الغلط، و ليس ذلك بحاصل فى الامراء، و لا العلماء، و إنما هو واجب فى الأئمـة الـذين دلت الأدلة على عصـمتهم و طهـارتهم، فأمـا من قـال المراد به العلماء، فقوله بعيـد، لأن قوله «وَ أُولِي الْأَمْرِ» معناه أطيعوا من له الأمر، و ليس ذلك للعلمـاء، فـان قـالوا: يجب علينـا طاعتهم إذا كانوا محقين، فإذا عـدلوا عن الحق فلا طاعـة لهم علينا. قلنا: هـذا تخصـيص لعموم إيجاب الطاعـة لم يـدل عليه دليل. و حمل الآية على العموم، فيمن يصح ذلك فيه أولى من تخصـيص الطاعة بشـىء دون شـىء كما لا يجوز تخصـيص وجوب طاعة الرسول و طاعة اللَّه فى شـىء دون شـىء. و قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» فمعنى الرد إلى اللَّه هـو إلى كتـابه و الرد إلى رسوله هو الرد إلى سـنته. و قول مجاهـد، و قتـادة، و ميمون بن مهران، و السـدى: و الرد إلى الأـئمة يجرى مجرى الرد إلى اللَّه و الرسـول، و لـذلك قـال فى آيـة أخرى «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَ إِلى أُولِي الْـأَمْرِ مِنْهُـمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «۲» و لأنه إذا كان

---

(۱) سورة النساء: آية ۷۹.

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٧

قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول فى هذا الباب. و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى تصدقون بهما. «ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ذلك اشارة إلى الرد إلى اللّه و إلى الرسول «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» قال قتادة، و السدى، و ابن زيد: أحمد عاقبة. و قال مجاهد: معناه أحسن جزاء.

و هو من آل يؤول إذا رجع و المآل المرجع و العاقبة مآل، لأنها بمنزلة ما تفرقت عنه الأشياء ثم رجعت إليه. و تقول: إلى هذا يؤول الأمر أى يرجع. و قال الزجاج:

أحسن من تأويلكم أنتم إياه من غير رد إلى أصل من كتاب اللّه و سنة نبيه، و هذا هو الأقوى، لأن الرد إلى اللّه و الرسول و الأئمة المعصومين أحسن من تأويل بغير حجة.

و استدل جماعة بهذه الآية على أن الإجماع حجة بأن قالوا: إنما أوجب اللّه الرد إلى الكتاب و السنة بشرط وجود التنازع، فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع، لا يجب الرد، و لا يكون كذلك إلا و هو حجة، و هذا إن استدل به مع فرض أن فى الامة معصوماً حافظاً للشرع كان صحيحاً، و إن فرضوا مع عدم المعصوم كان باطلا، لأن ذلك استدلال بدليل خطاب، لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على أن ما عداه بخلافه عند أكثر المحصلين، فكيف يعتمد عليه هاهنا، على أنهم لا يجمعون على شىء إلا عن كتاب أو سنة، فكيف يقال: إذا أجمعوا لا يجب عليهم الرد إلى الكتاب و السنة، و هم قد ردوا إليهما على أن ذلك يلزم فى كل جماعة، و إن لم يكونوا جميع الأمة إذا اتفقوا على شىء ألا يجب عليهم الرد إلى الكتاب و السنة، لأن قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ» يتناول جماعة و لا يستغرق جميع الأمة، فعلم بذلك فساد الاستدلال بما قالوه. و قد بينا الكلام على ذلك مستوفى فى العدة فى أصول الفقه.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٦٠]..... ص: ٢٣٧

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (٦٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٨

- آية بلا خلاف-

المعنى و اللغة:..... ص: ٢٣٨

عجب اللّه تعالى نبيه (ص) فى هذه الآية ممن يزعم أنه آمن بما أنزل على محمد (ص)، و ما أنزل من قبله بأن قال أ لم ينته علمك إلى هؤلاء الذين ذكرنا وصفهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمرهم اللّه أن يكفروا به. و قال الحسن، و الجبائى: نزلت الآية فى قوم منافقين احتكموا إلى الأوثان بضرب القداح. و قد بينا معنى الطاغوت فيما تقدم. و قيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- أنه كاهن تحاكم إليه رجل من المنافقين، و رجل من اليهود هذا قول الشعبى، و قتادة. و قال السدى اسمه أبو بردة.

الثانى- قال ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الضحاك: إنه كعب ابن الأشرف رجل من اليهود، فاختار المنافق التحاكم إلى الطاغوت، و هو رجل يهودى.

و قيل: كعب بن الأشرف، لأنه يقبل الرشوة، و اختار اليهودى التحاكم إلى محمد نبينا (ص) لأنه لا يقبل الرشوة. و معنى الطاغوت، ذو

الطغيان- على جهة المبالغة فى الصفة- فكل من يعبد من دون اللَّه فهو طاغوت، و قد تسمى به الأوثان كما تسمى بأنها رجس من عمل الشيطان، و يوصف به كل من طغى، بأن حكم بخلاف حكم اللَّه تعالى غير راض بحكمه تعالى. و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أن الآية فى كل من يتحاكم إلى من يحكم بخلاف الحق

، و (زعم)، يحتاج إلى اسم، و خبر، «و انهم» فى الآية نائب عن الاسم، و الخبر، لأنها على معنى الجملة، و مخرج المفرد، و ليس بمنزلة ظننت ذلك، لأنه على معنى المفرد و مخرج المفرد، لأن قولك: زعمت أنه قائم يفيد ما يفيد هو قائم، و كذلك ظننت ذاك، لأنه

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۹

يدل دلالة الاشارة إلى ما تقدر علمه عند المخاطب.

و قوله: «وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً» يدل على بطلان قول المجبرة: إن اللَّه تعالى يفعل المعاصى و يريدها، لأن اللَّه تعالى نسب إظلالهم إلى أنه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم، فلو أراد تعالى أن يضلهم بخلق الضلال فيهم، لكان ذلك أوكد وجوه الذم فى إظلالهم.

و أصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدى إلى البغية، لأنه ضد الهدى الذى هو الدلالة على الطريق المؤدى إلى البغية، و له تصرف كثير يرجع إلى هذه النكتة ذكرناه فيما مضى. و أضله اللَّه معناه: سماه اللَّه ضالا أو حكم عليه به، كما يقال اكفره بمعنى سماه بالكفر، و لا يجوز أن يقال أكفره اللَّه بمعنى أنه دعاه إلى الكفر، لأنه منزه عن ذلك، فتعالى اللَّه عن ذلك علوا كبيراً.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶۱]..... ص: ۲۳۹

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (۶۱)

- آية- قال ابن جريج: الداعى إلى حكم الرسول هو المسلم الذى يدعو المنافق إلى حكم الرسول (ص) و قال قتادة: هو يهودى دعا المنافق إلى حكم الرسول، لعلمه أنه لا يجوز فى الحكم «و تَعالَوْا» أصله من العلو و هو تفاعلوا، منه كقولك: توافقوا، فإذا قلت لغيرك:

تعالى، فمعناه ارتفع على- و ان كان فى انخفاض من الأرض- لأنه جعله كالرفيع بكونه فيه، و يجوز أن يكون أصله للمكان العالى حتى صار لكل مكان. و قوله:

«يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً» قيل فى سبب صد المنافقين عن النبى (ص) قولان:

أحدهما- لعلمهم بأنه لا يأخذ الرشا على الحكم و أنه يحكم بمر الحق.

و الثانى- لعداوتهم للدين.

و صددت الأصل فيه ألا يتعدى، لأنك تقول: صددت عن فلان أصد التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۰

بمعنى أعرضت عنه، و يجوز صددت فلاناً عن فلان- بالتعدى- لأنه دخله معنى منعته عنه. و مثله رجعت أنا و رجعت غيرى، لأنه دخله معنى رددته، فلذلك جاز رجعته، «و صدوداً» نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل، كقوله:

«وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً» «۱» و معنى ذلك أنه ليس ذلك على بيان كالكلام بل كلمة فى الحقيقة. و قيل فى معنى «تكليما» أنه كلمه تكليما شريفاً عظيماً و يمكن مثله فى الآية. و يكون تقديره رأيت المنافقين يصدقون عنك صدوداً عظيما.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶۲]..... ص: ۲۴۰

اشارة

فَکَیْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ ثُمَّ جاؤُکَ یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاّ إِحْساناً وَ تَوْفِیقاً (۶۲)

- آیهٔ-

الاعراب:..... ص: ۲۴۰

قیل فی موضع کیف من الاعراب قولان:

أحدهما- انه رفع بتقدیر: فکیف صنیعهم إذا أصابتهم مصیبة بما قدمت أیدیهم، کأنه قال الاساءة صنیعهم بالجرأة فی کذبهم أم الإحسان بالتوبة من جرمهم.

و الثانی- انه نصب و تقدیره: کیف یکونون أ مصرین أم تائبین یکونون؟

و یجوز الرفع علی معنی کیف بک. کأنه قال أ صلاح أم فساد؟

المعنی:..... ص: ۲۴۰

و قیل فی معنی المصیبة فی الآیة قولان:

أحدهما- ذکره الزجاج: ان بعض المنافقین أظهر أنه لا- یرضی بحکم رسول اللَّه (ص)، فقتله عمر، ثم جاء إخوانه من المنافقین یطالبون بدمه «یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَ تَوْفِیقاً» کذباً و زوراً.

---

(۱) سورة الانفطار: آیة ۱۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۴۱

الثانی- ان أصابتهم نقمة من اللَّه لم ینیبوا تائبین من المعصیة بل یزدادون جرأة بحلفهم کاذبین باللَّه عز و جل. و قال الحسین بن علی المغربی: الآیة نزلت فی عبد اللَّه بن أبی و ما أصابه من الذل عند مرجعهم من غزوة بنی المصطلق و هی غزوة المریسیع حین نزلت سورة المنافقین، فاضطر إلی الخشوع و الاعتذار، و ذلک مذکور فی تفسیر سورة المنافقین أو مصیبة الموت لما تضرع إلی رسول اللَّه (ص) فی الاقالة و الاستغفار و استوهبه ثوبه، لیتقی به النار یقولون: ما أردنا إلا إحساناً و توفیقاً أی بکلامه بین الفریقین المتنازعین فی غزوة بنی المصطلق. و قوله: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» یأساً منهم (و عظمه) ایجاباً للحجة علیهم «وَ قُلْ لَهُمْ فِی أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِیغاً» فیه دلالة علی فضل البلاغة و حث علی اعتمادها. و قوله: «إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَ تَوْفِیقاً» معناه قیل فیه قولان:

أحدهما- أی ما أردنا بالمطالبة بدم صاحبنا إلا احساناً إلینا، و ما وافق الحق فی أمرنا.

الثانی- ما أردنا بالعدول عنک فی المحاکمة إلا توفیقاً بین الخصوم، و إحسانا بالتقریب فی الحکم دون الحمل علی مر الحق. کل ذلک کذب منهم و افک.

ان قیل کیف یقتضی الانتقام منهم الاعتذار لما سلف من جرمهم؟ قلنا:

عنه جوابان:

أحدهما- للتقریع بتعجیل العقاب علی ما ارتکبوا من الاثام.

الثانی- ان الانتقام قد یکون إقصاء النبی (ص) و إذلاله إیاهم، و تخویفه بالنفی أو القتل ان لم ینتهوا عن قبائحهم- هذا قول الجبائی- و الحلف: القسم.

و منه الحلف، لتحالفهم فیه علی الامر. و حلیف الجود و نحوه، لأنه کالحلف فی اللزوم، أو حلف الغلام، إذا قارب البلوغ.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶۳]..... ص: ۲۴۱

اشارة

أُولئِکَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً (۶۳)

- آية- التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۲

المعنى:..... ص: ۲۴۲

(أولئک) اشارة إلى المنافقين الذين تقدم وصفهم، و إنما قال: يعلم ما فى قلوبهم و إن كان معلوماً ذلک بدلالة العقل لأمرين:

أحدهما- تأكيداً لما علمناه.

و الثانى- انه يفيد أنه لا يغنى عنهم كتمان ما يضمرونه شيئاً من العقاب، لأن اللَّه يعلم ما فى قلوبهم من النفاق. و كذلک كل ما ذكره اللَّه مما هو معلوم عند المخاطب. إنما الفائدة فى مقارنته بما ليس بمعلوم على جهة الاحتجاج به، أو غيره من الوجوه. و قوله: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ» جمع بين معنى الاعراض و الإقبال.

و قيل فى معناه ثلاثة أوجه.

أحدها- فاعرض عنهم بعداوتک لهم، وعظهم.

الثانى- فاعرض عن عقابهم وعظهم.

الثالث- قال الجبائى: أعرض عن قبول الاعتذار منهم. و قوله: «وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً» قال الحسن: القول البليغ الذى أمر به فى الآية أن يقول: إن أظهرتم ما فى قلوبكم قتلتكم، فهذا يبلغ من نفوسهم كل مبلغ. و قال الجبائى: خوفهم بمكاره تنزل بهم فى أنفسهم إن عادوا لمثل ما فعلوه. و يجوز أن يكون المراد ازجرهم عما هم عليه بأبلغ الزجر.

اللغة:..... ص: ۲۴۲

و أصل البلاغة البلوغ، تقول: بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة، فهو بليغ:

إذا كان بعبارته يبلغ كثير ما فى قبله. و يقال: أحمق بليغ، و بلغ و معناه. أنه أحمق يبلغ حيث يريد. و قيل: معناه قد بلغ فى الحماقة. و فى الآية دلالة على فضل البلاغة، و أنها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۳

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶۴]..... ص: ۲۴۳

اشارة

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (۶۴)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٢٤٣

«ما» في قوله:«وَ ما أَرْسَلْنا» نافية فلذلك قال: «من رسول»، لأن (من) لا تزاد فى الإيجاب، و زيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك: ما جاءنى من أحد.

و التقدير فى الآية: و ما أرسلنا رسولا إلا ليطاع، فيمتثل ما نأمره به. و الذى اقتضى ذكر طاعة الرسول إعراض هؤلاء المنافقين- الذين تحاكموا إلى الطاغوت- عن طاعته، و هم يزعمون أنهم يؤمنون به حتى كأنه قد قيل لهم: من الايمان أن لا تطيعوه فى كل ما يدعو إليه، فبين اللَّه تعالى أنه كغيره من الرسل الذى ما أرسل إلا ليطاع. و قوله: «بإذن اللَّه» معناه بأمر اللَّه الذى دل على وجوب طاعتهم، و الاذن على وجوه: يكون بمعنى اللطف، كقوله: «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» «١» و منها الأمر مثل هذه الآية. و منها التخلية نحو «وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» «٢» و قوله: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» معناه إذ بخسوها حقها بإدخال الضرر عليها بالفعل المعصية من استحقاق العقاب، و تفويت الثواب بفعل الطاعة.

الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٤٣

و موضع «أنهم» رفع. و المعنى لو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم «لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» و (لو) موضوعة للفعل، لما فيها من معنى الجزاء تقول: لو كان كذا، لكان كذا. و لا يقع بعدها إلا (أن). و إنما أجيز فى (أن)

---

(١) سورة يونس: آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: آية ١٠٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٤

خاصة أن تقع بعدها، لأنها كالفعل فى إفادة معنى الجملة. و فتحت (ان) لأنها مبنية على (لو) بترتيبها على نحو ترتيبها بعد العامل فيها.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة:

من أن اللَّه تعالى يريد أن يعصى الأنبياء قوم و يطيعهم آخرون، لأنه تعالى بين أنه ما أرسلهم إلا ليطاعوا، و اللام لام الغرض و معناه إلا و أراد من المبعوث إليهم أن يطيعوا.

و ذلك خلاف مذهبهم. و فيها أيضاً دلالة على أن من كان مرتكباً لكبيرة يجب أن يستغفر اللَّه فان اللَّه سيتوب عليه و يقبل توبته، و لا ينبغى لأحد أن يستغفر مع كونه مصراً على المعصية بل ينبغى أن يتوب و يندم على ما فعل و يعزم على أن لا يعود إلى مثله ثم يستغفر باللسان ليتوب اللَّه عليه. و قوله: «لَوَجَدُوا اللَّهَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- لوجدوا مغفرة اللَّه لذنوبهم و رحمته إياهم.

و الثاني- لعلموا اللَّه تواباً رحيما. و الوجدان قد يكون بمعنى الإدراك، فلا يجوز عليه تعالى أنه تعالى غير مدرك فى نفسه.

و ذكر الحسن فى هذه الآية: أن اثنى عشر رجلا من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق و ائتمروا به فيما بينهم، فأخبره اللَّه بذلك، و قد دخلوا على رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه: إن اثنى عشر رجلا من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، و ائتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم، و ليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقم أحد. فقال رسول اللَّه (ص): ألا تقومون؟- مراراً-. ثم قال: قم يا فلان و أنت يا فلان، فقالوا يا رسول اللَّه نحن نستغفر اللَّه و نتوب إليه، فاشفع لنا. قال الآن أنا كنت فى أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، و كان اللَّه تعالى أسرع إلى الاجابة أخرجوا عنى، فأخرجوا عنه حتى لم يرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٦٥]..... ص: ٢٤٤

اشارة

فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (۶۵)

- آیهٔ- التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۴۵

قيل فى معنى دخول (لا) فى أول الكلام قولان:

أحدهما- أنها رد لكلام. كأنه قيل لا الامر كما يزعمون من الايمان و هم على تلك الحال من الخلاف، ثم استؤنف قوله: «وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى...» .

الثانى- انها توطئهٔ للنفى الذى يأتى فيما بعد، لأنه إذا ذكر فى أول الكلام و آخره كان أوكد و أحسن، لأن النفى له صدر الكلام. و قد اقتضى القسم أن يذكر فى الجواب.

النزول:..... ص: ٢۴۵

و قيل فى سبب نزول هذه الآيهٔ قولان:

أحدهما-

أنها نزلت فى الزبير و رجل من الأنصار تخاصما إلى النبى (ص) فى سراح من الحركهٔ كانا يسقيان منه نخلا لهما، فقال النبى (ص) اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك، فغضب الانصارى، و قال: يا رسول اللَّه ان كان ابن عمتك؟! فتلون وجه رسول اللَّه حتى عرف ان قد ساءه، ثم قال يا زبير احبس الماء إلى الجدد «١» أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء فنزلت الآيهٔ.

و قال أبو جعفر (ع) كانت الخصومهٔ بين الزبير، و حاطب بن أبى بلتعهٔ

روى ذلك عن الزبير و أم سلمهٔ. و ذهب إليه عمر بن شبه، و الواقدى. و قال قوم و هو اختيار الطبرى: إنها نزلت فى المنافق و اليهودى الذين احتكما إلى الطاغوت. قال: لأن سياق الكلام بهذا أشبه.

اللغهٔ و المعنى:..... ص: ٢۴۵

و قوله: (فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ» معناه فيما وقع بينهم من الاختلاف. تقول شجر يشجر شجراً و شجوراً و شاجره فى الأمر: إذا نازعه فيه مشاجرهٔ، و شجاراً و تشاجروا فيه: تشاحوا. و كل ذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض كتداخل الشجر بالتفافه. و فى الآيهٔ دلالهٔ على فساد مذهب المجبرهٔ، لأنه إذا وجب الرضى بفعل النبى (ص) فالرضا بفعل اللَّه تعالى أولى، و لو كان خلق الكفر و المعاصى لوجب على الخلق الرضا به. و ذلك خلاف الإجماع. و قيل فى معنى الحرج قولان:

---

(١) أراد ما رفع من أعضاد المزرعهٔ لنمسك الماء كالجدار.

و فى روايهٔ، قال له: «احبس الماء حتى يبلغ الجدى- بضم الميم و تشديد الدال-)

و هى المنسأهٔ- عن لسان العرب: (جدد)-.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۴۶

أحدهما- قال مجاهد هو الشك. و قال الضحاك: الإثم. و أصل الحرج الضيق فكأنه قال ضيق شك أو اثم و كلاهما يضيق الصدر. و معنى الآيهٔ أن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكموا النبى (ص) فيما وقع بينهم من الاختلاف، ثم لا يجدوا حرجاً مما قضى به أى

لا تضيق صدورهم به، و يسلموا لما يحكم به لا يعارضونه بشىء فحينئذ يكونون مؤمنين. و «تسليما» مصدر مؤكد و المصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانياً كأنك قلت: سلمت تسليماً و من حق التوكيد أن يكون محققاً لما تذكرة فى صدر كلامك، فإذا قلت: ضربت ضرباً، فمعناه أحدثت ضرباً احقه حقاً و لا أشك فيه. و مثله فى الآية انهم يسلمون من غير شك يدخلهم فيه.
و قال أبو جعفر (ع): لما حكم النبى (ص) للزبير على خصمه، لوى شدقه و قال لمن سأله عمن حكم له، فقال: لمن يقضى؟ لابن عمته. فتعجب اليهودى و قال: إنا آمنا بموسى فأذنبنا ذنباً فأمرنا اللَّه تعالى بأن نقتل أنفسنا، فقتلناها فأجلت عن سبعين ألف قتيل.
و هؤلاء يقرون بمحمد (ص) و يطئون عقبه و لا يرضون بقضيته، فقال ثابت بن الشماس لو أمرنى اللَّه أن أقتل نفسى لقتلتها فأنزل اللَّه «وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...» إلى قوله: «إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» يعنى ابن الشماس ذكره السدى.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۶۶]..... ص: ۲۴۶

اشارة

وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (۶۶)

- آية بلا خلاف-.

القراءة، و الحجة:..... ص: ۲۴۶

قرأ ابن عامر وحده (إلا قليلا) بالنصب، و كذلك هو فى مصاحف أهل الشام. الباقون بالرفع. و قيل: إن النصب قراءة أبى، فمن رفع فعلى البدل من التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۷
المضمر كأنه قال: ما فعله إلا قليل منهم. و هذا يجوز فى النفى دون الإثبات، لأنه لا يجوز أن يقول فعله إلا قليل منهم، لأن الفعل ليس للقليل فى الإثبات كما هو لهم فى النفى. و قال الكسائى: ارتفع بالتكرار. و المعنى ما فعلوه ما فعله إلا قليل.
و من نصب فانه قال: الاستثناء بعد تمام الكلام، لأنه قوله: «ما فَعَلُوهُ» كلام تام كما أن قولك فعل القوم كلام تام. فاستثنى بعده، و لم يجعل، ما بعد إلا عليه الاعتماد. و الوجه الرفع، لأن الفعل لهم. فهو أدل على المعنى. و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و الكسائى (ان اقتلوا) بضم النون و بضم الواو فى قوله: «أَوِ اخْرُجُوا» و قرأ عاصم و حمزة بكسرهما و كسر النون. و ضم الواو أبو عمرو. فمن ضمها فلان الثالث مضموم أنبع الضمة. و من كسرهما فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين.
و أبو عمرو ضم الواو تشبيهاً بواو «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ» «۱» . «وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» «۲» .

المعنى:..... ص: ۲۴۷

و معنى قوله: (وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ) أى لو أنا ألزمناهم و أوجبنا عليهم «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ» أى لو كتبنا عليهم ذلك- كما أوجبنا على قوم موسى و قتلوا أنفسهم و أخرجهم إلى التيه- ما فعله هؤلاء للمشقة التى فيه مع أنه كان ينبغى أن يفعلوه، لما لهم فيه من الحظ، لأنا لم نكن لنأمرهم به إلا لما تقتضيه الحكمة، و ما فيه من المصلحة مع تسهيلنا تكليفهم و تيسيرنا عليهم، فما يقعدهم عنه مع تكامل أسباب الخير فيه و سهولة طريقه؟ و لو فعلوا ما يوعظون به أى ما يؤمرون به، لكان خيراً لهم و أشد تثبيتاً. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان البصيرة أثبت من اعتقاد الجهالة لما يعترى فيها من الحيرة و اضطراب النفس الذى يتميز من حال المعرفة بسكون النفس إليه.

الثانى- ان اتباع الحق أثبت منفعة لأن الانتفاع بالباطل يضمحل بما يعقب

---

(۱) (سورة) البقرة: آية ۱۶، ۱۷۵.

(۲) سورة البقرة: آية ۲۳۷.

من المضرة و عظيم الحسرة. فالأول لأجل البصرة. و الثانى لأجل دوام المنفعة.

و قال البلخى معنى الآية أنه لو فرض اللَّه عليهم قتل أنفسهم كما فرض على قوم موسى عند ما التمسوا أن يتوب عليهم أو الخروج من ديارهم ما فعلوه. فإذا لم يفرض عليهم ذلك، فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه، فان ذلك خير لهم و أشد تثبيتاً لهم على الايمان. و فى الدعاء اللهم ثبتنا على ملة رسولك. و معناه اللهم الطف لنا ما تثبت معه على التمسك بطاعة رسولك و المقام على ملته.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۶۷ الى ۶۸]..... ص: ۲۴۸

وَ إِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (۶۷) وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً (۶۸)

- آيتان بلا خلاف-.

قيل: ان (إذاً) دخلت هاهنا لتدل على معنى الجزاء، كأنه قال و لو أنهم فعلوا ما يوعظون به لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً جزاء على فعلهم [و معنى (إذاً) جواب و جزاء و هى تقع متقدمة و متأخرة و متوسطة و إنما تعمل متقدمة خاصة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذا أظنك خارجاً. و تلغى اذاً عن العمل من بين أخواتها لأنها تشبه أظن فى الاستدراك بها تقول: زيد فى الدار أظن فتستدرك بها بعد ما مضى صدر الكلام على اليقين. و كذلك يقول القائل: أنا أجيئك فتقول:

و أنا أكرمك اذن. أردت أن تقول: و أنا أكرمك ثم استدركته بإذن. و لدن مبنية و لم تبين عند، لأنها أشد إبهاما إذا كانت تقع فى الجواب نحو أين زيد، فتقول: عند عمرو، فلا يقع لدن هذا الموقع، فجرت لشدة الإبهام مجرى الحروف.

و معنى (لدنا) هاهنا من عندنا. و إنما ذكر «من لدنا» تأكيداً للاختصاص، بأنه ما لا يقدر عليه إلا اللَّه، لأنه قد يؤتى بما يجريه على يد غيره. و قد يؤتى بما يختص بفعله. و ذلك أشرف له و أعظم فى النعمة و لأنه متحف بما لا يقدر عليه غيره.

و قوله: «وَ لَهَدَيْناهُمْ» معناه و لفعلنا من اللطف بهم ما يثبتون معه على الطاعة، و لزوم الاستقامة و إنما لم يفعل بهم هذا اللطف مع الحال التى هم عليها، لأنه يخرجهم

من معنى اللطف حتى يصيروا بمنزلة من لا لطف له على وجه. و مثله «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى ثبتنا بلطفك على الصراط المستقيم. و قال أبو على: معناه الأخذ بهم على طريق الجنة فى الآخرة. قال: و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد إلى الذين لأنه تعالى وعد بهذا من يكون مؤمناً مطيعاً. و لا يكون كذلك إلا و قد اهتدى، فان قيل: لم جاز أن يمنعوا اللطف لسوء فعلهم. و لم يجز أن يمنعوا لسوء فعل غيرهم إذ قد صاروا بمنزلة من لا لطف لهم؟ قلنا: لأنهم يؤتون فى معاصيهم من قبل أنفسهم و لا يجوز أن يؤتوا فيها من قبل غيرهم و لو جاز ذلك لجاز أن يقتطعوا عن التوبة بالقتل فيكونوا قد أوتوا فى معاصيهم من قبل المتقطع لهم و تكون التخلية فيه بمنزلة الامانة. و الواجب فى هذا ان يمنع غير هذا المكلف من سوء الفعل الذى فيه ارتفاع اللطف. فان كان لطف هذا المكلف متعلقاً بفعل غيره، و قد علم انه لا يفعله، لم يحسن تكليف هذا المكلف لأنه ان منع هذا من الايمان، فسد، و ان ترك و

سوء الفعل فسد. و اللام فى قوله: «وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً» لام الجواب التى تقع فى جواب (لو) كما تقع فى جواب القسم. كما قال امرؤ القيس:

حلفت لها باللّه حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث و لا صال «١»

و الفرق بين لام الجواب و لام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا فى باب (ان) خاصة فإنها تدخل على الفعل لمضارعته الاسم. يبين ذلك قولك:

قد علمت ان زيداً ليقوم. و قد علمت ان زيداً ليقومن فتكسر (ان) الأولى و تفتح الثانية.

و قوله: (صراطاً) نصب على أنه مفعول ثان، لأنه فى معنى مفعول كسوته ثوباً، أى فاكتسى ثوباً. فكذلك و لهديناهم فاهتدوا صراطاً.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۶۹ الى ٧٠]..... ص: ٢۴٩

اشارة

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً (۶٩) ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً (٧٠)

---

(١) ديوانه: ١۶١ حلفة فاجر: قسم فاسق. صال: مستدفئ بالنار. فى المطبوعة (حويث) بدل (حديث).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۵٠

- آيتان-

المعنى و اللغة و النزول:..... ص: ٢۵٠

لما جرى ذكر الطاعة فيما تقدم و الحض عليها اقتضى ذكر طاعة اللّه، و طاعة الرسول، و الوعد عليها. و قيل: إنه وعد بأمر مخصوص على الطاعة من مرافقة النبيين و من ذكر معهم و هو أعم فائدة. و معنى قوله: (فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) انه يستمتع برؤية النبيين و زيارتهم، و الحضور معهم. فلا ينبغى أن يتوهم من أجل أنهم فى أعلى عليين انه لا يراهم.

و قال الحسن، و سعيد بن جبير، و مسروق، و قتادة، و الربيع، و السدى، و عامر: إن سبب نزول هذه الآية ان بعض الناس توهم ذلك، فحزن له، و سأل النبى (ص) عن ذلك، فانزل اللّه الآية.

و قيل فى معنى الصديق قولان:

أحدهما- المداوم على ما يوجبه التصديق بالحق.

الثانى- ان الصديق هو المتصدق بما يخلص له من عمل البر. و الاول أظهر.

و الشهداء جمع شهيد. و هو المقتول فى سبيل اللّه. و فى تسميته شهيداً قولان:

أحدهما- لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل فى سبيل اللّه.

و الآخر- انه من شهداء الآخرة بما ختم له من القتل فى سبيل اللّه. و ليست الشهادة هى القتل، لأنها معصية، و لكنها حال المقتول فى اخلاص القيام بالحق للّه مقراً به، و داعياً إليه. و قيل: الشهادة هى الصبر على ما أمره اللّه به من قتال عدوه و الانقياد له. فأما الصبر على الألم بترك الأنين فليس بممنوع، بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه اللّه. و قال الجبائى: الشهداء جمع شهيد. و هم الذين جعلهم اللّه شهداء فى الآخرة. فهم عدول الآخرة. و هذا على مذهبه بعيد لأن أهل الجنة التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۵١

كلهم عـدول عنـده، لأن من ليس بعـدل لا يـدخل الجنـة. و اللّه تعالى وعـد من يطيعه و يطيع رسوله بأنه يحشـره مع هؤلاء. فينبغى أن يكونوا غير الموعود لهم.

و إلا يصير تقديره إنهم مع نفوسهم.

و الصالح: من استقامت نفسه بحسن عمله. و المصلح المقوم لعمل يحسنه.

و يقال: اللّه يصلح فى تدبير عباده. بمعنى أنه يحسن تدبير عباده. و لا يوصف بانه صالح.

الاعراب:..... ص: ۲۵۱

و قوله:«وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» نصب على التمييز. و لذلك لا يجمع. و هو فى موضع رفقاء. و قيل إنه لم يجمع، لأن المعنى، حسن كل واحد منهم رفيقاً كما قال: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» «۱» و قال الشاعر:

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء و هن صديق «۲»

و من قـال: «رفيقـاً» نصب على التمييز، قـال: لأنـه قـد سـمع حسن أولئـك من رفقـاء، و كرم زيـد من رجل. و قال قوم: هو نصب على الحال، فانه قد تدخل (من) فى مثله. فإذا سـقطت (من) فالحال هو الاختيار، لأنه من أسماء الصفات كأسماء الأجناس. و يكون التوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم مرافقاً.

و نظيره: للّه درهم فارساً، أى حال الفروسية.

اللغة:..... ص: ۲۵۱

و الرفيق: مشتق من الرفق فى العمل. و هو الارتفاق فيه. و منه الترفق فى

---

(۱) سورة الحج: آية ۵، و سورة المؤمن: آية ۶۸. [.....]

(۲) قائله جرير. ديوانه ۲: ۲۰ الطبعة الاولى. المطبعة العلمية بمصـر و روايته (دعون) بدل (نصبن) و فى المطبوعة (بأعين) بدل (بأسهم) و أثبتناها كما فى جميع المصادر.

طبقات فحول الشعراء: ۳۵۱، و اللسان (صدق) و العقد الفريد ۷: ۴۸ و رواية (بعثن) بدل (نصبن) و ما بعده.

و ما ذقت طعم العيش منذ نأيتم و ما ساغ لى بين الجوانح ريق

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۲

السيرة، و نحوه. و منه المرافقة. و المرفق من اليد- بكسر الميم- لأنه يرتفق به.

و يقـال أيضـاً فى العمـل نحو قوله: «وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقـاً» «۱» أى رفقـاً يصـلح به أمركم. و المرفق:- بفتـح الميم- من مرافق الدار. و الرفقة: الجماعة فى السفر، لارتفاق بعضهم ببعض. و قوله: «ذلك الفضل» اشارة إلى الثواب بالكون مع النبيين، و الصديقين. و التقـدير ذلـك هو الفضـل من اللّه. و هو و إن كان مسـتحقاً، فلم يخرج من أن يكون تفضـلا، لأن سـببه الـذى هو التكليف، تفضل. و الفضل:

هو الزائد على المقدار إلا أنه قد كثر على ما زاد من الانتفاع. و كل ما يفعله تعالى فهو فضل، و تفضل، و إفضال، لأنه زائد على مقدار الاسـتحقاق الذى يجرى على طريق المساواة. و قوله: «وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً» انما ذكر، ليعلم انه لا يضيع عنده شيء من جزاء الاعمال. من حيث كان تعالى: عالماً به، و بما يستحق عليه.

و تقـديره، و كفى باللَّه عليما بكنه الجزاء على حقه، و توفير الحظ فيه. و دخلت الباء فى اسم اللَّه زائـدة للتوكيد. و المعنى كفى اللَّه. و وجه التأكيـد أن اتصـال الاـسم بالفعـل من جهـة بنـائه عليه وجه من وجوه الاتصـال و اتصـاله بالبـاء وجه آخر من وجوه الاتصال، فإذا اجتمعا كان أوكـد. و وجه آخر هو أن معناه اكتفى العباد باللَّه. و وجه ثالث و هو أنه توطئـة لباب سـير بزيـد و أكرم بزيـد من جهة أن موضـعه رفع، و فيه حرف من حروف الجر. و الكفاية مقدار مقاوم للحاجة. و لا يخلو المقدار من أن يكون فاضـلا أو مقصراً أو كافياً، فهذه الأقسام الثلاثة متقابلة.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷۱]..... ص: ۲۵۲

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً (۷۱)

- آية-

المعنى و اللغة:..... ص: ۲۵۲

هذا خطاب للمؤمنين الذين صدقوا باللَّه، و برسوله. و معناه أيقنوا باللَّه،

---

(۱) سورة الكهف: آية ۱۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۳

و رسوله. أمرهم اللَّه أن يأخذوا حذرهم. و قيل فى معناه: قولان:

أحدهما-

قال أبو جعفر (ع) و غيره: خذوا سلاحكم

، فسمى السلاح حذراً لأن به يقى الحذر.

الثانى- احـذروا عـدوكم بأخـذ السـلاح. كما يقال للإنسان خـذ حذرك. بمعنى احذر. و الحذر و الحذر لغتان. مثل الاذن و الاذن. و المثـل المثـل. ثم أمرهم بـان ينفروا. و النفـور: الفزع نفر ينفر نفـوراً: إذا فزع. و نفر إليه: إذا فزع من أمر إليه. و المعنى انفروا إلى قتـال عدوكم. و منه النفر: جماعة تفزع إلى مثلها.

و النفير إلى قتـال العـدو. و نفر الحـاج يوم الثـانى و الثـالث من التشـريق، لأنهم يفزعون إلى الاجتماع للرجوع إلى الأوطان. و المنافرة: المحاكمـة للفزع إليهـا فيمـا يختلف فيه و قيـل: إنمـا كـانت، لأنـهم يسألون الحاكم أينا أعز نفراً. و نفره تنفيراً. و نافره منافرة. و تنافروا تنافراً. و اسـتنفره اسـتنفاراً. و قوله: (ثبات) قال ابن عباس، و مجاهـد، و الضـحاك، و قتادة، و السدى: إن معناه انفروا فرقة بعد فرقة، أو فرقة فى جهة و فرقة فى جهة. أو انفروا جميعاً. من غير تفرق بالأوقات، و الجهات.

و الثبات جمع ثبة و هى جماعات فى تفرقة أى يأتون متفرقين. و قال أبو جعفر: الثبات:

السرايا و الجميع العسكر. قال أبو ذؤيب:

فلما اجتلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذلها و اكتئابها «۱»

يصف العاسل، و تدخينه على النحل. و الأيام- بكسر الهمزة على وزن لجام- الدخان و يجمع ثبة على تبين، أيضاً. قال زهير:

و قد اغدوا على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء «۲»

و انما جاز أن يجع ثبـة ثبوت- و ان كان هذا الجمع يختص ما يعقل- للعوض من النقص الذى لحقه، لأن أصـله ثبوة. و مثله عضـين و سنتين و عرين. فان صغرت

(۱)- اللسان (جلا). البيت لأبى ذؤيب يصف النحل و العاسل. و فى رواية (اجتلاها) بدل جلاها. يعنى جلا العاسل النحل عن مواضعها بالأيام و هو الدخان.

(۲)- ديوانه: ۷۲. مجاز القرآن لابى عبيدة: ۱۳۲ و اللسان: (ثبا)، (نشو).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۴

قلت ثبيات «۱» و سنيات، لأـن النقص قـد زال. و قيـل: ان الثبـة عصـبة منفردة من (عصب). و تقول ثبيت على الرجل اثبى تثبيـة: ۷ ذا أثنيت عليه. و ذكرت محاسـنه فى حال حياته. و تصـغير ثبـة ثبيـة. فأما ثبـة الحوض، فهى وسـطه. الذى يثوب إليه الماء. و هى من ثاب يثوب، لأن تصغيرها ثويبة. [و قوله: «أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً» و قد مضى معناه «۲» .

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷۲]..... ص: ۲۵۴

وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً (۷۲)

قـال الحسن، و مجاهـد، و قتـادة، و ابن جريـج، و ابن زيـد: نزلت هـذه الآيـة فى المنافقين الـذين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد. فإذا أصابتهم مصيبة فيه، من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشامت بهم فى تلك الحال: قد أنعم اللَّه علينا إذ لم نكن معهم شهداء أى حضوراً.

و قال أبو جعفر (ع): من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين، لا يكون إلا كافراً.

فقوله: «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ» خطاب للمؤمنين.

و انما أضاف المنافقين إليهم لأمرين:

أحدهما- ان من عدادكم و دخلائكم.

الثانى- أى منكم فى الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، و نحو ذلك من الموارثة، و المناكحة. و اللام الاولى لام الابتداء بدلالـة دخولها على الاسم، و الثانيـة لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد. و تقديره إن منكم لمن حلف باللَّه ليبطئن. و انما جاز صلة (من) بالقسم، و لم يجز بالأمر و النهى لأن القسم خبر يوضح الموصول، كما يوضح الموصوف فى قولك: مررت برجل لتكرمنه، لأنه خصصه بوقوع الإكرام به فى المستقبل من كل رجل غيره. و ليس كذلك

(۱)- فى المخطوطة زيادة: (على الأصل أنثى ثبية)- فى هذا الموضع.

(۲) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة و هو موجود فى المخطوطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۵

الامر فى قولك: مررت برجل أضربه، لأنه لا يتخصص بالضرب فى الامر كما، تخصص فى الخبر. قال: الفراء تدخل اللام فى النكرات و فى من و ما و الـذى. فإذا جئت بالمعرفـة الموقتة، لم يجز إدخال اللام فيها. لا تقول إن عبد اللَّه ليقومن و ان زيداً ليذهبن، لأن زيدا، و عبد اللَّه، لا يحتاجان إلى صلة. و الإبطاء: اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث. و ضده الاسراع. و هو قصر مدة العمل، للتدبير فيه.

و الاناة: اطالة الأحكام الذى لا سبيل إليه إلا بالتثبت فيه. و ضدها العجلة و هى قصـر المدة من غير إحكام الصـنعة تقول: بطؤ فى مشيه يبطؤ بطاء: إذا ثقل و تباطأ تباطياً و بطأه تبطياً و استبطأ و استبطاء و أبطأ إبطاء: إذا تأخر.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷۳]..... ص: ۲۵۵

اشارة

وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً (٧٣)

- آية بلا خلاف-.

المعنى بهذه الآية المنافقون الذين وصفهم اللَّه بأنهم يفرحون بتأخرهم عن المؤمنين إذا أصيبوا، و انهزموا. فأخبر عنهم انه إذا أصاب المؤمنين فضل من اللَّه بان يظفروا أو يقهروا العدو، بأنهم يتمنون الكون معهم، فيفوزوا فوزاً عظيماً.

و انما ذمهم اللَّه بهذا التمنى لأحد أمرين:

أحدهما- لأنهم قالوه على وجه إيثار الغنيمة لا على حال المثوبة من جهة اللَّه لشكهم فى الجزاء من اللَّه.

الثاني- قال قتادة و ابن جريج انهم قالوا: ذلك على جهة الحسد للمؤمنين.

و الاصابة: ملامسة المرمى لما وقعت به الرمية. فإذا قيل: أصاب- مطلقاً- فمعناه أصاب الغرض. و يجوز أن ينفى فيقال: لم يصب. يعنى الغرض، و ان أصاب غيره.

و قوله: «كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» قيل فيه ثلاثة أقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥٦

أحدها- انه اعتراض بين القول، و التمنى، و لا يكون له موضع من الاعراب.

و تقديره ليقولن: يا ليتنى كنت معهم، فأفوز فوزاً عظيما. كأنه لم يكن بينكم و بينه مودة.

الثاني- أن يكون اعتراضياً و موضعه التقديم. و تقديره فان أصابتكم مصيبة، قال قد أنعم اللَّه على إذ لم أكن معهم شهيداً كأنه لم يكن بينكم، و بينه مودة. و اختار هذا الوجه أبو على النحوى.

الثالث- أن يكون فى موضعه على موضع الحال. كما تقول: مررت بزيد كأن لم يكن بينك و بينه معرفة فضلا عن مودة. و الزجاج أجاز الوجوه الثلاثة.

المعنى:..... ص: ٢٥٦

و فى معنى الآية قولان:

أحدهما- قال الجبائى: المعنى ليقولن لهؤلاء الذين أقعدهم عن الجهاد، كأن لم يكن بينكم و بينه أى و بين محمد (ص) مودة، فيخرجكم لتأخذوا من الغنيمة، ليبغضوا إليهم رسول اللَّه (ص).

الثاني- انه يقول قول الممنوع بالعداوة. و انما أتى من جهله بتلك الحال.

و هو الأظهر. و المعنى كأنه لم يعاقدكم على الايمان و لم يظهر لكم مودة على حال يخاطبون بذلك من أقعدوه من الخروج، ثم يقول من قبل نفسه: يا ليتنى كنت معهم. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى ليس يتمنون الكون معهم فى الخير، و الشر، كأهل المودات، و انما يتمنون ذلك عند الغنيمة كالبعداء يذمهم بسوء العهد مع سوء الدين.

و انما نصب جواب التمنى بالفاء، لأنه مصروف عن العطف محمول على تأويل المصدر. و تقديره يا ليتنى كان لى حضور، معهم ففوز. و لو كان على العطف، لكان يا ليتنى كنت معهم ففزت. و قرأ أبو جعفر المدنى، و حفص، و رويس، و البرجمى:

«كَأَنْ لَمْ تَكُنْ» - بالتاء- لأن لفظة المودة مؤنثة. و من قرأ بالياء، فلان التأنيث التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥٧

ليس بحقيقى، و مع ذلك قد وقع فصل بين الفعل، و الفاعل.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٤]..... ص: ٢٥٧

فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (۷۴)

- آيـة- لما أخبر اللّه تعالى فی الآيۀ الاولی ان قوماً من المنافقين يثبطون المؤمنين عن جهاد العدو و القتال فی سبيل اللَّه، حث فی هذه الآيۀ علی الجهاد، بأن قال:

لاـ تلتفتوا إلی تثبيط المنـافقين، و قـاتلوا فی سبيـل اللَّه بائعين للـدنيا بالآخرة، إذ لكم بـذلک أعظم الأجر و أكبر الحظ. و قال الزجاج: فليكن من الـذين يقاتلون فی سبيل اللَّه أو عمن كان بينه و بينكم عقد مودة. و معنی (يَشْـرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ) يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة. و بيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة ببذلهم أنفسـهم، و أموالهم فی سبيل اللَّه، و بتوطين أنفسهم علی الجهاد فی طاعة اللَّه.

يقال: شـريت بمعنی بعت. و اشتريت: ابتعت. و يشـرون: يبيعون- فی قول الحسن، و السـدی، و ابن زيد، و جميع أهل اللغة-. قال يزيد بن مفرغ:

و شريت بردا ليتنی من بعد برد كنت هامۀ

و برد اسم غلامه. و شـريته بمعنی بعته. و فی الآيـة حذف. و التقدير يشـرون الحياة الدنيا بالحياة الآخرة. كأنه قال: يبيعون الحياة الفانيۀ بالحياة الباقيۀ.

و يجوز يبيعون الحياة الدنيا بنعيم الآخرة، ثم قال: «وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ» .

فالوعد علی القتال، لا علی القتل، و الغلبۀ. و قوله: «فيقتل» عطف علی يقاتل. و لذلک جزمه و الجواب قوله: «فسوف نؤتيه» و إنما قال: أو يغلب، لأـن الوعـد علی القتـال حتی ينتهی إلی تلـک الحـال، لأنه أعظم الجهاد. و عليه أعظم الأجر. التبيان فی تفسـير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۸

و الأـجر العظيم هو أعلی أثمـان العمـل. و ذلـک أن ثمن العمـل علی ثلاثـۀ أوجه. ثمن أعلی، و ثمن أدنی، و ثمن أوسـط بينهما فاللَّه تعالی يثامن عليه بالثمن الأعظم الأعلی، فلـذلک حسن وصف الأجر بالعظم من غير تقييـد له، إذ كان لا ثمن أعظم مما يثامن اللَّه عليه فی ذلک العمل.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷۵]..... ص: ۲۵۸

اشارة

وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (۷۵)

- آيۀ-

المعنى و الاعراب:..... ص: ۲۵۸

معنی قوله: «و مـا لكم» أی شـیء لكم. و «لاـ تُقاتِلُونَ» فی موضع الحال كأنه قال: أی شـیء لكم تاركين، أی فی حال ترک القتال مع هذه الأمور التی تقتضی الحرص علی الجهاد، أی لا عذر لكم ألا تقاتلوا فی سبيل اللَّه، و مثله قوله: «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» «۱» و قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ» خفض بالعطف علی ما عملت فيه (فی) و تقديره فی المستضعفين. و قيل فی معناه قولان:

أحـدهما- و عن المستضـعفين، فوقع (فی) موقع (عن) فـإذا ذكرت (عن) فلصـرف الأذی عنهم إذ كانت لما عـدا الشـیء و إذا ذكرت

(فى) فلأن القتال مضمن بهم، لخلاصهم، إذا كانت فى للوعاء.
الثانى- ان يكون على محذوف، و تقديره و فى إعزاز المستضعفين، و قد قال المبرد: هو عطف على اسم اللَّه بتقدير، و سبيل المستضعفين «مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» .

---

(۱) سورة المدثر: آية ۵۰.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۵۹

اللغة و المعنى:..... ص: ۲۵۹

و الولدان جمع ولد على مثال خرب و خربان، و برق و برقان، و ورل و ورلان، مثل ولد و ولدان، و هو من ابنية الكثير، و الأغلب على بابه فعال نحو جبال و جمال.
و قوله: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها» قال ابن عباس و الحسن و ابن أبى نجيح، و السدى و مجاهد و ابن زيد: إنها مكة، لأن أهل مكة كانوا قد اجتهدوا أن يفتنوا قوماً من المؤمنين عن دينهم، و الأذى لهم و كانوا مستضعفين فى أيديهم. و قال تعالى «ما لكم» لا تسعون فى خلاصهم. و هم يسمون كل مدينة قرية، و إنما جاز أن يجرى صفة ظالم على الأول و هو فى المعنى للثانى، لأنها قوية فى العمل لقربها من الفعل متمكنة من الوصف بأنها تصرف تصرفه فى التأنيث و التذكير و التثنية، و الجمع، خلاف باب أفعل منك، فلذلك جاز مررت برجل ظالم أبوه، و لم يجز مررت برجل خير منه أبوه. و الولى القيم بالأمر حتى يستنقذهم من أمر أعدائهم، لأنه يتولى الأمر بنفسه، و لا يكله إلى غيره.
و حكى أبو على ان منهم سلمة بن هشام، و الوليد بن الوليد، و عياش بن أبى ربيعة و أبو جندل بن سهيل، و انما قال: «يَقُولُونَ... الظَّالِمِ أَهْلُها» و ان كان فيهم الولدان لا ينطقون تغليباً للاكثر، كقولك قال أهل البصرة، و إن كان قولا لبعضهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۷۶]..... ص: ۲۵۹

اشارة

الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً (۷۶)
- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۲۵۹

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن الذين صدقوا باللَّه، و رسوله يقاتلون فى سبيل اللَّه، و فى معنى سبيل اللَّه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۶۰
أحدهما- طاعة اللَّه، لأنها تؤدى إلى ثواب اللَّه فى جنته التى أعدها لأوليائه.
الثانى- قال أبو على: إنه دين اللَّه الذى شرعه الذى يؤدى إلى ثوابه و رحمته.
و تقديره فى نصرة دين اللَّه، ثم قال: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الذين جحدوا آيات اللَّه الدالة على توحيده، و نبوة نبيه. و قوله: «يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» قد فسرناه فيما مضى. فقال قوم: هو الشيطان. و قال آخرون: هو ما عبد من دون اللَّه. و الاول قول الحسن و

الشعبی. و الثانی حکاه الزجاج.

و قال أبو العالیۀ: هو الکاهن. و هو یؤنث و یذکر قال اللَّه تعالی: «یُرِیدُونَ أَنْ یَتَحاکَمُوا إِلَی الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ یَکْفُرُوا بِهِ» «۱» فذکره و قال: «وَ الَّذِینَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ یَعْبُدُوها» «۲» فانث قال أبو عبیدة هو هاهنا فی موضع جماعۀ، کما قال: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَۀُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ» «۳» و کان المراد به الجنس. و قوله: «فَقاتِلُوا أَوْلِیاءَ الشَّیْطانِ» یقوی قول من قال:

المراد بالطاغوت الشیطان. و قوله: «إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعِیفاً» إنما دخلت (کان) هاهنا مؤکدة لتدل علی ان الضعف لکید الشیطان لازم فی جمیع الأوقات فیما مضی، و الحال، و المستقبل. و لیس هو عارضا فی حال دون حال.

و الکید السعی فی فساد الحال علی وجه الاحتیال تقول کاده یکیده کیداً، فهو کائد له. و إذا عمل فی إیقاع الضرر به علی وجه الحیلۀ علیه. و انما وصف تعالی کید الشیطان. بالضعف لامرین:

أحدهما- لضعف نصرته، لأولیائه بالاضافۀ إلی نصرة اللَّه المؤمنین- ذکره الجبائی- و قال الحسن: أخبرهم أنهم سیظهرون علیهم، فلذلک کان ضعیفاً.

الثانی- لضعف دواعی أولیائه إلی القتال بأنها من جهۀ الباطل إذ لا نصیر لهم. و انما یقاتلون بما تدعو إلیه الشبهۀ. و المؤمنون یقاتلون بما تدعو إلیه الحجۀ.

---

(۱) سورة النساء: آیۀ ۵۹.

(۲) سورة الزمر: آیۀ ۱۷.

(۳) سورة المائدة: آیۀ ۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۶۱

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیۀ ۷۷]..... ص: ۲۶۱

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ قِیلَ لَهُمْ کُفُّوا أَیْدِیَکُمْ وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاةَ فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ إِذا فَرِیقٌ مِنْهُمْ یَخْشَوْنَ النَّاسَ کَخَشْیَۀِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْیَۀً وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ کَتَبْتَ عَلَیْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ قُلْ مَتاعُ الدُّنْیا قَلِیلٌ وَ الْآخِرَةُ خَیْرٌ لِمَنِ اتَّقی وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِیلاً (۷۷)

- آیۀ بلا خلاف-.

القراءة، و الحجۀ:..... ص: ۲۶۱

قرأ ابن کثیر، و حمزة، و الکسائی، و خلف، و الحلوانی عن هشام و لا یظلمون بالیاء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالیاء حمل الکلام علی لفظ الغیبۀ و من قرأ بالتاء فعلی المواجهۀ.

النزول:..... ص: ۲۶۱

و قیل فی سبب نزول هذه الآیۀ قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و عکرمة، و قتادة، و السدی: انها نزلت فی ناس من الصحابة استأذنوا النبی (ص) قال ابن عباس: منهم عبد الرحمن ابن عوف. و هم بمکة فی قتال المشرکین. فلم یأذن لهم: فلما کتب علیهم القتال.

و هم بالمدینة قال فریق منهم ما حکاه اللَّه فی الآیة. فان قیل: کیف. یجوز ذلک، و اللَّه تعالی یقول: «کُفُّوا أَیْدِیَکُمْ وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاةَ» فأمرهم باقامة الصلاة و إیتاء الزکاة، و لم تکن الزکاة فرضت بمکة؟ قیل: قد قال البلخی فی ذلک:

إنه یجوز أن یکون قوم من المنافقین عرضوا علی رسول اللَّه (ص) ذلک و الأقوی عندی أن یکون اللَّه قال ذلک علی وجه الندب، و الاستحباب دون الزکاة المقدرة علی وجه مخصوص. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۶۲

الثانی- قال مجاهد: نزلت فی الیهود. نهی اللَّه هذه الأمة أن یصنعوا مثل صنیعهم.

المعنی:..... ص: ۲۶۲

قوله: «أ لم تر» معناه أ لم ینته علمک إلی هؤلاء تعجیباً من ذلک. و لو قال:

أ لم تر هؤلاء أو أ لم تعلم هؤلاء لم یظهر فیه معنی التعجب منهم کما یظهر ب (إلی)، لأنها تؤذن بحال بعیدة قد لا ینتهی إلیها، لبعدها، لما فیها من العجب الذی یقع بها. و قوله: «الَّذِینَ قِیلَ لَهُمْ کُفُّوا أَیْدِیَکُمْ» یعنی حین طلبوا القتال و قیل لهم:

اقتصروا علی اقامة الصلاة و إیتاء الزکاة «فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ» یعنی الجهاد «إِذا فَرِیقٌ مِنْهُمْ» یعنی جماعة «یَخْشَوْنَ النَّاسَ کَخَشْیَةِ اللَّهِ» قال الحسن: هو من صفة المؤمنین لما طلبوا علیه من البشریة و الخوف، لا علی وجه کراهة المخالفة.

و قال أبو علی: هو من صفة المنافقین، لأنهم کانوا کذلک حرصاً منهم علی الدنیا و البقاء فیها و الاستکثار منها و قال یخشون القتل من قبل المشرکین کما یخشون الموت من قبل اللَّه. و قوله: «أَوْ أَشَدَّ خَشْیَةً» لیس معنی (أو) هاهنا الشک، لأن ذلک لا یجوز علیه تعالی. و قیل فی معناها قولان:

أحدهما- أنها دخلت للإبهام علی المخاطب. و المعنی أنهم علی احدی الصفتین.

و هذا أصل (أو) و هو معنی واحد علی الإبهام.

الثانی- علی طریق الاباحة نحو قولک: جالس الحسن أو ابن سیرین.

و معناه إن قلت یخشون الناس کخشیة اللَّه فأنت مصیب، و ان قلت یخشونهم أشد من ذلک فأنت مصیب لأنه قد حصل لهم مثل تلک الخشیة و زیادة. و قولهم:

«لِمَ کَتَبْتَ عَلَیْنَا الْقِتالَ» معناه ألزمتنا و أوجبت علینا.

و قوله: «لَوْ لا أَخَّرْتَنا» معناه هلا أخرتنا «إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ» و هو إلی أن نموت بآجالنا فأعلمهم اللَّه تعالی أن متاع الدنیا قلیل، و أن الآخرة خیر لأهل التقی و أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم «وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِیلًا» أی لا یبخسون هذا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۶۳

القدر، و کیف ما زاد علیه. و الفتیل: ما تفتله بیدک من الوسخ ثم تلقیه فی قول ابن عباس. و قیل: هو ما فی شق النواة، لأنه کالخیط المفتول فی شق النواة.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۷۸]..... ص: ۲۶۳

اشارة

أَیْنَما تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ یَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ یَقُولُوا هذِهِ مِنْ

عِنْدِکَ قُلْ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ حَدِیثاً (۷۸)

- آیهٔ بلا خلاف-.

اللغهٔ و المعنی:..... ص: ۲۶۳

أعلمهم اللَّه تعالی فی هذه الآیهٔ أن الآجال لا تخطئهم، و لا تنفعهم الخشیهٔ من القتل و لو کانوا فی بروج مشیدهٔ، و أینما کانوا من المواضع أدرکهم الموت بمعنی أصابهم. (و أینما) کتبت موصولهٔ. و فی قوله: «إِنَّ ما تُوعَدُونَ» مفصولهٔ، لأن الأولی زائدهٔ.

و الثانی- بمعنی الذی ففصلت هذه کما تفصل الأسماء، و وصلت تلک کما توصل الحروف. و قیل فی معنی البروج ثلاثهٔ أقوال:

أحدها- قال مجاهد، و ابن جریج: هی القصور.

الثانی- قال السدی، و الربیع: هی قصور فی السماء بأعیانها. و قال الجبائی:

هی البیوت التی تکون فوق الحصون. و أصل البروج الظهور. یقال تبرجت المرأهٔ:

إذا أظهرت محاسنها. و البرج- فی العین- اتساعها لظهورها بالاتساع. و المشیدهٔ:

المزینهٔ بالجص. و هو الشید. قال الجبائی: معناه المجصصهٔ. و قال الزجاج، و غیره:

معناه المطولهٔ فی ارتفاع. و قال قوم: المشدد، و المخفف سواء إلا من جههٔ تکثیر الفعل. و قال آخرون: المشیدهٔ بالتشدید- المطولهٔ. و المشیدهٔ بالتخفیف- المطلیهٔ بالجص و النورهٔ. و الشید رفع البناء. تقول شاد بناءه یشیده شیداً: إذا رفعه. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۶۴

و الشید: الجص، لأنه مما یرفع به البناء. و یجوز أشاد الرجل بناءه. فأما بالذکر فتقول أشاد بذکره لا غیر: إذا رفع منه.

و قوله: «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَهٌٔ یَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَهٌٔ یَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِکَ» حکایهٔ عن المنافقین، و صفهٔ لهم. فی قول الحسن، و أبی علی و أبی القاسم. و قال الزجاج: قیل: هو فی صفهٔ الیهود. و به قال الفراء. و ذلک أن الیهود، لما قدم النبی (ص) المدینهٔ، فکانوا إذا زکت ثمارهم، و اخصبوا، قالوا هذا من عند اللَّه. فإذا أجدبوا، و خاست ثمارهم، قالوا هذا لشؤم محمد (ص). و فی معنی الحسنهٔ، و السیئهٔ هاهنا قولان:

قال ابن عباس، و قتادهٔ، و أبو العالیهٔ: هو السراء و الضراء و البؤس.

و الرخاء، و النعمهٔ و المصیبهٔ، و الخصب، و الجدب. و قال الحسن، و ابن زید:

هو النصر، و الهزیمهٔ. و قوله: «من عندک» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال ابن زید: معناه بسوء تدبیرک.

و الثانی- قال الجبائی، و البلخی، و الزجاج. أی بشؤمک الذی لحقنا کما حکی عن قوم موسی «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَهٌٔ یَطَّیَّرُوا بِمُوسی وَ مَنْ مَعَهُ» فأمر اللَّه تعالی نبیه أن یقول: إن جمیع ذلک من عند اللَّه، ثم قال: «فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ حَدِیثاً» قال الفراء: (مال) کثرت فی الکلام حتی توهموا أن اللام متصلهٔ بما، و انها حرف واحد، ففصلوا اللام بما خفضت فی بعض المواضع، و وصلوها فی بعض المواضع. و الاتصال الوجه. و الوقف علی اللام، لا یجوز، لأنها لام الخفض.

و المعنی أی شیء لهؤلاء القوم، لا یفقهون حدیثاً، أی لا یفهمون معناه. تقول: فقه الرجل یفقه فقهاً و الاسم الفقیه: و صار بعرف الاستعمال علماً علی علم الفقهاء من علوم الدین. و فقه الرجل یفقه فقهاً: إذا صار فقیهاً. و أفقهته: أفهمته و التفقه:

تعلم الفقه و تفاقه: إذا تعاطی لیری انه فقیه. و لیس هو کذلک. و مثله تعالیم و قیل:

معنی الحدیث هاهنا القرآن. و قوله: «لا یکادون» معناه لا یقاربون فیه معنی الحدیث الذی هو القرآن، لأنهم بعیدون منه باعراضهم عنه، و کفرهم به و لا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۶۵

يفهمون ان ما ذكرناه من السراء، و الضراء، و الشدة و الرخاء على ما وصفناه.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٧٩]..... ص: ٢٦٥

اشارة

ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ وَ أَرْسَلْناکَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَ کَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (٧٩)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٢٦٥

قال الزجاج: هذا خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله. و المراد به الامة. كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «١» فان المراد به الامة. و قال قوم: المخاطب به الإنسان، كأنه قال: ما أصابك أيها الإنسان- فى قول قتادة، و الجبائى-. و قيل فى معنى الحسنة و السيئة هاهنا قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن: الحسنة ما أصابه يوم بدر من الظفر، و الغنيمة. و السيئة ما أصابه يوم أحد من كسر رباعيته (ص)، و الهزيمة. و قال الجبائى: معناهما النعمة، و المصيبة. و يدخل فى النعمة نعمة الدنيا، و الدين. و فى المصيبة مصائب الدنيا، و الدين إلا ان أحدهما من عمل العبد للطاعة، و ما جر إليه ذلك العمل.

و الآخر- من عمل العبد للمعصية و ما جر إليه عمله لها. و هذا يوافق الاول الذى حكيناه عمن تقدم.

و الثانى- ان الحسنة، و السيئة: الطاعة، و المعصية- ذكره أبو العالية، و أبو القاسم- و يكون المعنى ان الحسنة التى هى الطاعة باقدار اللّه، و ترغيبه فيها، و لطفه لها. و السيئة بخذلانه على وجه العقوبة له على المعاصى المقدمة. و سماه سيئة كما قال: «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «٢» و التقدير ما أصابك من ثواب حسنة

---

(١)- سورة الطلاق: آية ١.

(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.

فمن اللّه، لأنه الذى عرضك للثواب، و أعانك عليها. و ما أصابك من عقاب سيئة فمن نفسك، لأنه تعالى نهاك عنها، و زجرك عن فعلها. فلما ارتكبتها كنت الجانى على نفسك. و انما احتاج إلى التقدير، لأن ما أصابك ليس هو ما أصبته. و يجوز أن يكون المراد بالسيئة ما يصيبهم فى دار الدنيا من المصائب، لأنه لا يجوز أن يكون ذلك عقابا أو بعض ما يستحقونه. و قوله: «فمن نفسك» معناه فبذنبك فى قول الحسن، و قتادة، و السدى، و ابن جريج، و الضحاك. قال البلخى: مصيبة هى كفارة ذنب صغير، أو عقوبة ذنب كبير. و يحتمل أن يكون المراد أو تأديب وقع لأجل تفريط. فان قيل: كيف عاب قول المنافقين فى الآية الاولى، لما قالوا إذا أصابتهم حسنة انها من عند اللّه، و إذا أصابتهم سيئة، قالوا هذه من عندك.

و قد اثبت مثله فى هذه الآية؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان ذلك على وجه الحكاية. و التقدير يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن اللّه، و ما أصابك من سيئة فمن نفسك. و يكون (يقولون) محذوفا، لدلالة سياق الكلام عليه.

الثانى- ان معناهما مختلف. فالأول عند أكثر أهل العلم ان المراد به النعمة، و المصيبة من اللّه تعالى. و فى الآية الثانية المراد به الطاعة،

و المعصية. فلما اختلف معناهما، لم يتناقضا. و يكون وجه ذكر هذه الآية عقيب الاولى ألا يظن ظان ان الطاعات و المعاصى من فعل اللَّه، لما قال فى الآية الاولى: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَمِنْ نَفْسِكَ» فأضاف المعصية إلى العبد و نفاها عن نفسه تعالى. و لو كانت من خلقه، لكانت منه على أوكد الوجوه. و لا ينافى ذلك قوله فى الآية الاولى «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لأنا بينا وجه التأويل فيه. و قال الرماني: و فى الآية دلالة على أنه تعالى، لا يفعل الألم إلا على وجه اللطف، أو العقاب دون العوض فقط، لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد، فهى اما عقوبة، و اما من قبل تأديب المصلحة.

و قوله: «وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا» معناه من الحسنة ارسالك يا محمد (صلى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٦٧

اللَّه عليه و آله) و من السيئة خلافك يا محمد (ص) و كفى باللَّه شهيداً لك و عليك.

و المعنى و كفى اللَّه. و قوله: «ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ» معنى «من» هنا للتبيين و لو قال: إن أصابك من حسنة كانت زائدة لا معنى لها.

الاعراب و الحجة:..... ص: ٢٦٧

(و رسولا) نصب بارسلناك، و انما ذكره تأكيداً لأن أرسلناك دل على أنه رسول، «و شهيداً» نصب على التمييز، لأنك إذا قلت كفى اللَّه و لم تبين فى أى شيء الكفاية كنت مبهماً. و قوله: «وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» دخلت الفاء فى الجواب لأن معنى (ما) من و ادخل من على السيئة، لأن ما نفى و (من) يحسن ان تزاد فى النفى مثل ما جاءنى من أحد.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٨٠]..... ص: ٢٦٧

اشارة

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (٨٠)

- آية- بين اللَّه تعالى بهذه الآية أن طاعة الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم طاعة اللَّه. و انما كان كذلك، لأن طاعة الرسول بأمر اللَّه، فهى طاعة اللَّه على الحقيقة، و بإرادته و ان كانت أيضاً طاعة للنبى من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل. فأما الامر الواحد، فلا يكون من آمرين كما لا يكون فعل واحد من فاعلين.

و قوله: (وَ مَنْ تَوَلَّى» أى اعرض و لم يطع «فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن زيد: حافظاً لهم من التولى حتى يسلموا.

و الثاني- حافظاً لأعمالهم التى يقع الجزاء عليها، لأن اللَّه تعالى هو المجارى عليها.

الثالث- قال أبو على: حافظاً لهم من المعاصى حتى لا تقع. قال ابن زيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٦٨

هذا أول ما بعث، كما قيل له: «إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ» «١» ثم أمر فيما بعد بالجهاد و وجه جواب الجزاء فى قوله: «فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» من المعاصى حتى لا- تقع- فى قول أبى على- و على القول الآخر لأنك لم ترسل عليهم حفيظاً لاعمالهم التى يقع الجزاء عليها، فتخاف أن لا- تقوم بها. و فى الآية دلالة على ان الرسول لا يأمر بالخطإ، لأن اللَّه تعالى جعل طاعته طاعة نفسه. و اللَّه لا يأمر بالخطإ بلا خلاف.

النظم:..... ص: ٢٦٨

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر الحسنة التى هى نعمة من اللَّه، بين أن منها إرسال نبى اللَّه ثم بين أن منها طاعة الرسول

التى هى طاعة اللَّه. فهو فى ذكر نعم اللَّه مجملة، و مفصلة. و فيها تسليمة للنبى (ص) فى تولى الناس عنه و عن الحق الذى جاء به، و مع تضمنها تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة اللَّه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٨١]..... ص: ٢۶٨

وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)

- آية بلا خلاف-.

قرأ أبو عمر بإدغام التاء فى الطاء. و به قرأ حمزة: و الباقون بالإظهار و الفتح.

و فرق الكسائى بين بيت طائفة فأظهر فى الفعل و ادغم فى الاسم إذا قال بيتت طائفة. قال المبرد، و الزجاج: لا وجه لذلك، بل هما سواء. و انما حسن ادغام التاء فى الطاء، لقرب مخرجهما. و لم يجز إدغام الطاء فى التاء، لما فيها من الاطباق.

و كذلك يجوز إدغام الباء فى الميم فى «يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ» و لا يجوز ادغام الميم فى الباء نحو «لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» لأنه يخل باذهاب الغنة فى ذلك، و لا يخل

---

(١) سورة الشورى: آية ۴٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢۶٩

بها فى الاول. و يحتمل رفع طاعة وجهين:

أحدهما- أمرنا طاعة.

و الثانى- منا طاعة. قال الزجاج: الاول أحسن، لأنه أجمع. و يجوز طاعة «نصباً» على معنى نطيع طاعة. و لم يقرأ به. و من القائلون لهذا القول؟ قيل فيه قولان:

[أحدهما]- قال الحسن، و السدى، و الضحاك: هم المنافقون.

الثانى- انهم الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية و قوله: «فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ» يعنى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم يعنى دبر جماعة منهم ليلا. قال المبرد: التبييت كل شىء دبر ليلا. و قال الجبائى معناه دبروه فى بيوتهم و هذا بعيد لا وجه له فى اللغة. قال الرمانى: و فيه معنى الإخفاء فى النفس، و كذلك لا يوصف تعالى به. قال عبيدة بن همام: «١»

أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشىء نُكر

لأنكح أيمهم منذراً و هل يُنكح العبد حر الحر؟! «٢»

و معنى: «بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ» [أى غير ما تقول بأن أضمروا الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه- هذا قول ابن عباس، و قتادة:

و السدى. و قال الحسن: قدرت طائفة منهم «٣» غير الذى تقول على جهة التكذيب.

و قوله: «وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ» فيه قولان:

الاول- نكتبه فى اللوح المحفوظ ليجازوا به.

الثانى- قال الزجاج: يكتب بان ينزله اليك فى الكتاب. ثم أمر اللَّه نبيه

---

(١) قيل هو أخو بنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة من بنى تميم و قيل: عبيد بن همام التغلبى و قيل غير ذلك. [.....]

(۲) مجاز القرآن ۱: ۱۳۳، الحیوان ۴: ۳۷۶ الکامل للمبرد ۲: ۳۵، ۱۰۶، الازمنة و الامکنة للمرزوقی ۱: ۲۶۳، دیوان الأسود بن یعفر النهشلی: أعشی بنی نهشل فی دیوان الاعشیین: ۲۹۸، و اللسان (نکر).
(۳) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة. و هو فی المخطوطة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۷۰

بالاعراض عنهم، و ألا تسمیهم بأعیانهم إبقاء علیهم، و بستر أمورهم إلی أن یستقر أمر الإسلام. و أمره بان یتوکل علیه «وَ کَفی بِاللَّهِ وَکِیلًا» یعنی حفیظاً، لما یجب تفویضه إلیه من التدبیر. و أصل الوکیل القائم بما فوض إلیه من التدبیر.

و معنی بیت أضمر. و أصله إحکام الامر لیلا من البیات.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۸۲]..... ص: ۲۷۰

اشارة

أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً (۸۲)

- آیة-

المعنی:..... ص: ۲۷۰

هذه الآیة تدل علی أربعة أشیاء:

أحدها- علی بطلان التقلید، و صحة الاستدلال فی اصول الدین، لأنه حث و دعا إلی التدبر. و ذلک لا یکون إلا بالفکر و النظر.

و الثانی- یدل علی فساد مذهب من زعم ان القرآن، لا یفهم معناه إلا بتفسیر الرسول له من الحشویة، و المجبرة، لأنه تعالی حث علی تدبره، لیعلموا به.

الثالث- یدل علی أنه لو کان من عند غیر اللَّه، لکان علی قیاس کلام العباد من وجود الاختلاف فیه.

الرابع- تدل علی أن المتناقض من الکلام لیس من فعل اللَّه، لأنه لو کان من فعله، لکان من عنده، لا من عند غیره.

اللغة:..... ص: ۲۷۰

و التدبر: هو النظر فی عواقب الأمور. و أصله الدبر. و التدابر: التقاطع، لأن کل واحد یولی الآخر دبره، بعداوته له. و دبر القوم یدبرون دباراً: إذا هلکوا، لأنهم یذهبون فی جهة الأدبار عن الغرض. و أدبر القوم: إذا ولی أمرهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۷۱
عن الرشد. و الدبر: النحل. و الدبر: المال الکثیر. و التدبیر: إصلاح الامر لعاقبة.

و

فی الحدیث «لا تدابروا»

أی لا تکونوا أعداء. و الفرق بین التدبر و التفکر ان التدبر تصرف القلب بالنظر فی العواقب، و التفکر تصرف للقلب بالنظر فی الدلائل.

و الاختلاف: هو امتناع أحد الشیئین أن یسد مسد الآخر فیما یرجع إلی ذاته کالسواد الذی لا یسد مسد البیاض، و کذلک الذهاب فی الجهات المختلفة جهة الخلف، و القدام و الیمین، و الشمال. و قیل فی معنی الاختلاف هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو على من جهة بليغ، و مرذول. و قال الزجاج: الاختلاف فى الاخبار بما يسرون.

الثالث- قال قتادة، و ابن زيد: اختلاف تناقض من جهة حق، و باطل.

و الاختلاف على ثلاثة اضرب: اختلاف تناقض، و اختلاف تفاوت، و اختلاف تلاوة. و ليس فى القرآن اختلاف تناقض، و لا اختلاف تفاوت، لأن اختلاف التفاوت هو فى الحسن و القبح، و الخطأ و الصواب، و نحو ذلك مما تدعوا إليه الحكمة أو يصرف عنه. و أما اختلاف التلاوة، فهو ما تلاءم فى الحسن، فكله صواب، و كله حق. و هو اختلاف وجوه القراءات و اختلاف مقادير الآيات و السور و اختلاف الأحكام فى الناسخ و المنسوخ. و من اختلاف التناقض ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى فساد الآخر. و كلاهما باطل. نحو مقدارين وصف أحدهما بأنه أكبر من الآخر و وصف الآخر بأنه أصغر منه، فكلاهما باطل إذ هو مساو له. و فى الناس من قال: انتفاء التناقض عن القرآن إنما يعلم انه دلالة على أنه من فعل اللَّه، لما أخبرنا اللَّه تعالى بذلك. و لو لا أنه تعالى أخبر بذلك كان لقائل أن يقول: «١» : إنه يمكن أن يتحفظ متحفظ فى كلامه و يهذبه تهذيباً، لا يوجد فيه شيء من التناقض و على هذا لا يمكن أن يجعل ذلك جهة اعجاز القرآن قبل أن يعلم صحة السمع، و صدق النبى (ص).

---

(١) فى المطبوعة (يكون) بدل (يقول).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧٢

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ٨٣]..... ص: ٢٧٢

اشارة

وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣)

- آية-- أخبر اللَّه تعالى عن المنافقين، الذين تقدم وصفهم بأنهم إذا جاءهم «أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ» و هو ما كان يرجف به من الاخبار فى المدينة: اما من قبل عدو يقصدهم أو يظهر المؤمنين على عدوهم، أو هلاك بعض أعدائهم و هو الامن.

و الاول: الخوف أذاعوا به، و تحدثوا به من غير أن يعلموا صحته، فكره تعالى ذلك، لأن من فعل هذا لا يخلو كلامه من الكذب. و لما يدخل على المؤمنين به من الخوف و معنى أذاعوا به: أعلنوه، و أفشوه فى قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و ابن جريج و أصله اشاعة الخبر فى الجماعة.

اللغة:..... ص: ٢٧٢

يقال: اذاعه اذاعة و أذاعوا به قال الشاعر:

أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أو قدت بثقوب «١»

و أصله الاذاعة التفريق. قال تبع: لما ورد المدينة:

و لقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع «٢»

أى تفرق. و براجم: ماء بالمدينة كان يشرب منه، فنشبت «٣» بحلقه

---

(١) قائله أبو الأسود الدؤلى. اللسان (ذيع) و مجاز القرآن ١: ١٣٣ و الاغانى ١٢: ٣٠٥.

(٢) لم نجده فى مصادرنا.

(٣) فى المطبوعة (فشبت) و فى مجمع البيان (فتشبث). و قد أثبتنا ما فى المخطوطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧٣

علقـة. و ذاع الخبر ذيعاً. و رجل مذياع: لا يسـتطيع كتمان خبر. و أذاع الناس بما فى الحوض: إذا شـربوه. و كذلك أذاعوا بالمتاع: إذا ذهبوا به. و اذاعة السر:

إظهاره. و الاذاعة، و الاشاعة، و الإفشاء، و الإعلان، و الاظهار، نظائر و ضده الكتمان، و الاسرار، و الإخفاء.

المعنى:..... ص: ٢٧٣

ثم قال: «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ» بمعنى لو ردوه إلى سنته «وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ» .

قال أبو جعفر (ع): هم الأئمة المعصومون.

و قال ابن زيـد، و السـدى، و أبو على: هم أمراء السـرايا، و الولاة و كانوا يسـمعون باخبار السـرايا و لا يتحققونه فيشـيعونه و لا يسألون أولى الامـر. و قـال الحسن، و قتادة، و ابن جريـج، و ابن أبى نجيـح، و الزجاج: هم أهل العلم، و الفقه الملازمين للنبى (ص)، لأنهم لو سألوهم عن حقيقـة ما أرجفوا به، لعلموا به. قال الجبائى: هـذا لا يجوز، لأن أولى الامر من لهم الامر على الناس بولايـة و الاول أقوى، فـأنه تعـالى بين أنهم متى ردوه إلى أولى العلم علموه. و الرد إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم لجواز الخطأ عليه بلا خلاف سواء كانوا أمراء السرايا، أو العلماء. و قوله: «يَسْتَنْبِطُونَهُ» قال ابن عباس، و أبو العالية: معناه يتحسسونه. و قال الزجاج: يستخرجونه.

اللغة و الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٧٣

و الاستنباط، و الاستخراج، و الاستدلال، و الاستعلام، و نظائر، و أصل الاستنباط الاستخراج. يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العين، أو معرفـة القلب: قـد اسـتنبط. و النبط الماء الـذى يخرج من البئر أول ما يحفر. و انبط فلان أى اسـتنبط الماء من طين حر. و منه اشتقاق النبط، لاستنباطهم العيون.

و الضمير فى قوله: «منهم) يحتمل أن يعود إلى أحد أمرين:

أحدهما- و هو الأظهر انه عائد إلى أولى الامر. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧٤

و الآخر- إلى الفرقة المذكورة من المنافقين، أو الضعفة.

و قوله: (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» معنـاه لو لا اتصـال مواد الالطـاف من جهـة اللّه، «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا» و قيل فيما وقع الاستثناء منه: أربعة أقوال:

أحدها- «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا» منكم، فانه لم يكن يتبع الشيطان.

و يكون الفضل هاهنا بالنبى (ص)، و القرآن- فى قول الضحاك-، و هو اختيار الجبائى.

الثانى- لاتبعتم الشيطان إلا قليلا من الاتباع. و يكون الفضل على جملة اللطف، لأن ذلك لم يكن يزكوا به أحد منهم.

الثالث- قال الحسن، و قتادة. و ذكره الفراء، لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا.

الرابع- قـال ابن عبـاس، و ابن زيـد: أذاعوا به إلا قليلا و هو اختيار الكسائى و الفراء و المبرد و البلخى و الطبرى. و تقـديره يسـتنبطونه منهم إلا قليلا.

قـال المبرد: لأن العلم بالاسـتنباط فى الناس أقل. و ليس كـذلك الاذاعـة. و غلط الزجاج النحويين فى ذلك. و قال: كل هـذه الأقوال

جائزة. و قال قوم حكاه الطبرى:

ان مخرجه الاستثناء. و هو دليل الجمع، و الاحاطة. و المعنى انه لو لا فضل اللّه لم ينج أحد من الضلالة. فجعل قوله: «إلا قليلا» دليل على الاحاطة كما قال الطرماح يمدح بزيد بن المهلب:

قليل المثالب و القادحة «۱»

و المعنى انه لا مثالب.

---

(۱) ديوانه: ۱۳۹ و صدره:

أشم كثير يدى النوال يدى- بضم الياء و كسر الدال و تشديد الياء- أو- بفتح الياء و كسر الدال و تشديد الياء- جمع (يد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۷۵

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۸۴]..... ص: ۲۷۵

فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلاً (۸۴)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب للنبى (ص) خاصة أمره اللّه أن يقاتل فى سبيل اللّه وحده بنفسه.

و قوله: «لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ» و معناه لا تكلف إلا فعل نفسك، لأنه لا ضرر عليك فى فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك، و ليس المراد لا يأمر أحداً بالجهاد. و انما أراد ما قلناه ألا ترى أنه قال «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» على القتال يعنى حثهم على الجهاد. و فى ذلك دلالة على أنه لا يجوز أن يؤاخذ اللّه الأطفال بكفر آبائهم و يؤيده قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى لأن مفهوم هذا الكلام أنه لا يجوز أن تؤخذ بذنب غيرك. و الفاء فى قوله: «فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أن يكون جواباً لقوله: (و من يقاتل فى سبيل اللّه فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) «۱» هكذا ذكره الزجاج، لأنه محمول على المعنى من حيث دل على معنى إن أردت الفوز، فقاتل.

الثانى- أن يكون متصلا بقوله: «وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «۲» فقال فى سبيل اللّه. كذا ذكره الزجاج و وجهه لاحظ لك فى ترك القتال فتتركه، ثم وضع فقاتل موضع فتتركه. و قوله: «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه حثهم «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ» قال الحسن، و البلخى، و الزجاج: إن (عسى) من اللّه واجب و وجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز و انما الاطماع تقوية أحد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ فى الجواز. و خرج (عسى) فى هذا من معنى الشك

---

(۱) سورة النساء آية: ۷۴.

(۲) سورة النساء آية: ۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۷۶

كخروجها فى قول القائل: أطع ربك فى كل ما أمرك به، و نهاك عنه عسى «۱» ان تفلح بطاعتك. و معنى «أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ان يمنع شدة الكفار، ثم قال: «وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا» فالبأس: الشدة «۲» فى كل شىء و معنى التنكيل قال الحسن، و قتادة: هو العقوبة. و قال أبو على الجبائى: هو الشدة بالأمور الفاضحة «۳» و نكل به، و شوه به، و ندد به نظائر. و أصله النكول: و هو الامتناع للخوف. نكل عن اليمين، و غيرها ينكل نكولا. و النكال: ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب. و النكل القيد.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۸۵]..... ص: ۲۷۶

اشارة

مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (۸۵)
- آية-.

المعنى و اللغة:..... ص: ۲۷۶

قيل فى معنى الشفاعة هاهنا قولان:

أحدهما- قال أبو على: الشفاعة الحسنة: الدعاء للمؤمنين. و الشفاعة السيئة: الدعاء عليهم، لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم اللَّه تعالى عليه. و قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد: الشفاعة هى مسألة الإنسان فى صاحبه أن يناله خير بمسألته.

و قال الازهرى معنى «مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً» من يزد عملا إلى عمل. و الشفع: الزيادة. سئل تغلب عن اشتقاق الشفعة، فقال: الزيادة و هو أن يشفعك فى ما تطلبه حتى تضمنه إلى ما عندك، فتشفعه أى تزيده بها إن كان واحداً، فضممت إليه ما زاد صار شفعاً.

---

(۱) (عسى) ساقط من المطبوعة.

(۲) فى المطبوعة (الشهرة) بدل (الشدة) و هو تحريف.

(۳) فى المخطوطة (بالأمر القاصم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۷۷

و عندنا ان حقيقة الشفاعة هى المسألة فى إسقاط الضرر. و انما تستعمل فى مسألة المنافع مجازاً، لأن أحداً لا يقول: إنا نشفع فى النبى (ص) إذا سألنا اللَّه أن نزيد فى كراماته، و لو كان الامر على ما قاله الحسن، و مجاهد، لكنا شافعين فيه. و وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم، انه لما قيل «لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ» عقب ذلك بان لك مع هذا فى دعاء المؤمنين إلى الحق ما للإنسان فى شفاعة صاحبه بخير يصل إليه، لئلا يتوهم ان العبد من أجل انه لا يؤخذ بعمل غيره، لا يتزيد فعله بعمل غيره.

الثانى- ان الشفاعة تصير الإنسان شفعاً لصاحبه فى جهاد عدوه من الكفار.

و الكفل: قال الحسن، و قتادة:

هو الوزر، و هو قول أبى جعفر (ع).

و قال السدى، و الربيع، و ابن زيد: هو النصيب. و منه قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» و أصل الكفل «۱» : المركب الذى يهيأ كالسرج للبعير من كسا، أو خرق أو نحوه حول السنام. و انما قيل كفل، و اكتفل البعير، لأنه لم يستعمل الظهر كله. و انما استعمل نصيب منه. و قال الازهرى: الكفل الذى لا يحسن ركوب الفرس. و أصله الكفل: و هو ردف العجز. و منه الكفالة بالنفس، و بالمال. و الكفل المثل.

و المقيت: قيل فى معناه خمسة أقوال.

قال السدى، و ابن زيد، و الكسائى: هو المقتدر.

و الثانى- قال ابن عباس، و اختاره الزجاج: إنه الحفيظ.

و الثالث- قال مجاهد: هو الشهيد.

و الرابع- المقيت: الحسيب عنه.

و الخامس- قال الجبائى: هو المجازى كأنه قال: و كان اللّه على كل شىء من الحسنات، و السيئات مجازياً. و أصل المقيت: القوت، قاته يقوته قوتاً: إذا أعطاه ما يمسك رمقه. و المقيت: المقتدر لاقتداره على ما يمسك رمقه. يقال منها قات الرجل يقيت اقاتة حكاه الكسائى و ينشد للزبير بن عبد المطلب عم النبى (ص):

---

(١) فى المطبوعة (و أهله) بدل (و أصل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧٨

و ذى ضغن كففت النفس عنه و كنت على مساءته مقيتا «١»

فهذه لغة قريش. و قال كثير:

و ما ذاك عنها عن نوال اناله و لا اننى منها مقيت على ود

أى مقتدر فأما قول اليهودى:

ألى الفضل أم على إذا حو سبت انى على الحساب مقيت «٢»

قيل: و معناه موقوف. أى كما ان من يحتاج إلى القوت موقوف على سد خلته. و يحتمل معنى مقيت أى مقتدر على الحساب بتوجيهه إلى انه لى أو على بحسب عملى. و قال ابن كثير: المقيت الواصب و هو القائم على كل شىء بالتدبير.

و أقوى الوجوه معنى المقتدر بدلالة البيت الذى للزبير بن عبد المطلب.

قوله تعالى:

[سورة النساء (۴): آية ۸۶].... ص: ۲۷۸

وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (٨۶)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب من اللّه تعالى لجميع المكلفين، يأمرهم إذا دعى لهم انسان بطول الحياة، و البقاء و السلامة، ان يحيوهم بأحسن من ذلك أو يردوا عليهم مثله. قال النحويون. أحسن هاهنا صفة لا ينصرف، لأنه على وزن افعل و هو صفة لا تنصرف و المعنى حيوا بتحية أحسن منها. و التحية: مفعلة من حييت. و معناها هاهنا السلام قال السدى: و ابن جريج و عطاء، و ابراهيم: إنه إذا سلم عليك واحد من المسلمين، فسلم عليه بأحسن، مما سلم عليك. أو رد عليه مثل ما قال. و ذلك إذا قال السلام عليك، فقل أنت و عليك السلام و رحمة اللّه أو تقول كما قال لك. و قال قتادة، و ابن عباس، و وهب: فحيوا بأحسن منها أهل الإسلام، أو ردوها على أهل الكفر

---

(١) البيت مختلف فى نسبته فقيل انه لابى قيس بن رفاعة. و قيل لاحيحة بن الجلاح الانصارى. اللسان (قوت و طبقات فحول الشعراء: ٣٤٣- ٢٤٣ و الدر المنثور ٢: ١٨٨. [.....]

(٢) ديوانه: ١۴ و الاصمعيات: ٨۵ و مجاز القرآن ١: ١٣۵ و طبقات فحول الشعراء:

٢٣٧. و اللسان (قوت).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧٩

و الاول أقوى، لأنه

روى عن النبى (ص)، انه قال: إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا و عليكم.

و قال الحسن، و جماعة من متقدمی المفسرين: إن السلام تطوع.

و الرد فرض، لقوله: «وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها» و ذلك أمر يقتضی الإيجاب.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً» قيل فی معنى الحسيب قولان:

أحدهما- قال مجاهد: و ابن أبی نجيح: معنى حسيب حفيظ و قال قوم:

معناه هاهنا من قولهم: احسبنی الشیء يحسبنی احساباً بمعنى كفانی. و منه قولهم:

حسبی كذا و كذا أی كفانی. و قال بعضهم: الحسيب فی هذا الموضع فعيل من الحساب الذی هو بمعنى الإحصاء يقال منه: حاسبت فلاناً على كذا و كذا و هو حسيبه و ذلك إذا كان صاحب حسابه. قال الزجاج: معناه يعطی كل شیء من العلم و الحفظ و الجزاء مقدار ما يحسبه أی يكفيه. و منه قوله: «عطاء حسابا» «۱» أی كافياً. و سمی الحساب حساباً، لأنه يعلم به ما فيه الكفاية

و ذكر الحسن:

انه دخل على النبی (ص) رجل، فقال: السلام عليكم، فقال النبی (ص): و عليك السلام و رحمة اللَّه، ثم دخل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللَّه، فقال النبی (ص):

و عليك السلام و رحمة اللَّه، و بركاته، ثم دخل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللَّه، و بركاته، فقال النبی (ص): و عليك السلام و رحمة اللَّه و بركاته. قال بعضهم يا رسول اللَّه كيف هذا فقال النبی (ص) الأولان بقيا من التحية بقية فرددتها.

و هذا لم يبق منها شيئاً فرددت عليه ما قال

«۲».

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۸۷]..... ص: ۲۷۹

اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (۸۷)

- آية بلا خلاف-.

---

(۱) سورة النبأ: آية ۳۶.

(۲) فی المطبوعة سقط فظيع فی هذا الحديث و قد أثبتنا ما فی المخطوطة.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۸۰

قد بينا فيما تقدم معنى اللَّه. و هو الذی تحق له العبادة. و انه من كان قادراً على خلق اصول النعم التی يستحق بها العبادة. و ليس هو عبارة عمن يستحق العبادة، لأنه لو كان كذلك، لما كان تعالى إلهاً فيما لم يزل. و إذا ثبت انه موصوف به فيما لم يزل، دل على ان المراد ما قلناه. و إذا ثبت ذلك، فقد بين تعالى بهذه الآية انه لا يستحق العبادة سواه. و قوله: «لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» اللام فی ليجمعنكم لام القسم كقولك: و اللَّه ليجمعنكم. و قيل فی معناه قولان:

أحدهما- ليبعثكم من بعد مماتكم، و يحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذی يجازی فيه كلا بعمله، و يقضی فيه بين أهل طاعته. و معصيته.

الثانی- قال الزجاج: معناه ليجمعنكم فی الموت و فی قبوركم. و قوله:

«لا رَيْبَ فِيهِ» معناه لا شك فيما أخبركم به. من قوله: انی جامعكم يوم القيامة.

و قيل فی تسمية ذلك اليوم بالقيامة قولان:

أحدهما- لأن الناس يقومون من قبورهم.

الثانى- انهم يقومون للحساب. قال اللَّه تعالى «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» «١» و قوله: «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً» تقرير فى صورة الاستفهام و معناه لا أحد أصدق من اللَّه فى الخبر الذى يخبر به من حيث لا يجوز عليه الكذب فى شيء من الأشياء، لأنه لا يكذب إلا محتاج يجتلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً.

و هما يستحيلان عليه تعالى. فإذاً يستحيل عليه الكذب. و انما يجوز ذلك على من سواه. فلذلك كان تعالى أصدق القائلين. و نصب حديثاً على التمييز كما تقول: من أحسن من زيد فهما أو خلقا؟

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۸۸]..... ص: ۲۸۰

اشارة

فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (۸۸)

---

(١) سورة المطففين: آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨١

- آية بلا خلاف-

المعنى و النزول:..... ص: ۲۸۱

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية المؤمنين، فقال: ما شأنكم أيها المؤمنون فى أهل النفاق فرقتين مختلفتين «وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا» يعنى بذلك و اللَّه ردهم إلى أحكام أهل الشرك فى اباحة دمائهم، و سبى ذراريهم «بِما كَسَبُوا» يعنى بما كذبوا اللَّه و رسوله، و كفروا بعد إسلامهم. و الإركاس و الرد. و منه قوله أمية بن أبى الصلت:

فاركسوا فى حميم النار انهم كانوا عصاة و قالوا الافك و الزور «١»

قال الفراء: يقال منه أركسهم، و ركسهم و قد ذكر أنا فى قراءة عبد اللَّه و أبى «وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ» بغير الف. و فيمن نزلت هذه الآية قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها- قال قوم نزلت فى اختلاف أصحاب رسول اللَّه (ص) فى الذين تخلفوا عن رسول اللَّه يوم أحد، و انصرفوا إلى المدينة. و قالوا لرسول اللَّه و أصحابه لو نعلم قتالا لاتبعناكم. ذكر ذلك زيد بن ثابت.

و الثانى-

قال مجاهد، و أبو جعفر (ع)، و الفراء: إنها نزلت فى اختلاف كان بين أصحاب رسول اللَّه (ص) فى قوم كانوا قدموا المدينة من مكة، و أظهروا للمسلمين أنهم مسلمون، ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوخموا المدينة، و أظهروا لهم الشرك، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة. فأراد المسلمون أن يأخذوهم و ما معهم فاختلفوا. و قال قوم: لا نفعل ذلك «٢» لأنهم مؤمنون. و قال آخرون: هم مرتدون. فأنزل اللَّه فيهم الآية.

الثالث- قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاك: بل كان اختلافهم فى قوم

---

(١) ديوانه: ٣۶، و هو هكذا:

اركسوا فى جهنم أنهم كانوا عتاة تقول إفكا و زورا

و هو فى الدر المنثور ٢: ١٩١ هكذا:

اركسوا فى جهنم انهم كانوا عتاة يقولوا ميناً و كذبا و زورا

(٢) فى المطبوعة (ذلك) ساقطة.

من أهل الشرك كانوا أظهروا الإسلام بمكة، و كانوا يعينون المشركين على المسلمين، فقال قوم: دماؤهم، و أموالهم حلال و قال آخرون: لا بل هو حرام.

الرابع- قال السدى نزلت فى قوم كانوا بالمدينة أرادوا الخروج عنهم نفاقا.

و قالوا للمؤمنين أصابنا جدب و خصاصة نخرج إلى الظهر حتى نتمايل، و نرجع، فقال قوم: هم منافقون. و قال آخرون: هم مؤمنون.

و الخامس- قال ابن زيد: بل نزلت فى اختلاف أصحاب رسول اللَّه فى قصة أهل الافك عبد اللَّه بن أبى، و أصحابه، لما تكلموا فى عائشة.

الاعراب:..... ص: ٢٨٢

و قوله: (فئتين) يحتمل نصبه أمرين:

أحدهما- قال بعض البصريين هو نصب على الحال كقولك: مالك قائماً.

و معناه مالك فى حال القيام. و قال الفراء: هو نصب على فعل ما لكم و لا ينافى «١» كان المنصوب فى مالك: معرفة، أو نكرة. و يجوز أن تقول مالك السائر معنا، لأنه كالفعل الذى ينصب بكان، و أظن، و ما أشبههما قال: و كل موضع صلحت فيه فعل و يفعل من المنصوب، جاز نصب المعرفة، و النكرة. كما تنصب كان و أظن، لأنهما نواقص فى المعنى. و ان ظننت انهن تامات. و اختلفوا فى معنى اركسهم، فقال ابن عباس: معناه ردهم. و فى رواية أخرى عنه: أوقعهم. و قال قتادة:

اهلكهم [و قال السدى: معناه أضلهم بما كسبوا. و معناه أيضاً اهلكهم «٢» و قوله: (أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) معناه أ تريدون أيها المؤمنون أن تهدوا إلى الإسلام من أضله اللَّه. و يحتمل معنيين:

أحدهما- أن من وجده اللَّه ضالا، و سماه بأنه ضال، و حكم به من حيث ضل بسوء اختياره.

---

(١) فى المطبوعة (تبالى) بدل (ينافى).

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

و الثانى- أضله اللَّه بمعنى خذله. و لم يوفقه كما وفق المؤمنين، لأنهم لما عصوا و خالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم، فيريدون الدفاع عن قتالهم مع ما حكم اللَّه بضلالهم و خذلانهم. و قال الجبائى: المعنى و من يعاقبه اللَّه على معاصيه، فلا تجد له طريقاً إلى الجنة. و طعن على الأول من قول البغداديين ان المراد به التسمية، و الحكم بأن قال: لو أراد ذلك، لقال: و من ضلل اللَّه و هذا ليس بشيء، لأنهم يقولون: أكفرته و كفرته، و أكرمته و كرمته: إذا سميته بالكفر أو الكرم قال الكميت:

فطائفة قد أ كفرونى بحبكم و طائفة قالوا مسيئ و مذنب «١»

و يحتمل أن يكون المراد وجدهم ضلالا، كما قال الشاعر:

هبونى امرأ منكم أضل بعيره

أي وجده ضالا، ثم قال لهم أ ليس اللَّه قال «وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً» «٢» أ ترى أراد ان الشيطان يخلق فيهم الضلالة؟

بل انما أراد یدعوهم إلیها و لا خلاف أن اللّه تعالی لا یدعو إلی الضلالة، و یقوی قول من قال: المراد به التسمیة. قوله: «أَ تُرِیدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» و انما أراد ان تسموهم مهتدین لأنهم کانوا یزعمون أنهم مؤمنون فحینئذ رد اللّه علیهم، فقال: لا تختلفوا فی هؤلاء، و قولوا بأجمعکم: إنهم منافقون. و لم یکونوا یدعونهم إلی الایمان، فخالفهم أصحابهم، فعلم ان الصحیح ما قلناه، ثم أخبر اللّه تعالی فقال: «وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ» یعنی من خذله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِیلًا» یا محمد و لا طریقاً. و من قال من المجبرة: إن قوله: «أَرْکَسَهُمْ بِما کَسَبُوا» یدل علی أنه أوقعهم فی النفاق. فقولهم باطل، لأنه قال: بما کسبوا، فبین انه فعل بهم ذلک علی وجه الاستحقاق. و ذلک لا یلیق إلا بما قدمناه، لأنه لو أوقعهم فی النفاق «۳» لمعصیة تقدمت، لکان یجب أن

---

(۱) خزانة الأدب ۴: ۲۳۶.

(۲) سورة النساء: آیة ۵۹.

(۳) (فی النفاق) ساقط من المطبوعة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۸۴

یکون أوقعهم فیها لمعصیة أخری. و ذلک یؤدی إلی ما لا یتناهی أو ینتهی إلی معصیة ابتدأهم بها و ذلک ینافی قوله: «بِما کَسَبُوا» و الفئة الفرقة من الناس.

مأخوذ من فأیت رأسه إذا شققته و الفأو: الشعب من شعاب الجبل. و الرکس:

الرد إلی الحالة الاولی. و منه قیل للعذرة، و الروث: رکس.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۸۹]..... ص: ۲۸۴

وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ کَما کَفَرُوا فَتَکُونُونَ سَواءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِیاءَ حَتَّی یُهاجِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً (۸۹)

- آیة- أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة عن هؤلاء المنافقین أنهم یوّدون و یتمنون أن تکفروا أی تجحدوا وحدانیة اللّه تعالی و تصدیق نبیکم کما جحدوا، هم «فَتَکُونُونَ سَواءً» یعنی مثلهم کفاراً تستوون أنتم، و هم فی الکفر باللّه، ثم نهاهم أن یتخذوا منهم أولیاء، و یستنصحوهم، بل ینبغی أن یتهموهم، و لا ینتصحوهم، و لا یستنصروهم، و لا یتخذوا منهم ولیاً ناصراً، و لا خلیلا مصافیاً «حَتَّی یُهاجِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ» و معناه حتی یخرجوا من دار الشرک. و یفارقوا أهلها المشرکین «فِی سَبِیلِ اللَّهِ» یعنی فی ابتغاء دین اللّه. و هو سبیله، فیصیروا عند ذلک مثلکم، لهم مالکم، و علیهم ما علیکم- و هو قول ابن عباس- ثم قال: «فَإِنْ تَوَلَّوْا» یعنی هؤلاء المنافقین عن الإقرار باللّه، و رسوله، و عن الهجرة من دار الشرک، و مفارقة أهله «فَخُذُوهُمْ» أیها المؤمنون «وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» أی أصبتموهم من أرض اللّه.

«وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً» یعنی و لا تتخذوا منهم خلیلا و لا و لا ناصرا ینصرکم علی أعدائکم- و هو قول ابن عباس و السدی-.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۸۵

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۹۰]..... ص: ۲۸۵

إِلاَّ الَّذِینَ یَصِلُونَ إِلی قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثاقٌ أَوْ جاؤُکُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ یُقاتِلُوکُمْ أَوْ یُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَیْکُمْ فَلَقاتَلُوکُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوکُمْ فَلَمْ یُقاتِلُوکُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ عَلَیْهِمْ سَبِیلاً (۹۰)

- آیة بلا خلاف-.

لما أمر اللَّه تعالی المؤمنین بقتال الذین لا یهاجرون عن بلاد الشرک حیث وجدوهم، و ألا یتخذوا منهم ولیاً و لا نصیراً استثنی من جملتهم من وصل منهم إلی قوم بینکم و بینهم موادعة، و عهد و میثاق، فدخلوا فیهم و صاروا منهم. و رضوا بحکمهم فان لمن وصل إلیهم و دخل فیهم راضیاً بحکمهم حکمهم فی حقن دمائهم بدخوله فیهم. و المعنی بقوله: «إِلَّا الَّذِینَ یَصِلُونَ» بنو مدلج، و کان سراقة بن مالک بن جعشم «۱» المدلجی جاء إلی النبی (ص) بعد أحد، فقال له: أنشدک اللَّه و النعمة.

و أخذ منه ألا یغزو قومه، فان أسلمت قریش أسلموا، لأنهم کانوا فی عقد قریش، فحکم اللَّه فیهم ما حکم فی قریش، و حرم منهم ما حرم منهم، ففیهم نزلت هذه الآیة- علی ما ذکره بن شبة-.

و قال أبو جعفر (ع) قوله تعالی: «إِلی قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثاقٌ» قال: هو هلال بن عویمر السلمی. واثق عن قومه ألا تخفیف یا محمد من أتاک و لا نخیف من أتانا.

و بمثل هذا التأویل قال السدی، و ابن زید، و عکرمة و قال أبو عبیدة «یصلون» بمعنی ینتسبون إلیهم. و العرب تقول قد اتصل الرجل: إذا انتمی إلی قوم و قال الأعشی یذکر امرأة انتسبت إلی قومها:

إذا اتصلت قالت: أ بکر بن وائل و بکر سبتها و الأنوف رواغم «۲»

و قد ضعف هذا الجواب، لأن تعیین الانتساب لو أوجب أن یکون حکم

(۱) فی المخطوطة (ابن جعیثم) و فی مجمع البیان (ابن خثعم) و قد أثبتنا ما فی المطبوعة و الطبری و اکثر التفاسیر، و کتب الرجال.

(۲) دیوانه: ۸۱ رقم القصیدة ۹. و مجاز القرآن ۱: ۱۳۶، و اللسان (وصل).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۸۶

المنتسب حکم من انتسب إلیه ممن بینهم و بینهم میثاق، لوجب ألا یقاتل النبی (ص) قریشاً، لما بینهم و بین المؤمنین من الانتساب. و حرمة الایمان أعظم من حرمة الموادعة. فان قیل: هذه الآیة منسوخة قیل: لعمری إنها منسوخة لکن لا خلاف أنها نسخت بقوله فی سورة براءة «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و براءة نزلت بعد فتح مکة، فکان یجب ألا یقاتل قریشاً علی دخول مکة و قد علمنا خلافه و قوله: «أَوْ جاؤُکُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ»

قال عمر بن شبة یعنی به أشجع فإنهم قدموا المدینة فی سبعمائة یقودهم مسعود بن دخیلة فأخرج إلیهم النبی (ص) أحمال التمر ضیافة. و قال: نعم الشیء الهدیة أمام الحاجة. و قال لهم: ما جاءکم) قالوا:

قربت دارنا منک، و کرهنا حربک، و حرب قومنا، یعنون بنی ضمرة الذین بینهم و بینهم عهد لقلتنا فیهم، فنزلت الآیة.

و قوله: «جاؤُکُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» معناه قد حصرت، لأنه فی موضع الحال و الماضی إذا کان المراد به الحال قدّر معه قد، کما یقولون: جاء فلان، و ذهب عقله. و المعنی قد ذهب عقله. و سمع الکسائی من العرب من یقول: أصبحت نظرت إلی ذات التنانیر بمعنی قد نظرت.

و انما جاز ذلک، لأن قد تدنی الفعل من الحال. و قرأ الحسن، و یعقوب «حصرة صدورهم» منصوباً علی الحال. و أجاز یعقوب الوقف بالهاء. و هو صحیح فی المعنی و قراءة القراء بخلافه. و معنی «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» ضاقت عن أن یقاتلوکم أو یقاتلوا قومهم و کل من ضاقت نفسه عن شیء من فعل أو کلام یقال: قد حصر. و منه الحصر فی القراءة و ما قلناه معنی قول السدی و غیره.

و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَیْکُمْ» مثل قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَکُمْ» «۱» و معناه الاخبار عن قدرته علی ذلک لو شاء لکنه لا یشاء ذلک، بل یلقی فی قلوبهم الرعب حتی یفزعوا، و یطلبوا الموادعة، و المسالمة، و یدخل بعضهم فی حلف من بینکم و بینهم میثاق و فی ذمتهم، ثم قال: «فَإِنِ اعْتَزَلُوکُمْ» یعنی هؤلاء الذین أمرنا بالکف عن قتالهم من المنافقین بدخولهم فی أهل عهدکم أو بمصیرهم

إلیکم

(۱) سورة البقرة: آیة ۲۲۰. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۸۷

«حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ»، فلم یقاتلوکم «وَ أَلْقَوْا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ» یعنی صالحوکم، و استسلموا، کما یقول القائل: أعطیتک قیادی و ألقیت إلیک خطامی إذا استسلم له و انقاد لأمره، فکذلک قوله: «وَ أَلْقَوْا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ» یرید به الصلح و قال أکثر المفسرین: البلخی و الطبری و الجبائی، و غیرهم: إن المراد به الإسلام. قال الطرماح:

و ذاک ان تمیما غادرت سلما للأسد کل حصان و عثة اللبد «۱»

یعنی استسلاماً. و قال: «فَما جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ عَلَیْهِمْ سَبِیلًا» یعنی إذا استسلموا لکم فلا طریق لکم علی نفوسهم، و أموالهم. قال الربیع: السلم ها هنا الصلح، ثم نسخ ذلک بقوله: «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «۲» الآیة. و به قال عکرمة و الحسن قالا- نسخت هذه الآیة إلی قوله: «سُلْطاناً مُبِیناً» و قوله: فی الممتحنة: «لا یَنْهاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقاتِلُوکُمْ» إلی قوله: «الظالمون» «۳» نسخت هذه الأربع آیات بقوله: فی براءة الآیة التی تلوناها، و به قال قتادة و ابن زید:

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۹۱]..... ص: ۲۸۷

اشارة

سَتَجِدُونَ آخَرِینَ یُرِیدُونَ أَنْ یَأْمَنُوکُمْ وَ یَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ کُلَّما رُدُّوا إِلَی الْفِتْنَةِ أُرْکِسُوا فِیها فَإِنْ لَمْ یَعْتَزِلُوکُمْ وَ یُلْقُوا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ وَ یَکُفُّوا أَیْدِیَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولئِکُمْ جَعَلْنا لَکُمْ عَلَیْهِمْ سُلْطاناً مُبِیناً (۹۱)

- آیة بلا خلاف-.

النزول:..... ص: ۲۸۷

قیل فی الذین نزلت فیهم هذه الآیة ثلاثة أقوال:

(۱) دیوانه: ۱۴۵ من قصیدته التی هجا بها الفرزدق الحصان: المرأة العفیفة. و عثة: کثیرة اللحم لبدة- بکسر فسکون- کساء یفرش للجلوس علیه.

(۲) سورة التوبة: آیة ۶.

(۳): آیة ۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۸۸

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد: نزلت فی ناس کانوا یأتون النبی (ص) فیسلمون ریاء، ثم یرجعون إلی قریش، و یرتکسون فی الأوثان یبتغون بذلک أن یأمنوا ها هنا و ها هنا، فأمر اللَّه بقتالهم إن لم یعتزلوا، و یصلحوا.

الثانی- قال قتادة: نزلت فی حی کانوا بتهامة قالوا: یا نبی اللَّه لا نقاتلک، و لا نقاتل قومنا. و أرادوا أن یأمنوا قومهم و یأمنوا نبی اللَّه فأبی اللَّه علیهم ذلک.

فقال: «کُلَّما رُدُّوا إِلَی الْفِتْنَةِ» یعنی إلی الکفر «أُرْکِسُوا فِیها» یعنی وقعوا فیها.

الثالث- قال السدى: نزلت فى نعيم بن مسعود الاشجعى، و كان يأمن فى المسلمين بنقل الحديث بين النبى (ص)، و المشركين، فنزلت هذه الآية، و قال مقاتل: نزلت فى أسد و غطفان.

المعنى:..... ص: ٢٨٨

و قال أبو العالية معنى قوله: «كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها» يعنى كلما ابتلوا بها عموا فيها. و قال قتادة: كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه. و الفتنة فى اللغة هى الاختبار. و الإركاس: الرجوع. فمعنى الكلام كلما ردوا إلى الاختبار، ليرجعوا إلى الكفر و الشرك رجعوا إليه. و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ» معناه و ان لم يعتزلوكم أيها المؤمنون هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم و هم كلما دعوا إلى الشرك أجابوا إليه.

«وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى و لم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة و يصالحوكم و يكفوا أيديهم عن قتالكم «فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» يعنى حيث أصبتموهم. ثم قال: «وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى حجة ظاهرة. و قال السدى، و عكرمة: السلطان الحجة.

و قال أبو على: نزلت فى قوم كانوا يظهرون الإسلام، فإذا اجتمعوا مع قريش أظهروا لهم الكفر. و هو قوله: «كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ» يعنى الكفر (أُرْكِسُوا فِيها» بمعنى وقعوا فيها، فما داموا مظهرين للإسلام و كافين عن قتال المسلمين، فلا التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨٩

يتعرض لهم. و متى لم يظهروا الإسلام، وجب قتالهم على ما ذكره اللَّه، ثم قال قوم:

الآية منسوخة و ان من لم يحارب مع المؤمنين، وجب قتاله. و اختار هو أنها غير منسوخة. قال: لأنه لا دليل على ذلك.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٩٢]..... ص: ٢٨٩

اشارة

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (٩٢)

- آية بلا خلاف-.

المعنى و الاعراب:..... ص: ٢٨٩

قوله: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً» معناه لم يأذن اللَّه، و لا أباح لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيما عهده إليه، لأنه لو أباحه و أذن فيه ما كان خطأ.

و التقدير إلا أن يقتله خطأ، فان حكمه هكذا على ما ذكر. فذهب إلى هذا قتادة و غيره.

و قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع- فى قول أكثر المفسرين- و تقديره إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن من خطأ، و ليس ذلك مما جعل اللَّه له، و مثله قول الشاعر:

من البيض لم تظعن بعيداً و لم تطأ على الأرض إلا ريط برد مرجل «١»

و المعنى لم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد، و ليس ذيل البرد من الأرض.

---

(۱) قائله جرير ديوانه: ۴۵۸، و النقائض: ۷۰۶، و مجاز القرآن ۱: ۱۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۹۰

و قد ذكرنا لذلك نظائر فيما مضى، و لا نطول بإعادتها. و تقدير الآية: إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ و ليس ذلك مما جعل اللَّه له. و قال قوم: الاستثناء متصل و المعنى: لم يكن للمؤمن أن يقتل متعمداً مؤمناً. و متى قتله متعمداً لم يكن مؤمناً فان ذلك يخرجه من الايمان، ثم قال: «إلا خطأ» و معناه إن قتله له خطأ لا يخرجه من الايمان. ثم أخبر تعالى بحكم من قتل من المؤمنين مؤمناً خطأ، فقال: «وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» . و معناه فعليه تحرير رقبة مؤمنة. يعنى مظهرة للايمان و ظاهر ذلك يقتضى أن تكون بالغة ليحكم لها بالايمان و ذلك فى ماله خاصة.

«وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ» تؤديها عنه عاقلته إلى أولياء المقتول إلا أن يصدق أولياء المقتول حينئذ تسقط عنهم. و موضع (أن) من قوله: «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» نصب، لأن المعنى فعليه ذلك إلا أن يصدقوا

النزول:..... ص: ۲۹۰

و قيل: إن الآية نزلت فى عياش ابن أبى ربيعة المخزومى: أخى أبى جهل، لأنه كان أسلم، و كان قد قتل رجلا مسلماً بعد إسلامه، و هو لا يعلم بإسلامه. و هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و عكرمة، و السدى. و قالوا: المقتول هو الحارث بن يزيد بن أبى نبشية العامرى. و لم يعلم أنه اسلم، و كان أحد من رده عن الهجرة، و كان يعذب عياشاً مع أبى جهل، قتله بالحرة بعد الهجرة. و قيل:

قتله بعد الفتح و قد خرج من مكة و هو لا يعلم بإسلامه. و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع).

و قال ابن زيد: نزلت فى رجل قتله أبو الدرداء، كان فى سرية فعدل أبو الدرداء إلى شعب يريد حاجة، فوجد رجلا من القوم فى غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال:

لا إله إلا اللَّه! فبدر فضربه ثم جاء بغنمه إلى القوم ثم وجد فى نفسه شيئاً فأتى رسول اللَّه (ص) فذكر ذلك له، فقال له النبى (ص): ألا شققت عن قلبه فقال:

ما عسيت أن أجد! هل هو إلا دم أو ماء؟ فقال النبى (ص) فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بى يا رسول اللَّه؟ قال: فكيف بلا إله إلا اللَّه؟ قال فكيف بى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۹۱

يا رسول اللَّه؟ قال: و كيف بلا إله إلا اللَّه؟! حتى تمنيت أن يكون ذلك اليوم مبتدأ إيمانى، ثم نزلت هذه الآية

و الذى ينبغى أن يعول عليه ان ما تضمنته الآية حكم من قتل خطأ و يجوز فى سبب نزول الآية كل واحد مما قيل.

المعنى:..... ص: ۲۹۱

و قال ابن عباس، و الشعبى، و ابراهيم، و الحسن، و قتادة: الرقبة المؤمنة لا تكون إلا بالغة قد آمنت و صامت وصلت. فأما الطفل فانه لا يجزى و لا الكافر.

و قال عطاء: كل رقبة ولدت فى الإسلام فهى تجزى. و الاول أقوى، لأن المؤمن على الحقيقة لان يطلق إلا على بالغ عاقل مظهر للايمان ملتزم لوجوب الصوم و الصلاة، إلا أنه لا خلاف أن المولود بين مؤمنين يحكم له بالايمان، فبهذا الإجماع ينبغى أن يجزى فى كفارة قتل الخطأ.

و أما الكافرة و المولود بين كافرين فانه لا يجزى بحال.

و الديـة المسـلمة الى أهل القتيل هى المدفوعة إليهم موفرة غير منتقصة حقوق أهلها منها «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» معناه يتصدقوا فأدغمت التاء فى الصاد لقرب مخرجها و فى قراءة أبى «إلا أن يتصدقوا» .

و قوله: «فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» يعنى إن كان هـذا القتيل الـذى قتله المؤمن من خطأ من قوم هم أعداء لكم مشـركون و هو مؤمن، فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة. و اختلفوا فى معناه، فقال قوم: إذا كان القتيل فى عداد قوم أعداء و هو مؤمن بين أظهرهم لم يهاجر، فمن قتله فلا دية له.

و عليه تحرير رقبـة مؤمنـة، لأن الدية ميراث، و أهله كفار لا يرثونه. هذا قول ابراهيم، و ابن عباس، و السدى، و قتادة، و ابن زيد، و ابن عياض. و قال آخرون:

بـل عنى به أهـل الحرب من يقـدم دار الإسـلام فيسـلم ثم يرجع إلى دار الحرب إذا مر بهم جيش من أهل الإسـلام فهرب قومه و أقام ذلك المسلم فيهم فقتله المسلمون، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٩٢

و هم يحسبونه كافراً. ذكر ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى.

و قوله: «وَ إِنْ كـانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» و معناه إن كان القتيل الـذى قتله المؤمن خطـأ من قوم بينكم و بينهم أيهـا المؤمنون ميثاق أى عهـد و ذمـة و ليسوا أهل حرب لكم «فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ» تلزم عاقلـة قاتله. و تحرير رقبـة على القاتل كفارة لقتله. و اختلفوا فى صـفة هـذا القتيل الذى هو من قوم بيننا و بينهم ميثاق أ هو مؤمن أم كافر؟ فقال قوم: هو كافر إلا أنه يلزم قاتله دية، لأن له و لقومه عهداً. ذهب إليه ابن عباس، و الزهرى، و الشعبى، و ابراهيم النخعى، و قتادة، و ابن زيد. و قال آخرون:

بل هو مؤمن، فعلى قاتله دية يؤديها إلى قومه من المشركين، لأنهم أهل ذمة.

روى ذلك أيضاً عن ابراهيم و الحسن. و هو المروى فى أخبارنا.

إلاـ أنهم قالوا: يعطى ديته ورثته المسـلمين دون الكفار. و الميثاق هو العهـد. و قـد بيناه فيما مضـى. و المراد هاهنا الذمـة، و غيرها من العهود و به قال السدى و الزهرى، و ابن عباس و الخطأ هو ان تريد شيئاً فتصيب غيره. و هو قول ابراهيم، و أكثر الفقهاء.

و الديـة الواجبـة فى قتـل الخطـأ مائـة من الإبل ان كانت العاقلـة من أهل الإبل- بلا خلاف- و ان اختلفوا فى أسـنانها فقائل يقول. هى أرباع: خمس و عشرون حقة، و خمس و عشرون جذعة، و خمس و عشرون ابنة مخاض، و خمس و عشرون بنت لبون.

روى ذلك عن على (ع).

و قال آخرون: هى أخماس: عشرون حقة، و عشرون جذعة، و عشرون بنت لبون، و عشرون بنو لبون، و عشرون بنت مخاض.

و ينسب ذلك إلى ابن مسعود. و روى الأمرين معا أصحابنا. و قال قوم: هى أرباع غير أنها ثلاثون حقة، و ثلاثون بنت لبون، و عشرون بنت مخـاض، و عشـرون بنو لبون. روى ذلـك عن عثمـان و زيـد بن ثـابت. قال الطبرى: هـذه الروايات متكـافئـة. و الاولى التخيير. و لا يحمل على العاقلة صلح، و لا اقرار، و لا ما كان دون الموضحة. و أما الدية من الذهب فألف دينار، و من الورق عشرة آلاف درهم.

و قال بعضهم: اثنى عشر ألفاً و الاول عندنا هو الأصح. و دية عمد الخطأ مائة من التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٩٣

الإبل مغلظة اثلاثاً- و روى أرباعاً- ثلث بنت لبون، و ثلث حقة، و ثلث جذعة.

و تسـتأدى فى سـنين. و دية الخطأ فى ثلاث سـنين. و دية العمد إذا تراضوا بها فى سنة. و أما دية أهل الذمة فقال قوم: هى دية المسلم سواء. ذهب إليه أبو بكر، و عثمـان، و ابن مسـعود، و ابراهيم، و مجاهـد، و الزهرى، و عـامر الشـعبى، و اختـاره الطبرى، و أبو حنيفـة و أصـحابه. و قال قوم: على النصف من دية المسـلم. ذهب إليه عمرو بن شعيب رواه عن عمر بن الخطاب و به قال عمر بن عبد العزيز. و قال قوم:

هى على الثلث من دية المسلم ذهب إليه سعيد بن المسيب، و الشافعى غير أنها أربعة آلاف و اختلاف الفقهاء قد ذكرناه فى الخلاف. و أما دية المجوسى فلا خلاف أنها ثمانمائة و كذلك عندنا دية اليهودى و النصرانى. «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» يعنى فمن لم يجد الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن لاعتباره فعليه صيام شهرين متتابعين. و اختلفوا فى معناه: فقال قوم:

مثل ما قلناه ذهب إليه مجاهد. و قال آخرون: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» الدية فعليه. صوم الشهرين عن الدية و الرقبة. و تأويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة و لا دية يسلمها إلى أهلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ذهب إليه مسروق و الاول هو الصحيح، لأن دية قتل الخطأ على العاقلة، و الكفارة على القاتل بإجماع الأمة على ذلك. و صفة التتابع فى الصوم أن يتابع الشهرين لا يفصل بينهما بإفطار يوم. و قال أصحابنا: إذا صام شهراً و زيادة ثم أفطر اخطأ و جاز له البناء.

و قوله: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على القطع. و معناه رجعة من اللَّه لكم إلى التيسير عليكم بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة بإيجاب صوم الشهرين المتتابعين توبة «وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» معناه لم يزل اللَّه عليما بما يصلح عبادة فيما يكلفهم من فرائضه حكيماً بما يقضى فيهم. و يدبره. و قال الجبائى انما قال: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» تعالى بهذه الكفارة التى يلتزمها بدرء عقاب القاتل.

و ذمه لأنه يجوز أن يكون عاصياً فى السبب، و إن لم يكن عاصياً فى القتل من حيث أنه رمى فى موضع هو منهى عنه بأن يكون رجمة، و إن لم يقصد القتل و هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۹۴

ليس بشىء لأن الآية عامة فى كل قاتل خطأ، و ما ذكره ربما اتفق فى الآحاد.

و الزام دية قتل الخطأ العاقلة ليس هو مؤاخذة البرىء بالسقيم، لأن ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعى تابع للمصلحة. و لو خلينا و العقل ما أوجبناه. و قيل: إن ذلك على وجه المواساة و المعاونة.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۹۳]..... ص: ۲۹۴

اشارة

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً (۹۳)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۲۹۴

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان من يقتل مؤمناً متعمداً يعنى قاصداً إلى قتله ان جزاؤه جهنم خالداً فيها أى مؤبداً فى جهنم و غضب اللَّه عليه. و قد بينا ان غضب اللَّه هو ارادة عقابه، و الاستخفاف به. «و لعنه» معناه أبعده من ثوابه و رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً» يعنى لا يعلمون قدر مبلغه لكثرته و اختلفوا فى صفة قتل العمد، فعندنا أن من قصد قتل غيره بما يقتل مثله فى غالب العادة سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو مثقلة من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تفريق أو موالات ضرب بالعصا حتى يموت أو بحجارة ثقيلة فان جميع ذلك عمد يوجب القود، و به قال ابراهيم، و عبيد بن عمير، و الشافعى، و أصحابه، و اختاره الطبرى. و قال قوم: لا يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد. ذهب إليه سعيد ابن المسيب، و ابراهيم، و الشافعى فى رواية أخرى، و طاوس و أبو حنيفة و أصحابه غير أن عندنا أنه إذا قتله بغير حديدة فلا يستقاد منه إلا بحديدة. و قال الشافعى يستقاد منه بمثل ما قتل به. فأما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصا أو غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده، فإذا مات منه، كان شبيه العمد، و فيه الدية مغلظة فى مال القاتل خاصة لا يلزم العاقلة. و قد بينا اختلاف الفقهاء فى مسائل التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۹۵

الخلاف فی هـذه المسألهٔ. و اسـتدلت المعتزلهٔ بهذه الآیهٔ علی أن مرتکب الکبیرهٔ مخلد فی نار جهنم، و أنه إذا قتل مؤمناً، فانه یسـتحق الخلود، و لاـ یعفی عنه بظـاهر اللفـظ. و لمـا أن نقول: مـا أنکرتـم أن یکون المراد بالآیـهٔ للکفـار و من لاـ ثواب له أصـلا. فأمـا من هو مسـتحق للثواب، فلا یجوز أن یکون مراداً بالخلود أصـلا، لما بیناه فیما مضـی من نظائره. و قد روی أصـحابنا أن الآیهٔ متوجهٔ إلی من یقتل المؤمن لإیمانه، و ذلک لا یکون إلا کافراً. و قال عکرمـهٔ، و ابن جریـج: إن الآیهٔ نزلت فی انسان بعینه ارتد ثم قتل مسـلماً، فانزل اللَّه تعالی فیه الآیهٔ، لأنه کان مستحلا لقتله. علی أنه قد قیل: إن قوله: «خالِداً فِیها» لا یفهم من الخلود فی اللغهٔ الّا طول اللبث، فأما البقاء ببقـاء اللَّه، فلاـ یعرف فی اللغـهٔ، ثم لاـ خلاـف أن الآیـهٔ مخصوصـهٔ بمن لاـ یتوب، لأنه إن تاب فلا بـد من العفو عنه إجماعاً، و به قال مجاهد. و قال ابن عباس: لا توبهٔ له و لا إذا قتله فی حال الشرک ثم أسلم و تاب.

و به قال ابن مسعود، و زید بن ثابت و الضحاک. و لا یعترض علی ما قلناه قول من یقول ان قاتل العمد لا یوفق للتوبهٔ، لأن هذا القول إن صح فإنما یدل علی أنه لا یختار التوبهٔ. و لا ینافی ذلک القول بأنها لو حصلت، لا زالت العقاب. و إذا کان لا بد من تخصیص الآیهٔ و إخراج التائبین عنها، جاز لنا أن نخرج منها من یتفضل اللَّه علیه بالعفو علی أن ظاهر الآیهٔ یتضمن أن جزاءه جهنم فمن أین أن ذلک لا بد من حصوله، و ان العفو لا یجوز حصوله؟ و هذا قول أبی مجلز و أبی صالح.

و لاـ یـدفع ذلک قوله: «وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً» لأن ذلک اخبار عن انه مسـتحق لـذلک، فمن أین حصوله لا محالهٔ؟ و قال الجبائی: الجزاء عبارهٔ عما یفعل، و ما لا یفعل لا یسـمی جزاء. ألا تری أن الأجیر إذا اسـتحق الاجرهٔ علی من استأجره، لا یقال فی الدراهم التی مع المستأجر انها جزاء عمله؟

و انما یسـمی بـذلک إذا أعطاه إیاها. و هذا لیس بشـیء لأن الجزاء عبارهٔ عن المسـتحق سواء فعل، أو لم یفعل الا تری أنا نقول: جزاء من فعل الجمیل أن یقابل علیه بمثله، و ان کان ما فعل بعـد؟ و انما یراد أنه ینبغی أن یقابل بـذلک. و نقول: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۹۶

من اسـتحق علیه القود، أو حـد من الحـدود إن جزاء هـذا أن یقتـل، أو یقام علیه الحـد. و لو کان الامر علی ما قالوه، لوجب ألا یکون الخلود فی النار جزاء للکفار، لأنه لم یقع بعـد، و لا یصـح أن یقع، لأن ما یوجد منه لا یکون إلا متناهیاً و انما لم یقل فی الدراهم، إنها جزاء لعمله، لأن ما یستحقه الأجیر فی الذمهٔ لا یتعین فی دراهم معینهٔ. و للمستأجر أن یعطیه منها، و من غیرها. فلذلک لم توصف هذه المعینهٔ بأنها جزاء للعمل، ثم لنا أن نعارض بآیات الغفران، کقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْـرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ» «۱» و قوله: «إِنَّ اللَّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً» «۲» و قوله: «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍٔ لِلنَّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ» «۳».

و إذا تعارضـا، وقفا و بقینا علی جواز العفو عقلا. و قال الجبائی و البلخی: الآیـهٔ نزلت فی أهل الصـلاهٔ. لأنه تعالی بین فی الآیـهٔ الأولی حکم قتل الخطأ من الدیـهٔ، و الکفارهٔ. و ذلک یختص أهل الصـلاهٔ، ثم عقب ذلک بـذکر قتل العمـد منهم. و هذا لیس بصـحیح، لأن لزوم الدیـهٔ فی الخطأ یتناول المسـلم، و المعاهـد. و أما الکفارات فان عنـدنا تلزمهم أیضاً لأنهم متعبدون بالشـرائع. و لو سـلمنا ان الآیهٔ الاـولی تختص المسـلمین، لم یلزم ان تختص الثانیـهٔ بهم، بـل لاـ یمتنع ان یراد بها الکفار علی وجه الخصوص أو الکفار، و المسـلمین علی وجه العموم. غیر انـا قـد علمنـا انه لاـ یجوز ان یراد بهـا من هو مسـتحق الثواب، لأن الثواب دائم. و لا یجوز مع ذلک أن یسـتحق العقاب الدائم مع ثبوت بطلان الإحباط، لإجماع الآیهٔ علی خلافه.

قوله تعالی:[سورهٔ النساء (۴): آیهٔ ۹۴]..... ص: ۲۹۶

اشارهٔ

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا ضَـرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَتَبَیَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاهِٔ الـدُّنْیا فَعِنْدَ اللَّهِ

مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (٩٤)

---

(١)- سورة النساء: آية ٤٧- ١١٥.

(٢)- سورة الزمر: آية ٥٣.

(٣)- سورة الرعد: آية ٧ و سورة حم السجدة: آية ٤٣.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٩٧

- آية-

القراءة، و الحجة:..... ص: ٢٩٧

قرأ أهل المدينة، و ابن عباس، و خلف (السلم) بغير الف. الباقون بالف.

و قرأ أهل الكوفة إلا عاصما فتثبتوا (بالثاء) من الثبوت فی الموضعين هاهنا و فی الحجرات الباقون (فتبينوا) من التبين. و قرئ من طريق النهروانی ليست. مؤمنا- بفتح الميم الثانية- الباقون بكسرها و به قرأ أبو جعفر محمد بن علی (ع) علی ما حكاه البلخی. فمن قرأ بالثاء من الثبوت. فإنما أراد التثبت الذی هو خلاف العجلة.

و من قرأ بالياء و النون، أراد من التبيين الذی هو النظر، و الكشف عنه حتی يصح.

و المعنيان متقاربان، لأن المثبت متبين، و المتبين مثبت. و من قرأ (السلم) بلا الف أراد الاستسلام. و منه قوله: «وَ أَلْقَوْا إِلَی اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ» «١» أی استسلموا.

و قوله: «وَ رَجُلًا سَلَماً» أی مستسلماً. و روی أبان عن عاصم بكسر السين. و المعنی خلاف الحرب. و من قرأ بالف ذهب إلی التحية. و يحتمل أن يكون المراد لا- تقولوا لمن اعتزلكم و كف عن قتالكم: لست مؤمناً. قال أبو الحسن: يقولون: انما فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً.

المعنی:..... ص: ٢٩٧

خاطب اللَّه تعالی بهذه الآية المؤمنين الذين إذا ضربوا فی الأرض بمعنی ساروا فيها للجهاد و أن يتأنوا فی قتال من لا يعلمون كفره، و لا- إيمانه، و عن قتل من يظهر الايمان و ان ظن به الكفر باطناً. و لا يعجلوا حتی يبين لهم أمرهم فإنهم ان بادروا ربما أقدموا علی قتل مؤمن. و لا يقتلوا من استسلم لهم، و كف عن قتالهم، و اظهر انه اسلم. و ألا يقولوا لمن هذه صورته: لست مؤمنا، فيقتلوه طلب عرض

---

(١) سورة النحل: آية ٨٧.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٩٨

«الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنی متاع الحياة الدنيا الذی لا بقاء له. فان عند اللَّه مغانم كثيرة و فواضل جسيمة فهو خير لكم ان أطعتم اللَّه فيما أمركم به، و انتهيتم عما نهاكم عنه.

النزول:..... ص: ٢٩٨

و اختلفوا فی سبب نزول هذه الآية فقال عمر بن شبة: نزلت فی مرداس رجل من غطفان، غشيتهم خيل المسلمين، فاستعصم قومه فی

الجبل، و أسهل هو مسلماً مستسلماً، فأظهر لهم إسلامه، فقتلوه، و أخذوا ما معه.

و قال أبو عمر و الواقدى، و ابن إسحاق. نزلت فى عامر بن الأضبط الاشجعى لقيته سرية لأبى قتادة فسلم عليه فشد محلم بن جثامة فقتله لإحنة كانت بينهم، ثم جاء النبى (ص) و سأل ان يستغفر له فقال النبى (ص) لا غفر اللّه لك. و انصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن، ثم لفظته الأرض فجاءوا إلى النبى (ص) و أخبروه فقال (ع): إن الأرض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم، لكن اللّه أراد أن يعظم من حرمتكم، ثم طرحوه بين صد فى جبل، و القوا عليه الحجارة، فنزلت الآية.

و قال ابن عباس: لحق ناس رجلا فى غنيمة له، فقال السلام عليكم، فقتلوه و أخذوا غنمه. فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكان الرجل يسلم فى قومه، فإذا غزاهم أصحاب النبى (ص)، و هرب أصحابه وقف، و أظهر تحية الإسلام (السلام عليكم) فيكفون عنه، فلما خالف بعضهم، و قتل من أظهر ذلك نزلت فيه الآية و به قال السدى: و قال الرجل السلام عليكم، أشهد ان لا إله إلا اللّه، و ان محمداً رسول اللّه. فشد عليه أسامة بن زيد و كان أمير القوم، فقتله، فنزلت الآية. و قال قوم: كان صاحب السرية المقداد. و قال آخرون: ابن مسعود. و كل واحد من هذه الأسباب يجوز أن يكون صحيحاً، و لا يقطع بواحد منها بعينه. و الذى يستفاد من ذلك أن من اظهر الشهادتين لا يجوز لمؤمن أن يقدم على قتله، و لا إذا أظهر ما يقوم مقامها من تحية الإسلام

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٩٩

المعنى:..... ص: ٢٩٩

و قوله. «كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ» اختلفوا فى معناه، فقال قوم: كما كان هذا الذى قتلتموه بعد ما القى إليكم السلام مستخفيا من قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم، كنتم أنتم مستخفين بديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم فمن اللّه عليكم، ذهب إليه سعيد بن جبير و قال ابن زيد معناه كما كان هذا المقتول كافراً فهداه اللّه، كذلك كنتم كفاراً، فهداكم اللّه. و به قال الجبائى. و قال المغربى: معناه كذلك كنتم أذلاء آحاداً إذا صار الرجل منكم وحده، خاف أن يختطف.

و قوله: «فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير: فمن اللّه عليكم بإظهار دينه، و إعزاز أهله حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك. و قال السدى: معناه تاب اللّه عليكم «فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» معناه انه كان عليماً بما تعملونه قبل أن تعملوه. قال البلخى فى الآية دلالة على أن المجتهد لا يضل، لأن النبى (ص) لم يضلل مقداداً و لا تبرأ منه. و من قرأ (لست مؤمناً) بفتح الميم الثانية، قال: معناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنك. و هو وجه حسن.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ٩۵ الى ٩۶]..... ص: ٢٩٩

اشارة

لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩۵) دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٩۶)

- آيتان- التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٠٠

القراءة، و الحجة:..... ص: ٣٠٠

قرأ أهـل المدينـة و ابن كثير غير أولى الضـرر- نصبـاً- الباقون بالرفع. فمن رفع جعله نعتاً للقاعـدين. و من نصـبه فعلى الاسـتثناء. و هو اختيار أبى الحسن الأخفش.

المعنى:..... ص: ۳۰۰

بين اللَّه بهـذه الآيـة انه «لاـ يسـتوى» و معنـاه لاـ يعتـدل «القاعـدون» يعنى المتخلفون عن الجهـاد فى سبيـل اللَّه من أهل الايمان باللَّه و برسوله. المؤثرون الدعة و الرفاهية على مقاساة الحر و المشقة بلقاء العدو، و الجهاد فى سبيله إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم، و غير ذلك من العلل التى لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضـرار الذى بهم «وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و منهاج دينه لتكون كلمة اللَّه هى العليا و المستفرغون وسعهم فى قتال أعداء اللَّه، و أعداء دينهم «بأموالهم» انفاقاً لها فيما يوهن كيد أعداء أهل الايمان.

و قال قوم: إن قوله: «غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» نزل بعد قوله: «لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فجاء عمر بن أم مكتوم، و كان أعمى فقال: يا رسول اللَّه كيف و أنا أعمى، فما برح حتى نزل قوله: «غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» .

و ذكر ذلك البراء بن عازب، و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت. و هو يقوى قراءة من قرأ بالنصب.

الاعراب و المعنى:..... ص: ۳۰۰

«و القاعدون» رفع بيستوى و يستوى هاهنا يقتضى فاعلين، فصاعداً و قوله: «و المجاهدون» معطوف عليه. و التقدير لا يستوى القاعدون إلاـ أولى الضـرر و المجاهـدون. و قـال الفراء: الرفع أجود لاتصال «غير» بقوله: «القاعـدون» و الاسـتثناء كان يجب أن يكون بعـد تمام الكلاـم بقوله: «لاـ يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» قـال و يجوز خفضه نعتـاً للمؤمنين و مـا قرئ به. التبيان فى تفسـير القرآن، ج۳، ص: ۳۰۱

و الأول أقوى. و يحتمل النصب على الحال كقولك: جاء زيد غير مريب. فان قيل:

أ يجوز أن يساوى أهل الضـرر المجاهدين على وجه، فان قلتم: لا، فقد صاروا مثل من ليس من أولى الضـرر؟ قلنا: يجوز أن يساووهم بأن يفعلوا طاعات أخر تقوم مقام الجهاد، فيكون ثوابهم عليهم مثل ثواب الجهاد. و ليس كـذلك من ليس بأولى الضـرر، لأنه قعد عن الجهاد، بلا عذر. و ظاهر الآية يمنع من مساواته على وجه.

و قال ابن عباس لا يسـتوى القاعـدون من المؤمنين عن بـدر، و الخارجين الى بـدر ثم قال: (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً) قال ابن جريـج و غيره معناه فضل اللَّه المجاهدين بأموالهم و أنفسـهم درجة على القاعدين من أهل الضـرر ثم قال: «وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى يعنى وعد اللَّه الحسـنى المجاهدين بأموالهم و أنفسـهم و القاعدين أولى الضرر. و المراد بالحسنى هاهنا الجنة فى قول قتادة و غيره من المفسـرين. و به قال السدى. و قوله: «وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً» معناه فضل اللَّه المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين من غير أولى الضرر أجراً عظيماً. و قوله: «دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» قال قتادة هو كما يقال: الإسلام درجة، و الفقه درجة، و الهجرة درجة، و الجهاد فى الهجرة درجة، و القتل فى الجهاد درجة. و قال عبـد اللَّه بن زيـد: معنى الـدرجات هى التسع درجات التى درجها فى سورة براءة. و هى قوله: «ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا» إلى قوله: «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» «۱» قال: هذه التسع درجات. و قال قوم: المراد بالـدرجات هاهنا الجنـة. و اختاره الطبرى. (وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) معناه لم يزل اللَّه غفاراً للـذنوب صافحاً لعبيده عن العقوبة. رحيماً بهم متفضلا عليهم. فان

(۱): آية ۱۲۰، ۱۲۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۰۲

قيل: كيف قال فى أول الآية «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً» ثم قال فى آخرها «وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ» و هذا ظاهر التناقض؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أن فى أول الآية فضل اللَّه المجاهدين على القاعدين أولى الضرر درجة و فى آخرها فضلهم على القاعدين غير أولى الضرر درجات و لا- تناقض فى ذلك، لأن قوله: «وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى يدل على أن القاعدين لم يكونوا عاصين مستخفين، و ان كانوا تاركين للفضل.

و الثانى- قال أبو على الجبائى: أراد بالدرجة الأولى علو المنزلة و ارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال: فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك أنه أعظم منزلة. و بالثانية أراد الدرجات فى الجنة التى تتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم، و لا- تنافى بينهما. و قال الحسين بن على المغربى انما كرر لفظ التفضيل، لأن الاول أراد تفضيلهم فى الدنيا على القاعدين و الثانى أراد تفضيلهم فى الآخرة بدرجات النعيم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۹۷ الى ۹۹]..... ص: ۳۰۲

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً (۹۷) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (۹۸) فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (۹۹)

- ثلاث آيات-.

هذه الآية نزلت فى قوم أظهروا للنبى (ص) الإسلام بمكة، فلما هاجر التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۰۳

النبى (ص) و هاجر أصحابه فتنوهم آباؤهم عن دينهم فافتتنوا و خرجوا مع المشركين يوم بدر فقتلوا كلهم. و قيل: انهم كانوا خمسة نفر. و قال عكرمة: هم قيس بن الفاكة بن المغيرة، و الحارث بن زمعة بن الأسود بن أسد، و قيس بن الوليد بن المغيرة، و أبو العاص بن ميتة بن الحجاج، و على بن أمية بن خلف.

و ذكر أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) مثله، فانزل اللَّه فيهم الآيات. و قال (ع):

ان الذين توفاهم الملائكة يعنى قبض أرواحهم

«ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ» نصب على الحال يعنى فى حال هم فيها ظالمو نفوسهم بمعنى بخسوها حقها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر. و قالت لهم الملائكة «فِيمَ كُنْتُمْ» أى فى أى شىء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم و التوبيخ لفعلهم «قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ» يستضعفنا أهل الشرك باللَّه فى أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم، و يمنعونا من الايمان باللَّه و اتباع رسوله على جهة الاعتذار فقالت لهم الملائكة «أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها» يعنى فتخرجوا من أرضكم و داركم و تفارقوا من يمنعكم من الايمان باللَّه و برسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك، فتوحدوه و تعبدوه و تتبعوا نبيه ثم قال تعالى «فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» يعنى مسكنهم جهنم «و ساءت» يعنى جهنم لأهلها الذين صاروا إليها «مصيراً» و سكناً ثم استثنى من ذلك المستضعفين الذين استضعفهم المشركون «مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» و هم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم و قلة حيلتهم «وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» يعنى فى الخلاص من مكة. و قيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق من أرضهم إلى أرض الإسلام استثنوا من جملة من أخبر أن مأواهم جهنم للعذر الذى هم فيه.

و نصب المستضعفين بالاستثناء من الهاء و الميم فى قوله: «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» فقال تعالى «فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ» يعنى لعل اللَّه أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر و يتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة من حيث لم يتركوا اختياراً «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً» و معناه لم يزل اللَّه ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم «غفوراً» ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٠٤

لهم عنها. قال ابن عباس كنت أنا و أمى من المستضعفين. قال عكرمة و كان العباس منهم و كان النبى (ص) يدعو فى دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد و سلمة بن هشام و عياش بن ربيعة و ضعفة المسلمين من أيدى المشركين الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا. و بالجملة التى ذكرناها قال ابن عباس، و عكرمة، و مجاهد، و السدى، و قتادة، و الضحاك، و ابن وهب، و ابن جبير.

و قوله: «توفاهم» يحتمل أن يكون فعلا ماضياً و يكون موضعه الفتح لأن الماضى مبنى على الفتح. و الثانى ان يكون رفعاً و المعنى تتوفاهم و قد حذف أحد التائين و قد بينا فيما مضى أن (عسى) من اللَّه معناه الوجوب قال المغربى: ذكر (عسى) هاهنا تضعيف لأمر غيرهم كما يقول القائل ليت من أطاع اللَّه سلم، فكيف من عصاه. و مثله قول الشاعر:

و لم تر كافر نعمى نجا من السوء ليت نجا الشاكر

و التوفى هو الإحصاء قال الشاعر:

إن بنى أدرد ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس و ليسوا من أسد

و لا- توفاهم قريش فى العدد بمعنى أحصاهم. و الملائكة تتوفى. و ملك الموت يتوفى. و اللَّه يتوفى. و ما يفعله ملك الموت و الملائكة يجوز أن يضاف إلى اللَّه إذا فعلوه بأمره و ما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت، إذا فعلوه بامره.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٠٠]..... ص: ٣٠۴

اشارة

وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٠)

- آية-. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٠٥

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان من يفارق وطنه، و يخرج من أرض الشرك و أهله هرباً بدينه إلى أرض الإسلام و أهلها و المهاجر فى سبيل اللَّه يعنى منهاج دين اللَّه و طريقه الذى شرعه لخلقه يجد فى الأرض مراغماً كثيراً (يجد) مجزوم، لأنه جواب الشرط.

اللغة:..... ص: ٣٠۵

و المراغم المضطرب فى البلاد و المذهب يقال منه. راغم فلان قومه مراغماً و مراغمة قال الفراء: هما مصدران و منه قول النابغة الجعدى:

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم و المهرب «١»

و قال الشاعر:

إلى بلد غير دانى المحل بعيد المراغم و المضطرب

و المراغم مأخوذ من الرغام و هو التراب و معنى راغمت فلاناً هجرته. و لم أبال رغم أنفه أى و ان لصق بالتراب أنفه.

المعنى:..... ص: ۳۰۵

و اختلف أهل التأويل فى معناه، فقال ابن عباس: المراغم التحول من أرض إلى أرض و به قال الضحاك، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و قال السدى يعنى معيشة. و قال ابن زيد يعنى مهاجراً. و قال ابن عباس يعنى سعة فى الرزق.

و به قال الربيع بن أنس و الضحاك. و قال قتادة: سعة من الضلالة إلى الهدى. و قال يزيد بن أبى حبيب: ان أهل المدينة يقولون من خرج فاصلا من أهله يريد الغزو وجب سهمه لقوله: «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» و قوله:

«و سعة» يحتمل أمرين: أحدهما- السعة فى الرزق. الثانى- السعة مما كان فيه من تضييق المشركين عليهم فى أمر دينهم بمكة، ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

---

(۱) ديوانه: ۲۲ و مجاز القرآن ۱: ۱۳۸ و اللسان (رغم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۰۶

من أرض الشرك فاراً بدينه إلى اللَّه و رسوله و أدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة و أرض الإسلام «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» يعنى ثواب عمله و جزاء هجرته عليه تعالى «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً» يعنى ساتراً على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم «رحيماً» بهم رفيقاً.

النزول:..... ص: ۳۰۶

و قيل فى سبب نزول الآية ان اللَّه لما أنزل ان الذين «تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ» كتب المسلمون بالآيات و بعثوها إلى إخوانهم من أهل مكة فخرج حينئذ منها جماعة، فقالوا: لم يبق لنا عذر فهاجروا. و قال سعيد بن جبير و عكرمة و الضحاك و السدى و ابن زيد و ابن عباس

و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) أنها نزلت فى ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنباع أو العيص بن ضمرة و كان مريضاً فأمر أهله أن يفرشوا له على سريرة و يحملوه إلى رسول اللَّه (ص) قال ففعلوا فأتاه الموت بالتغيم، فنزلت فيه الآية.

و به قال قتادة و قال: قال ضمرة و أنا أعرف الطريق و لى سعة فى المال أخرجونى فأخرج، فمات. و قال عمر بن شبة: هو أبو أمية ضمرة بن جندب الخزاعى. و قال الزبير بن بكار: هو خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام خرج مهاجراً فمات فى الطريق. قال عكرمة و خرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون و فتنوهم عن دينهم فافتتنوا، فأنزل اللَّه فيهم «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ» «۱» و كتب بها المسلمون من المدينة إليهم ثم نزل فيهم «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» .

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰۱]..... ص: ۳۰۶

وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً (۱۰۱)

---

(۱) سورة العنكبوت: آية ۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۰۷

- آية بلا خلاف-.

معنى قوله: «وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» إذا سرتم فيها فليس عليكم جناح يعنى حرج و لا ثم ان تقصروا من الصلاة يعنى من عددها فتصلوا الرباعيات ركعتين.

و ظاهر الآية يقتضى أن التقصير لا- يجوز إلا- إذا خاف المسافر، لأنه قال «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ» و لا خلاف اليوم أن الخوف ليس بشرط، لأن السفر المخصوص بانفراده سبب للتقصير. و الظاهر يقتضى ان التقصير جائز لا اثم فيه. و يقتضى ذلك انه يجوز الإتمام، و عندنا و عند كثير من الفقهاء أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم، و ليس ذلك قصراً، لإجماع أصحابنا على ذلك. و لما

روى عن النبى (ص) انه قال: فرض المسافر ركعتان غير قصر.

و أما الخوف بانفراده فعندنا يوجب القصر.

و فيه خلاف

و قد روى عن ابن عباس أن صلاة الخائف قصر من صلاة المسافر. و انها ركعة ركعة.

و قال قوم: معنى قوله: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا» يعنى من حدود الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا. و هو الذى رواه أصحابنا فى صلاة شدة الخوف. و أنه يصلى إيماء و السجود اخفض من الركوع. فان لم يقدر فان التسبيح المخصوص يكفى عن كل ركعة. ثم أخبر تعالى أن الكافرين يعنى الجاحدين لتوحيد اللَّه و نبوة نبيه فقد أبانوا عداوتهم لكم بما صبتهم لكم الحرب على عبادتكم اللَّه تعالى، و ترككم عبادة الأوثان.

و فى قصر الصلاة ثلاث لغات تقول: قصرت الصلاة أقصرها و هى لغة القرآن. و قصرتها تقصيراً، و اقصرتها إقصاراً.

و اختلف أهل التأويل فى قصر الصلاة فقال قوم: هى قصر من صلاة الحاضر ما كان يصلى أربع ركعات أذن له فى قصرها، فيصليها ركعتين. ذهب إليه يعلى ابن أمية، و عمر بن الخطاب.

و إن يعلى قال لعمر كيف نقصر الصلاة و قد أمنا فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت النبى (ص) عن ذلك فقال: صدقة تصدق اللَّه بها عليكم فاقبلوا صدقته.

و به قال ابن جريج و قتادة. و فى قراءة أبى (و إذا ضربتم التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٠٨

فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتكم الذين كفروا) و لا- يقرأ «إن خفتم» و معنى هذه القراءة الا يفتنكم الذين كفروا و حذف (لا) كما حذف فى قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «١» و معناه ألا تضلوا. و قال قوم: القصر لا يجوز إلا مع الخوف روى ذلك عن عائشة، و سعد بن أبى وقاص.

و قال قوم: عنى بهذه الآية قصر صلاة الخوف فى غير حال المسايفة، و فيها نزلت.

ذهب إليه مجاهد و غيره. و قال آخرون: عنى بها قصر الصلاة صلاة الخوف فى حال غير شدة الخوف. و عنى به قصر الصلاة من صلاة السفر لا من صلاة الاقامة، لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر، كما قلناه- ذهب إليه السدى، و ابن عمر، و سعيد بن جبير، و جابر بن عبد اللَّه، و كعب- و كان من أصحاب النبى (ص) قطعت يده يوم اليمامة و حذيفة بن اليمان، و زيد بن ثابت، و ابن عباس، و ثعلبة ابن زهدم اليربوعى و كان من الصحابة- و أبو هريرة. و روى عن ابن عباس فى رواية اخرى إن القصر المراد به صلاة شدة الخوف تقصر من حدودها و تصليها إيماء و هو مذهبنا. و أما حدّ السفر الذى يجب فيه التقصير فعدنا انه ثمانية فراسخ.

و قال أبو حنيفة، و أصحابه: مسيرة ثلاثة أيام. و قال الشافعى ستة عشر فرسخاً ثمانية و أربعين ميلا. و قال قوم: يجب فى قليل السفر و كثيره. بينا الخلاف فيه فى كتاب الخلاف.

و انما قال فى الاخبار عن الكافرين انهم عدو، و لم يقل أعداء لأن لفظة فعول و فعيل تقع على الواحدة و الجماعة، و فتنت الرجل أ فتنه فهو مفتون لغة أهل الحجاز و تميم و ربيعة. و أهل نجد كلهم و أسد يقولون: أ فتنت الرجل فهو فاتن.

و قد فتن فتوناً: إذا دخل فى الفتنة.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٠٢]..... ص: ٣٠٨

وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (١٠٢)

---

(١) سورة النساء: آية ١٧۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٠٩

- آية واحدة بلا خلاف-.

قوله «إِذا كُنْتَ فِيهِمْ» معناه فى الضاربين فى الأرض من أصحابك يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنوهم، فأقمت لهم الصلاة يعنى أتممت لهم الصلاة بحدودها و ركوعها و سجودها، و لم تقصرها القصر الذى يجب فى الصلاة شدة الخوف من الاقتصار على الإيماء. فلتقم طائفة من أصحابك الذين كنت فيهم معك فى صلاتك و ليكن سائرهم فى وجه العدو. و لم يذكر ما ينبغى أن تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه «وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ» قال قوم: الفرقة المامورة بأخذ السلاح هى المصلية مع رسول اللَّه (ص) و السلاح مثل السيف يتقلد به و الخنجر يشده إلى درعه و كذلك السكين و نحو ذلك من سلاحه و هو الصحيح. و قال ابن عباس الطائفة المأمورة بأخذ السلاح هى التى بإزاء العدو و دون المصلية، فإذا سجدوا يعنى الطائفة التى قامت معك مصلية بصلاتك، و فرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يعنى فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو. و عندنا انهم يحتاجون أن يتموا صلاتهم ركعتين، و الامام قائم فى الثانية ثم ينصرفون إلى موضع أصحابهم و يجيء الآخرون فيستفتحون الصلاة فيصلى بهم الامام الركعة الثانية، و يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم ثم يسلم بهم الامام. و من قال:

إن صلاة الخائف ركعة، قال: الأولون إذا صلوا ركعة فقد فرغوا. و كذلك الفرقة الثانية. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١٠

و روى ذلك أبو الجارود عن أبى جعفر (ع). و رواه مسلمة عن أبى عبد اللَّه (ع)

و هذا عندنا انما يجوز فى صلاة شدة الخوف.

و فى الناس من قال: ان النبى (ص) يسلم بهم ثم يقومون فيصلون تمام صلاتهم.

و قد بينا اختلاف الفقهاء فى مسائل الخلاف فى صلاة الخوف. و قوله: «وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ» يعنى الطائفة الثانية يأخذون السلاح و الحذر فى حال الصلاة. و ذلك يبين ان المأمورة بأخذ السلاح فى الأول هم المصلون دون غيرهم. و قوله: «وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ» معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم و تشتغلون عن أخذها تأهباً للقتال و عن أمتعتكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها «فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً» معناه يحملون عليكم، و أنتم متشاغلون بصلاتكم عن أسلحتكم، و أمتعتكم حملة واحدة فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم، و يستبيحون عسكركم، و ما معكم. و المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند مواقفة العدو، فتمكنوا عدوكم من أنفسكم، و أسلحتكم، و لكن أقيموها على ما بينت. و خذوا حذركم بأخذ السلاح. و من عادة العرب أن يقولوا: ملنا عليهم بمعنى حملنا عليهم.

قال العباس بن عبادة بن نصلة الانصارى لرسول اللَّه (ص) ليلة العقبة الثانية: و الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا فقال رسول اللَّه (ص) لم نؤمر بذلك يعنى فى ذلك الوقت

و قوله: «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ» معناه لا جرم عليكم و لا

اثـم إن كـان بكـم أذى مـن مطر يعنى إن نـالكم من مطر، و أنتم مواقفـوا عـدوكم، أو كنتم مرضـى يعنى أعلاء أو جرحى ان تضـعوا أسلحتكم إذا ضعفتم عن حملها، لكن إذا وضعتموها، فخذوا حذركم.

يعنى احترسوا منهم أن يميلوا عليكم و أنتم غافلون غارون، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً» يعنى عذابا مذلا يبقون فيه أبداً.

و قيل «أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف و كان جريحاً. ذكره ابن عباس.

و اللام فى قوله: «فلتقم» لام الأمر و هى تجزم الفعل. و من حقها أن التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١١

تكون مكسورة إذا ابتدئ بها. و بنو سليم يفتحونها. يقولون: ليقم زيد. كما تنصب تميم لام كى يقولون جئت لآخذ حقى. فإذا اتصلت بما قبلها من الواو و الفاء جاز تسكينها و كسرها. ذكره الفراء.

و قـال: «طائِفَةٌ أُخْرى و لم يقـل: آخرون، ثم قـال: «لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ» و لم يقل: فلتصل معك حملا للكلام تارة على اللفظ و أخرى على المعنى كمـا قال: «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» «١» و لو قـال: اقتتلنا لكان جائزا و مثله «فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» «٢» و فى قراءة أبى: حق عليه الضـلالة و مثله «نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ» «٣» و لم يقل منتصـرون و مثله كثير. و فى الآيـة دلالة على نبوة النبى (ص). و ذلك ان الآية نزلت و النبى (ص) بعسـفان و المشـركين بضـجنان، فتواقفوا فصلى النبى (ص) بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع، و السجود فهم بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون العصر، فأنزل اللَّه عليه الآيـة فصلى بهم العصـر صـلاة الخوف، و يقال: إنه كان ذلك سـبب اسـلام خالد بن الوليد، لأنه كان هم بذلك فعلم أنه ما أطلع النبى (ص) على مـا همـوا به غير اللَّه تعـالى فأسـلم و فى النـاس من قـال: من حكم صـلاة الخوف اختص به النبى (ص) و قـال آخرون- و هو الصحيح- انه يجوز لغيره.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰۳]..... ص: ۳۱۱

اشارة

فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً (١٠٣)

- آية-

المعنى:..... ص: ٣١١

معنى الآية انكم أيها المؤمنون إذا فرغتم من صلاتكم- و أنتم مواقفوا

---

(١) سورة الحجرات: آية ٩.

(٢) سورة الاعراف: آية ٢٩. [.....]

(٣) سورة القمر: آية ۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١٢

عـدوكم- التى بيناهـا لكم «فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً» أى فى حال قيامكم و فى حال قعودكم، و مضـطجعين على جنوبكم. و الجنب: الجانب تقول نزلت جنبه أى جانبه بالتعظيم له و الدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم لعل اللَّه أن يظفركم بهم.

و ينصـركم عليهم. و ذلك مثل قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «١» . و هو قول

ابن عباس و أكثر المفسرين. و قوله: «فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» اختلفوا في تأويله، فقال قوم معناه إذا استقررتم في أوطانكم و أقمتم في أمصاركم «فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» يعنى أتموا التى أذن لكم في قصرها في حال خوفكم في سفركم و ضربكم في الأرض. ذهب إليه مجاهد، و قتادة و قال آخرون معناه إذا استقررتم بزوال الخوف من عدوكم، و حدوث الامن لكم، فأقيموا الصلاة أي فأتموا حدودها بركوعها، و سجودها. ذهب إليه السدى، و ابن زيد، و مجاهد في رواية أخرى. و هو اختيار الجبائي، و البلخي و الطبري. و أقوى التأويلين قول من قال: إذا زال خوفكم من عدوكم، و أمنتم فأتموا الصلاة بحدودها غير قاصرين لها عن شيء من حدودها، لأنه تعالى عرف عبادة الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين في حالين:

إحداهما- حال شدة الخوف أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بيناه من قصر حدودها، و الاقتصار على الإيماء.

و الثانية- حال غير شدة الخوف أمرهم فيها باقامة حدودها و إتمامها على ما مضى من معاقبة بعضهم بعضاً في الصلاة خلف أئمتها، لأنه قال: «وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ» فلما قال: «فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» كان معلوماً انه يريد إذا اطمأنتم من الحال التى لم تكونوا فيها مقيمين صلاتكم فأقيموا الصلاة بجميع حدودها غير قاصرين لها.

و قال ابن مسعود نزلت الآية في صلاة المرضى. و الظاهر بغيره أشبه. و قوله:

«إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» اختلفوا في تأويله، فقال قوم:

---

(۱) سورة الانفال: آية ۴۶.

التبيان في تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۱۳

معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة، ذهب إليه عطية العوفي، و ابن عباس، و ابن زيد، و السدى، و مجاهد، و هو المروي عن أبي جعفر (ع) و أبي عبد اللَّه (ع).

و قال آخرون: كانت على المؤمنين فرضاً واجباً. ذهب إليه الحسن، و مجاهد، في رواية، و ابن عباس في رواية و أبو جعفر في رواية أخرى عنه، و المعنيان متقاربان بل هما واحد. و قال آخرون: معناه كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يعني منجماً يؤدونها في أنجمها ذهب إليه ابن مسعود و زيد بن أسلم و قتادة. و هذه الأقوال، متقاربة، لأن ما كان مفروضاً فهو واجب و ما كان واجباً أداؤه في وقت بعد وقت فمفروض منجم. و اختار الجبائي و الطبري القول الأخير قال: لأن موقوتاً مشتق من الوقت فكأنه قال: هي عليهم فرض في وقت وجوب أدائها.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰۴]..... ص: ۳۱۳

اشارة

وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۰۴)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ۳۱۳

معنى قوله: «وَ لا تَهِنُوا» لا تضعفوا يقال و هو فلان في الأمر يهن وهناً و وهوناً. و قوله. في ابتغاء القوم يعني في طلب القوم. و القوم هم أعداء اللَّه و أعداء المؤمنين من أهل الشرك «إِنْ تَكُونُوا» أيها المؤمنون «تَأْلَمُونَ» مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا «فَإِنَّهُمْ» يعني المشركين «يَأْلَمُونَ» أيضاً مما ينالهم منكم من الجراح و الأذى مثل ما تألمون أنتم من جراحهم و اذاهم «وَ تَرْجُونَ» أنتم أيها المؤمنون

«مِنَ اللَّهِ» الظفر عاجلا- و الثواب آجلا- على ما ينالكم منهم «ما لا- يَرْجُونَ» هم على ما ينالهم منكم يقول: فأنتم إن كنتم مؤمنين من ثواب اللَّه لكم التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١۴

على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به فأولى و أحرى أن تصبروا على حربهم و قتالهم منهم على قتالكم و حربكم. و هو قول قتادة، و السدى، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و ابن عباس، و ابن جريج.

النزول:..... ص: ٣١۴

و قال ابن عباس، و عكرمة: الآية نزلت فى أهل أحد لما أصاب المسلمين ما أصابهم و صعد النبى (ص) الجبل و جاء أبو سفيان و قال يا محمد (ص) يوم لنا و يوم لكم، فقال رسول اللَّه (ص) أجيبوه، فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا فى الجنة و قتلاكم فى النار، فقال أبو سفيان عزى لنا و لا عزى لكم، فقال النبى (ص) قولوا: اللَّه مولانا و لا مولى لكم. قال أبو سفيان اعل هبل، فقال النبى (ص) قولوا له: اللَّه أعلى و أجل، فقال أبو سفيان موعدنا و موعدكم بدر الصغرى

، و نام المسلمون و بهم الكلوم و فيهم نزلت «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ...»

الآية. و فيهم نزلت «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ» لأن اللَّه تعالى أمرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم و أراد بذلك إرهاب المشركين فخرجوا إلى بعض الطريق و بلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة.

المعنى و اللغة:..... ص: ٣١۴

و قال بعضهم معنى «وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا- يَرْجُونَ» أى تخافون من جهته ما لا- يخافون كما قال: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» «١» بمعنى لا- يخافون. و قال قوم لا يعرف فى كلام العرب الرجاء بمعنى الخوف إلا إذا كان فى الكلام جحد سابق كما قال: «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «٢» بمعنى لا تخافون للَّه عظيمة. و قال الشاعر:

---

(١) سورة الجاثية: آية ١٣.

(٢) سورة نوح: آية ١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١۵

لا ترتجى حين تلاقى الزائدا أ سبعة لاقت معاً أو واحد «١»

و قال أبو ذؤيب الهذلى:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عوامل «٢»

قال الفراء: نوب و نوب، و هو النحل. و لا- يجوز أن تقول رجوتك بمعنى خفتك. و انما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لأن الرجاء أمل قد يخاف ألا يتم. و هى لغة حجازية. قال الكسائى: لم أسمعها إلا بتهامة و يذهبون معناها إلى قولهم.

ما أبالي و ما أحفل قال الشاعر:

لعمرك ما أرجوا إذا كنت مسلما على أى جنب كان للَّه مصرعى

أى ما أبالي. و قوله: «كانَ اللَّهُ عَلِيماً» يعنى بمصالح خلقه حكيماً فى تدبيره إياهم و تقديره أحوالهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ١٠۵ الى ١٠۶]..... ص: ٣١۵

اشارة

إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً (۱۰۵) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۰۶)

- آیتان-.

المعنى:..... ص: ۳۱۵

خاطب اللَّه بهذه الآية نبيه (ص)، فقال: «إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ» يا محمد (ص) «الْكِتابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ» يعنى بما أعلمك اللَّه فى كتابه «وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً» نهاه أن يكون لمن خان مسلماً أو معاهداً فى نفسه أو ماله خصيماً يخاصم عنه، و يدفع من طالبه عنه بحقه الذى خانه فيه.

ثم أمره بأن يستغفر اللَّه فى مخاصمته عن الخائن مال غيره «إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً»

---

(۱) معانى القرآن ۱: ۲۸۶ و اللسان (رجا).

(۲) ديوانه ۱۴۳، و معانى القرآن ۱: ۲۸۶، و الصحاح للجوهرى (رجا) و يروى (عوامل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۱۶

يصفح عن ذنوب عباده و يسترها عليهم، و يترك مؤاخذتهم بها. و عندنا أن الخطاب و إن توجه إلى النبى (ص) من حيث خاصم من رآه على ظاهر الايمان و العدالة، و كان فى الباطن بخلافه فلم يكن ذلك معصية، لأنه (ع) منزه عن القبائح فإنما ذكر ذلك على وجه التأديب له فى أن لا يبادر فيخاصم و يدفع عن خصم إلا بعد أن يبين الحق منه. و المراد بذلك أمته عليه السلام. على أنا لا نعلم أن ما روى فى هذا الباب وقع من النبى (ص)، لأن طريقه الآحاد، و ليس توجه النهى إليه بدال على أنه وقع منه ذلك المنهى قال «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «۱» و لا يدل ذلك على وقوع الشرك منه. و قال قوم من المفسرين: انه لم يخاصم عن الخصم و إنما هم به فعاتبه اللَّه على ذلك.

القصة و النزول:..... ص: ۳۱۶

و الآية نزلت فى بنى أبيرق كانوا ثلاثة أخوة بشر و بشير و مبشر و كان بشر يكنى أبا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان و أخذوا له طعاماً و سيفاً، و درعاً فشكى ذلك إلى ابن أخيه قتادة و كان قتادة بدريا فجاء إلى رسول اللَّه (ص) فذكر له القصة، و كان معهم فى الدار رجل يقال له لبيد بن سهل و كان فقيراً شجاعاً مؤمناً، فقال بنو أبيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل، فبلغ لبيداً ذلك، فأخذ سيفه و خرج إليهم. و قال يا بنى أبيرق أ ترمونى بالسرق و أنتم أولى به منى، و أنتم المنافقون تهجون رسول اللَّه و تنسبون إلى قريش لتبينن ذلك أو لأضعن سيفى فيكم فداروه. و قالوا: ارجع رحمك اللَّه فأنت برىء من ذلك. و بلغهم ان قتادة مضى إلى رسول اللَّه (ص) فمشوا إلى رجل من رهطهم يقال له أسير بن عروة، و كان منطيقاً لسناً فأخبروه، فمشى أسير إلى رسول اللَّه (ص) فى جماعة، فقال: يا رسول اللَّه (ص) إن قتادة بن النعمان رمى جماعة من أهل الحسب منا بالسرق و اتهمهم بما ليس فيهم و جاء قتادة إلى النبى (ص) فأقبل

---

(۱) سورة الزمر: آية ۶۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١٧

عليه النبی (ص)، و قال عمدت إلی أهل بيت حسب و نسب رميتهم بالسرق و عاتبه فاغتم قتادة و رجع إلی عمه، فقال: ليتنی مت و لم أكن كلمت رسول اللَّه (ص) فقد قال لی ما كرهت، فقال عمه اللَّه المستعان، فنزلت هذه الآية «وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً»

«١» يعنی لبيد بن سهل حين رماه بنوا بيرق بالسرق «فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً»

إلی قوله: «وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً»

«٢» فبلغ ذلك بنی أبيرق فخرجوا من المدينة، و لحقوا بمكة و ارتدوا فلم يزالوا بمكة مع قريش فلما فتح مكة هربوا إلی الشام فانزل اللَّه فيهم «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى «٣» إلی آخر الآيات. و لما مضی إلی مكة نزل علی سلامة بنت سعد ابن شهيد امرأة من الأنصار كانت ناحكاً فی بنی عبد الدار بمكة فهجاها حسان، فقال:

و قد أنزلته بنت سعد و أصبحت ينازعها جلد استها و تنازعه

ظننتم بأن يخفی الذی قد صنعتم و فينا نبی عنده الوحی واضعة «٤»

فحملت رحله علی رأسها و ألقته بالأبطح و قالت. ما كنت تأتينی بخير أهديت إلی شعر حسان. و نزل فيه قوله: «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» «٥» هذا قول مجاهد، و قتادة بن النعمان، و ابن زيد، و عكرمة، إلا أن قتادة، و ابن زيد، و عكرمة قالوا: إن بنی أبيرق طرحوا ذلك علی يهودی يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودی إلی رسول اللَّه (ص) و بمثله قال ابن عباس. و قال ابن جريج: هذه الآيات كلها نزلت فی أبی طعمة بن أبی أبيرق إلی قوله: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ) «٦» و قال: رمی بالدرع فی دار أبی مليك ابن عبد اللَّه الخزرجی فلما نزل القرآن لحق بقريش، و قال الضحاك: نزلت فی

(١، ٢) سورة النساء: آية ١١١.

(٣) سورة النساء: آية ١١۴.

(۴) ديوانه: ٢٧١.

(۵) سورة النساء: آية ١١۴.

(۶) سورة النساء: آية ۴٧، ١١۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١٨

رجل من الأنصار استودع درعاً فجحد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبی (ص) فغضب له قوم فأتوا نبی اللَّه، فقالوا: أ خونوا صاحبا، و هو أمين مسلم؟ فعذره النبی (ص) و كذب عنه. و هو يری أنه بریء مكذوب عليه فأنزل اللَّه فيه الآيات. و اختار الطبری هذا الوجه و قال: لأن الخيانة إنما تكون فی الوديعة فأما السارق فلا يسمی خائناً فحمله عليه أولی و كل ذلك جائز.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٠٧]..... ص: ٣١٨

وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً (١٠٧)

- آية- نهی اللَّه تعالی نبيه (ص) أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم بمعنی يخونون أنفسهم فيجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من الأموال. و هم الذين تقدم ذكرهم من بنی أبيرق فقال: لا تخاصم عنهم فيما خانوا فيه ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً» يعنی من كان صنعته خيانة الناس فی أموالهم (أثيماً) يعنی مأثوماً و بمثله قال من تقدم من المفسرين قال قتادة: و فيهم نزلت الآيات إلی قوله:

«وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» .

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰۸]..... ص: ۳۱۸

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (١٠٨)

- آية-.

معنى يستخفون يكتمون فأخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء الخائنين يكتمون خيانتهم من الناس الذين لا يقدرون لهم على شيء إلا الذكر لهم بقبيح ما أتوه من فعلهم و تشنيع ما ركبوه إذا اطلعوا منهم على ذلك حياء منهم و حذراً من قبح التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣١٩

الا- حدوثة و لا- يستخفون من اللَّه الذى هو معهم بمعنى أنه مطلع عليهم لا- يخفى عليه شيء من أمرهم و بيده العقاب. و النكال و تعجيل العذاب فهو أحق بأن يستحيا منه و أولى بأن يعظم من أن يراهم حيث يكره إذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه حين يسرون ليلا ما لا يرضى من القول فيغيرونه عن وجهه. و يكونون فيه.

و التبييت هو كل كلام أو أمر أصلح ليلا و أصله من فكرهم فيه ليلا. و قال الشاعر:

أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشيء نكر «١»

و حكى عن بعض طيء ان التبييت فى لغتهم التبديل. و أنشد الأسود بن عامر بن جوين الطائى فى معاتبة رجل:

و بيت قولى عبد المليك قاتلك اللَّه عبداً كنوداً «٢»

يعنى بدلت قولى. و روى عن الأعمش عن أبى رزين: ان معنى «يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى

يؤلفون ما لا- يرضى يعنى فى رمى البريء بجرم السقيم. و المعنى متقارب، لأن التأليف و التشويه و التغيير عما هو عليه و تحويله عن معناه إلى غيره واحد و المعنى بالآية الرهط الذين مشوا إلى رسول اللَّه (ص) فى مسألة المدافعة عن بنى أبيرق، و الجدال عنه «وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً»

يعنى يعلم ما يعلمه هؤلاء المستخفون من الناس و تبييتهم ما لا يرضى من القول و غيره من أفعالهم «محيطاً» بمعنى عالماً محصياً لا يخفى عليه شيء منه حافظاً لجميعه ليجازيهم عليه ما يستخفونه قال الزجاج: الذى بيتوه قولهم إن اليهودى سارق الدرع و عزمهم على أن يحلفوا انهم ما سرقوا و ان يمينهم تقبل دون يمين اليهودى، لأنه مخالف الإسلام.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۰۹]..... ص: ۳۱۹

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩)

---

(١) مر تخريجه فى ٣: ٢٩.

(٢) لم نجده فى مصادرنا. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٢٠

- آية بلا خلاف-.

ها أنتم (ها) للتنبيه و أعيدت مع (أولاء) و المعنى ها أنتم الذين جادلتم، لأن (هؤلاء، و هذا) يكون فى الاشارة للمخاطبين التى أنفسهم بمنزلة الذين.

و قد يكون لغير المخاطبين بمنزلة الذين، قال يزيد بن مفرغ:

نجوت و هذا تحملين طليق «١»

أي و الـذى تحملين طليق. قـال الزجـاج هؤلاء بمعنى الـذين، لأن المخاطب المواجه لا يحتاج إلى الاشارة إلى نفسه. و قال المغربى: هؤلاء كنايـة عن اللصوص الـذين يجادل عنهم. و هو غير أنتم و لـذلك حسن التكرير. و معنى الآيـة ها أنتم الـذين جادلتم. و الجدال أشـد الخصومـة مأخوذ من جـدلت الحبل إذا أحكمت فتله. و رجل مجـدول شديـد. و الأجـدل الصـقر، لأنه أشـد الطيور. و المعنى يا معاشـر من جـادل عن بنى أبيرق فى الحيـاة الـدنيا. و الهـاء و الميم فى عنهم كنايـة عن الخـائنين، فمن يجادل اللَّه عنهم. و معناه من ذا يخاصم اللَّه عنهم يوم تقوم الساعـة يوم يقوم الناس من قبورهم إلى محشـرهم فيـدافع عنهم ما اللَّه فاعل بهم. و المعنى إنكم إن دافعتم فى عاجل الدنيا فإنهم سيصيرون فى الآخرة إلى من لا يدافع عنده عنهم أحد فيما يفعل بهم من العذاب و أليم النكال.

و قوله: (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)

معناه و من ذا الذى يكون وكيلا على هؤلاء الخائنين يوم القيامة يتوكل عنهم فى خصومة اللَّه عنهم يوم القيامة.

و قد بينا أن الوكالة هى القيام بأمر من يوكل له.

---

(١) قائله يزيد بن مفرغ الحميرى. حاشية الصبان ١: ١٦٠ قطر الندى ١٠۶، و أكثر كتب النحو و صدره:

عـدس ما لعباد عليك امارة و هو من قصيـدة هجا بها عباد بن زياد بن أبى سـفيان فسجنه و أطال سـجنه فكلم فيه معاويـة فوجه بريـداً يقال له حمحام فأخرجه و قدمت له فرس (و قيل بغلة) فنفرت فقال: عدس... الخ و عدس صوت يزجر به البغل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٢١

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١١٠]..... ص: ٣٢١

اشارة

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً (١١٠)

- آية-

المعنى:..... ص: ٣٢١

المعنى من يعمل ذنباً، و هو السوء، أو يظلم نفسه باكتساب المعاصى التى يستحق بها العقوبة «ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ»

يعنى يتوب اليه مما عمل من المعاصى، و يراجعه «يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً»

و معناه يعلمه ساتراً عليه ذنبه بصفحة له عن عقوبة جرمه «رحيما» به.

و اختلفوا فيمن عنى بهذه الاية، فقال قوم: عنى بها الخائبين الذين وصفهم فى الآية الاولى.

و قال آخرون: عنى الذين كانوا يجادلون عن الخائفين. قال لهم: «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا»

. و الاـولى حمـل الآيـة على عمومهـا فى كـل من عمـل سوءا أو ظلم نفسه، و ان كـان سـبب نزولهـا فيمن تقـدم ذكره من الخائنين أو المجادلين.

و به قال أكثر المفسرين: الطبرى، و البلخى، و الجبائى، و ابن عباس، و عبد اللَّه ابن معقل، و ابو وائل، و غيرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١١١]..... ص: ٣٢١

اشارة

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١)

المعنى:..... ص: ٣٢١

المعنى من يأت ذنباً على عمد منه و معرفة فإنما يجترح و بال ذلك الذنب، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٢٢
و ضره و خزيه و عاره على نفسه دون غيره من سائر خلق اللَّه.
و المعنى و لا تجادلوا أيها الناس الـذين يجادلون عن هؤلاء الخونـة- فإنكم و إن كنتم لهم عشـيرة و قرابة- فيما أتوه من الذنب، و من التبعـة التى يتبعون بهـا، فـإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصـمتم بسـببهم كنتم مثلهم، فلاـ تـدافعوا عنهم و لا تخاصـموا «وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمـاً» يعنى عالمـاً بمـا تفعلون أيهـا المجـادلون عن الخائنين أنفسـهم، و غير ذلك من أفعالهم و أفعال غيرهـم «حكيما» فى أفعاله من سياستكم و تدبيركم، و تدبير جميع خلقه.
و قيل: إنها نزلت فى بنى أبريق. و فى الآية دلالة على أنه لا يؤخذ أحد بجرم غيره، و لا يعاقب الأولاد بذنوب الآباء على ما يذهب اليه قوم من أهل الحشو.
و مثله قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى «١»».

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١١٢]..... ص: ٣٢٢

اشارة

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (١١٢)
- آية بلا خلاف-.

اللغة، و المعنى:..... ص: ٣٢٢

الخطيئـة، و الخطىء: الإثم العمـد، تقول: خطئ يخطأ: إذا تعمـد الـذنب، و أخطأ يخطأ: إذا لم يتعمد. قال الزجاج: لما سـمى اللَّه تعالى المعاصـى بأنها خطيئة و وصفها دفعة أخرى بأنها إثم، فصل بينهما هاهنا حتى يدخل الجنسان فيه. و قال غيره: المعنى من يعمل خطيئة، و هى الـذنب، أو إثما، و هو ما لا يحل من المعصـية، و فرق بين الخطيئة و الإثم، لأن الخطيئـة قـد تكون عمـداً و غير عمد، و الإثم لا يكون إلا عمداً. فبين تعالى أن من يفعل خطيئة على غير عمد منه لها مما يلزمه

---

(١) سورة الانفال، آية ١٦٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٢٣
فيه الغرامة، و ان لم يكن إثم فيه، أو آثماً فيه على عمد منه، و هو ما يستحق به العقاب «ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً»
يعنى أضافه إلى من هو برىء منه «فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً»
يعنى فقد تحمل بفعله ذلك فرية و كذباً «وَ إِثْماً مُبِيناً»
يعنى و جرماً عظيما.

و البهتان: الكذب الذى تتحير فيه من عظمه و بيانه. يقال: بهت فلان:

إذا كـذب. و بهت يبهت: إذا تحير، قـال اللّه تعـالى: «فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ» «١» و إنمـا قال (به) و قـد ذكر الخطيئـة و الإثم قال الفراء: لأنه يجوز أن يكنى عن الفعلين أحـدهما مؤنث و الآخر مـذكر بلفظ التـذكير و التوحيد و لو كثر لجازوت الكناية بالتوحيد، لأن (الأفاعيل) تقع على فعل واحـد، فكذلك جاز، فان شـئت جعلتها لواحد، و إن شـئت جعلت الهاء للاثم خاصة كما قال: «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها» «٢» فجعله للتجارة. و فى قراءة عبـد اللّه (و إذا رأوا لهواء أو تجارة) فجعله للتجارة فى تقـديمها و تأخيرها. و لو ذكر على نيـة اللهو لجاز و قـد جاء مثنى، قال تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» «٣» و فى قراءة أبى (إن يكن غنيـاً أو فقيراً فاللّه أولى بهم). و فى قراءة عبد اللّه بن مسـعود مثله، لأنه فى مذهب الجمع كما يقول: أصبح الناس صائماً و مفطراً، فأدى اثنان عن الجمع. و قال الزجاج:

المعنى ثم يرمى بذلك بريئاً. قال رؤبة:

فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى الجلد توليع البهق «۴»

أى كـأن ذلـك. و اختلفوا فيمن عنى به بقوله: (بريئـاً) بعـد إجماعهم على أن الرامى ابن أبيرق، فقال قوم: البرىء رجل مسـلم يقال له: لبيد بن سهل. و قال آخرون: بل

هو رجل يهودى يقال له زيد بن السمين. و قد ذكرناه فيما مضى.

و بالأخير قال ابن سيرين، و رواه ابو الجارود عن أبى جعفر (ع).

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(٢) سورة الجمعة، آية ١١.

(٣) سورة النساء، آية ١٣۴.

(۴) انظر: ٢٩۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٢۴

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١١٣]..... ص: ٣٢۴

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (١١٣)

- آية- معنى الآية أنه لو لا أنه تعالى تفضل عليك يا محمد فعصمك بتوفيقه و بيانه لك أمر هذا الخائن حتى كففت عن الجدال عنه «لَهَمَّتْ طائِفَةٌ»

و معناه لقد همت فرقة منهم، بتقدير (قد) ذكره الفراء. و يعنى بالفرقة التى همت من الخائبين أنفسهم «أَنْ يُضِلُّوكَ»

بمعنى يزلوك عن الحق، و يخطئوك. و قيل: يهلكوك بتلبيسـهم أمر الخائن عليك و شـهادتهم عنـدك بانه برىء مما ادعى عليه، ثم قال تعالى: «وَ ما يُضِلُّونَ»

هؤلاء الذين هموا باضلالك عن الواجب فى أمر هذا الخائن «إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»

. و اضلالهم أنفسهم كان بأن اللّه لما كان قد بين لهم ما ينبغى أن يعملوا عليه من المعاونة على البر و التقوى، و الّا يتعاونوا على الإثم، و العدوان:

فلما عدلوا عن ذلك و تعاونوا على الإثم و العدوان، فكانوا بذلك مضلين أنفسهم عن طريق الحق.

و قوله: «وَ ما یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ»
یعنی هؤلاء الذین هموا بإضلالک، لا یضرونک، لان اللَّه قد یثبتک و یسددک فی أمورک، و یبین لک أمر المحق و المبطل.
«وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ»
معناه و من فضل اللَّه علیک یا محمد، ما تفضل به علیک، انزاله علیک الکتاب الذی هو القرآن، و فیه تبیان کل شیء و هدی و موعظة و انزل علیک الحکمة مضافة الی الکتاب، و هی بیان ما ذکره فی الکتاب مجملا من أحکام الکتاب: من الحلال و الحرام، و الامر و النهی «وَ عَلَّمَکَ التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۲۵
ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ»
من خبر الأولین و الآخرین و ما کان و ما هو کائن. و کل ذلک من فضل اللَّه.
و قوله: «وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً»
یعنی لم یزل فضل اللَّه علیک یا محمد عظیماً، فاشکره علی ما أولاک من نعمه و إحسانه. قال الجبائی: و فی الآیة دلالة علی أن التسمیة بالضلال لا تسمی اضلالًا، لأنه لو کان ذلک صحیحاً، لکانوا قد أضلوا النبی (ص) حیث نسبوه الی الضلال و قد نفی اللَّه عنه ذلک. و هذا لیس بصحیح لامرین:
أحدهما- انهم ما سموه بهذا الفعل ضالًا، و انما قصدوا التمویه، و التلبیس علیه، فلما کشف اللَّه تعالی ذلک بطل غرضهم.
و الثانی- ان من قال: إن الضلال یکون بمعنی التسمیة لم یقل: إنه لا یکون إلا کذلک، لان الإضلال علی وجوه مختلفة: بمعنی التسمیة، و غیر ذلک مما بیناه فیما تقدم. و الإضلال یکون بمعنی الدفن قال النابغة:
و آب مضلوه بغیر جلیة و غودر بالجولان جرم و نائل «۱»
یعنی دافنوه.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۱۴]..... ص: ۳۲۵

اشارة

لا خَیْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَیْنَ النَّاسِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (۱۱۴)
- آیة بلا خلاف-.

(القراءة و الحجة:)..... ص: ۳۲۵

قرأ (فسوف یؤتیه)- بالیاء- ابو عمر، و حمزة، و قتیبة، و خلف.

---

(۱) انظر ۱: ۱۹۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۲۶
الباقون بالنون من قرأ بالیاء حمله علی قوله: «وَ مَنْ یَفْعَلْ» . و من قرأ بالنون حمله علی المعنی.
أخبر اللَّه تعالی: أنه لا خیر فی کثیر من نجوی الناس جمیعاً. و النجوی هو ما ینفرد به الاثنان أو الجماعة سراً کان أو جهراً. و یقال: نجوت الشیء: إذا خلصته و ألقیته. یقال: نجوت الجلد: إذا ألقیته عن البعیر، و غیره قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيكما منها سنام و غاربه «۱»

و نجوت فلاناً: إذا استنكهته قال الشاعر:

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد «۲»

و نجوت الوتر و استنجيته إذا خلصته كما قال الشاعر:

فتبازت فتبازخت لها جلسة الا عسر يستنجى الوتر «۳»

و أصله كله من النجوة، و هو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلا:

فمن بنجوته كمن بعقوبته و المستكن كمن يمشى بقرواح «۴»

و يقول: ما أنجى فلا شيئاً و ما نجا شيئاً منذ أيام إذا لم يتغوّط. و التقدير فى الآية «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ» مما يديرونه بينهم من الكلام (إلا) كلام «مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» .

الاعراب:..... ص: ۳۲۶

قال الزجاج يحتمل موضع من نصبا و أن يكون خفضاً، فالخفض على إلا فى نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح. و النصب على أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى لكن كأنه قال: لكن من أمر بصدقة أو معروف ففى نجواه خير.

و طعن بعضهم على الوجه الأول بأن قال لا يجوز أن يعطف بالّا على الهاء و الميم فى مثل هذا الموضع من أجل أنه لم ينله الجحد. و قال الفرّاء: يحتمل الخفض على

---

(۱) لسان العرب: (نجا)

(۲) انظرا: ۲۱۸، اللسان (نجا)

(۳) اللسان (نجا) و يروى. جلسة الجازر. قائله عبد الرحمن بن حسان.

(۴) قائله عبيد بن الأبرص. مر فى ا: ۲۱۸. اللسان نجا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۲۷

تقدير لا خير فى كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة فيكون النجوى على هذا هم الرجال المتناجون كما قال: (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ) «۱» و كما قال: «وَ إِذْ هُمْ نَجْوى «۲» و النصب على أن يجعل النجوى فعلا فيكون نصباً.

لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لان (من) خلاف النجوى و مثله قول الشاعر:

وقفت فيها اصيلالًا أسائلها أعيت جواباً و ما بالدار من أحد «۳»

إلا الأوارى لاياما أبينها و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

و يحتمل وجهاً ثالثاً أن يكون رفعاً كما قال الشاعر:

و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير و الا العيس «۴»

و أقوى الوجوه أن تجعل (من) فى موضع خفض بالرد على النجوى، و يكون بمعنى المتناجين، خرج مخرج السكرى و الجرحى، و يكون التقدير لا- خير فى كثير من نجواهم يعنى من المتناجين يا محمد إلا فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فان أولئك فيهم الخير.

و قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ» اشارة الى ما تقدم من الامر بالصدقة و المعروف و الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة اللَّه يعنى طلب مرضاة اللَّه و نصب ابتغاء على أنه مفعول له و تقديره لابتغاء مرضاة اللَّه، و هو فى معنى المصدر، لأن التقدير و من يتبع ذلك ابتغاء مرضاة

اللَّه. و قوله: «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» يعنى ثواباً جزيلا فى المستقبل.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۱۵]..... ص: ۳۲۷

اشارة

وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً (۱۱۵)

---

(۱) سورة المجادلة، آية ۷.

(۲) سورة الإسراء، آية ۴۷.

(۳) أنظر ا: ۴۴ (و أصيلالا) فيها روايتان أخريان: أصيلاناً و أصيلا كى. و البيتان للنابغة من معلقته المشهورة. [.....]

(۴) أنظر ا: ۱۵۱ و معانى الفراء ا: ۲۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۲۸

آية بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ۳۲۸

معنى يشاقق الرسول يباين الرسول معادياً له، فيفارقه على العداوة، لأن المشاقة هى المباينة على وجه العداوة «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى معناه من بعد ما تبين له و ظهر أنه رسول اللَّه، و أن ما جاء به من عند اللَّه حق، و هدى موصل الى الصراط المستقيم بما معه من الآيات و المعجزات مثل القرآن و غيره. و قوله:

«وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه و يتبع غير سبيل من صدقه و سلك منهاجا غير منهاجهم «نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى» معناه نجعل ناصره ما استنصره و استعان به من الأوثان و الأصنام و هى لا تغنيه و لا تدفع عنه من عذاب اللَّه شيئاً (و نصله جهنم) أى و نجعله صلى نار جهنم معناه نحرقه بها و قد بينا معنى الصلى فيما تقدم «وَ ساءَتْ مَصِيراً» يعنى موضعاً يصير اليه من صار اليه.

القراءة:..... ص: ۳۲۸

و قرأ ابو عمرو و حمزة و ابو بكر البرجمى، و الداجوى عن هشام، و ابو جعفر من طريق النهروانى قوله (و نصله، و نوده) (و لا يؤده) حيث وقع بسكون الهاء فيهن، قال الزجاج يقول فى ذلك كسر الهاء، و اثبات الياء و ضم الهاء و اشباعها بالواو و بكسر الهاء بلا ياء. و لا يجوز اسكان الهاء بلا كسر، لان الهاء من حقها أن تكون معها ياء فحذف الياء. و اثبات الياء و ضم الهاء ضعيف، و لا يجوز حذف الياء إلا إذا كان هناك كسرة يدل عليها النزول و المعنى.

و نزلت هذه الآية فى الخائنين الذين ذكرهم اللَّه فى قوله:

«وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً» لما أبى التوبة أبو طعمة بن الابيرق و لحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدا مفارقا رسول اللَّه (ص) و هو قول مجاهد و قتادة، و اكثر المفسرين. و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قد استدل خلق من المتكلمين، و الفقهاء بهذه الآية على أن الإجماع حجة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۲۹

بأن قالوا: توعد اللَّه على اتباع غير سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول (ص) فلو لا أن اتباعهم واجب لم يجز ذلك، و هذا

ليس بصحيح من وجوه:

أحدها- أن الآية نزلت فى من تقدم ذكره و كان قد ارتد و لحق بالمشركين فيجب أن يتناوله و يتناول كل من يجرى مجراه من المرتدين و مخالفى الإسلام.

و الثانى- أن من أصحابنا من قال: لا نسلم أنه أراد ب (من) فى هذه الآية استغراق، و لا بلفظة (سبيل) جمع السبل، و لا ب (المؤمنين) جميع المؤمنين، فمن أين لهم وجوب الاستغراق. و إذا احتمل التخصيص، جاز لنا أن نحمل على سبيل الايمان الذى من خالفه كان كافراً، أو المؤمنين أراد به الائمة المعصومين، و لو جاز حملها على العموم، لوجب حملها على أهل جميع الأعصار على وجه الجمع دون أهل كل عصر، لأن العموم يقتضى ذلك، فإذا خصوا بأهل كل عصر، خصصنا ببعض أهل العصر على أنه إنما حرم اتباع غير سبيل المؤمنين، فمن أين وجوب اتباع سبيلهم، و لم لا يجوز أن يكون اتباع غير سبيلهم محصوراً. و اتباع سبيلهم موقوفا على الدليل، و يجوز أن يكون أيضاً محظوراً مثله أو مباحاً أو مندوبا، فمن أين الوجوب مع احتمال جميع ذلك على أنه لو سلم جميع ذلك، لكان يجب علينا اتباع إذا كانوا مؤمنين، لأنه هكذا أوجب، فمن أين انهم لا- يخرجون عن كونهم مؤمنين. و وجوب الاتباع تابع لكونهم مؤمنين، فيحتاجون الى دليل آخر فى أنهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين غير الآية على أن ظاهر الآية يتضمن أن من شاق الرسول و اتبع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد، فمن أين أنه إذا انفرد أحدهما عن الآخر يتناوله الوعيد. و نحن إنما نعلم تناول الوعيد على مشاقة الرسول (ص) بانفرادها بدليل غير الآية، فعلى من خالف أن يقول: إن اتباع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد بدليل غير الآية. و قد استوفينا ما فى هذه الآية فى أصول الفقه، و غيره من كتبنا مشروحا لا نطول بذكره ها هنا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۰

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۱۶]..... ص: ۳۳۰

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (۱۱۶)

آية بلا خلاف اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لا يغفر الشرك، و أنه يغفر ما دونه، و قد بينا الاستدلال بذلك على ما نذهب اليه من جواز العفو عن مرتكبى الكبائر من أهل الصلاة، و إن لم يتوبوا فيما مضى، فلا وجه لإعادته و قيل أنه عنى بهذه الآية أبا طعمة الخائن حين أشرك و مات على شركه باللَّه، غير أن الآية و إن نزلت بسببه، فعندنا و عند جميع الأمة أن اللَّه لا يغفر لمن أشرك به بلا توبة: لتناول العموم لهم، فان قيل: فعلى هذا من لم يشرك باللَّه بان لا يعبد معه سواه، و إن كان كافراً بالنبى (ص) من اليهود النصارى ينبغى أن يكون داخلا تحت المشيئة لأنه مما دون الشرك! قلنا: ليس الامر على ذلك لأن كل كافر مشرك، لأنه إذا جحد نبوة النبى اعتقد أن ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل اللَّه، و نسبها الى غيره، و ان الذى صدقه بها ليس هو اللَّه، و يكون ذلك اشراكا معه على أن اللَّه تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا:

- يعنى النصارى- «المسيح ابن الله، وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» «۱» و ذلك هو الشرك باللَّه تعالى على أنه لو لم يكونوا داخلين فى الشرك لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لإجماع الأمة على أن اللَّه تعالى لا يغفر الكفر على وجه الا بتوبة.

و قوله: «وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً» يعنى من يجعل فى عبادته مع اللَّه شريكا، فقد ذهب عن طريق الحق و زوال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً، لأنه باشراكه مع اللَّه فى عبادته فقد أطاع الشيطان، و سلك طريقه و ترك طاعة ربه.

---

(۱) سورة التوبة، آية ۳۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۱

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۱۷]..... ص: ۳۳۱

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطاناً مَرِيداً (١١٧)

- آيةً- اختلفوا فى تأويل هذه الآية على خمسة أقوال:

فقال أبو ملك، و السدى و ابن زيد، و الزجاج: ان المراد بذلك آلهتهم، و اللات، و العزى، و منات، و ساف، و نائله سماهن إناثاً بتسمية المشركين إياها بأسماء الإناث.

الثانى- قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن: معناه إن يدعون من دونه الا اناثاً يقول ميتاً ليس فيه روح، قال الحسن: الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح، مثل خشبة يابسة أو حجر يابس. و قال الزجاج: لان الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث كما يعبر عن المؤنث تقول: الأحجار تعجبنى و لا تقول يعجبونى.

الثالث- قال الحسن فى رواية أخرى: إن أهل الأوثان كانوا يسمعون أوثانهم أناثاً، و كان لكل حى صنم يسمونها أنثى.

الرابع- قال مجاهد: الإناث هى الأوثان. و روى عن عروة عن أبيه أن فى مصحف عائشة الا- أوثاناً و روى عن ابن عباس أنه كان يقرأها إلا وثناً مع وثن كأنه جمع وثناً، وثناً، ثم قلب الواو همزة مضمومة مثل وجوه و أوجه وقتت و اقتت.

و قرأ بعضهم أنثاً جمع أناث مثل ثمار و ثمر و القراءة و المشهورة أناثاً، و عليه القراء من أهل الأمصار.

الخامس- قال الحسين بن على المغربى: إلا اناثاً معناه ضعافاً عاجزين لا قدرة لهم يقولون: سيف أنيث و ميناثة بالهاء و ميناث أى غير قاطع. قال صخر الغى:

فتخبره بأن العقل عندى جراز لا أفل و لا أنيث

و أنث فى أمره: إذا لان، و ضعف و الانيث المخنث، و قال الكميت:

و شذبت عنهم شوك كل قتادة بفارسَ يخشاها الانيث المغمز

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٣٢

قال الازهرى: و الإناث الموات. و قوله: «وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً» المعنى إن هؤلاء الذين يعبدون غير اللّه ليس يعبدون الا الجمادات، و الا الشيطان المريد و هو المتمرد على الله فى خلافه فيما أمر به و نهى عنه و هو إبليس، و به قال قتادة و اكثر المفسرين «و يدعون» معناه يعبدون، لأنهم، إذا دعوا اللّه مخلصين، فقد عبدوه، و مثله قوله: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» «١» اى اعبدونى بدلالة قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي» «٢» قال الزجاج: المريد هو الخارج عن الطاعة يقال حائط ممرّد إى مملس و شجرة مرداء إذا تناثر ورقها و منه سمى أمرد و من لا لحية له أى أملس موضع اللحية، و يقال مرد الرجل يمرد مروداً و مرادة: إذا عتا و خرج عن الطاعة.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١١٨]..... ص: ٣٣٢

لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (١١٨)

- آية- معنى لعنه اللّه أبعده اللّه من ثوابه، و أخزاه و أقصاه و الهاء فى (لعنه) اللّه كناية عن الشيطان و التقدير، و ان يدعون إلا شيطاناً مريداً قد لعنه اللّه و أبعده من كل خير.

و قوله: «وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ» يعنى بذلك ان الشيطان المريد قال لربه (عز و جل) إذ لعنه: لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً يعنى قسما معلوماً و به قال الضحاك. و اتخاذ الشيطان النصيب من عباد اللّه يكون باغوائه إياهم عن قصد السبيل، و دعائه إياهم الى طاعته، و تزيينه لهم الضلال و الكفر، فمن أجاب دعاءه و اتبعه، فهو من نصيبه المعلوم، و حظه المقسوم، و انما اخبر بذلك ليعلم الذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى انهم من نصيب الشيطان الذى لعنه اللّه. و المفروض: الموقت. و المعنى ها هنا

(۱، ۲) سورة المؤمن، آية ۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۳

ما افترضه عليهم من طاعتى و الفرض: القطع و الفريضة الثلمة تكون فى النهر و الفريضة:

كل ما أمر اللَّه به و الزمه و قوله: «وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً» «۱» أى قطعة من المال و فرضت للرجل: إذا جعلت له قطعة من مال الفيء

و الفرض التمر قال الشاعر:

إذا أكلت سمكا و فرضاً ذهبت طولا و ذهبت عرضاً «۲»

و إنما سمى التمر فرضاً لأنه يؤخذ فى فرائض الصدقة يقال: سقاها بالفراض و الفرض و الفرض الحز يكون فى المسواك يشد فيه الخيط، و الفرض فى القوس: الحز يشد فيه الوتر.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۱]..... ص: ۳۳۳

اشارة

وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً (۱۱۹) يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (۱۲۰) أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً (۱۲۱)

ثلاث آيات.

المعنى:..... ص: ۳۳۳

قوله: «وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ» إخبار عن الشيطان المريد الذى وصف صفته فى الآية الاولى انه قال لربه: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً. وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ» و معناه و لاصدن النصيب المفروض الذى اتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال و من الإسلام إلى الكفر «وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ» و معناه أوهمهم انهم ينالون فى الآخرة حظاً لأزيغنهم بما أجعل فى أنفسهم من الامانى عن طاعتك و توحيدك الى طاعتى و الشرك بى «وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ» يعنى لآمرن النصيب المفروض من

(۱) سورة البقرة، آية ۲۷۷.

(۲) لسان العرب (فرض).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۴

عبادك بعبادة غير من الأنداد و الأوثان ينسكوا له و يحرموا يحللوا و يشرعوا غير الذى شرعه اللَّه لهم فيتبعونى و يخالفوك.

اللغة:..... ص: ۳۳۴

و التبتيك: القطع تقول بتكت الشيء ابتكه تبتيكا: إذا قطعته. و بتكه و بتك مثل قطعة و قطع و سيف باتك. قاطع و المراد فى هذا الموضع قطع اذن البحيرة، ليعلم انها بحيرة. و أراد الشيطان بذلك دعاءهم إلى البحيرة فيستجيبون له، و يعلمون بها طاعة له. قال قتادة: البتك قطع اذان البحيرة و السائبة لطواغيتهم و قال السدى:

كـانوا يشـقونها. و به قال عكرمـة و قوله: «وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ» اختلفوا فى معناه فقال ابن عباس، و الربيع بن انس عن انس: انه الإخصاء و كرهوا الإخصاء فى البهائم و به قال سفيان، و شهر بن حوشب، و عكرمة و ابو صالح و
فى رواية أخرى عن ابن عباس فليغيرن دين اللّه و به قال إبراهيم و مجاهد و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهم السلام
قال مجاهد: كذب العبد يعنى عكرمة فى قوله: إنه الإخصاء و إنما هو تغيير دين اللّه الذى فطر الناس عليه فى قوله:
«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» «۱» و هو قول قتادة، و الحسن و السـدى، و الضـحاك، و ابن زيـد. و قـال قـوم: هـو الـوشم. روى ذلـك عن الحسن و الضـحاك و ابراهيم ايضـاً و عبـد اللّه. و قـال عبـد اللّه: لعن اللّه الواشـمات و الموتشـمات و المتفلجـات المغيرات خلق اللّه و قال الزجاج: خلق اللّه تعالى الانعام ليأكلوها، فحرموها على أنفسـهم و خلق الشـمس و القمر و الحجارة مسـخرة للناس ينتفعون بها، فعبـدها «۲» المشـركون و أقوى الأـقوال من قـال: فليغيرن خلق اللّه بمعنى دين اللّه بـدلالة قوله: «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» و يدخل فى ذلك جميع ما قاله المفسـرون، لأنه إذا كان ذلك خلاف الدين فالآية تتناوله، ثم اخبر تعالى عن حال نصيب الشيطان المفروض الذين شاقوا

---

(۱) سورة الروم: آية ۳.

(۲) فى الأصل (فعبدوها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۵

الله و رسوله من بعـد ما تبين له الهدى «۱» فقال و من يتبع الشـيطان فيطيعه فى معصـية اللّه و خلاف أمره «فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً» معناه هلـك هلاكـاً ظاهراً، و يخس نفسه حظها خسـراناً مبينا عن عطبه و هلاكه، لأن الشـيطان لا يملك له نصـيراً من اللّه إذا أراد عقابه، ثم اخبر تعالى الشيطان أنه يعد من يتبعه و يمنيهم فيعدهم النصر ممن أرادهم، و يمنيهم الظفر على من أرادهم بمكروه، ثم قال تعالى:
«وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً» يعنى باطلا و سماه غروراً، لأنهم كانوا يظنون أن ذلك حق، فلما بان لهم أنه باطل، كان غروراً و قوله: «أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» إشارة الى هؤلاء الذين اتخذوا الشـيطان ولياً من دون اللّه مأواهم يعنى مصـيرهم الذين يصـيرهم اليه جهنم و لا يجدون عنها محيصاً يعنى لا يجدون عنها معدلا إذا حصولها فيها.

اللغة:..... ص: ۳۳۵

بقول حاص فلان عن هـذا الامر يحيص حيصاً و حوصاً: إذا عـدل عنه و منه حـديث ابن عمر (بعثنا رسول اللّه (ص) سـرية، كنت فيهم فلقينا المشـركين فحصنا حيصة) و قال بعضهم: فجاضوا جيضة و هما بمعنى واحد، غير انه لا يقرأ إلا بالصاد و الحاج و حصت احوص حوصاً و حياصاً إذا خطت يقال حص عين صقرك، اى خط عينه و الحوص فى العين مؤخرها. و الخوص غورها.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۲۲]..... ص: ۳۳۵

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (۱۲۲)

---

(۱) سورة النساء آية ۱۱۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۶

آيـة- لمـا ذكر اللّه تعـالى حكم من يشاقق الرسول، و يتبع غير سبيل المؤمنين، و ذكر ان من يشـرك به لا يغفر له و بين حكم من يتبع

الشيطان و يكون من نصيبه، ذكر فى هذه الآية حكم من يؤمن به و يوحده، و يقر بنبيه و يصدقه و يضيف الى ذلك عمل الصالحات، و انه سيد خلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً على أعمالهم، و جزاء إيمانهم، و يخلدهم فيها «خالِدِينَ» نصب على الحال و المعنى ان هذه الحال ستدوم لهم، و تتأبد، و ان ذلك وعد حق من اللّه لهم و قوله: «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» صورته صورة الاستفهام و المراد به التقرير و الإنكار و المعنى لا- أحد اصدق من اللّه قليلًا أى قولا و وعداً، لأنه لا يجوز عليه خلف الميعاد و لا الإخلال بما يجب عليه من الثواب. تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۲۳]..... ص: ۳۳۶

اشارة

لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (١٢٣)
- آية-

المعنى:..... ص: ۳۳۶

فى (ليس) ضمير و التقدير ليس الثواب بأمانيكم، و لا- أمانى أهل الكتاب و الامانى يخفف و يثقل فيقال بامانى و امانى على وزن أفاعيل و فعالل كقراقير و قراقر.

و اختلفوا فى من عنى بهذه الآية فقال مسروق تفاخر المسلمون، و أهل الكتاب، فقال المسلمون نحن اهدى منكم. و قال أهل الكتاب: نحن اهدى منكم. فانزل اللّه تعالى: «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» فقال أهل الكتاب نحن و أنتم سواء فانزل اللّه تعالى «وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» «١» ففلح المسلمون. ذهب الى ذلك قتادة و السدى، و الضحاك و ابو

---

(١) فى المطبوعة (ففنج).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٣٧

صالح. و قال مجاهد معناه ليس بأمانيكم يعنى أهل الشرك من قريش، لأنهم قالوا:

لا نبعث و لا نعذب، و لا امانى أهل الكتاب انهم خير من المسلمين، و لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ذهب اليه ابن زيد و هذا الوجه أقوى لأنه لم يجر لامانى المسلمين ذكر و قد جرى ذكر امانى الكفار فى قوله: «وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ» يعنى الذى يتخذهم الشيطان «نَصِيباً مَفْرُوضاً» و يقوى ذلك أن اللّه تعالى قد وعد المؤمنين بقوله: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» بإدخال الجنة و الخلود فيها.

و تلك غاية أمانى المسلمين، فكيف ينفى بعد ذلك أمانيهم؟.

و قوله: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» اختلفوا فى تأويله فقال قوم: إنه يريد بذلك جميع المعاصى صغائرها و كبائرها و إن من ارتكب شيئاً منها، فان اللّه يجازيه عليها. اما فى الدنيا أو فى الآخرة ذهب اليه قتادة و عائشة، و مجاهد. و قال آخرون: من يعمل سوءً من أهل الكتاب نجزيه ذهب اليه، الحسن. قال:

كقوله: «وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ» «١» و به قال ابن زيد و الضحاك و هو الذى يليق بمذهبنا، لأنا نقطع على ان الكفار لا يغفر لهم على حال و المسلمون يجوز أن يغفر لهم ما يستحقونه من العقاب، فلا يمكننا القطع على أنه لا بد أن يجازى بكل سوء. و قال قوم: معنى السوء ها هنا الشرك فمعنى الآية من يعمل الشرك يجزيه «٢» ذهب اليه ابن عباس و سعيد بن جبير.

و روى أبو هريرة انه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، فشكوا إلى رسول اللَّه (ص) فقال (ص): فادفعوا و تشددوا، ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها او الشوكة يشاكها.

و قيل لبعض الصحابة: أ ليس بمرض، ا ليست تصيب اللأواء؟. قال: بلى فهو ما تجزون به.

و قوله: «وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» معناه و لا يجد الذى يعمل سوءً من معاصى اللَّه، و خلاف أمره ولياً يلى أمره و ينصره و يحامى عنه، و يدفع عنه ما ينزل به من عقوبة اللَّه، «وَ لا نَصِيراً» يعنى ناصراً ينصره مما يحل به من عقاب اللَّه، و اليم عذابه. و استدلت المعتزلة على المنع من غفران معاصى أهل

---

(۱) سورة سبأ، آية ۱۷.

(۲) فى المطبوعة (ينجز به).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۸

الصلاة بهذه الآية. قالوا: لأنه تعالى بين أنه يجازى على كل سيئة، و ذلك يمنع من جواز العفو قلنا: قد تكلمنا على نظير ذلك فيما مضى بما يمكن اعتماده ها هنا منها انا لا نسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء، بل فى أهل التأويل من قال: المراد به الشرك. و هو ابن عباس و قد قدمناه، ثم لا خلاف أن الآية مخصوصة، لأن التائب و من كانت معصيته صغيرة، لا يتناوله العموم، فإذا جاز لهم تخصيص الفريقين، جاز لنا أن نخص من يتفضل اللَّه عليه بالعفو. و هذا واضح و قد بينا الجواب عما يزاد على ذلك من الاسئلة بما فيه كفاية فيما مضى و فى كتاب شرح الجمل، لا نطول بذكره ها هنا.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۲۴]..... ص: ۳۳۸

اشارة

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (۱۲۴)

– آية–

القراءة:..... ص: ۳۳۸

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و ابو بكر، الا الكسائى و ابو جعفر و روم (يُدخلون) بضم الياء و فتح الخاء ها هنا و فى مريم و المؤمن. وافقهم رويس الا فى هذه السورة.

المعنى:..... ص: ۳۳۸

وعد اللَّه تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الذكور و الإناث إذا عملوا الاعمال الصالحات، و هم مؤمنون مقرون بتوحيد اللَّه و عدله، مصدقون بنبيه (ص)، عاملون لما اتى به بأنه يدخلهم الجنة و ينيبهم فيها، و لا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب، و ان كان مقدار نقير فى الصغر، و هى النقطة التى فى ظهر النواة، و قيل منها تنبت النخلة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۳۹

و من ضم الياء و فتح الخاء، فلانه قال: «وَ لا يُظْلَمُونَ» فضم الياء، ليزدوج الكلام، و لأنهم لا يدخلونها حتى يدخلوها. و من فتح الياء، فلأنهم إذا ادخلوا الجنة، فقد دخلوها. فان قيل ظاهر الآية يقتضى انه لا يثيب الا من آمن و عمل الصالحات فمن انفرد بالايمان، لا

يستحق الثواب، و كـذلك من فعـل بعض الصالحـات قلنـا: ظاهر العموم مخصوص بلا خلاف لأنه لو آمن باللّه و اليوم الآخر و اخترم عقيبه، لا خلاف انه يـدخل الجنـة، فكـذلك إذا اخل ببعض الصالحات أو ارتكب معصـية، فانا نعلم دخوله الجنـة بدليل آخر على أن (من) فى قوله: (من الصالحات) يقتضـى أنه لو فعل بعض الصالحات لأدخل الجنة، لأنها للتبعيض. و انما تقتضـى الاستغراق إذا حملت على ان معناها بيان الصفة، فإذا احتمل الظاهر ما قلناه، سقطت المعارضة فاما من قال: ان (من) زائدة فلا يعول على قوله، لأنه إذا أمكن حمل الكلام على فائدة، لم يجز أن يحمل على الزيادة. و بما قلناه فى معنى النقير، قال مجاهد و عطية و السدى و غيرهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٥]..... ص: ٣٣٩

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)

- آية- قضـى اللَّه تعالى فى هذه الآية للإسلام بالفضل على سائر الملل بقوله: و من أحسن ديناً ايها الناس و هو فى صورة الاستفهام. و المراد به التقرير. و المعنى من احسن ديناً و أصوب طريقاً، و اهدى سبيلا ممن اسـلم وجهه للّه يعنى استسلم وجهه للّه. و الوجه يراد به ها هنا نفسه و ذاته كما قال: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «١» فانقاد له بالطاعة و لنبيه (ص) بالتصديق «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» بمعنى و هو فاعل للفعل الحسن مما أمره اللَّه به «وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» يعنى و اتبع الذى كان عليه (ابراهيم)،

---

(١) سورة القصص، آية ٨٨.

و امر به نبيه من بعـده، و أوصاهم به من الإقرار بتوحيده، و عدله و تنزيهه عما لا يليق به (حنيفاً) يعنى مسـتقيما على منهاجه و سبيله. و قد بينا فيما مضى معنى الحنيف، فلا فائدة فى إعادته، و بمثل ذلك قال الضحاك، و غيره من المفسرين.

و قوله: «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا» و معنى الخليل يحتمل أمرين:

أحـدهما- المحبـة، مشـتقاً من الخلـة بضم الخـاء و المعنى اتخـذ اللَّه ابراهيم محبـاً و تكون خلـة ابراهيم: موالاـته لأوليـاء اللَّه و معاداته لاعـدائه. و خلة اللَّه له نصـرته على من اراده بسوء مثل ما أراد نمرود من إحراقه بالنار، فأنقذه اللَّه منها، و أعلى حجته عليه. و كما فعل بملك مصر حين راوده عن اهله، و جعله اماماً لمن بعده من عباده، و قدوة لهم.

و الثانى- ان يكون ذلك مشتقاً من الخلة التى هى الفقر بفتح الخاء- كما قال زهير يمدح هرم بن سنان:

و ان أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى و لا حرم»

و يروى يوم مسغبة و هو الأظهر و انما انشد البلخى يوم مسألة، و هو بخلاف الروايات. و قال آخر:

و انى و ان لم تسعفانى بحاجة إلى آل ليلى مرة الخليلى «٢»

أى المحتـاج. و قيـل: انه أصـاب أهـل ناحيـة ابراهيم (ع) جـدب، فارتحل الى خليل له من أهل مصـر يلتمس طعاما لأهله من قبله، فلم يصب عنـده حاجته، فلما قرب من أهله مر بمفازة ذات رمل لينـة فملأ غرائره «٣» من ذلـك الرمل لئلا يغم أهله برجوعه بغير ميرة «٤»، فيظنون ان معه طعاماً فحول اللَّه تعـالى غرائره دقيقـاً، فلمـا وصـل إلى اهله قـام أهله، ففتحوا الغرائز فوجـدوا دقيقـاً، فعجنوا منه، فخبزوا فاستيقظ

---

(١) اللسان: (حرم) و (اخلل). رفع (يقول) مع انه جواب الجزاء، على التقديم كأنه قال: ان أتاه خليل. أجاز ذلك سيبويه.

(٢) لم أجد البيت فى مصادرنا. [.....]

(٣) الغرائز جمع غرارة- بكسر الغين- و هى الجوالق التى يوضع فيها الدخن و القبح.

(۴) الميرة الطعام أو جلبه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣۴١

ابراهيم فسألهم من اين خبزوا؟ فقالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك «١» المصرى فقال: لا بل من عند خليلى اللّه (عز و جل) فسماء اللّه خليلا. فهذا ما روى و هو من آيات الأنبياء (ص) فاما الاشتقاق فالخلة بضم الخاء: الصداقة.

و الخلة بفتح الخاء: الحاجة، و استعمل فى الحاجة، للاختلال الذى يلحق الفقير فيما يحتاج اليه. و الخلة بمعنى الصداقة، فلان كل واحد منهما يسد خلل صاحبه فى المودة، و الحاجة. و قيل: لأنه يطلعه على اسراره فكأنه فى خلل قلبه و الخلل: كل فرجه تقع فى شيء و الخلال: هو ما يتخلل به لأنه يتبع به الخلل بين الأسنان.

قال الشاعر:

و نظرن من خلل الستور بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح

يعنى نظرن من الفرج التى فى الستور و قولهم: لك خلة من خلال. تأويله إنى أخلى لك من رأيى، او مما عندى عن خله من خلال و معنى أخلى أخلل. فأبدل من إحدى اللامين ياء و يجوز أن يكون أخلى من الخلوة، و الخلوة و الخلل يرجعان الى معنى واحد. و الخلل: الطريق فى الرمل إذا انفرجت منه فرجة فصارت طريقاً.

و الخل ما يؤكل معروف. و اختار الفراء و البلخى. أن يكون من الخلة التى هى الفقر قال: و يخالف المحبة، لان المحبة من اللّه لعبده هى الثناء عليه و مدحه له، و لأنه يحب الإنسان ما ليس من جنسه، و لا يخاف إلا ما هو من جنسه. و على ما بيناه، لا يمنع ذلک و إن كان فيه بعض التجوز. و قال الازهرى: الخليل الذى خص بالمحبة يقال: دعا فلان فخلل أى خص. و اختاره الجبائى هذا الوجه و قال: كل نبى فهو خليل اللّه، لأنه خصه بما لم يخص به غيره. و الخلة: الخصلة، و جمعها خلال. و انما خص اللّه تعالى ابراهيم بأنه خليله من الفقر، و ان كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته تشريفاً له بالنسبة اليه، و اختصاصه به من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه.

و خص ابراهيم من بين سائر الأنبياء بانه خليل اللّه على المعنيين، كما خص موسى بانه كليم اللّه و محمد (ص) بانه حبيب اللّه، و عيسى بانه روح اللّه و لا يلزم على ذلک

---

(١) فى المطبوعة (خليک).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣۴٢

تسمية عيسى بانه ابن اللّه، لان هذه اللفظة لا تستعمل حقيقتها إلا فى من خلق من مائه أو ولد على فراشه، و مجازها فى من يجوز ذلک فيه. و لذلک لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخا ابناً، و ان جاز ان يتبنى بصبى، و لا يجوز أن يتخذ البهيمة ابناً، لما لم يجز أن تكون مخلوقة من مائه على وجه.

و الحنيفية التى أمر اللّه نبيه بأن يتبع ابراهيم فيها عشرة أشياء: خمسة فى الرأس و خمسة فى الجسد. فالتى فى الرأس: المضمضة. و الاستنشاق، و السواک، و قص الشارب، و الفرق لمن يكون طويل الشعر، و التى فى الجسد: فالاستنجاء، و الختان، و حلق العانة، و نتف الإبط و قص الاظفار و جميع ذلک مستحب الا الختان و الاستنجاء، فإنهما واجبان. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف. و قال الجبائى كلما كان تعبد اللّه به ابراهيم، فانه تعبد به النبى (ص) و أمته و زاده أشياء لم يتعبد بها ابراهيم (ع) و عموم الآية يقتضى ما قاله، و إن كان ذلک شرعا لنبينا من حيث اعلمه اللّه ذلک، و تعبده به بوحى من جهته.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): آية ١٢۶]..... ص: ٣۴٢

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً (١٢۶)

- آيةـ لما ذكر اللَّه تعالى انه اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ربه و إخلاصه له العبادة، و مسارعته الى رضاه، بين ذلك بفضله لا من حاجة الى خلته فقال: و كيف يحتاج الى خلته من له ما فى السماوات و الأرض من قليل و كثير ملكا، و مع ذلك مستغن عن جميع خلقه. و جميع الخلق يحتاجون اليه فكيف يحتاج الى خلة ابراهيم، لكنه اتخذه خليلا لمسارعته الى رضاه و امتثاله ما يأمره به.

«وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً» يعنى لم يزل اللَّه عالماً بجميع ما فعل عباده ان كان محسناً أثابه، و ان كان مسيئاً عاقبه ان شاء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤٣

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٢٧]..... ص: ٣٤٣

اشارة

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامى بِالْقِسْطِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً (١٢٧)

آية بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٣٤٣

يسألك يا محمد، أصحابك ان تفتيهم فى أمر النساء، و الواجب لهن و عليهن.

و اكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة الكلام على المراد «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» يعنى قل يا محمد، انه يفتيكم فيهن يعنى فى النساء و ما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن.

الاعراب:..... ص: ٣٤٣

و اختلفوا فى اعراب (ما يتلى). قال الزجاج و الفراء معاً: يحتمل ان يكون موضع (ما) رفعاً و التقدير فى قول الزجاج، و الذى يتلى عليكم فى الكتاب أيضاً يفتيكم فيه. و قال الفراء تقديره الله يوصيكم فيهن و ما يتلى عليكم. و قالا جميعاً يجوز ان يكون موضع (ما) خفضاً بالعطف على فيهن إلا ان الزجاج ضعف هذا و قال:

هذا بعيد لان عطف المظهر على المضمر لا يجوز. و قال الفراء: يجوز على تقدير فيهن و ما يتلى عليكم.

و اختلفوا فى تأويل «وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِي لاـ تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ» فقال قوم: الذى يتلى عليكم هو آيات الفرائض التى فى أول السورة. روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

كان اهل الجاهلية التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤٤

لا يورثون المولود حتى يكبر، و لا يورثون المرأة، فانزل اللَّه آية الميراث أول السورة، و هو معنى «اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ» . و به قال مجاهد: و روى ذلك عن أبى جعفر (ع).

و قال قوم: كان الرجل تكون فى حجره اليتيمة بها ذمامة، و لها مال، فكان يرغب عنها ان يتزوجها و يحبسها لما لها طمعاً أن تموت فيرثها، فنزلت الآية. ذهب اليه عائشة، و قتادة و السدى و ابو مالك و ابراهيم

قال السدى: كان جابر بن عبد اللَّه الانصارى ثم السلمى له بنت عم عمياء ذميمة قد ورثت عن أبيها ما لا، فكان جابر يرغب عن نكاحها، و لاـ ينكحها، مخافة أن يذهب الروح بما لها فسأل النبى (ص) عن ذلك و قال: أ ترث إذا كانت عمياء؟ فقال (ص): نعم

فانزل اللّه فيه هذه الآية.

و قال قوم: معناه يفتيكم فيهن و فيما يتلى عليكم فى آخر السورة من قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ» فى الكلالة ذهب اليه ابن جبير و قالت عائشة: كان الرجل تكون فى حجرة اليتيمة تشاركه فى ماله فيعجبه مالها و جمالها، فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها، فنهى اللّه عن ذلك فى قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا» من غيرهن «ما طابَ لَكُمْ» قالت: و قوله: «وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» هو ما ذكره فى أول السورة من قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا» . فعلى هذه الأقوال (ما) فى موضع خفض بالعطف على الهاء و النون فى قوله: (فيهن) و التقدير قل اللّه يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم، و على ما قال الفراء: قل اللّه يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم فى الكتاب و قال آخرون: نزلت الآية فى قوم من أصحابه (ص) سألوه عن أشياء من أمر النساء، و تركوا المسألة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها، فأفتاهم اللّه فيما سألوه عنه، و فيما تركوا المسألة عنه ذهب اليه محمد بن أبى موسى. و يكون معنى قوله: و ما يتلى عليكم فى الآية التى بعدها و قيل: هم اليتامى الصغار من الذكور و الإناث. و ما بعدها قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً» و الذى سألوا عنه، فأجيبوا ما كتب اللّه لهن من الميراث فى آية الميراث. و اختار الطبرى أن يكون المراد به آيات الفرائض قال: لأن الصداق ليس مما كتب اللّه للنساء الا بالنكاح، فما لم تنكح فلا صداق التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤٥

لها عند احد.

و قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» فى موضع جر و تقديره و فى المستضعفين من الولدان. و قيل هم اليتامى الصغار من من الذكور و الإناث، لأنهم كانوا لا يورثون الصغار من الذكور حتى يبلغ.

«وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامى و المعنى و فى ان تقوموا لليتامى بالقسط على ما قاله فى قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى : فأمرهم أن يؤتوا المستضعفين من الولدان حقوقهم من الميراث، و يعدلوا فيهم، و يعطونهم ما فرضه اللّه لهم فى كتابه. و به قال السدى، و ابن زيد، و مجاهد، و ابن عباس.

و قوله: «وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» معناه ترغبون عن أن تنكحوهن.

و قال الحسن فى قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» قال: يعنى فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن أى الا يأكلوا أموالهم إلا بالقسط، يعنى بالعدل. و قال عبيدة السليمانى فيما رواه ابن سيرين عنه ان معنى (وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ترغبون فيهن. و فى رواية ابن عون عن ابن شيرين يرغبون عنهن. و قال الحسن: يرغبون عنهن و كان عيينة بن حصن يقول: يا محمد أ تعطى الوالدان المال؟ و انما يأخذ المال من يقاتل و يجوز الغنيمة، فنزل قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» .

و قوله: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً» المعنى مهما فعلتم، أيها المؤمنون من عدل فى أمر اليتامى التى أمركم اللّه أن تقوموا فبهن بالقسط، و انتهيتم فيه إلى أمره و إلى طاعته، فان اللّه كان به عالماً لم يزل و قيل معنا إن اللّه سيجازيكم عليه كما يقول القائل أنا أعرف لك ما تفعله بمعنى اجازيك عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۲۸]..... ص: ۳۴۵

اشارة

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٢٨)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤۶

آية.

القراءة و الحجة:..... ص: ٣۴۶

قرأ اهل الكوفة أن يصلحا بضم الياء و كسر اللام و بسكون الصاد. الباقون يصالحا بتشديد الصاد فمن شدد الصاد، قال معناه يتصالحاً و يكون قوله: (صلحاً) اسما لا مصدراً و من قرأ بخلافه قال: هو مصدر.

المعنى:..... ص: ٣۴۶

يقول اللَّه تعالى: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» و معناه علمت «مِنْ بَعْلِها»، أى زوجها «نُشُوزاً» يعنى استعلاءً بنفسه عنها الى غيرها. و ارتفاعا بها عنها: إما لبغضه، و اما لكراهة منه شيئاً منها إما ذمامتها، و اما سنها و كبرها، أو غير ذلك «أَوْ إِعْراضاً» يعنى انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التى كانت لها منه «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما» أى لا حرج عليهما ان يصالحها بينهما صلحاً بان ترك المرأة له يومها، او تضع عنه بعض ما يجب لها. من نفقة او كسوة، و غير ذلك تستعطفه بذلك، و تستديم المقام فى حباله، و التمسك بالعقد الذى بينها و بينه من النكاح، ثم قال:

«وَ الصُّلْحُ» بترك بعض الحق استدامة للخدمة، و تمسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة، و قال بعضهم: الصلح خير من النشوز، و الاعراض و الأول أشبه. هذا إذا كان بطيبة من نفسها، فان لم يكن كذلك، فلا يجوز له الا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة و النفقة، و القسمة و إلا يطلق. و بهذه الجملة قال على عليه السلام، و عمر و ابن عباس، و سعد بن جبير و عائشة و عبيدة السلماني، و ابراهيم و الحكم و قتادة، و مجاهد و عامر الشعبى و السدى، و ابن زيد و قال ابن عباس:

خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول اللَّه (ص) فقالت لا تطلقنى و اجلسنى مع نسائك و لا تقسم لى، فنزلت «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً»

و قال سعيد بن المسيب عن سليمان بن يسار. ان رافع بن خديج كانت تحته امرأة قد علا من سنها،

قال التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣۴٧

أبو جعفر (ع) هى بنت محمد بن مسلمة، فتزوج عليها شابة فآثر الشابة عليها، فأبت الاولى أن تقر على ذلك، فطلقها تطليقة حتى إذا بقى من أجلها يسيراً قال: إن شئت راجعتك و صبرت على الاثرة، و ان شئت تركتك حتى يخلو أجلك، ثم طلقها الثانية، و فعل فيها ما فعل أولا، قالت: بل راجعنى و اصبر على الاثرة، فراجعها. فذلك الصلح الذى بلغنا أن اللَّه أنزل فيه «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» الآية.

و قوله: «وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» و اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم و أحضرت الأنفس النساء الشح على أنصبائهن من انفس أزواجهن و أموالهن و ايامهن منهم. ذهب اليه ابن عباس و سعد بن جبير و عطا، و ابن جريج و السدى. و يزعم انها فى سورة بنت زمعة، و رسول اللَّه (ص) لأنها كانت كبرت، فأراد رسول اللَّه (ص) ان يطلقها، فاصطلحا على ان يمسكها و يجعل يومها لعائشة، فشحت بمكانها من رسول اللَّه (ص). و قال آخرون: و أحضرت انفس كل واحد من الرجل و المرأة الشح بحقه قبل صاحبه.

و هو أعم فيكون شح المرأة بترك حقها من النفقة و القسمة و غير ذلك و شح الرجل إنفاقه على التى لا يريدها، و بذلك قال ابن وهب، و ابن زيد. و الشح: افراط فى الحرص على الشيء و يكون بالمال و بغيره من الاعراض يقال: هو شحيح بمودتك اى حريص على دوامها و لا يقال فى ذلك بخيل و البخل يكون بالمال خاصة.

قال الشاعر:

لقد كنت فى قوم عليك اشحة بفقدك إلا ان من طاح طائح

يودون لو خاطوا عليك جلودهم و هل يدفع الموت النفوس الشحائح «۱»

فان قيل: قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» ليس فيه ان الرجل نشز على امرأة و الخوف ليس معه يقين قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- إن الخوف فى الآية بمعنى العلم و تقديره، و إن امرأة علمت.

---

(١) مجمع البيان ٢: ١١٩- طبع صيدا- العقد الفريد ٣: ٢٤٧- ٢٤٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤٨

و الثانى- انها لا تخاف النشوز من الرجل إلا و قد بدأ منه ما يدل على النشوز و الاعراض من أمارات ذلك و دلائله. و قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» ارتفعت المرأة بفعل مضمر دلّ عليه ما بعد الاسم، و تقديره و إن خافت امرأة خافت و التفرقة بين ان التى للجزاء «١» و الفعل الماضى قال الزجاج هو جيد، و لا يجوز ذلك فى الفعل المستقبل.

لا تقول: ان امرأة تخف، (ان) لا تفصل بينهما و بين ما يجزم و يجوز ذلك فى ضرورة الشعر قال الشاعر:

فمتى واغل بينهم يحيوه و يعطف عليه كاس الساقى «٢»

و انما جاز فى الماضى مع الاختيار، لان (ان) غير عاملة فى لفظة و ان لم تكن من «٣» حروف الجزاء، فجاز أن يفرق بينهما و بين الفعل، و غير ان يقبح فيه الفصل مع الماضى و المستقبل لا تقول: متى زيد جاءنى أكرمته، و يجوز ان تقول: إن اللَّه أمكننى فعلت.

و قوله: «وَ إِنْ تُحْسِنُوا» خطاب للرجال يعنى ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء، و تتقوا من الجور عليهن فى النفقة و العشرة بالمعروف، فان اللَّه عالم بذلك. و كان عالماً بما تعملون فيما قبل فيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١٢٩]..... ص: ٣٤٨

اشارة

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (١٢٩)

آية بلا خلاف.

---

(١) فى المطبوعة (التى الجزاء).

(٢) لسان العرب: (وغل) و مجمع البيان ٢: ١١٩ الواغل: الداخل على القوم فى طعامهم- و قيل: فى شرابهم- دون أن يدعوه أو منفق معهم: و فى رواية أخرى: و تعطف على كف الساقى.

(٣) فى المطبوعة (و ان أم حروف الجزاء).

بيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٤٩

المعنى:..... ص: ٣٤٩

نفى اللَّه تعالى فى هذه الآية ان يقدر احد من عباده على التسوية بين النساء و الازواج فى حبهنّ و الميل إليهن حتى لا يكون ميله الى واحدة منهنّ الا مثل ما يميل الى الاخرى. لان ذلك تابع لما فيه من الشهوة، و ميل الطبع. و ذلك من فعل اللَّه تعالى، و لا صنع للخلق فيه، و ان حرص على ذلك كل الحرص. و ليس يريد بذلك نفى القدرة على التسوية بينهن فى النفقة، و الكسوة و القسمة، لأنه لو كان كذلك لما امر اللَّه تعالى بالتسوية فى جميع ذلك، لأنه تعالى لا- يكلف العبد ما لا يطيقه. كما قال: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا

وُسْعَها» «۱» و قال: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها» «۲» و لا تجوز المناقضة فى كلامه تعالى. و لو حملنا على انه نفى الاستطاعة فى التسوية بينهن فى النفقة، جاز أن يكون المراد به ان ذلک لا يخف عليكم بل يثقل و يشق عليكم تسويتهن، لميلكم الى بعضهن، فأباح اللَّه تعالى حينئذ و رخص ان يفضل بعضهن على بعض فى ما زاد على الواجب من القسمة و النفقة، و لا يؤاخذه بذلک.

و

قوله: «فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ» معناه فلا تعدلوا بأهوائكم عمن لم تملكوا محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلک على أن تجوروا على صواحبها فى ترک أداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة، و النفقة و الكسوة، و العشرة بالمعروف، «فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ»، يعنى تذروا التى لا تميلون اليها كالمعلقة يعنى كالتى هى لا ذات زوج، و لا هى ايم. و به قال مجاهد و عبيدة، و الحسن و ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضحاک و سفيان، و الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم. و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و ابن عبد اللَّه (عليه السلام).

و روى ابو ملكية أن الآية نزلت فى عائشة

و روى ابو قلابة عن رسول اللَّه (ص) انه كان يقسم بين نسائه و يقول: اللهم هذه قسمتى فى ما املک فلا تلمنى فيما تملک، و لا املک

و قوله:

«وَ إِنْ تُصْلِحُوا» يعنى فى القسمة بين الازواج و التسوية بينهن فى النفقة،

---

(۱) سورة البقرة، آية ۲۸۶.

(۲) سورة الطلاق، آية ۷.

و الكسوة و العشرة بالمعروف، و تتركوا الميل «۱» الذى نهاكم اللَّه عنه، من تفضيل واحدة على الاخرى فى ذلک، «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» تستر عليكم ما مضى منكم من الحيف فى ذلک إذا تبتم، و رجعتم الى الاستقامة و التسوية بينهن، و يرحمكم بترک المؤاخذة على ذلک، و كذلک كان يفعل فيما مضى مع غيركم يعنى فى قبول التوبة من «۲» كل تائب مقلع نادم على ما فرط و

روى عن على (عليه السلام) انه كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ فى بيت الاخرى.

و روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابائه (عليهم السلام) ان النبى (صلى اللَّه عليه و آله) كان يقسم بين نسائه فى مرضه. فيطاف [به «۳» بينهن

، و كان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا فى الطاعون أقرع بينهما أيهما تدفن قبل الأخرى؟.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۳۰]..... ص: ۳۵۰

اشارة

وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً (۱۳۰)

آية

المعنى:..... ص: ۳۵۰

إن الزوجين اللذين تقدم ذكرهما، متى أبى كل واحد منهما مصالحة الآخر فان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة و النفقة و الكسوة و يمتنع الزوج من إجابتها الى ذلك، لميله إلى الاخرى و محبته لها، أو لصغر سنها أو جمالها و يتفرقا حينئذ بالطلاق، فان اللّه يغنى كل واحد منهما من سعته يعنى من فضله و رزقه «وَ كانَ اللّهُ واسِعاً حَكِيماً» يعنى كان لم يزل هكذا واسع الفضل على عبادة، رحيما بهم فى ما يدبرهم به و فى الآية دليل على ان الأرزاق كلها بيد اللّه و هو الذى يتولاها

---

(١) المطبوعة (و كل)

(٢) من ساقطة المطبوعة

(٣) (به) ساقطة من المطبوعة و التصحيح عن مجمع البيان و السياق يقتضى ذلك أيضاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٥١

لعباده و إن كان ربما أجراها على يدى من يشاء من عباده و قال ابن عباس: «كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ» يعنى من رزقه و هذه الجملة بها قال مجاهد و جميع المفسرين.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۱۳۱ الى ۱۳۴]..... ص: ۳۵۱

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً (١٣١) وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ قَدِيراً (١٣٣) مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (١٣٤)

اربع آيات.

لما ذكر اللّه تعالى قوله: و أن يتفرقا يغن اللّه كلًا من سعته بين فى هذه الآية بان له ملك ما فى السموات و ما فى الأرض، لا يتعذر عليه إغناء كل واحد من الزوجين عند التفرق، و إيناسه من وحشته ثم رجع إلى توبيخ من سعى فى أمر بنى أبيرق و تعنيفهم، و وعيد من فعل فعل المرتد منهم، فقال: و لقد وصينا أهل التوراة و الإنجيل و هم الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أى و أمرناكم أيضاً أيها الخلق «أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ» و التقدير بان اتقوا اللّه و احذروا أن تعصوه، و تخالفوا أمره و نهيه «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» يعنى تجحدوا وصيته إياكم أيها المؤمنون، فتخالفوها، «فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» يعنى له ملك ما فيهما، فلا يستحضر بخلافكم وصيته و لا ان تكونوا أمثال اليهود و النصارى، بل تضرون أنفسكم بما يحل بكم من عقابه، و غضبه «وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا» لم يزل، غير محتاج إلى خلقه و إن الخلق التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٥٢

هم المحتاجون إليه (حميداً) يعنى مستوجب الحمد عليكم بصنائعه الحميدة إليكم، و آلائه الجميلة، فاستدعوا ذلك باتفاء معاصيه، و المسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به و هذه الجملة مروية عن على (عليه السلام) و هو قول جميع المفسرين، ثم قال:

«وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» بمعنى له ملك ما فيهما، و هو القيم بجميعه و الحافظ له لا يغرب عنه علم شىء و لا يؤوده حفظه و تدبيره «وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» يعنى كفى اللّه حافظاً. فان قيل لم كرر قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» الآيتين، إحداهما عقيب الاخرى؟ قلنا: لاختلاف الخبرين: الاول فى الآية الاولى عن حاجة الخلق إلى بارئه، و غناه تعالى عن خلقه، و فى الثانية حفظ اللّه تعالى إياهم و علمه بهم، و تدبيره لهم فان قيل: هلا قال: و كان اللّه غنياً حميداً أو كفى به وكيلا؟ قيل: ما ذكره فى الآية الاولى يصلح ان يختم به وصف اللّه تعالى بالغناء و أنه محمود، و لم يذكر فيها ما يقتضى وصفه بالحفظ و التدبير، فلذلك كرر قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ».

و قوله: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» معناه، ان يشأ اللَّه ايها الناس ان يهلككم، و يفنيكم و يأت بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه محمد (ص) و يؤازرونه، كان اللَّه تعالى على ذلك قديراً، فوبخ تعالى بهذه الآيات الخائنين الذين خانوا الدرع «١» و ساعدوهم على ذلك، و دافعوا عنهم و حذر أصحاب النبى (ص) أن يكونوا مثلهم و ان يفعلوا فعل المرتد منهم فى ارتداده و لحاقه بالمشركين و بين أن من فعل ذلك لا يضر إلا نفسه، لأنه المحتاج إليه (تعالى) و غناه عنه (عز و جل) و عن جميع الخلق

و روى عن النبى (ص) انه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان، فقال: هم قوم هذا رواه ابو هريرة عن النبى (ص)

، ثم أخبر (تعالى) من كان ممن أظهر الايمان بمحمد (ص) من أهل النفاق الذين يبطنون الكفر، و يظهرون الايمان. يريد ثواب الدنيا يعنى عرض الدنيا بإظهاره بلسانه فى الايمان، «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا» يعنى جزاؤه فى الدنيا منها، و ثوابه فيها هو ما يأخذ من الفيء و الغنيمة إذا شهد مع

---

(١)- انظر تفسير آية (١٠٥) من سورة النساء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٥٣

المسلمين الحرب، و أمنه على نفسه و ماله و ذريته. و أما ثوابه فى الآخرة فنار جهنم.

«وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً» يعنى انه كان لم يزل على صفة يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت، و يبصر المبصرات إذا وجدت. و هذه الصفة هى كونه حياً لا آفة فيه و الصفة حاصلة له فى الأزل و الآفات مستحيلة عليه، فوجب وصفه بانه سميع بصير و انما ذكر ها هنا ذلك، ليبين ان ما يقوله المنافقون إذا لقوا المؤمنين فان اللَّه يسمعه و يعلمه و هو قولهم: إنا مؤمنون بصيراً بما يضمرونه و ينطوون عليه من النفاق. و موضع كان فى قوله: «من كان» جزم، لأنه شرط و الجواب الفاء. و ارتفعت (يريد) لأنه ليس فيها حرف عطف كما قال: «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها» «١» و قال: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) «٢» جزم، لأنه جواب الشرط.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١٣٥]..... ص: ٣٥٣

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٣٥)

- آية-

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٥٣

قرأ ابن عامر و حمزه (و إن تلوا) بضم اللام، بعدها واو واحدة ساكنة.

الباقون يسكنون اللام بواوين بعدها أولهما مضمومة. حجة من قرأ بواو واحدة أن قال: إن ولاية الشيء اقبال عليه و خلاف الاعراض عنه. و المعنى ان تقبلوا أو تعرضوا فان اللَّه كان بما تعملون خبيراً فيجازى المحسن المقبل بإحسانه، و المسيء المعرض

---

(١) سورة هود، آية ١٠. [.....]

(٢) سورة الشورى، آية ٢٠.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۵۴

باعراضه و ترکه الإقبال علی ما یلزمه ان یقبل علیه قال: و لو قرأت بالواوین، لکان فیه تکرار، لان اللی کالاعراض أ لا تری ان قوله: «لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ» «۱» معناه أعراض منهم، و ترک الانقیاد للحق و مثله «لَیًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» «۲» معناه انحراف و أخذ فیما لا ینبغی ان یأخذوا به. و حجة من قرأ بالواوین من لووا ان تقول لا یمتنع ان تتکرر اللفظتان المختلفتان بمعنی واحد علی وجه التأکید، کقوله: «فَسَجَدَ الْمَلائِکَةُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و کقول الشاعر:

و هند اتی من دونها النأی و البعد «۳»

و قول آخر:

و الفی قولها کذباً و میتاً

و قالوا: أیضا یجوز ان یکون تلوا کان أصله تلووا، و ان الواو التی هی عین همزت لانضمامها، کما همزت فی قوله: (أدروا) و ألقیت حرکة الهمزة علی اللام التی هی فاء، فصار تلوا أجاز ذلک الزجاج و الفراء و أبو علی الفارسی.

المعنی و اللغة:..... ص: ۳۵۴

و معنی الآیة ان اللَّه تعالی لما حکی عن الذین سعوا إلی رسول اللَّه فی امر بنی أبیرق و قیامهم لهم بالعذر، و ذبهم عنهم من حیث کانوا أهل فقر و فاقة، أمر اللَّه المؤمنین ان یکونوا «قَوَّامِینَ بِالْقِسْطِ» یعنی بالعدل و القسط، و الاقساط: العدل یقال: أقسط الرجل إقساطا إذا عدل و أتی بالقسط و قسط یقسط قسوطاً: إذا أجاز و قسط البعیر یقسط قسطاً إذا یبصت یده و ید قسط، أی یابسة (شهد اللَّه) و هو جمع شهید و نصب شهداء علی الحال من الضمیر فی قوله: (قوامین) و هو ضمیر الذین آمنوا و قوله: «وَ لَوْ عَلی أَنْفُسِکُمْ» یعنی و لو کانت شهادتکم علی أنفسکم أو علی والدیکم او علی أقرب الناس إلیکم، فقوموا فیها بالقسط و العدل، و أقیموها علی صحتها، و قولوا فیها الحق، و لا تمیلوا فیها لغنی غنی، و لا فقر فقیر، فتجوروا، فان اللَّه قد سوی بین الغنی و الفقیر فیما ألزمکم من إقامة الشهادة لکل واحد منهما بالعدل، و هو

---

(۱) سورة المنافقون آیة ۵.

(۲) سورة النساء، آیة ۴۵.

(۳) قائله الحطیئة صدر البیت: الا حبذا هند و أرض بها هند.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۵۵

تعالی أولی بهما و أحق، لأنه مالکهما و إلههما دونکم و هو اعلم بما فیه مصلحة کل واحد منهما فی ذلک، و فی غیره من الأمور کلها منکم، فلا تتبعوا الهوی فی المیل فی شهادتکم إذا قمتم بها لغنی أو فقیر الی أحدهما، فتعدلوا عن الحق أی تجوزوا عنه و تضلوا و لکن قوموا بالقسط، و أدوا الشهادة علی ما أمرکم اللَّه عز و جل بأدائها بالعدل لمن شهدتم علیه و له، فان قیل کیف تکون شهادة الإنسان علی نفسه حتی یأمر اللَّه تعالی بذلک، قلنا: بان یکون علیه حق لغیره، فیقر له و لا یجحده، فأدب اللَّه تعالی المؤمنین أن یفعلوا ما فعله الذین عذروا بنی أبیرق فی سرقتهم ما سرقوا:

و خیانتهم ما خانوا و اضافتهم ذلک الی غیرهم فهذا اختیار الطبری. و قال السدی: انها نزلت فی النبی (ص) و قد اختصم الیه رجلان غنی و فقیر، فکان ضلعه مع الفقیر، لظنه أن الفقیر لا یظلم الغنی، فانی اللَّه تعالی إلا القیام بالقسط فی أمر الغنی و الفقیر قال: «إِنْ یَکُنْ غَنِیًّا أَوْ فَقِیراً فَاللَّهُ أَوْلی بِهِما» و هذا الوجه فیه بعد، لأنه لا یجوز علی النبی (ص) فی الحکم ان یمیل إلی احد الخصمین سواء کان غنیاً أو فقیراً فان ذلک ینافی عصمته و قال ابن عباس: أمر اللَّه سبحانه المؤمنین أن یقولوا الحق و لو علی أنفسهم، او أبنائهم، و لا یجابوا

غنياً لغناه، و لا مسكيناً لمسكنته و هذا هو الاولى، لأنه أليق بالظاهر من غير عدول عنه. و فى الاية دلالة على جواز شهادة الوالد لولده و الولد لوالده، و كل ذى قرابة لمن يقرب منه، فقال ابن شهاب: كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدتهم، و ظهرت فيهم امور حملت الولاة على اتهامهم، فتركت شهادة من يتم إذا كان من اقربائهم و جاز ذلك من الولد و الوالد و الأخ و الزوج و المرأة و بمعنى قول ابن عباس، قال قتادة، و ابن زيد.

و قوله: «فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» إنما ثنى، و لم يقل به لأنه أراد (فاللّه اولى بغناء الغنى و فقر الفقير) لان ذلك منه تعالى و قال قوم: لم يقصد غنياً بعينه، و لا فقيراً بعينه التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٥٦

و هو مجهول و ما ذلك حكمه جاز الردّ عليه التوحيد و التثنية و الجميع. و فى قراءة أبى (فاللّه اولى بهم) و قال قوم: (او) بمعنى الواو فى هذا الموضع، فلذلك ثنى و قال آخرون: جاز تثنية قوله (بهما)، لأنهما قد ذكرا، كما قيل: و له أخ أو أخت فلكل واحد منهما و قيل جاز ذلك، لأنه أضمر فيه (من) كأنه قال: و له أخ او اخت إن يكون من خاصم غنياً او فقيراً، بمعنى غنيين أو فقيرين «فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» .

و قوله: «فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- لا تتبعوا الهوى فى ان تعدلوا عن الحق، فتجوروا بترك إقامة الشهادة بالحق.

و الثانى- ان يكون التقدير لا تتبعوا أهواء أنفسكم هرباً من ان تعدلوا فى إقامة الشهادة.

و الثالث- فلا تتبعوا الهوى، لتعدلوا، كما يقال: لا تتبع هواك لترضى ربك، بمعنى أنهاك عنه كيما ترضى ربك بتركه. ذكره الفراء و الزجاج.

و قوله: «وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا» اختلفوا فى تأويله فقال قوم: معناه و ان تلووا أيها الحكام فى الحكم لاحد الخصمين على الاخر، أو تعرضوا فان اللّه كان بما تعملون خبيراً و حملوا الاية على انها نزلت فى الحكام ذهب اليه السدى على ما قال:

إنها نزلت فى النبى (ص) و روى عن ابن عباس أنه قال: هما الرجلان يجلسان بين يدى القاضى، فيكون لى القاضى و اعراضه لأحدهما على الاخر و قال اخرون:

معناه و ان تلوا ايها الشهداء فى شهادتكم، فتحرفوها، فلا تقيموها أو تعرضوا عنها، فتركوها ذهب اليه ابن عباس و مجاهد و قال مجاهد:

معنى تلووا تبدلوا الشهادة أو تعرضوا أى تكتموها و هو قول أبى جعفر (ع)

و به قال ابن زيد و الضحاك و أولى التأويلين قول من قال: إنه لى الشهادة لمن شهد له أو عليه بان يحرفها بلسانه أو يتركها، فلا يقيمها، ليبطل بذلك شهادته و أعراضه عنها فلو ترك إقامتها فلا يشهد بها. و سياق الآية يدل على ما قال ابن عباس و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» معناه انه كان عالماً بما يكون منهم من اقامة الشهادة، و تحريفها و الاعراض عنها، و اللى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٥٧

هو المطل لما يجب من الحق قال الأعشى:

يلويننى دينى النهار و اقتضى دينى إذا رقد النعاس الرقدا «١»

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۳۶]..... ص: ۳۵۷

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ

وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً (۱۳۶)

- آیهٔ-

القراءهٔ و الحجهٔ:..... ص: ۳۵۷

قرأ ابن کثیر و أبو عمر و ابن عامر و الکسائی عن أبی بکر «الکتاب الذی نزل و الکتاب الذی أنزل» بضم النون، و الهمزهٔ و کسر الزاء الباقون بفتحهما، فمن فتحهما حمله علی قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» و قوله: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ» و من ضمها حملهما علی قوله: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» و قوله: «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ» و کل جید سایغ.

قیل فی تأویل أمر من آمن- آمن یؤمن- باللَّه و رسوله ثلاثهٔ اقوال:

أحدها- و هو المعتمد علیه عندنا و اللائق بمذهبنا ان المعنی یا أیها الذین آمنوا فی الظاهر بالإقرار باللَّه و رسوله، و صدقوهما، و آمنوا باللَّه و رسوله فی الباطن، لیطابق باطنکم ظاهرکم و یکون الخطاب خاصا بالمنافقین الذین کانوا یظهرون خلاف ما یبطنون. و الکتاب الذی نزل علی رسوله هو القرآن أمرهم بالتصدیق به و الکتاب الذی انزل من قبل، یعنی التوراهٔ و الإنجیل أمرهم بالتصدیق بهما. و انهما من عند اللَّه.

و الثانی- ما اختاره الجبائی و الزجاج و البلخی ان یکون ذلک خطاباً لجمیع المؤمنین

---

(۱) دیوانه من قصیدهٔ قالها لکسری حین أراد منهم رهائن لما أغار الحارث بن و علهٔ علی بعض السواء و رقمها: ۳۴. یلویننی: یمطلننی.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۵۸

الذین هم مؤمنون علی الحقیقهٔ ظاهراً أو باطناً أمرهم اللَّه تعالی أن یؤمنوا به فی المستقبل بان یستدیموا الایمان، و لا ینتقلوا عنه، لان الایمان الذی هو التصدیق لا یبقی و انما یستمر بان یجدده الإنسان حالا بعد حال و هذا أیضاً وجه جید.

الثالث- ما اختاره الطبری من ان ذلک خطاب لأهل الکتاب الیهود و النصاری أمرهم اللَّه (تعالی) بان یؤمنوا بالنبی (ص)، و الکتاب الذی أنزل علیه کما آمنوا بما معهم من الکتب: التوراهٔ و الإنجیل و یکون قوله: «وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ» اشارهٔ الی ما معهم من الإنجیل و التوراهٔ و یکون وجه أمرهم بالتصدیق لهما و ان کانوا مصدقین بهما، لاحد أمرین:

أحدهما- ان التوراهٔ و الإنجیل إذا کان فیهما صفات النبی (ص)، و ما ینبئ عن صدق قوله و صحهٔ نبوته فمن لم یصدق النبی (ص)، و لم یصدق الکتاب الذی أنزل معه، لا یکون مصدقاً بما معه، لان فی تکذیبه، تکذیب ما معه من التوراهٔ و الإنجیل، فیجب علیه أن یصدق النبی (ص) و یقر بما انزل علیه، لیکون مصدقاً بما معه، و معترفاً به. و الثانی- أن یکون متوجهاً إلی الیهود الذین آمنوا بالتوراهٔ دون الإنجیل و القرآن، فیکون اللَّه أمرهم بالإقرار بمحمد (صلی اللَّه علیه و آله) و بما انزل من قبل یعنی الإنجیل. و ذلک لا یصح الا بالإقرار بعیسی (علیه السلام) أیضاً و انه نبی من قبل اللَّه و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه ان من کفر بمحمد (ص) فیجحد نبوته و یجحد ما أنزله اللَّه علیه، فکأنه جحد جمیع ذلک، لأنه لا یصح ایمان احد من الخلق الا بالایمان بما أمره اللَّه بالایمان به، و الکفر بشیء منه کفر بجمیعه فکذلک قال: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فعقب خطابه لأهل الکتاب و أمره إیاهم بالایمان بمحمد (ص) تهدیداً لهم، و ان کانوا مقرین بوحدانیهٔ اللَّه تعالی و الملائکهٔ و الکتب و الرسل، و الیوم الآخر سوی محمد (صلی اللَّه علیه و آله) و ما جاء به من القرآن فبین لهم ان من جحد محمداً بنبوته لا ینفعه الایمان بشیء سواه، و یکون وجوده و عدمه سواء و قوله: «فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً» معناه فقد ذهب عن قصد السبیل و جاز التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۵۹

عن محجة الطریق ألی المهالک ضلالا ذهاباً، و جوراً بعیداً.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۳۷]..... ص: ۳۵۹

اشارة

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا کُفْراً لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلاً (۱۳۷)
آیة واحدة.

المعنی:..... ص: ۳۵۹

قیل فی المعنی بهذه الآیة ثلاثة اقوال:
[الأول قال قتادة عنی بذلک الذین امنوا بموسی، ثم کفروا بان عبدوا العجل، ثم آمنوا یعنی النصاری بعیسی، ثم کفروا به، ثم ازدادوا کفراً بنبوة محمد (ص) و قال الزجاج و الفراء: آمنوا بموسی، و کفروا بعزیر، ثم امنوا بعزیر، ثم کفروا بعیسی، ثم ازدادوا کفراً بمحمد (ص).
و الثانی- قال مجاهد و ابن زید یعنی بذلک أهل النفاق أنهم آمنوا، ثم ارتدوا ثم آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ازدادوا کفراً بموتهم علی کفرهم.
و الثالث- قال ابو العالیة: هم الیهود و النصاری أذنبوا ذنباً فی شرکهم، ثم تابوا فلم تقبل توبتهم، و لو تابوا من الشرک لقبل منهم و أقوی الأقوال عندنا قول مجاهد، لان المؤمن علی الحقیقة عندنا لا یجوز أن یکفر، لان الایمان یستحق علیه الثواب الدائم و الکفر یستحق علیه العقاب الدائم بلا خلاف فیهما و الاحتیاط عندنا باطل، فلو أجزنا الارتداد بعد الایمان الحقیقی لادی إلی اجتماع استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و الإجماع بخلافه و اختار الطبری الوجه الاول و قال الجبائی و البلخی یجوز ان تکون الآیة نزلت فی قوم کانوا آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا ثم کفروا، ثم ازدادوا کفراً و قوله:
«لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ» معناه لم یکن اللَّه لیغفر لهم بالایمان الثانی الکفر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۶۰
المتقدم، لأنه لما ارتد فیما بعد، دلّ علی ان ما تقدم، لم یکن ایماناً فلا یستحق به غفران عقاب الکفر المتقدم و هو الذی اختاره الزجاج و قال البلخی و الزجاج: لم یکن اللَّه لیغفر لهم إذا لم یتوبوا منه و هذا الذی ذکروه لا یصح، لان الکفر علی کل حال و لو مرة واحدة، لا یغفر اللَّه الا بالتوبة، فلا معنی لنفی الغفران عن کفر بعد إیمان تقدمه کفر تقدمه ایمان.
و قوله: «وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلًا» معناه لا یهدیهم سبیل الجنة و الثواب فیها، لأنهم غیر مستحقین له و یحتمل ان یکون المراد بذلک أنه لا یلطف لهم فیما بعد بل یخذلهم عقوبة لهم علی کفرهم المتقدم. و لا یجوز ان یکون المراد به أنه لا ینصب لهم الدلالة، لأن نصب الأدلة قد تقدم فی التکلیف الاول و المرتد عندنا علی ضربین:
أحدهما- لا یستتاب و یقتل علی کل حال و هو من ولد علی فطرة الإسلام بین مسلمین متی کفر فانه یقتل علی کل حال. و الآخر و هو
من کان کافراً فاسلم، ثم ارتد فانه یستتاب ثلاثاً فان تاب و الا قتل، و لا یستتاب اکثر من ذلک. و به قال علی علیه السلام
و ابن عمر. و قال قوم: یستتاب ابداً. ذهب الیه ابراهیم و غیره. و اختاره الطبری. و المرأة تستتاب علی کل حال فان تابت، و الا خلدت فی السجن و لا تقتل بحال و فی ذلک خلاف بین الفقهاء ذکرناه فی الخلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۱۳۸ الى ۱۳۹]..... ص: ۳۶۰

اشارة

بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۳۸) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (۱۳۹)

آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ۳۶۰

معنى قوله «بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ» جعل موضع بشارتهم لهم العذاب و العرب تقول:

تحيتك الضرب و عقابك السيف، أى بدلا من ذلك. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۳۶۱

و خيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب و جميع

امر اللَّه (تعالى نبيه) ان يبشر المنافقين بان لهم عذاباً أليما و هو المؤلم الموجع.

على نفاقهم، ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال: (الذين يتخذون) أهل الكفر باللَّه و نبيه اولياء يعنى أنصارا و أحلافا من دون المؤمنين يعنى من غيرهم، ثم قال:

«يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» معناه يطلبون عندهم المنفعة و القوة باتخاذهم اولياء من دون اهل الايمان به (تعالى)، ثم أخبر ان العزة بأجمعها له (تعالى) و ان هؤلاء الذين يطلبون من جهنم العزة و المنعة، لا منعة عندهم، بل النصر و المنعة من عند اللَّه الذى له العزة و المنعة الذى يعز من يشاء، و يذل من يشاء. و اصل العزة الشدة و منه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز و يقال: استعز المريض إذا اشتد مرضه و تعزز اللحم: إذا اشتد و منه قيل: عز علىّ ان يكون كذا، اى اشتد علىّ و منه قولهم: (من عزّ بزّ) أى من غلب سلب. و قولهم: عزّ الشيء معناه صعب وجوده و اشتد حصوله.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۴۰]..... ص: ۳۶۱

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً (۱۴۰)

- آية- قرأ عاصم و يعقوب (و قد نزل) بفتح النون و الزاى و تشديده. الباقون بضم النون و كسر الزاى و المنزل فى الكتاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۳۶۲

قوله تعالى:

اعلم اللَّه تعالى فى هذه الآية المؤمنين ان المنافقين يهزءون بكتاب اللَّه الذى هو القرآن، و أمرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا، يعنى يأخذوا فى حديث غير القرآن، ثم قال: انكم ان جالستموهم على الخوض فى كتاب اللَّه و الهزء به، فأنتم مثلهم، و انما حكم بأنهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه، و لم ينكروا عليهم مع القدرة على الإنكار، و لم يظهروا كراهية، فإنهم متى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفاراً، لان الرضاء بالكفر كفر. و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك، و زوال العذر عنه. و إن من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطئاً آثماً. و كذلك فيها دلالة على انه لا يجوز مجالسة الفساق، و المبتدعين من اى نوع كان. و به قال جماعة من المفسرين. ذهب اليه ابو وائل، و ابراهيم و عبد اللَّه. و قال ابراهيم: من ذلك إذا تكلم الرجل فى مجلس بكذب،

يضحك منه جلساؤه، فسخط اللَّه عليهم. و به قال عمر بن عبد العزيز و قيل: إنه ضرب صائماً كان قاعداً مع قوم يشربون الخمر. و قال ابن عباس: امر اللَّه بذلك الإنفاق، و نهاهم عن الاختلاف و الفرقة، و المراء و الخصومة. و به قال الطبرى و الجبائى و البلخى و جماعة من المفسرين.

قال ابو على الجبائى: اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم و لا يقدر على إنكاره، فليس بمحظور، و انما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية ما سمعه أو يراه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) و معناه ان اللَّه يجمع الفريقين من اهل الكفر، و النفاق فى القيامة فى النار. و العقوبة فيها كما اتفقوا فى الدنيا على عداوة المؤمنين، و المؤازرة عليهم. قال الجبائى: فى الآية دلالة على بطلان قول الأصم، و نفاة الاعراض و قولهم: انه ليس ها هنا غير الأجسام، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۶۳ قال: «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» فاثبت غيراً لما كانوا فيه. و ذلك هو العرض.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۴۱]..... ص: ۳۶۳

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (۱۴۱)

آية بلا خلاف.

(الذين) فى موضع خفض صفة للمنافقين و الكافرين فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ» .

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين الى ينتظرون بهم فان فتح اللَّه على المؤمنين فتحاً من عدوهم، فأفاء عليهم فيئاً من الغنائم، قالوا لهم ا لم نكن معكم نجاهد عدوكم و نغزوهم معكم، فاعطونا نصيبنا من الغنيمة، فانا شهدنا القتال و ان كان للكافرين نصيب أى حظ باصابتهم من المؤمنين، و ليس المراد بذلك ان لهم نصيباً من اللَّه، لأنه (تعالى) لم يجعل لهم غلبة المسلمين، و لا أباح لهم شيئاً من أموالهم، بل حظر ذلك عليهم. و قوله: «قالُوا» يعنى قال المنافقون للكافرين:

الم نستحوذ عليكم بمعنى ا لم نغلب عليكم؟ فى قول السدى. و قال ابن جريج: معناه أ لم نبين لكم انا على ما أنتم عليه و الاستحواذ الغلبة و منه قوله: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» و معناه غلب عليهم. يقال منه: حاذ عليه يحوذ. و استحاذ يستحيذ. و حاذ يحيذ. قال العجاج يصف ثوراً و كلاماً:

يحوذهن و له حوذى «۱»

و أنشده ابو عبيدة و الاصمعى بالزاى يحوزهنّ و له حوزى و المعنيان

---

(۱) اللسان (حوذ). ديوانه: ۷۱ و مجاز القرآن لابى عبيده ۱: ۱۴۱ و يده:

خوف الخلاط فهو اجنبى كما يحوذ الفئة الكمى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۶۴

متقاربان. و قال لبيد فى صفة عير و أتن على احاذ.

إذا اجتمعت و احوذ جانبيها و أوردها على عوج طوال «۱»

العوج الطوال القوائم. و قيل: هى النخيل الطوال. فمعنى احوذ جانبيها لم يشذ منها شيء. و الاحوذ: الجاد المنكمش الخفيف فى أموره كلها. و كان القياس يقتضى أن يقول: استحاذ، لان الواو إذا كانت عين الفعل و كانت محركة بالفتح، و ما قبلها ساكن تقلب حركتها الى فاء الفعل و قلبوها الفاً اتباعا لحركة ما قبلها.

كقولهم: استحاذ و استبان و استنار و استعاذ باللَّه و ها هنا تركت على الأصل و هى لغة القرآن. و قوله: «وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى

يقول المنافقون الكافرون منعنا المؤمنين منكم بتخذيلنا إياهم، و اطلاعنا إياكم على اخبارهم، و كوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم و غلبتموهم. و قوله: (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) اخبار منه (تعالى) انه الـذى يحكم بين الخلائق يوم القيامـة و يفصل بينهم بالحق، و ينصر المؤمنين

«وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» اى بالغلبـة و القهر. و ان حملناه على دار الدنيا يمكن حمله على انه لا يجعل لهم عليهم سبيلا بالحجة، و ان جاز ان يغلبوهم بالقوة، لكن المؤمنين منصورون بالحجة و الدالة. و بالتأويل الاول قال على (عليه السلام)

: و السـدى و ابو مالك و ابن عباس. قال السـدى: السبيل- ها هنا- الحجة. و بالثانى قال: الزجاج و الجبائى و البلخى. و قال الجبائى: و لو حملنا ذلك على الغلبـة، كان أيضاً صـحيحاً، لان غلبـة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله اللَّه، لان ذلك قبيـح، و اللَّه لا يفعل القبيح. و ليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار، لأنه حسن و طاعة، فكان ذلك منسوباً الى اللَّه (تعالى).

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۱۴۲ الى ۱۴۳]..... ص: ۳۶۴

إِنَّ الْمُنـافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلًا (۱۴۲) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (۱۴۳)

---

(۱) اللسان (حوذ). القصيدة: ۱۷ و بعده:

رفعن سرادقاً فى يوم ريح يصفق بين ميل و اعتدال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۶۵

آيتان.

- قـد بينا- فى اوّل البقرة معنى الخـداع من المنافقين، و من اللَّه (تعالى) و جملته ان الخداع من المنافقين اظهارهم الايمان الذى حقنوا به دماءهم و أموالهم، كما حقن المؤمنون على الحقيقـة. و قال: الحسن و الزجاج و الازهرى ان معناه يخادعون نبى اللَّه فسـماه خـداعا للَّه للاختصاص، كما قال: إن الـذين يبايعونك انما يبايعون اللَّه فسـمى مبايعـة النبى (ص) مبايعـة للَّه، للاختصاص، لأنه بأمره. و معنى الخداع من اللَّه يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يجازيهم على خداعهم فسـمى الجزاء باسم الشـىء، للازدواج، كما قال: «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» و الجزاء ليس بسيئة. و قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» و اللَّه لا يمكر، غير انه يجازى عليه.

و الثـانى- ما حكم اللَّه فيهم من منع دمائهم بما اظهروه من الايمان بلسانهم منع علمه بباطنهم، و اعتقادهم الكفر اسـتدراجاً منه لهم فى الـدنيا حتى يلقوه يوم القيامة، فيوردهم بما ابطنوهم نار جهنم. و قال السدى: يعطيهم اللَّه نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسـلمين، كما كانوا فى الدنيا، ثم يسـلبهم ذلك النور، و يضـرب بينهم بسور، فذلك هو الخداع منه (تعالى). و به قال ابن جريج، و الحسن و غيرهم من المفسرين:

على ما بيناه فيما مضى. و قوله: «وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ»

يعنى ان المنافقين لا يعملون شيئاً من اعمال العبادات التى أوجبها على المؤمنين على وجه القربة الى اللَّه، لأنهم غير موقنين بها، و لا ان لهم عليها ثواباً أو عقابا و انما يفعلون ذلك إبقاءً على أنفسـهم، و حذراً من المؤمنين أن يقتلوهم، و يسـلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا الى الصلاة، قاموا كسالى اليها رياءً للمؤمنين، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۶۶

ليحسبوهم المؤمنون منهم، و ليسوا منهم، لأنهم لا يعتقدون فرضها. و به قال قتادة و ابن زيد. و قوله: «وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»

إنما وصف ما استثناه من ذكرهم للَّه بالقلة من حيث انهم لا يقصدون به وجه اللَّه، و لا التقرب اليه، لا ان شيئاً من ذكر اللَّه يوصف بانه

قليـل، بـل يوصف جميعه بـانه كثير، قـال الحسن: وصـفه بالقلـة، لأنـه كان لغير اللَّه. و قال قتادة: لأنه لم يقبله اللَّه و كلما رده اللَّه، فهو قليل، و ما قبله فهو كثير. و قال الجبائى: لأنهم. إذا قاموا الى الصلاة، لم يذكروا غير تكبيرة الإحرام.

و قوله: «مذبـذبين» فى موضع نصب على الحال. و معناه انهم يقومون الى الصـلاة يعنى المنافقين مترددين. لا الى هؤلاء يعنى المؤمنين فيفعلونه، فيستحقون به الثواب و لا الى هؤلاء يعنى الكفار فيجاهرون بالكفر، بل بين ذلك يظهرون الايمان، فيجرى عليهم حكم أهله، و يبطنون الكفر فيستحقون به عقاب أهله. و اصل التذبذب التحرك و الاضطراب. قال النابغة:

ا لم تر ان اللَّه أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتذبذب «١»

و قـال الحسـن بـن على المغربى: مذبـذبين مطرودين من هؤلاء، و من هؤلاء، من الـذب الـذى هـو الطرد. وصـف اللَّه تعـالى هؤلاء المنافقين بالحيرة فى دينهم، و انهم لا يرجعون إلى صحة فيه، لا مع المؤمنين على بصيرة، و لا مع الكفار على جهالة.

و قال ابن عمر عن رسول اللَّه (ص) ان مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير، فتنظر إلى هذه و الى هذه، لا تدرى أيهما تتبع.

و بهذه الجملة قال السدى و قتادة و مجاهد و ابن جريج و ابن زيد و غيرهم من المفسـرين. و قوله: «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» يحتمل أمرين:

أحدهما- من يضله اللَّه عن طريق الجنة، فلن تجد له سبيلا الى طريق الجنة.

و الثانى- من يجد له عقوبة على معاصيه عن طريق الرشاد و الإسلام، و لم

---

(١)- مر فى ١: ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٦٧

يوفقه، لحرمانه نفسه التوفيق بسوء اختياره، فلن تجد له سبيلا يعنى طريقاً الى الحق يفضيه اليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ١٤٤]..... ص: ٣٦٧

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً (١٤٤)

- آية- هذا خطاب للمؤمنين نهاهم اللَّه ان يتخذوا الكافرين اولياء و انصاراً من دون المؤمنين، فيكونون مثلهم فى ركوب ما نهاهم اللَّه عنه من موالاة أعـدائه «أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى حجة ظاهرة. قال عكرمة: كل ما فى القرآن من ذكر سـلطان، فمعناه حجـة. و به قال مجاهـد و الزجاج. و هو يـذكر و يؤنث و قيل للأمير سـلطان، لان معناه ذو الحجـة و معنى الاية النهى عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. فمن فعل ذلك، فقد جعل اللَّه على نفسه الحجة، و تعرض لغضبه و عقابه و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز أن يبتدئ اللَّه الخلق بالعذاب، و لا يعاقب الأطفال بذنوب الآباء، لأنه لو كان ذلك شائعاً، لما قال للمؤمنين: «تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى باتخـاذكم الكفـار أوليـاء من دون المؤمنين، لان ذلك دلالـة على انه لم يكن له ذلك، و انه لا كان له حجة على الخلق لو لا معاصيهم و مخالفتهم له تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٥ الى ١٤٦]..... ص: ٣٦٧

اشارة

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (١٤٦)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٦٨

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٦٨

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر، الا العلمى (الدرك) بسكون الراء الباقون بفتحها و هما لغتان مثل نهر و نهر و شمع فمن فتح الراء قال فى الجمع: إدراك فى القلة و الكثرة و من سكنها قال إدراك و فى الكثير الدرك و التسكين لغة و ليس يسكن من المفتوح، لان مثل ذلك لا يجوز تسكينه، فلا يسكن جمل و جبل و انما هما لغتان مثل شمع و شمع و نهر و نهر. قالوا بفتح الراء افصح، سمع من العرب من يقول:

أعطنى دركاً اصل به حبلى، يعنى ما يصل به حبله الذى عجز عن بلوغ الركية.

المعنى:..... ص: ٣٦٨

و معنى الاية الاخبار من اللَّه إن المنافقين فى الطبق الأسفل من النار. قال عبد اللَّه: المنافقون فى توابيت من حديد مغلقة عليهم فى النار و به قال ابو هريرة، و ابن عباس. قال ابن جريج: قال عبد اللَّه بن كثير و أبو عبيدة، سمعنا ان جهنم إدراك منازل. و ليس يمنع ان يجعل اللَّه قوماً من الكفار فى الدرك الأسفل، كفرعون و هامان و أبى جهل، فان هؤلاء أعظم كفراً من المنافقين و ليس فى اخبار اللَّه ان المنافقين هناك ما يمنع أن يكون غيرهم فيه أيضاً، و ان تفاضلوا فى العقاب قال ابن جريج: هذه الآيات نزلت فى عبد اللَّه بن أبى و أصحابه. قال البلخى يجوز أن يكون الأدراك منازل بعضها أسفل من بعض بالمسافة، و يجوز أن يكون ذلك اخباراً عن بلوغ الغاية فى العقاب و الاهانة، كما يقال بلغ فلاناً السلطان الحضيض، و بلغ فلاناً العرش. و يريدون بذلك علو المنزلة و انحطاطها لا المسافة.

و قوله: «وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً» معناه لا تجد يا محمد، لهؤلاء المنافقين إذا جعلهم اللَّه فى أسفل طبقة من النار ناصراً ينصرهم، فينقذهم من عذابه، و يدفع عنهم أليم عقابه، ثم استثنى فقال: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا» فاستثنى منهم التائبين من نفاقهم إذا أصلحوا نباتهم، و أخلصوا الدين للَّه، و تبرؤا من الآلهة و الأنداد، و اعتصموا يعنى تمسكوا بكتاب اللَّه و صدقوا رسله، فإنهم إذا فعلوا ذلك فإنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٦٩

يكونون مع المؤمنين فى الجنة، و محل الكرامة، و يسكنهم مساكنهم و ما وعدهم من الجزاء على توبتهم، و سوف يؤتى اللَّه المؤمنين اجراً عظيما. فكان تقدير الآية إن الذين راجعوا الحق، و أقروا بوحدانية اللَّه، و تصديق رسوله، و ما جاء به من عند اللَّه، و أصلحوا أعمالهم فعملوا بما أمرهم اللَّه به و أدوا فرضه و انتهوا عما نهاهم، و انزجروا عن معاصيه، و تمسكوا بعهد اللَّه و ميثاقه، فقطع حينئذ انه تعالى يؤتى المؤمنين، أى يعطيهم أجراً، يعنى ثوابا عظيما، و درجات فى الجنة كما اعطى من مات على النفاق منازل فى النار فى أسفل طبقة منها. و هذه الجملة معنى قول حذيفة بن اليمان، و جميع المفسرين.

«وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ» كتبت فى المصحف بلا ياء تخفيفاً و مثله «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ» و قوله: «ما كُنَّا نَبْغِ» و غير ذلك. و كان الكسائى يثبت الياء فى الوصل دون الوقف، ثم رجع عنه. و ابو عمرو يثبتها فى الوصل و اهل المدينة يثبتونها فى الحالين.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٤٧]..... ص: ٣٦٩

ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً (١٤٧)

– آية– خاطب اللَّه (تعالى) بهذه الآية المنافقين الذين تابوا و آمنوا، و أصلحوا أعمالهم، فقال: إن أنتم تبتم الى اللَّه و راجعتم الحق الواجب للَّه عليكم، و شكرتموه على نعمه و اخلصتم عبادته، و اعتصمتم به و تركتم رياء الناس، و آمنتم برسوله محمد (ص) و

صدقتم به، و أقررتم بما جاء به من عند اللَّه ما يصنع بعذابكم، أى لا حاجة باللَّه الى عذابكم، و جعلكم فى الدرك الأسفل من جهنم، لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعاً، و لا يدفع عن نفسه ضرراً، لأنهما مستحيلان عليه.

«وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً» يعنى لم يزل اللَّه مجازيا للشاكر على شكره فى جميع التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٧٠

عباده عليما بما يستحقونه على طاعاته من الثواب، و لا يضيع عنده شيء منه، و لا يفوته شيء من معاصى من عصاه، فيجازى بذلك من يشاء منهم على سوء أفعالهم جزاءً بما كسبوه. و به قال قتادة و غيره من المفسرين. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من تعظيم المنعم، و ذلك لا يجوز الشكر منه بمعنى الجزاء عليه كما قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» و الجزاء ليست سيئة و لكن اطلق ذلك لازدواج الكلام.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۴۸]..... ص: ۳۷۰

اشارة

لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨)

آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة:..... ص: ۳۷۰

الفراء ضم الظاء فى قوله: (الا من ظلم) و كسر اللام. و قرأ زيد بن اسلم و الضحاك بن مزاحم (ظلم) بفتح الظاء و اللام. فمن ضمن الظاء، اختلفوا فى تأويله فقال قوم: معنى ذلك لا يحب اللَّه ان يجهر احد بالدعاء على احد، و هو الجهر بالسوء إلا من ظلم فيدعو على ظالمه، لا يكره ذلك. و ذلك انه رخص له فيه.

ذهب اليه ابن عباس و قتادة و الحسن.

الاعراب:..... ص: ۳۷۰

و (من) على قول ابن عباس فى موضع رفع، لأنه وجهه إلى ان الجهر بالسوء فى معنى الدعاء. و استثنى المظلوم منه و قال الزجاج: وجه الرفع أن يكون بدلا من احد و تقديره لا يحب اللَّه أن يجهر احد بالسوء إلا من ظلم و قال الفراء تقديره لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوء الا المظلوم، فلا حرج عليه فى الجهر اما بان يدعو عليه، أو بان يخبر بما فعله به، و يذمه عليه. و به قال الجبائى قال: و لا يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٧١

لمن ليس بمظلوم أن يذكر احداً بسوء لان اللَّه (تعالى) أمره بالستر عليه و الكتمان، و انما يجب عليه أن ينكر عليه فيما بينه و بينه على وجه لا يفضحه، و انما جاز ذلك للمظلوم، لأنه خصم يجوز له ان يدعى على خصمه ما ظلمه فيه، فان أقام بذلك بينة استوفى له حقه، و الا أبطل دعواه. و قال بعض النحويين: هذا خطأ فى العربية، لان من لا يجوز أن يكون رفعاً بالجحد لأنها فى صلة، أن، و لم ينله الجحد، فلا يجوز العطف عليه. لا يجوز أن يقول: لا يعجبنى أن يقوم الا زيد. و يحتمل أن يكون (من) نصباً فى تأويل ابن عباس.

المعنى:..... ص: ۳۷۱

و قوله: «لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ» يكون كلاماً، ثم قال:

«الا من ظلم فلا حرج عليه» فيكون (من) استثناء من الفعل، و ان لم يكن قبل الاستثناء شىء ظاهر يستثنى منه، كما قال: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» . و كقولهم: إنى لأكره الخصومة و المراء، اللهم إلا رجلا يريد اللَّه بذلك. و لم يذكر فيه شىء من الأشياء ذكره الفراء. و قال آخرون: معناه لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فيخبر بما ينل منه. ذهب اليه مجاهد قال مجاهد: هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن اليه فقد رخص له أن يقول ذلك فيه و

روى عن أبى عبد اللَّه انه قال: هو الضيف ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته

، جاز أن يقول ذلك فيه. و قال آخرون:

الا من ظلم فانتصر من ظلمه، فان ذلك قد أذن له فيه، ذهب اليه السدى و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

و (من) على هذا يكون فى موضع نصب على انقطاعه من الاول. و من شان العرب ان تنصب ما بعد الا فى الاستثناء المنقطع. فالمعنى على هذا القول سوى قول ابن عباس: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول، لكن من ظلم فلا حرج عليه ان يخبر بما ينل منه، ينتصر ممن ظلمه. و من فتح الظاء قال تأويله: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول، الا من ظلم، فلا بأس أن يجهر له بالسوء من القول. ذهب اليه ابن زيد قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۷۲

يجهر له بالسوء حتى يفزع. (و من) على هذا القول فى موضع نصب و المعنى لا يحب اللَّه الجهر أن يجهر أحد لاحد من المنافقين بالسوء من القول إلا من ظلم منهم فأقام على نفاقه، فانه لا بأس بالجهر بالسوء من القول. قال الزجاج: و فيه وجه آخر لم يذكره النحويون و هو أن يكون الا من ظلم، لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، و هو استثناء ليس من الاول. و هذا الذى ذكره هو قول ابن زيد بعينه. و قال الفراء: موضع (من) نصب فى القراءتين معاً. و يجوز الرفع على تقدير لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوء الا المظلوم. و قال البلخى: كان الضحاك يقول: فيه تقديم و تأخير و التقدير ما يفعل اللَّه بعذابكم إن شكرتم و أمنتم إلا من ظلم بفتح الظاء ثم قال: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القوم على كل حال. قال البلخى: و يجوز أن يكون (إلا) بمعنى الواو، كأنه قال: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء، و لا من ظلم، فانه لا يحب الجهر بالسوء منه. و قال قطرب: يجوز أن يكون المراد به المكره فى قوله: «إِلَّا مَنْ ظُلِمَ» لأنه إذا اكره على الجهر بالسوء من القول، فلا شىء عليه.

و القراءة المعروفة أولى بالصواب، لان هذه شاذة.

و التأويل فيه لا يحب اللَّه ان يجهر احد لاحد بالسوء من القول إلا من ظلم، فلا حرج عليه أن يخبر بما اسىء اليه. و تكون (من) فى موضع نصب لانقطاعها عما قبلها، فانه لا اسماء قبله يستثنى منها. و هو مثل قوله: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» و قوله: «وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً» يعنى سميعاً لما يجهرون من سوء القول لمن يجهرون له، و غير ذلك من كلامكم و أصواتكم عليما بما تخفون من سوء قولكم و كلامكم لمن يخفون له به فلا يجهرون يحصى ذلك كله عليكم فيجازى على ذلك كل المسىء بإساءته. و المحسن بإحسانه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۴۹]..... ص: ۳۷۲

اشارة

إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً (۱۴۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۷۳

- آية-

المعنى:..... ص: ۳۷۳

هـذا خطـاب لجميع المكلفين. يقول اللّه لهم: «إِنْ تُبْدُوا» بمعنى ان تظهروا (خيراً) اى حسـناً جميلا من القول لمن احسن إليكم شـكراً على إنعـامه عليكم، أو تخفوه أى تتركوا إظهـاره، فلاـ تبعـدوه، «أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ» معناه أو تصـفحوا عمن أساء إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى أذنت لكن أن تظهروه، و تجهروا به «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا» يعنى لم يزل كان صـفوحا عن خلقه يصـفح لهم عن معاصـيه (قديراً) يعنى قادراً على الانتقام منهم. و انما أراد بذلك انه مع صـفحه قادراً على الانتقام، ليكون أعظم للمدح ليحث بـذلك الخلق على العفو عمن أسـاء اليهم. إذا قـدروا على انتقـام منهم، و المكافـات لهم. و لاـ يجهروا له بالسوء من القول مع القـدرة عليه، و يتأدبوا فى ذلك بأدب اللّه تعالى.

و روى عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه (ص): (ان اللّه عفو يحب العفو).

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ۱۵۰ الى ۱۵۱]..... ص: ٣٧٣

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (١٥١)

آيتان.

المعنى:..... ص: ٣٧٣

معنى الآية الاخبار من اللّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» و معناه يجحدون باللّه و رسله من اليهود و النصارى «وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٧۴

يكـذبوا رسـل اللّه الـذين أرسـلهم إلى خلقه و أوحى اليهم و يزعمون انهم كـاذبون على اللّه. و ذلك معنى إرادتهم التفريق بين اللّه و رسله «وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ» و معناه أنهم يقولون نصـدق بهـذا و نكـذب بهذا، كما فعلت اليهود صدقوا موسـى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا عيسـى و محمداً (ص) و كما فعلت النصارى صدقت عيسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا محمداً (ص) «وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا» يعنى يريد المفرقون بين اللّه و رسـله الزاعمون انهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض أن يتخذوا بين قولهم: نؤمن ببعض، و نكفر ببعض سبيلا يعنى طريقاً إلى الضـلالة التى أحدثوها، و البدعة التى ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه، ثم اخبر عن حـالهم فقـال: «أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا» أى هؤلاء الـذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، و تفريقهم بين اللّه و رسله هم الكـافرون حقـاً فـاستيقنوا ذلـك و لاـ ترتابوا بـدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم فيه مقرون من الكتب و الرسل، فـإنهم يكـذبون فى دعواهم هـذه، لأنـهم لو كانوا صادقين فى ذلك، لصـدقوا جميع رسل اللّه، لأنه لا يصـح أن يكونوا عارفين باللّه و رسوله مع جحودهم، لنبوة بعض الأنبيـاء على مـا يـذهب اليه فى الموافات. و عنـد من قال بالإحباط لا يمتنع أن يكونوا عارفين باللّه، و بعض رسله فإذا كفروا ببعضهم، انحبط ما معهم من الثواب على ايمانهم و هذا لا يصح على مذهبنا فى بطلان الإحباط فالصحيح إذا ما قلناه.

و قوله: «وَ أَعْتَدْنا» معناه أعددنا للكافرين يعنى الجاحدين الذين ذكرهم و لغيرهم من اصـناف الكفار (عذاباً) فى الاخرة (مهيناً) يهينهم و يـذلهم مخلـدون فى ذلك و قال قتادة و السـدى و مجاهـد نزلت فى اليهود و النصارى و انما قال: إن هؤلاء هم الكافرون حقاً، و إن كـان غيرهم أيضـاً كـافراً حقـاً على وجه التأكيـد لئلاـ يظن أنهم ليسوا كفـاراً لقولهم: نؤمن ببعض و نكفر ببعض و قيـل إنه قـال ذلك

استعظاماً لكفرهم، كما قال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللَّه و جلت قلوبهم إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۷۵
قوله: «أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» و قد يكون مؤمناً حقاً من لم يلحق هذه الخصال بلا خلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۵۲]..... ص: ۳۷۵

اشارة

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۱۵۲)
آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة:..... ص: ۳۷۵

قرأ يؤتيهم بالياء حفص الباقون بالنون حجة حفص قوله: «سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» و من قرأ نؤتيهم- بالنون- فلقوله: «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ» و قوله: «أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً» و غير ذلك من الآى.

المعنى:..... ص: ۳۷۵

لما ذكر اللَّه تعالى حكم من فرق بين اللَّه و رسله، و الايمان ببعض دون بعض، و انهم الكافرون، و انهم أعد لهم العذاب المهين، اخبر عقيبه عمن آمن باللَّه و رسله، و صدقهم و أقر بنبوتهم، و لم يفرقوا بين احد منهم، بل آمنوا بجميعهم، فان اللَّه (تعالى) سيؤتيهم أجورهم بمعنى سيعطيهم ثوابهم الذى استحقوا على ايمانهم باللَّه و رسله، و الإقرار بهم، و إنه يعطيهم جزاءهم على ذلك. «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» و معناه يغفر لمن هذه صفته ما سلف له من المعاصى و الآثام، و يسيرها عليهم، و يترك العقوبة عليها، فانه لم يزل كان غفوراً رحيما أى متفضلا عليهم بالهداية إلى سبيل الحق موفقاً لهم لما فيه خلاص رقابهم من عقاب النار.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۷۶

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۵۳]..... ص: ۳۷۶

يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً (۱۵۳)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب للنبى (ص) يسألك يا محمد اهل الكتاب يعنى اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء و اختلفوا فى الكتاب الذى سأل اليهود محمد (ص) أن ينزل عليهم من السماء فقال قوم: سألوا ان ينزل كتابا من السماء مكتوبا، كما جاء موسى بنى إسرائيل بالتوراة مكتوبة من عند اللَّه فى الألواح. ذهب اليه السدى و محمد بن كعب القرطى، فانزل اللَّه فيهم هذه الآية إلى قوله: «عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً» و قال آخرون: بل سألوه أن ينزل عليهم كتابا خاصا لهم ذهب اليه قتادة.
و قال آخرون: بل يسألون أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتبا بالأمر بتصديقه، و اتباعه ذكر ذلك ابن جريج، و اختاره الطبرى و قال الزجاج: ذلك حين سألوا فقالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» و قال الجبائى: كان سؤالهم على وجه التعنت و الا فكان فيما أنزله اللَّه من القرآن دلالة واضحة على نبوته.

و قوله: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ» فانه توبیخ من اللَّه تعالی، سئل انزال الکتاب علیهم، و تفریع منه لهم بقوله لنبیه (ص): یا محمد لا ـ یعظمن علیک مسألتهم، إیاک ذلک فإنهم من جهلهم باللَّه عز و جل و جرأتهم علیه، و اغترارهم بحلمه، لو أنزلت علیهم الکتاب الذی سألوه لخالفوا امر اللَّه، کما خالفوا بعد أحیاء اللَّه اوائلهم من صعقتهم، فعبدوا العجل، و اتخذوه آلهاً فعبدوه من دون خالقهم و بارئهم الذی أراهم قدرته، و عظمته و سلطانه بما أراهم، ثم قص من قصتهم و قصة موسی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۷۷

ما قص، فقال «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ» یعنی سأل اسلاف هؤلاء الیهود موسی (ع) أعظم مما سألوک فقالوا أرنا اللَّه جهرة أی عیانا نعاینه و ننظر الیه.

و قد بینا معنی الجهرة فیما مضی. و حکی عن ابن عباس أنه قال: فیه تقدیم و تأخیر، و تقدیره إنما قالوا جهرة أرنا اللَّه: و هو الذی اختاره أبو عبیدة. و قال غیره: أراد رؤیة بالبصر ظاهرة منکشفة، لان من علم اللَّه فقد رآه. و هو اختیار الزجاج لقوله تعالی: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَةً» و قول ابن عباس یدل علی انه کان یذهب إلی استحالة الرؤیة علیه تعالی، لان علی تأویله بنفس سؤال الرؤیة، اخذتهم الصاعقة دون رؤیة مخصوصة علی ما یذهب الیه من قال بالرؤیة. و قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» یعنی فصعقوا بظلمهم أنفسهم عن سؤالهم موسی أن یریهم اللَّه، لان ذلک مما هو مستحیل علیه (تعالی) و فی ذلک دلالة واضحة علی استحالة الرؤیة علیه (تعالی) و استعظام لتجویزها، لأنهم کانوا یکفرون به و یجحدونه و لم ینزل علیهم الصاعقة، فلما سألوا الرؤیة أنزلها علیهم. و فی ذلک دلالة علی أن اصل کل تشبیه تجویز الرؤیة علیه تعالی علی قول أبی علی. و قد بینا معنی الصاعقة فیما مضی، فلا نطول باعادته.

و قوله: «ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ» معناه، ثم اتخذ هؤلاء الذین سألوا موسی ما سألوا من رؤیة اللَّه بعد ما أحیاهم و بعثهم من صعقتهم- العجل الذی کان السامری أضلهم به. و قد بینا فیما مضی السبب الذی من اجله اتخذوا العجل، و کیف کان أمرهم. و قوله: «مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ» معناه من بعد ما جاءت هؤلاء الذین سألوا موسی البینات من اللَّه، و من الدلالات الواضحات بان الرؤیة مستحیلة علیه، و منها اصعاق اللَّه إیاهم عند مسألتهم موسی یریدون ان یریهم ربهم جهرة، ثم إحیاؤه إیاهم بعد مماتهم مع غیره من الآیات التی أراهم اللَّه دلالة علی ذلک، فقال اللَّه مقبحاً فعلهم، و موضعاً عن جهلهم و نقص عقولهم بإقرارهم للعجل بانه إلههم، و هم یرونه عیاناً، و ینظرون الیه، فعکفوا علی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۷۸

عبادته مصدقین بإلهیته ثم قال تعالی: «فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ» و معناه عفونا للذین عبدوا العجل عن عبادتهم بعد ان أرادهم اللَّه آیة علی أنهم لا یرون ربهم. و قوله:

«وَ آتَیْنا مُوسی سُلْطاناً مُبِیناً» معناه أعطینا موسی حجة ظاهرة تبین عن صدقه و حقیقة نبوته، و تلک الحجة هی الآیات التی أتاه اللَّه إیاها.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۵۴]..... ص: ۳۷۸

اشارة

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِیثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِی السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً (۱۵۴)

- آیة اجماعا-.

القراءة و الحجة:..... ص: ۳۷۸

قرأ أهل المدينة (لا تعدوا) بتسكين العين و تشديد الدال و الجمع بين ساكنين بمعنى لا تعتدوا، ثم ادغم التاء فى الدال فصارت دالا مشددة مضمومة، كما قرأ من قرأ (يهتدى) بتسكين الهاء- و قووا ذلك بقوله: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» فجاء فى هذه القصة افتعلوا و قال: «لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» و قرأ الباقون بتسكين العين- من عدوت فى الامر: إذا تجاوزت الحق فيه أعدو عدوانا و عداء و عدواً قال ابو زيد: عدا على اللص: أشد العدو.

و العدو و العداء و العدوان اى سرقك و ظلمك. وعدت يمينه عن ذلك أشد العدو و تعدو و حجتهم قوله: إذا يعدون فى السبت فى هذه القصة و قوله: فأولئك هم العادون.

المعنى:..... ص: ۳۷۸

معنى قوله: «وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ» يعنى الجبل لما امتنعوا من العمل بما فى التوراة و قبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم يعنى بما اعطوا اللَّه من الميثاق و العهد، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۷۹

ليعلمن بما فى التوراة. «وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» يعنى باب حطه حين أمرهم اللَّه ان يدخلوا فيه سجوداً، فدخلوا على أستاههم يزحفون. و قلنا لهم:

«لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» اى لا تتجاوزوا فى يوم السبت ما أبيح لكم الى ما حرم عليكم. قال قتادة: أمرهم اللَّه ان لا يأكلوا الحيتان يوم السبت، و لا يعرضوا لها. و أحل له ما عداه. و قوله: «وَ أَخَذْنا- مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» يعنى عهداً مؤكداً بأنهم يعلمون ما أمرهم اللَّه به و ينتهون عما أنهاهم اللَّه عز و جل عنه. و قد بينا فيما مضى السبت الذى من أجله كانوا أمروا بدخول الباب سجداً، و ما كان من أمرهم فى ذلك. قال ابن عباس: رفع اللَّه فوقهم الجبل، فقيل لهم: إما ان تأخذوا التوراة بما فيها، أو يلقى عليكم الجبل. و قال ابو مسلم: رفع اللَّه الجبل فوقهم ظلالًا لهم من الشمس بميثاقهم أى بعهدهم جزاء لهم على ذلك. و الاول قول اكثر المفسرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): الآيات ۱۵۵ الى ۱۵۶]..... ص: ۳۷۹

اشارة

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (۱۵۵) وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً (۱۵۶)

آيتان-.

المعنى:..... ص: ۳۷۹

المعنى فى قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» قولان:

أحدهما- قال الفراء و الزجاج و غيرهما: إن (ما) زائدة. و تقديره فبنقضهم.

و الثانى- انها بمعنى شيء. و تقديره فبشيء و نقضهم. بدل منه و مجرور به. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۸۰

مثله قوله: «مَثَلًا ما بَعُوضَةً» «۱» و فيه القولان. و التقدير فبنقض هؤلاء الذين وصفهم من اهل الكتاب و ميثاقهم يعنى عهودهم التى عاهدوا اللَّه عليها أن يعملوا بما فى التوراة «وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ» يعنى جحودهم بآيات اللَّه. و هى اعلامه، و أدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه، و رسله «وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» يعنى و قتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق يعنى بغير استحقاق

منهم، لكبيرة أتوها و لا خطيئة استوجبوا بها القتل. و قتل الأنبياء، و ان كان لا يكون إلا بغير حق، فإنما اكده بقوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ» و معناه ما قدمنا القول فيه أنه لا يكون ذلك إلا بغير حق، كما قال: «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و المعنى إن هذا لا يكون عليه برهان. و مثله قول الشاعر:

على لا حب لا يهتدى بمناره «٢»

و انما أراد لا منارها هناك يهتدى به. و قد استوفينا ما فى ذلك فيما مضى «وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ» تقديره يقولون: قلوبنا عليها غشاوة و أغطية لا نفقه ما تقول، و لا نعلق له، فاكذبهم اللَّه فى ذلك و قال الفراء و الزجاج: معناه قلوبنا أوعية للعلم لا نفقة ما تقول. و قد بينا معنى الغلف فيما مضى. قوله: «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» و المعنى كذبوا فى قولهم قلوبنا غلف ما هى بغلف، و لا عليها اغطية، بل طبع اللَّه عليها بكفرهم. و قد بينا معنى الطبع فيما مضى. و هو أنه السمة و العلامة و سم اللَّه تعالى و علّم على قلوب من الكفار الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون فيما بعد، و جعل ذلك عقوبة لهم على كفرهم الذى ارتكبوه فى الحال تعرفه الملائكة. و قوله: «فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه فلا يصدقون الا تصديقا قليلا. و إنما وصفه بالقلة لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم اللَّه به لكن صدقوا ببعض الأنبياء، و بعض الكتب و كذبوا بالبعض، فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلا، لأنهم و ان صدقوا به من وجه، فهم يكذبون به من وجه آخر. و يجوز

---

(١) سورة البقرة، آية ٢۶.

(٢) انظر ا: ١٨٩- ٢٧٩- ۴۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٨١

أن يكون الاستثناء من الذين نفى اللَّه عنهم الايمان فكأنه علم انه يؤمن منهم جماعة قليلة فيما بعد، فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم أنهم لا يؤمنون. و بهذه الجملة قال جماعة المفسرين: قتادة و غيره. و اختلفوا فى قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» هل هو متصل بما قبله من الكلام او منفصل منه، فقال قتادة هو منفصل و قال لما ترك القوم أمر اللَّه، و قتلوا رسله و كذبوا بآياته و نقضوا ميثاقه طبع اللَّه على قلوبهم بكفرهم، و لعنهم و قال قوم: بل هو متصل بما قبله. قالوا: معناه فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بنقضهم ميثاقهم، و بكفرهم بآيات اللَّه، و بقتلهم الأنبياء بغير حق، و بكذا و كذا أخذتهم الصاعقة، فتبع الكلام بعضه بعضا. و معناه مردود على أوله، و جوابه قول «فبظلم» من الذين قالوا الزجاج هو بدل من قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» و اختار الطبرى الاول، و أنه منفصل من معنى ما قبله و المعنى: فيما نقضهم ميثاقهم، و كفرهم بآيات اللَّه و بكذا و كذا لعناهم، و غضبنا عليهم، فترك ذكر لعناهم لدلالة قوله: «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» على معنى ذلك من حيث كان من طبع على قلبه، فقد لعن و سخط عليه قال: و انما قلنا ذلك، لأن الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى، الذين قتلوا الأنبياء، و الذين رموا مريم بالبهتان العظيم، و قالوا قتلنا عيسى، كانوا بعد موسى بدهر طويل، و معلوم أن الذين اخذتهم الصاعقة لم تأخذهم عقوبة على رميهم مريم بالبهتان، و لا لقولهم: أنا قتلنا المسيح فبان بذلك أن الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة.

و قوله: «وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً» معناه و بكفر هؤلاء الذين وصفهم، و قولهم على مريم بهتاناً يعنى رميهم لها بالزنا، و هو البهتان و بقريتهم عليها، لأنهم رموها و هى بريئة بغير بينة و لا برهان به بل هتوها بباطل القول.

و هو قول ابن عباس و السدى و الضحاك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٨٢

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): الآيات ١۵٧ الى ١۵٨]..... ص: ٣٨٢

اشارة

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨)
- آية-

المعنى:..... ص: ٣٨٢

هـذه الآيـة عطف على مـا قبلهـا و تقـديره، فيمـا نقضـهم ميثـاقهم و كفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء بغير حق، و قولهم: قلوبنا غلف و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه، أنزلنا من العذاب، و أوجبنا لهم من العقاب، لان اخبارهم انهم قتلوا المسيح يقيناً، و مـا قتلوه، كفر من حيث هو جرأة على اللّه فى قتل أنبيائه، و من دلت المعجزات على صـدقه، ثم كـذبهم اللّه فى قولهم: إنا قتلناه فقال: «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ.»

و اختلفوا فى كيفيـة التشبيه الـذى شبيه لليهود فى أمر عيسـى فقال وهب بن منبه: أني عيسـى و معه سـبعة عشـر من الحواريين فى بيت فأحـاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صـيرهم اللّه كلهم على صورة عيسـى فقالوا لهم سـحرتمونا ليبرزن لنا عيسـى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسـى لأصـحابه: من يشـرى نفسه منكم اليوم بالجنـة، فقـال رجل منهم: انا، فخرج اليهم فقال: أنا عيسـى، و قـد صـيره اللّه على صورة عيسـى، فأخـذوه و قتلوه، و صـلبوه. فمن ثم شـبه لهم، و ظنوا انهم قـد قتلوا عيسـى، و ظنت النصـارى مثل ذلك أنه عيسـى، و رفع اللّه عيسـى من يومه ذلك. و به قال قتادة و السدى و ابن إسـحاق و مجاهد و ابن جريج، و ان اختلفوا فى عدد الحواريين، و لم يذكر احد غير وهب ان شبهه ألقى على جميعهم، بل قالوا: ألقى شبهه على التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٨٣
واحـد، و رفع عيسـى من بينهم قال ابن إسـحاق: و كان اسم الـذى القى عليه شـبهه سـرجس، و كان احد الحواريين، و يقال: إن الذى دلهم عليه و قال هذا عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلك ثلاثين درهما، و كان منافقاً، ثم انه ندم على ذلك فاختنق حتى قتل نفسه، و كان اسـمه بودس زكريا بوطا، و هو ملعون فى النصارى، و بعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذى شبه لهم فصلبوه، و هو و بعض النصـارى يقول: إن بودس زكريـا بوطـا هو الـذى شـبه لهم فصـلبوه، و هو يقول: لست بصـاحبكم الـذى دللتكم عليه. قـال الطبرى: الأقوى قول ابن المنبه.

و هو ابن سـبعة عشـر القى على جمـاعتهم شـبه عيسـى، لأنه لو كان ألقى على واحـد منهم مع قول عيسـى أيكم يلقى عليه شـبهى و له الجنـة، ثم رأوا عيسـى قد رفع من بين أيديهم لما اشـتبه عليهم، و ما اختلفوا فيه، و ان جاز أن يشـتبه على أعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه، لكن لما ألقى شـبهه على جميعهم، فكان يرى كل واحد بصورة عيسى، فلما قتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم. و هذا الـذى ذكره قريب. و قـال الجبائى: وجه التشبيه ان رؤساء اليهود أخـذوا إنساناً فقتلوه و صـلبوه على موضع عال، و لم يمكنوا احـداً من الدنو منه فتغيرت حليته و تنكرت صورته.

و قـالوا: قتلنا عيسـى، ليوهموا بـذلك على عوامهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الـذى فيه عيسـى فلما دخلوه كان رفع عيسـى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلك. و الـذين اختلفوا غير الذين صـلبوا من صـلبوه، و هم باقى اليهود، فان قيل: هل يجوز أن يلقى اللّه شـبه زيـد على عمر حتى لا يفصل الناظر اليهما بينهما، كما كان يفصل قبل إلقاء الشـبه؟ قيل: ذلك مقـدور للّه بلا خلاف، و يجوز ان يفعله عنـدنا تغليظاً للمحنـة، و تشديـداً للتكليف، و ان كان ذلك خارقاً للعادة، يجوز أن يجعل ذلك معجزة أو كرامـة، لبعض أوليائه الصالحين، أو الائمـة المعصومين (ع). و عنـد المعتزلـة لا يجوز ذلك الا على يـدى الأنبياء أو فى وقتهم، لأنه لا يجوز خرق العادة عنهم إلا على يده. و قد قيل: إن اصحاب عيسى (ع) تفرقوا عنه حتى لم يبق غير عيسى، و غير الذى القى شبهه عليه،

فلذلک التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۸۴

اشتبه علی النصاری، فان قیل: کیف یجوز من الخلق العظیم ان یخبروا بالشیء علی خلاف ما هو به، و قد علمنا کثرهٔ الیهود و النصاری، و مع کثرتهم أخبروا ان عیسی صلب و قتل، فکیف یجوز ان یکونوا مع کثرتهم کذابین؟ و لئن جاز هذا لم نثق بشیء من الاخبار أصلا و یؤدی ذلک إلی قول التسمیهٔ! قلنا: هؤلاء القوم دخلت علیهم الشبهۀ، لان الیهود لم یکونوا یعرفون عیسی، و انما أخبروا انهم قتلوا واحداً، و قیل لهم انه عیسی، فهم فی ذلک صادقون، و ان لم یکن المقتول عیسی. و أما النصاری فاشتبه علیهم، لأنه کان ألقی شبهه علی غیره، فلما رأوا من هو فی صورته مقتولا، ظنوا انه عیسی، فلم یخبر احد من الفریقین بما ظن ان الامر علی ما اخبر به، فلا یؤدی ذلک الی بطلان الاخبار بحال.

و قوله: «وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً» یعنی به الذین أحاطوا بعیسی و أصحابه حیث أرادوا قتله لأنهم کانوا قد عرفوا عدهٔ من فی البیت، فلما دخلوا علیهم فقدوا واحداً منهم، فالتبس علیهم أمر عیسی بفقدهم واحداً من العدهٔ، و قتلوا من قتلوا علی شک منهم فی أمر عیسی. هذا علی قول من قال: لم یتفرق أصحابه حتی دخل علیهم الیهود و اما من قال تفرقوا عنه، فانه یقول: اختلافهم کان بأن عیسی هل کان فی من بقی فی البیت أو کان فی الذین خرجوا. فاشتبه الامر علیهم. قال الزجاج: وجه اختلاف النصاری أن منهم من ادعی انه اله لا یقتل، و منهم من قال قتل، فکذب اللّه الجمیع. و قوله: «إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ» استثناء منقطع. و تقدیره لم یکن لهم بمن قتلوه علم لکنهم اتبعوه ظناً منهم انه عیسی، و لم یکن به.

و قوله: «وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً» معناه و ما قتلوا ظنهم الذی اتبعوا المقتول الذی قتلوه، و هم یحسبونه عیسی یقیناً إنه عیسی، و لا انه غیره، لکنهم کانوا منه علی ظن و شبهۀ، کما یقول القائل: ما قلت هذا الامر علما، و ما قتلته یقیناً: إذا تکلم فیه بالظن علی غیر یقین. فالهاء فی (قتلوه) عائدهٔ علی الظن. و قال ابن عباس و جویبر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۸۵

و ما قتلوا ظنهم یقیناً. و حکی الزجاج عن قومهم: أن الهاء راجعهٔ إلی عیسی (ع).

نفی اللّه عنه القتل علی وجه التحقیق و الیقین. و قال السدی: و ما قتلوا أمره یقینا إن الرجل هو عیسی (ع) و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَیْهِ» یعنی بل رفع اللّه المسیح الیه، و لم یقتلوه، و لم یصلبوه، لکن اللّه رفعه و طهره من الذین کفروا و قوله:

«کانَ اللَّهُ عَزِیزاً حَکِیماً» معناه لم یزل اللّه عزیزاً منتقما من أعدائه کانتقامه من الذین اخذتهم الصاعقهٔ بظلمهم، و کلعنه من نقض میثاقه و فعل ما قصه اللّه، حکیما فی أفعاله و تدبیراته و تصریفه خلقه فی قضائه، و احذروا و أیها السائلون محمداً ان ینزل علیکم کتابا من السماء- حلول عقوبته بکم، کما حل باوائلکم الذین فعلوا فعلکم فی تکذیبهم رسلی و افترائهم علی أولیائی. و به قال ابن عباس.

و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ» .

القراءهٔ و الحجهٔ:..... ص: ۳۸۵

فی القراء من ادغم اللام فی الراء و علیه الأکثر. و هو الأقوی لقرب مخرج اللام من مخرج الراء. و هو أقوی من ادغام الراء فی اللام، لان فی الراء تکویراً فهو یجری مجری الحرفین. و من لم یدغم قال: لأنه من کلمتین. و قال الفراء: لا یجوز غیر الإدغام. و قال سیبویه: الإدغام أجود و ترکه جائز و هی لغهٔ حجازیهٔ.

و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَیْهِ» معناه انه رفعه إلی الموضع الذی یختص اللّه (تعالی) بالملک، و لم یملک احداً منه شیئاً. و هو السماء، لأنه لا یجوز ان یکون المراد انه رفعه إلی مکان هو (تعالی)، فیه لان ذلک من صفات الأجسام (تعالی اللّه عن ذلک) و علی هذا یحمل قوله حکایهٔ عن ابراهیم «إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی» یعنی الی الموضع الذی أمرنی به ربی و مثل قوله: «وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» یعنی مهاجراً الی الموضع الذی أمره اللّه بالهجرهٔ الیه.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۸۶

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۵۹]..... ص: ۳۸۶

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (۱۵۹)

– آیة– معنی (ان) معنی (ما) النافیة و موضعها الرفع و هی مثل قوله: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها» أی ما منكم احد إلا واردها. و معنی الآیة الاخبار منه (تعالی) بانه إلا لیؤمن به یعنی بعیسی قبل موته و اختلفوا فی الهاء إلی من ترجع فقال قوم: هی كنایة عن عیسی، كأنه قال: لا یبقی احد من الیهود الا یؤمن بعیسی قبل موت عیسی بأن ینزله اللَّه إلی الأرض إذا اخرج المهدی (عج) و أنزله اللَّه لقتل الدجال، فتصیر الملل كلها ملة واحدة و هی ملة الإسلام الحنیفیة دین ابراهیم (ع). ذهب الیه ابن عباس و أبو مالك و الحسن و قتادة، و ابن زید و ذلك حین لا ینفعهم الایمان. و اختاره الطبری. قال: و الآیة خاصة لمن یكون فی ذلك الزمان و هو الذی ذكره علی بن ابراهیم فی تفسیر أصحابنا. و روی شهر بن حوشب عن محمد بن علی بن الحنفیة ان الحجاج سأله عن هذه الآیة و قال: نری الیهود تضرب رقبته، فلا یتكلم بشیء فقال: حدثنی محمد بن علی أن اللَّه یبعث الیه ملكا ینفضه و یضرب رأسه و دبره، و یقول له: كذبت عیسی، فیؤمن حینئذ و یقول: كذبت عیسی و یعترف به. فقال الحجاج: عمن؟ فقال: عن محمد بن علی فقال له، جئت بها من عین صافیة. فقیل لشهر ما أردت بذلك؟ قال: أردت ان اغیظه و ذكره البلخی مثل ذلك و ضعف هذا الوجه الزجاج و قال: الذین یبقون إلی زمن نزول عیسی (ع) من أهل الكتاب قلیل. و الآیة تقتضی عموم إیمان أهل الكتاب أجمع قال: إلا ان تحمل علی ان جمیعهم یقول: ان عیسی الذی ینزل لقتل الدجال نحن نؤمن به فعلی هذا یجوز. و اختار الوجه الثانی و قال قوم: الهاء كنایة عن الكتابی، و تقدیره أنه لا یكون احد من أهل الكتاب یخرج من دار الدنیا إلا و یؤمن بعیسی عند التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۸۷

موته إذا زال تكلیفه، و تحقق الموت، و لكن لا ینفعه الایمان حینئذ ذهب الیه ابن عباس فی روایة أخری، و مجاهد. قال ابن عباس: لو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتی یؤمن. و به قال عكرمة و الضحاك. و فی روایة عن الحسن و قتادة و قال قوم: الهاء كنایة عن محمد (ص) و التقدیر و لیس من أهل الكتاب إلا من یؤمن بمحمد (ص) قبل موت الكتابی ذهب الیه عكرمة و طعن الطبری علی هذا الوجه بان قال: لو كان ذلك صحیحاً لما جاز اجراء احكام الكفار علیهم إذا ماتوا من ترك الصلاة علیهم. و منع المدافنة و الموارثة. و غیر ذلك. و وجب اجراء حكم الإسلام علیهم. و هذا الذی ذكره لیس بشیء لان ایمانهم بمحمد (ص) انما یكون فی حال زوال التكلیف، فلا حكم لذلك الایمان. و ذلك مثل إیمان فرعون حین غرق و قال:

«آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ» فقال اللَّه تعالی له: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فكذلك إیمان هؤلاء لا یعتد به، و انما یضعف هذا الجواب من حیث انه لم یجر لمحمد (ص) ذكر فیما تقدم، و لا ها هنا ضرورة موجبة لرد الكنایة علیه. و ما هذه صورته لا تجوز الكنایة عنه. و انما قلناه فی قوله: حتی توارت بالحجاب إنها كنایة عن الشمس للضرورة، لأنه یحتمل سواها.

و قد جری ذكر عیسی و الكتابی فأمكن ان یكون كنایة عن كل واحد منهما، فلا یجوز العدول عنه. و قوله: «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» قال قتادة و ابن جریج: یكون عیسی علیهم شهیداً علی أنه قد بلغ رسالة ربه، و أقر علی نفسه بالعبودیة مكذباً من كذبه و مصدقاً من صدقه.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): الآیات ۱۶۰ الی ۱۶۱]..... ص: ۳۸۷

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً (۱۶۰) وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۶۱)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۸۸

آيتان- هاتان الآيتان معطوفتان على ما تقدم.

قال الزجاج: قوله: «فبظلم» بدل من قوله: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ) و العامل فى الياء قوله: «حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ» لما طال الكلام أجمل (تعالى) ما ذكره ها هنا فى قوله: فبظلم و اخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذين واثقوا اللَّه عليه، و كفروا بآياته، و قتلوا أنبياءه، و قالوا البهتان على مريم و فعلوا ما فعلوا مما وصفه اللَّه فى كتابه طيبات من المأكل و غيرها، و كانت لهم حلالا، عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر اللَّه عنه لأنهم لما فعلوا ما فعلوا، اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم. و هو قول مجاهد و اكثر المفسرين. و قوله: «وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً» يعنى بمنعهم عباد اللَّه عن دينه و سبيله التى شرعها لعباده صداً كثيراً، و كان صدهم عن سبيل اللَّه بقولهم على اللَّه الباطل، و ادعائهم ان ذلك عن اللَّه.

و تبديلهم كتاب اللَّه و تحريفهم معانيه عن وجوهه. و من أعظم ذلك جحدهم نبوة محمد (ص) و تركهم بيان ما قد عملوا من أمره من جهل أمره من الناس. و هو قول مجاهد و غيره. و قوله: «وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا» يعنى على رؤوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى محل آخر و قد نهوا عنه يعنى عن الربا، و أكلهم اموال الناس بالباطل يعنى بغير استحقاق، و لا استيجاب. و هو ما كانوا يأخذونه من الرشا على الأحكام، كما قال تعالى: «وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و منه ما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بأيديهم، و يقولون هذا من عند اللَّه، و ما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة، فعاقبهم اللَّه تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات. و قوله: «وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً» معناه و جعلنا للظالمين أنفسهم بكفرهم باللَّه، و جحدهم رسوله محمد (صلى اللَّه عليه و آله) من هؤلاء اليهود العذاب الأليم. و هو المؤلم الموجع يصلونها فى الاخرة عدة لهم. قال ابو على: حرم اللَّه (تعالى) هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم و من لم يكن ظالماً منهم نسخة منهم اما على لسان عيسى أو على لسان محمد (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۸۹

نبينا و هو ما حرمه من كل ذى ناب من السباع و مخلب من الطير، و غير ذلك مما ذكره فى قوله: «وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إلى قوله... ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ» فهذا البغى هو الظلم الذى ذكره ها هنا.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶۲]..... ص: ۳۸۹

لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (۱۶۲)

آية.

استثنى اللَّه تعالى من اليهود الذين وصف صفتهم فيما مضى من الآيات فى قوله: يسألك أهل الكتاب إلى ها هنا من هداه اللَّه لدينه، و وفقه لرشده فقال:

«لكِنِ الرَّاسِخُونَ» و هم الذين رسخوا فى العلم و ثبتوا فيه. و قد مضى معنى الرسوخ فيما مضى فى العلم الذى جاء به الأنبياء، و احكام اللَّه التى أدوها إلى عباده، و المؤمنون باللَّه و رسوله منهم يؤمنون بالقرآن الذى أنزله اللَّه اليك يا محمد (ص) و بالكتب التى أنزلها على من قبلك من الأنبياء، و الرسل، و لا يسألونك ما يسأل هؤلاء الجهال من انزال كتاب من السماء، لأنهم قد علموا صدق قولك بما قرأوا من الكتب التى أنزلها على الأنبياء، و وصفك فيها و أنه يجب عليهم اتباعك، فلا حاجة بهم إلى ان يسألوك معجزة اخرى، و لا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم و هو قول قتادة و المفسرين. و قوله: «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ» اختلفوا هل هم الراسخون فى العلم أو غيرهم؟ فقال قوم: هم هم. و اختلف هؤلاء فى إعرابه و مخالفته لاعراب الراسخين فقال قوم منهم: هو غلط من الكتب و انما هو، لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون و المقيمون الصلاة ذكر ذلك حماد بن سلمة عن الزبير. قال: قلت لابان بن عثمان بن عفان: ما شانها كتبت لكن الراسخون فى العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۰

منهم و المؤمنون و المقيمين الصلاة فقال: قال: إن الكاتب لما كتب لكن الراسخون فى العلم منهم إلى قوله: من قبلك قال: ما اكتب؟ قيل له: اكتب و المقيمين الصلاة.

و روى عروة بن الزبير قال: سألت عائشة عن قوله: «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ»، و عن قوله: «وَ الصَّابِئُونَ» و عن قوله: «إِنْ هذانِ» فقالت: يا بن اخى هذا عمل الكتاب أخطأوا فى الكتابة و فى مصحف ابن مسعود (و المقيمون الصلوة) و قال الفراء و الزجاج و غيرهما من النحويين: هو من صفة الراسخين، لكن لما طال، و اعترض بينهما كلام نصب المقيمين على المدح و ذلک سائغ فى اللغة كما قال فى الآيات التى تلوناها، و فى قوله: «وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ» و قال اخرون: هو من صفة الراسخين فى العلم ها هنا، و ان كان الراسخون فى العلم من المقيمين. قالوا: و موضع (المقيمين) خفض عطفاً على ما فى قوله: يؤمنون بما أنزل اليک و ما انزل من قبلک، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة.

و المعنى يؤمنون باقام الصلاة و قوله: و المؤتون الزكاة: قالوا: عطف على قوله:

«وَ الْمُؤْمِنُونَ» و قال آخرون المقيمون الصلاة هم الملائكة. و إقامتهم للصلاة تسبيحهم ربهم، و استغفارهم لمن فى الأرض. و معنى الكلام و المؤمنون يؤمنون بما انزل اليک و ما أنزله من قبلک، و بالملائكة. و اختاره الطبرى. قال لأنه فى قراءة أبى كذلک، و كذلک هو فى مصحفه. فلما وافق مصحفه لمصحفنا ذلک على انه ليس بغلط. و قال اخرون: المعنى المؤمنون يؤمنون بما انزل اليک، و ما انزل من قبلک، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة، و هم الائمة المعصومون، و المؤتون الزكاة، كما قال: يؤمن باللّه، و يؤمن للمؤمنين. و أنكروا النصب على المدح. قالوا: و انما يجوز ذلک بعد تمام خبره قالوا و خبر الراسخين قوله: «أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً» فلا يجوز نصب المؤمنين على المدح فى وسط الكلام قبل تمام الخبر. و اختار الزجاج ذلک. قال:

يجوز أن تقول مررت بزيد كريم. بالجر و النصب و الرفع: النصب على المدح، و الخفض على الصفة، و الرفع على تقدير هو الكريم.

و انشد فى النصب على المدح التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۱

بيت خرنق:

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة و آفة الجزر

النازلين بكل معترک و الطيبون معاقد الأزر

على معنى اذكر النازلين و هم الطيبون. و لو نصب لكان جائزاً. و قال قوم المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم و من المقيمين الصلاة قالوا فموضعه خفض. و قال:

قوم:المعنى يؤمنون بما أنزل. اليک و إلى المقيمين الصلاة و هذان الوجهان الأخيران ضعيفان عند النحويين، لأنه لا يكاد يعطف ظاهر على مكنى.

قوله:«أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً» إشارة الى هؤلاء الذين وصفهم اللّه فأخبر أنه سيعطينهم أجراً أى ثواباً، و جزاء على ما كان منهم من طاعة اللّه و اتباع أمره من الخلود فى الجنة. و قيل من جملة الراسخين: عبد اللّه بن سلام و ابن يامين و ابن صوريا، و اسد و ثعلبة، و سلام و غيرهم من علماء اليهود الذين آمنوا بالنبى (ص).

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶۳]..... ص: ۳۹۱

اشارة

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (۱۶۳)

آية.

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٩١

قرأ حمزة و خلف (زبوراً) بضم الزاى. الباقون بفتحها حيث وقعت من ضم الزاى احتمل ذلك وجهين: أحدهما أن يكون جمع زبر، فأوقع على المزبور الزبر. كما قيل: ضرب الأمير و نسج اليمن. كما يسمى المكتوب الكتاب، ثم جمع الزبر على زبور لوقوعه موقع الأسماء التى ليست مصادر كما يجمع الكتاب كتب، فلما استعمل استعمال الأسماء قالوا: زبور و الوجه الآخران يكون جمع زبور بحذف الزيادة على زبور، كما قالوا: ظريف و ظروف، و كروان و كروان، و ورشان التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٩٢
و ورشان و نحو ذلك مما يجمع بحذف الزيادة يدل على قوة هذا ان التكسير مثل التصغير. و قد اطرد هذا الحذف فى ترخيم التصغير نحو أزهر و زهير، و حارث و حريث و ثابت و ثبيت و الجمع مثله فى القياس، و إن كان اقل منه فى الاستعمال، و من فتح الزاى أراد الكتاب المنزل على داود (ع) كما سمى المنزل على موسى التوراة، و المنزل على عيسى الإنجيل، و المنزل على محمد (ص) الفرقان.

المعنى:..... ص: ٣٩٢

قال الحسين بن على المغربى: زبور جمع زبور و مثله تخوم و تخوم و عذوب و عذوب قال: و لا يجمع فعول- بفتح الفاء- على فعول- بضم الفاء- إلا هذه الثلاثة فيما عرفنا. و الزبر احكام العمل فى البئر خاصة يقال: بئر مزبورة: إذا كانت مطوية بالحجارة. و يقال: ما لفلان زبر اى عقل. و زبر الحديد: قطعة و أحدها زبرة.
و يقول زبرت الكتاب ازبره زبراً مثل اذبره ذبراً- بالذال المعجمة-.

المعنى:..... ص: ٣٩٢

هذا خطاب من اللَّه للنبى (ص) يقول اللَّه: إنا أوحينا إليك يا محمد أى أرسلنا اليك رسلنا بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح و سائر الأنبياء الذين سميناهم لك من بعد و الذين لم نسمهم لك. و قيل: إن هذه الآية نزلت على النبى (ص) لان بعض اليهود لما فضحهم اللَّه بالآيات- التى أنزلها على رسوله (ص) من عند قوله:
«يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء و ما بعده» فتلا ذلك عليهم رسول اللَّه، قالوا: ما انزل اللَّه على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل اللَّه هذه الآيات تكذيباً لهم، و اخبر نبيه و المؤمنين بها انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم فى هذه الآية و على من لم يسمهم و هو قول ابن عباس. و قال آخرون بل قالوا لما انزل اللَّه الآيات التى قبل هذه فى ذكرهم: ما انزل اللَّه على بشر من التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٣٩٣
شيء، و لا على عيسى. ذهب اليه محمد بن كعب القرطى و فيه نزل قوله: «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» و الأسباط فى ولد إسحاق كالقبائل فى أولاد إسماعيل. و قد بعث منهم عدة رسل: كيوسف و داود و سليمان، و موسى و عيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحى اليهم الوحى إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت الى بنى تميم، و إن أرسلت إلى وجوههم و ليس يصح عندنا ان الأسباط الذين هم اخوة يوسف، كانوا أنبياء.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶۴]..... ص: ۳۹۳

اشارة

وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً (۱۶۴)

آية بلا خلاف.

الاعراب و المعنى:..... ص: ۳۹۳

يحتمل نصب (و رسلا) أمرين:

أحدهما- على قول الفراء- انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح، و الى رسل قد قصصناهم عليك، و رسول لم نقصصهم عليك. فلما حذف الى نصب رسلا. و قال الزجاج: تقديره انه لما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنا» كان معناه أرسلناك رسولا عطف على ذلك، فقال: و رسلا. و تقديره و أرسلنا رسلا، فعطف الرسل على معنى الأسماء قبلها فى الاعراب كما قال الشاعر:

أوحيت بالخبز له ميسرا و البيض مطبوخاً معاً و السكرا

لم يرضه ذلك حتى يشكرا

و الوجه الثانى- أن يكون نصباً بفعل يفسره ما بعده، و يتلوه، و هو اختيار الزجاج. و تقديره و قصصنا عليك رسلا قد قصصناهم عليك، كما قال: «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ» و التقدير و أعد للظالمين أعد لهم عذاباً أليما.

و قرأ أبى و رسل. بالرفع- لما كان فى الفعل عائد اليهم، و هو قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۴

«قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ» و قوله:

«وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً» نصب تكليما على المصدر و فائدته و كلم اللَّه موسى بلا واسطة خصوصاً من بين سائر الأنبياء كلمهم اللَّه بواسطة الوحى و قيل: إنما قال ذلك، ليعلم، ان كلام اللَّه من جنس هذا المعقول الذى يشقق من التكلم على خلاف ما يقول المبطلون. و قيل انما اتى بالمصدر تأكيداً. و قيل: إنما أراد بذلك تعظيم كلامه، كأنه قال: كلم اللَّه موسى تكليما شريفا كما قال: «فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ» يريد بذلك تعظيم ما غشيهم من الأهوال فاما قول من قال: إن اللَّه كلم موسى باللغات كلها التى لم يفهمها، فلما كان آخر شيء كلمه بكلام فهمه، فان ذلك لا يجوز عليه تعالى، لان خطاب من لا يفهم خطابه عبث يجرى مجرى قبح خطاب العربى بالزنجية، و اللَّه (يتعالى عن ذلك) قال البلخى: و فى الآية دلالة على أن كلام اللَّه محدث من حيث انه كلم موسى خاصة دون غيره من الأنبياء، و كلمه فى وقت دون وقت، و لو كان الكلام قديماً و من صفات ذاته لم يكن فى ذلك اختصاص و من فصل بين الكليم و التكلم، فقد ابعد لان المتكلم لغيره لا يكون الا متكلما، و إن كان يجوز ان يكون متكلما و ان لم يكن مكلما فالمتكلم يجمع الامرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): آية ۱۶۵]..... ص: ۳۹۴

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (۱۶۵)

آية بلا خلاف.

نصب (رسلا) على القطع من اسماء الأنبياء الذين ذكر أسماءهم (مبشرين) نصب على الحال. و التقدير أرسلت هؤلاء الأنبياء رسلا إلى خلقى و عبادى مبشرين بثوابى من اطاعنى و صدق رسلى (و منذرين) يعنى مخوفين من عقابى من عصانى و خالف أمرى، و كذب رسلى «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۵

ابو على: ذلك مخصوص بمن علم اللَّه من حاله أن له فى بعثه الأنبياء لطفاً، لأنه إذا كان كذلك متى لم يبعث اليهم نبيا يعرفهم ما فيه لطفهم، كان فى ذلك أتم الحجة عليه (تعالى) و ذلك يفسد قول من قال: فى مقدوره من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن به، لأنه لو

كـان الامـر على ما قالوه، لكانت لهم الحجـة بـذلك على اللَّه (تعالى) قائمـة. فاما من لم يعلم من حاله ان له فى إنفاذ الرسل اليه لطفاً، فالحجـة قائمـة عليه بالعقل، و أدلته على توحيده، و صـفاته و عدله، و لو لم تقم الحجة بالعقل و لا قامت إلا بإنفاذ الرسل، لفسد ذلك من وجهين:

أحـدهما- ان صدق الرسل لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد و العدل فان كانت الحجة، لم تقم عليه بالعقل فكيف الطريق له إلى معرفة النبى (ص) و صدقه.

و الثـانى- انه لو كـانت الحجـة لا- تقوم الا- بالرسول لاحتاج الرسول أيضاً إلى رسول آخر حتى تقوم عليه الحجـة. و الكلام فى رسوله كالكلام فى هذا الرسول و يؤدى ذلك إلى ما لا يتناهى. و ذلك فاسد فمن اسـتدل بهذه الآية على ان التكليف، لا يصح بحال الا بعد إنفاذ الرسل، فقـد ابعد على ما قلناه. و قوله: «وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً» معناه انه مقتدر على الانتقام ممن يعصـيه و يكفر به لا يمنعه منه مانع لعزته حكيم فيما امر به خلقه و فى جميع أفعاله.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶۶]..... ص: ۳۹۵

لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (۱۶۶)

آية.

قال الزجاج: الرفع مع تخفيف (لكن) و النصب مع تشديده جائز، لكن لم يقرأ بالتشديد احد.

و معنى «لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ» أي يبين ما تشهد به و يعلم مع إبانته انه حق. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۶

«وَ الْمَلائِكَةُ يَشْـهَدُونَ وَ كَفى بِـاللَّهِ شَـهِيداً» دخلت الباء مؤكـدة. و المعنى اكتفوا باللَّه فى شـهادته و المعنى فى الآيـة ان هؤلاء اليهود الذين سألوك ان ينزل عليهم كتابا من السـماء و قالوا لك ما أنزل اللَّه على بشـر من شـىء، و قد كذبوا ليس الامر كما قالوا، لكن اللَّه يشـهد بتنزيـل مـا أنزله اليـك من كتـابه و وحيه انزل ذلـك إليك، و هو عالم بأنك خيرته من خلقه، و صـفوته من عباده يشـهد لك بذلك ملائكته، فلا يحزنك تكذيب من كذبك، و خلاف من خالفك «وَ كَفى بِاللَّهِ شَـهِيداً» أى حسـبك باللَّه شاهداً على صدقك، دون ما سواه. قال ابن عباس: نزلت هـذه الآيـة فى جماعة من اليهود كان النبى (ص) دعاهم إلى اتباعه، و أخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوته فجحدوا نبوته، و أنكروا معرفته، فانزل اللَّه فيهم هذه الآية تسـلية للنبى (ص) و تعزية له عن تكذيب من كذبه. و من استدل بهذه الآيـة على انه تعـالى عـالم بعلم، فقـد اخطأ لا-ن، قوله بعلمه معناه، و هو عالم به. و لو كان المراد بـذلك ذاتا اخرى، لوجب أن يكون العلم آلـة فى الانزال، كما يقولون كتبت بالقلم، و قطعت بالسـكين، و نجرت بالناس. و لا خلاف ان العلم ليس بآلـة فى الانزال. و قال الزجاج معناه إنزال القرآن الذى علمه فيه. و هو اختيار الازهرى.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۶۷]..... ص: ۳۹۶

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً (۱۶۷)

آية.

المعنى:..... ص: ۳۹۶

ان الذين جحدوا نبوتك بعد علمهم بها من أهل الكتاب الذين ذكر قصـتهم، و أنكروا ان اللَّه تعالى أوحى اليك و انزل كتابه عليك،

و صدوا عن سبیل اللَّه یعنی عن الدین الذی بعثک به الی خلقه. و هو الإسلام بقولهم للذین یسألونهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۹۷
عن صحة نبوتک ما نجد صفة محمد (ص) فی کتبنا، و ادعاؤهم عهد إلیهم ان النبوة لا تکون إلا فی ولد هارون. و من ذریة داود، و ما أشبه ذلک فقد ضلوا ضلالا بعیداً یعنی جاروا عن قصد الطریق جوراً شدیداً، و زالوا عن المحجة التی هی دین اللَّه الذی ارتضاه لعباده و بعثک به الی خلقه زوالا بعیدا، و ابعدوا من الرشاد.

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): الآیات ۱۶۸ الی ۱۶۹]..... ص: ۳۹۷

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ طَرِیقاً (۱۶۸) إِلاَّ طَرِیقَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها أَبَداً وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیراً (۱۶۹)
آیتان.
هذا خبر من اللَّه تعالی بان الذین جحدوا رسالة محمد (صلی اللَّه علیه و آله) کفروا باللَّه، و جحدوه بجحودهم رسالة نبیه و ظلموا نبیه بتکذیبهم إیاه، و مقامهم علی الکفر علی علم منهم بظلمهم عباد اللَّه، و حسدا للعرب، و بغیاً علی رسوله «لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ» یعنی لم یکن اللَّه لیعفو عن ذنوبهم بترک عقابهم علیها، لکنه تعالی یفضحهم بها (جل ثناؤه) بعقوبته إیاهم علیه، و لا لیهدیهم طریقاً یعنی لا یهدیهم لطریق الجنة، لان الهدایة إلی طریق الایمان قد سبقت، و قد عم اللَّه أیضاً بها جمیع المکلفین. و یحتمل أن یکون المراد لم یکن اللَّه یفعل بهم ما یؤمنون عنده فی المستقبل عقوبة لهم علی کفرهم الماضی، و استحقاقهم حرمان ذلک، و انه یخذلهم عن ذلک حتی یسلکوا طریق جهنم، و یکون المعنی لم یکن اللَّه لیوفقهم للإسلام، لکنه یخذلهم عنه الی طریق جهنم جزاء لهم علی ما فعلوه من الکفر خالدین فیها مقیمین ابداً «وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیراً» المعنی و کان تخلید هؤلاء الذین وصفت لکم صفتهم فی جهنم علی اللَّه یسیراً، لأنه تعالی إذا أراد ذلک به لم یقدر علی الامتناع منه، و لا یصعب علیه عقاب من یعصیه، فلذلک کان یسیراً علیه.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۳۹۸

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۷۰]..... ص: ۳۹۸

اشارة

یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّکُمْ فَآمِنُوا خَیْراً لَکُمْ وَ إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً (۱۷۰)
آیة بلا خلاف.
خاطب اللَّه بهذه الآیة جمیع الکفار الذین لم یؤمنوا بالنبی (ص) من مشرکی العرب، و جمیع اصناف الکفار، و بین انه قد جاءهم الرسول- یعنی محمد (صلی اللَّه علیه و آله)- بالحق من ربکم- یعنی بالإسلام الذی ارتضاه اللَّه لعباده دیناً من ربکم. یعنی من عند ربکم «فَآمِنُوا خَیْراً لَکُمْ» معناه صدقوه و صدقوا ما جاءکم به من عند ربکم من الدین فان الایمان بذلک خیر لکم من الکفر «وَ إِنْ تَکْفُرُوا» ای تجحدوا نبوته و تکذبوا رسالته و بما جاء به من عند اللَّه فان ضرر ذلک یعود علیکم دون اللَّه تعالی الذی له ملک السماوات، لا ینقص کفرکم بما کفرتم به من أمره، و عصیانکم فیما عصیتموه فیه من ملکه و سلطانه شیئاً. «وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً» بما أنتم صائرون الیه من طاعته أو معصیته «حکیما» فی أمره إیاکم و نهیه عما نهاکم عنه و فی غیر ذلک من تدبیره فیکم، و فی غیرکم من خلقه.

الاعراب:..... ص: ۳۹۸

و اختلفوا فی نصب «خَيْراً لَكُمْ» فقال الخليل، و جميع البصريين: إن ذلك محمول على المعنى، لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، فأنت تدفعه عن امر، و تدخله فی غيره، كأنك قلت: انته و أت خيراً لك و ادخل فيما هو خير لك و انشد الخليل و سيبويه قول عمر بن أبی ربيعة:

فواعديه سرحتى مالك او الربا بينهما اسهلا

و تقديره و أنتی مكاناً اسهلا و قال الكسائی: انتصب بخروجه من الكلام. قال: التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۳۹۹

و هذا تفعله العرب فی الكلام التام، نحو قولك لتقومن خيراً لك، و انته خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً، لم يخبر غير الرفع تقول ان تنته خير لك، و ان تصبروا خير لكم. و قال الفراء انتصب ذلك لأنه متصل بالأمر و هو من صفته. الا ترى انك، تقول: انته هو خير لك؟ فلما أسقطت هو اتصل بما قبله، و هو معرفة فانتصب و قال ابو عبيدة: انتصب ذلك على إضمار كان، كأنه قال: فامنوا يكن الايمان خيراً لكم قال: و كذلك كل امر و نهی قال الفراء: يلزم على ذلك ما يبطله. ألا ترى انك تقول: اتق اللَّه تكن محسناً، و لا يجوز ان تقول: اتق اللَّه محسناً بإضمار كان، و لا يصلح ان تقول: انصرنا أخانا، و انت تريد تكن أخانا. و قال قوم. انتصب ذلك بفعل مضمر اكتفى فی ذلك المضمر بقوله: لا تفعل ذلك و افعل صلاحا لك.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): آية ۱۷۱]..... ص: ۳۹۹

يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (۱۷۱)

آية واحدة.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لأهل الكتاب الذی هو الإنجيل و هم النصارى نهاهم اللَّه (تعالى) ان يغلوا فی دينهم بان يجاوزوا الحق فيه، و يفرطوا فی دينهم، و لا يقولوا فی عيسى غير الحق، فان قولهم فی عيسى أنه ابن اللَّه قول بغير الحق، لأنه (تعالى) لم يتخذ ولداً فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابناً له، و نهاهم أن يقولوا على اللَّه. الا الحق، و هو الإقرار بتوحيده، و انه لا شريك له و لا صاحبة و لا ولد.

و اصل الغلو فی كل شیء تجاوز حده يقال: غلا فلان فی الدين يغلو غلواً. و غلا التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۰۰

بالجارية عظمها و لحمها: إذا انسرعت الشباب، و تجاوزت لذاتها. يغلو بها غلواً و غلاء قال الحارث بن خالد المخزومی:

خمصانة فلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم «۱»

و قوله: انما المسيح عيسى بن مريم، فأصل المسيح الممسوح- نقل من مفعول إلى فعيل. سماه اللَّه بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، و قيل مسح من الذنوب و الأدناس التی تكون فی الآدميين كما يمسح الشیء من الأذى الذی يكون فيه. و هو قول مجاهد. و قال ابو عبيدة: هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحاً، فعربت فقيل المسيح، كما عرب سائر أسماء الأنبياء فی القرآن، نحو إسماعيل و إسحاق و موسى و عيسى. و قال قوم ليس هذا مثل ذلك، لان إسماعيل و إسحاق و ما أشبههما اسماء، لا صفات. و المسيح صفة و لا يجوز ان يخاطب العرب و غيرها من أجناس الخلق فی صفة شیء إلا بما يفهم، فعلم بذلك انها كلمة عربية و قال ابراهيم: المسيح المسيح الصديق و اما المسيح الدجال فانه ايضاً بمعنى الممسوح العين صرف من مفعول إلى فعيل فمعين المسيح فی عيسى (ع) الممسوح البدن من الأدناس و الآثام. و معنى المسيح فی الدجال الممسوح العين اليمنى أو اليسر كما يروى عن النبی (ص) فی ذلك. و قوله:

رسول اللَّه اخباره منه (تعالى) ان المسيح أرسله اللَّه و جعله نبياً. و قوله: «كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ» فانه يعنى بالكلمة الرسالة التى امر اللَّه ملائكته أن يأتى بها بشارة من اللَّه (تعالى) لها التى ذكرت فى قوله: «قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» يعنى برسالة منه و بشارة من عنده و قال قتادة و الحسن: هو قوله: «كن فكان» و اختار الطبرى الاول و قال الجبائى: ذلك مجاز، و انما أراد بالكلمة انهم يهتدون بعيسى، كما يهتدون بكلامه. و كذلك يحيون به فى دينهم كما يحيى الحى بالروح، فلذلك سماه روحا.

---

(١) اللسان (علا)- مجاز القرآن ا: ١۴٣ و فى الأغانى (علا) بدل (غلا).

خمصانة بفتح الخاء و ضمها- ضامرة البطن. رؤد الشباب شابة حسنة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٠١

و قوله: «أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ» فمعناه أعلمها بها و أخبرها كما يقال ألقيت اليك كلمة حسنة بمعنى أخبرتك بها، و كلمتك بها. و قال الجبائى: معنى ألقاها الى مريم خلقه فى رحمها.

و قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ» اختلفوا فيه على ستة اقوال:

فقال قوم: معناه و نفحة منه و سماه روحا، لأنه حدث عن نفحة جبرائيل فى درع مريم بأمر اللَّه له بذلك، و نسب الى اللَّه، لأنه كان بامره. و انما سمى النفخ روحا، لأنها ريح تخرج من الروح. و استشهدوا على ذلك قول ذى الرمة- و اسمه غيلان- فى صفة نار نفثها.

فلما بدت كفنها و هى طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا و لا شبراً.

و قلت له: ارفعها اليك و احيها بروحك و اقتها لها قيتة قدراً

و ظاهر لها من يابس الشخت، و استعن عليها الصبا و اجعل يديك لها ستراً «١» .

معنى احيها بروحك اى بنفخك.

و قال بعضهم: معناه انه كان إنساناً باحياء اللَّه إياه بتكوينه بلا واسطة من جماع، و نطفة على مجرى العادة.

و قال قوم: قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ» معناه و رحمة منه. كما قال فى موضع:

«وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» و معناه و رحمة منه. قال: فجعل اللَّه عيسى رحمة على من اتبعه، و آمن به و صدقه، لأنه هداهم الى سبيل الرشاد.

و قال آخرون: معنى ذلك و روح من اللَّه خلقها فصورها، ثم أرسلها الى مريم، فدخلت فى فيها فصيرها اللَّه تعالى روح عيسى ذهب اليه ابو العالية عن أبى ابن كعب.

---

(١) ديوانه. و اللسان (روح) يصف ناراً طلساء خرقة اقتتها...: (نفخ بها برفق) الشخت: الدقيق من كل شىء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٠٢

و قال بعضهم: ان معنى الروح- ها هنا- القوة التى كان بها يحيى الموتى قال الراجز:

إذا عرج الليل بروح الشمس

و قال قوم: معنى الروح ها هنا جبرائيل. قالوا: و الروح معطوفة به على ما فى قوله من ذكر اللَّه تعالى. و المعنى إن إلقاء الكلمة الى مريم كان من اللَّه تعالى.

ثم من جبرائيل. و قوله: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أمرٌ من اللَّه إياهم بتصديق اللَّه تعالى، و الإقرار بوحدانية، و تصديق رسله فيما جاءوا به من عند اللَّه، و فيما أخبرهم به أن اللَّه لا شريك له، و لا صاحبة و لا ولدا.

و قوله: «وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا» نهى لهم عن أن يقولوا الأرباب ثلاثة، و انما رفع ثلاثة بمحذوف دل عليه ظاهر الكلام. و تقديره و لا تقولوا: هم ثلاثة.

و انما جاز ذلک، لان القول حکایة و مثل ذلک قوله: «سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» «۱» و کذلک کلما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففیه إضمار اسم رافع لذلک الاسم، ثم قال متوعداً لهم علی عظیم قولهم الذی قالوه فی اللَّه: انتهوا أیها القائلون اللَّه ثالث ثلاثة عما تقولون من الزوج و الشرک باللَّه، و الانتهاء عن ذلک خیر لکم من قولکم لما لکم عند اللَّه من العقاب العاجل لکم علی قولکم ذلک ان أقمتم علیه، و لم ترجعوا إلی الحق.

و وجه النصب فی «انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ» ما قلناه فی قوله آمنوا خیراً لکم، فلا وجه لإعادته.

و قوله: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» معناه الاخبار من اللَّه (تعالی) ان الذین یحق له العبادة واحد، لان من کان له ولد، لا یکون آلهاً و کذلک من کان، له صاحبة لا یجوز ان یکون إلهاً معبوداً، و لکن اللَّه الذی له الالوهیة و العبادة إله واحد، و معبود واحد لا ولد له، و لا والد، و لا صاحبة، و لا شریک، ثم نزه تعالی نفسه و عظمها و رفعها عما قاله المبطلون الکافرون فقال: «سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ»

---

(۱) سورة الکهف، آیة ۲۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۰۳

و لفظة سبحان تفید التنزیه عما لا یلیق به من الولد و الصاحبة، لان من یملک ما فی السماوات و الأرض و ما بینهما و له التصرف فیهما، و فیهم عیسی و امه، و هم عبیده، و هو رازقهم و خالقهم، و هم أهل الحاجة إلیه و الفاقة، فکیف یکون المسیح ابناً له، و هو إما فی الأرض أو فی السماء. و هو تعالی یملک جمیع ذلک، و یحتمل أن یکون فی موضع نصب لأنه یصلح أن یقال عن ابن یکون او من ان یکون، فإذا حذف حرف الجر کانت فی موضع نصب. و کان الکسائی یقول هو فی موضع خفض. و الاول قول الفراء و غیره.

و قوله: «وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» معناه حسب ما فی السموات و ما فی الأرض باللَّه قیما و مدبراً، و رازقاً من الحاجة معه إلی غیره و معنی کفی باللَّه اکتفوا باللَّه.

و قد شبهت النصاری قولها: انه ثلاثة أقانیم جوهر واحد بقولنا: سراج واحد، ثم نقول. انه ثلاثة أشیاء دهن و قطن و نار و للشمس انها شمس واحدة، ثم نقول انها جسم وضوج و شعاع. قال البلخی، و هذا غلط، لأنا و ان قلنا إنه سراج واحد، لا نقول هو شیء واحد، و لا الشمس انها شیء واحد بل نقول هو أشیاء علی الحقیقة، کما نقول عشرة واحدة، و انسان واحد، و دار واحدة، و شهر واحد، و هی أشیاء متغایرة. فان قالوا: إن اللَّه شیء واحد حقیقة کما انه إله واحد، فقولهم بعد ذلک انه ثلاثة مناقضة لا یشبه ما قلناه. و ان قالوا: هو أشیاء، و لیس بشیء واحد دخلوا فی قول المشبهة، و ترکوا القول بالتوحید. و العجب أنهم یقولون:

إن الأب له ابن و الابن لا أب له، ثم یزعمون ان الذی له ابن هو الذی لا أب له، و یقولون إن من عبد الإنسان، فقد اخطأ و ضلّ، ثم یزعمون أن المسیح إله انسان، و انهم یعبدون المسیح. و قد تکلمنا علی ما نعقل من مذاهبهم فی الأقانیم و الاتحاد و النبوة فی کتاب شرح الجمل بما لا مزید علیه لا نطول بذکره ها هنا.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۰۴

قوله تعالی:[سورة النساء (۴): آیة ۱۷۲]..... ص: ۴۰۴

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۱۷۲)

آیة.

معنیَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ»

لم یأنف. و أصله فی اللغة من نکفت الدمع:

إذا نحیته بإصبعک من خدک. قال الشاعر:

فباتوا فلو لا ما تذكر منهم من الخلف لم ينكف لعينيك مدمع

فتأويلَ نْ يَسْتَنْكِفَ»

لن ينقبض و لن يمتنع. فمعنى الآية «لن يستكبر المسيح ان يكون عبداً» بمعنى من ان يكون عبداً للَّه و لا الملائكة المقربون. و معناه و لا يستنكف الملائكة أيضاً، و لا يأنفون، و لا يستكبرون من الإقرار للَّه بالعبودية، و الإذعان له بذلك «المقربون» الذين قربهم و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه.

و قال الضحاك: المقربون معناه انه قربهم إلى السماء الثانية. و قوله: مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ»

معناه من يأنف من عبادة اللَّه، و يتعظم عن التذلل و الخضوع له، و الطاعة له من جميع خلقه «فسيحشرهم» . و معناه فسيبعثهم يوم القيام جميعاً يجمعهم لموعدهم عنده. و معنى إليه إلى الموضع الذى لا يملك التصرف فيه سواه، كما يقال صار أمر فلان إلى القاضى أى لا يملكه غير القاضى، و لا يراد بذلك المكان الذى فيه القاضى. و استدل قوم بهذه الآية على ان الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا: لا يجوز أن يقول القائل: لا يأنف الأمير أن يركب إلىّ و لا غلامه. و انما يجوز أن يقال: لا يأنف الوزير أن يركب إلىّ و لا الأمير، فيعطف بعالى الرتبة على الأدون، و لا يعطف بالادون على الأعلى. و هذا الذى ذكروه لا دلالة فيه من وجوه:

أحدها- ان يكون هذا القول متوجهاً إلى قوم اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء، فأجرى الكلام على اعتقادهم، كما يقول القائل لغيره: لا يستنكف أبى من التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٠۵

من كذا، و لا أبوك. و إن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل.

الثانى- انه لا تفاوت بين الأنبياء و الملائكة التفاوت البعيد كتفاوت الأمير و الحارس، و ما يجرى مجرى ذلك. و يجوز أن يقدم الفاضل و يؤخر المفضول. أ لا ترى أنك تقول: لا يستنكف الأمير فلان من كذا، و لا الأمير فلان؟ و ان كان الاول أفضل.

و الثالث- انه اخر ذكر الملائكة، لان جميع الملائكة اكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً فمن اين ان كل واحد منهم أفضل من المسيح، أو غيره من الأنبياء؟

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ١٧٣]..... ص: ۴٠۵

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (١٧٣)

آية.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية و وعد ان الذين يقرون بوحدانيته تعالى، و يعترفون بربوبيته، و يخضعون لعبادته. و يعملون الاعمال الصالحات التى أمر اللَّه بها، و بعث بها رسله انه يوفيهم أجورهم. و معناه يؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحة وافياً تاماً، و يزيدهم من فضله يعنى يزيدهم ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الصالحة و الثواب عليها من الفضل، و الزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لأنه (تعالى) وعد على الحسنة عشر أمثالها من الثواب، و الزيادة على ذلك تفضل من اللَّه عليهم، و إن كان كل ذلك من فضله إلى عباده.

و قد روى ان الزيادة إلى سبعين ضعفاً و إلى سبعمائة و إلى ألفين و كل ذلك جائز على ما يختاره اللَّه و يفعله.

و قوله «وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا» معناه أن الذين يأنفون عن الإقرار بتوحيد اللَّه، و يتعظمون عن الاعتراف بعبوديته، و الإذعان له بالطاعة، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٠۶

و استكبروا عن التذلل له، و تسليم ربوبيته يعذبهم عذاباً أليما أى مؤلماً موجعاً، و لا يجدون لهم من دون اللَّه ولياً و لا نصيراً. و انما رفع و لا يجدون بالعطف على ما بعد فيعذبهم و لو جزم على موضع ما بعد الفاء، كان جائزاً يعنى و لا يجد المستنكفون و المستكبرون لأنفسهم ولياً ينجيهم من عذابه، و ناصراً ينقذهم من عقابه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۷۴]..... ص: ۴۰۶

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (۱۷۴)

- آية بلا خلاف- هذا خطاب من اللَّه (تعالى) لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر اصناف الملل الذين قص قصصهم فى هذه السورة من اليهود و النصارى و المشركين «قَدْ جاءَكُمْ» يعنى أتاكم حجة من اللَّه تبرهن لكم عن صحة ما أمركم به، و هو محمد (صلى اللَّه عليه و آله) جعله اللَّه حجة عليكم، و قطع به عذركم، «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً» يعنى و أنزلنا إليكم معه نوراً مبيناً يعنى بين لكم المحجة الواضحة، و السبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب اللَّه و اليم عقابه، و ذلك النور هو القرآن الذى أنزله اللَّه على محمد (ص) و هو قول مجاهد، و قتادة و السدى و ابن جريج، و جميع المفسرين. و انما سماه نوراً لنا فيه من الدلالة على ما امر اللَّه به و نهى عنه و الاهتداء به تشبها بالنور الذى يهتدى به فى الظلمات و فى الآية دلالة على أن كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالانزال فلو كان قديماً، لما جاز ذلك عليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (۴): آية ۱۷۵]..... ص: ۴۰۶

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً (۱۷۵)

آية. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۰۷

هذا اخبار من اللَّه و وعد منه لمن صدق اللَّه و أقر بوحدانيته، و اعترف بما بعث به نبيه محمداً صلى اللَّه عليه و آله من أهل الملل، و اعتصم به و تمسك بالنور الذى أنزله إلى نبيه. قال ابن جريج الهاء فى (به) كناية عن القرآن، فسيدخلهن فى رحمة منه معناه ستنالهم رحمته التى تنجيهم من عقابه، و توجب لهم ثوابه، و جنته، و يلحقهم ما لحق أهل الايمان به، و التصديق لرسله، «وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً» يعنى يوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به على أوليائه و يسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته و اقتفاء اثارهم و اتباع دينهم. و ذلك هو الصراط المستقيم.

و هو الإسلام الذى ارتضاه اللَّه دينا لعباده.

و نصب «صِراطاً مُسْتَقِيماً» على القطع من الهاء فى قوله (إليه) و يحتمل أن يكون المراد بقوله: «وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ» يعنى إلى ثوابه.

قوله تعالى:[سورة النساء (۴): آية ۱۷۶]..... ص: ۴۰۷

اشارة

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالاً وَ نِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۷۶)

آية آخر السورة.

النزول:..... ص: ۴۰۷

روى البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة. و آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ» و قال جابر بن عبد اللَّه:

نزلت فی المدینة و قال ابن سیرین: نزلت فی مسیر کان فیه رسول اللَّه (ص) التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۰۸
و أصحابه. و اختلفوا فی سبب نزول هذه الآیة
فقال سعید بن المسیب: سأل عمر النبی (ص) عن الکلالة، فقال: ا لیس قد بین اللَّه ذلک؟ قال: فنزلت «یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَةِ»
و قال جابر بن عبد اللَّه: اشتکیت و عندی تسع أخوات لی أو سبع، فدخل علیّ النبی (ص) فنفخ فی وجهی، فأفقت. فقلت: یا رسول اللَّه ألا أوصی لأخواتی بالثلثین؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: احسن، ثم خرج و ترکنی، و رجع الی فقال: یا جابر انی لا أراک میتاً من وجعک هذا، و ان اللَّه عز و جل قد أنزل فی الذی لاخواتک فجعل لهن الثلثین. قال: و کان جابر یقول:
نزلت هذه الآیة فیّ.
و قال قتادة: ان اصحاب رسول اللَّه (ص) همهم شأن الکلالة، فانزل اللَّه (عز و جل) فیها هذه الآیة.

المعنی:..... ص: ۴۰۸

معنی یستفتونک یسألونک یا محمد ان تفتیهم فی الکلالة. و حذف اقتصاراً لما دل الجواب علیه. و الاستفتاء و الاستقضاء واحدة یقال: قاضیته و فأتیته.
قال الشاعر:
تعالوا نفاتیکم أ أعیا و فقعس إلی المجد أدنی ام عشیرة حاتم
هکذا أنشده الحسین بن علی المغربی. و قد فسرنا معنی الکلالة و ذکرنا اختلاف العلماء فی ذلک فأغنی عن الاعادة. و قوله: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَیْسَ لَهُ وَلَدٌ» قال السدی: معناه مات لیس له ولد ذکر و أنثی، (و له اخت) یعنی و للمیت اخت لأبیه و امه، فلها نصف ما ترک، فان لم یکن أخت لاب و أم، و کانت اختاً لاب قامت مقامها، و الباقی عندنا رد علی الاخت سواء کان هناک عصبة، او لم یکن. و قال جمیع الفقهاء: إن الباقی للعصبة، و إن لم یکن هناک عصبة، و هم العم و بنو العم، و أولاد الأخ. قال فمن قال: الرد علی ذوی الأرحام، رد علی الاخت الباقی و هو اختیار الجبائی، و أکثر اهل العلم. و قال زید بن ثابت، و الشافعی و جماعة: إن الباقی لبیت المال یرثه جمیع المسلمین. و قوله: «وَ هُوَ یَرِثُها إِنْ لَمْ یَکُنْ لَها وَلَدٌ» یعنی إن کانت الأخت هی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۰۹
المیتة، و لها أخ من أب و أم، أو من أب فالمال کله له بلا خلاف إذا لم یکن هناک ولد، سواء کان ولدها ذکراً، أو أنثی، فان کان ولدها ذکراً، فالمال له بلا خلاف و یسقط الأخ، و إن کانت بنتاً کان لها النصف بالتسمیة بلا خلاف و الباقی رد علیها، لأنها اقرب دون الأخ، و لأن اللَّه (تعالی) انما قال: «وَ هُوَ یَرِثُها» یعنی الأخ إذا لم یکن لها ولد. و البنت [ولد] «۱» بلا خلاف و من خالف فی تسمیة البنت ولداً فقد اخطأ. ذکر ذلک البلخی و استدل علی ذلک بان قال: لو مات و خلف بنتاً و أبوین إن للأبوین الثلث، مع. قوله: «و لأبویه لکل واحد منهما السدس ان کان له ولد» و إنما أراد الولد الذکر. و هذا الذی ذکره خطأ، لأنه خلاف لأهل اللغة. لأنه لا خلاف فی تسمیة البنت بأنها ولد، و لأنه قال: «یُوصِیکُمُ اللَّهُ فِی أَوْلادِکُمْ» ثم فسر الأولاد فقال: «فَلِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ» فلو کان الولد لا یقع علی الأنثی، لکان المال بینهم بالسویة، و ذلک خلاف القرآن. علی انا نخالف فی المسألة التی ذکرها، فنقول للأبوین السدسان، و للبنت النصف و الباقی رد علیهم علی قدر سهامهم، فنجعل الفریضة من خمسة و من رد الباقی علی الأب فإنما یرده بالتعصیب، لا لان البنت لا تسمی ولداً، فبان بطلان ما قاله. و من خالفنا من الفقهاء فی مسألة الأخ و البنت، یقول: الباقی للأخ،
لقوله (ع): (ما أبقت الفرائض فلأولی عصبته)
ذکر هذا الخبر عندنا ضعیف، لأنه أو لا خبر واحد. و قد طعن علی صحته. ضعفه أصحاب الحدیث بما ذکرناه فی مسائل الخلاف، و تهذیب الأحکام، و غیر ذلک من کتبنا. و ما هذه صفته لا یترک له ظاهر القران. و قوله: «فَإِنْ کانَتَا اثْنَتَیْنِ» یعنی ان کانت الأختان

اثنتين، فلهما الثلثان. و هذا لا خلاف فيه و الباقى على ما بيناه من الخلاف فى الأخت الواحدة. عندنا، رد عليها دون عصبتها، و دون ذوى الأرحام، و إذا كان هناك عصبة، رد الفقهاء الباقى عليهم، و إن لم يكن رد على ذوى الأرحام.

من قال بذلك فرد على الأختين، لأنهما أقرب، و من لم يقل بذلك رد على بيت المال.

فان كانت احدى الأختين لاب و ام، و الاخرى لاب، فللأخت للأب و الام النصف،

---

(۱)- ساقطة من المطبوعة. [.....]

بلا خلاف. و الباقى رد عليها عندنا، لأنها تجمع السببين و لا شيء للاخت للأب، لأنها انفردت بسبب واحد و عند الفقهاء لها السدس تكملة الثلثين و الباقى على ما بيناه من الخلاف، و إن كانوا أخوة رجالا و نساء يعنى يكون الورثة أخوة رجالا و نساء للأب، و الام، أو للأب فللذكر مثل حظ الأنثيين. بلا خلاف فان كان الذكور منهم للأب و الام و الإناث للأب، انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف. و إن كان الإناث للأب و الام و الذكور للأب كان للإناث الثلثان ما سمى بلا خلاف و الباقى عندنا، رد عليهن لما بيناه من اجتماع السببين لهن. و عند جميع الفقهاء ان الباقى للاخوة مع الأب، و لأنهم عصبة. و قد قلنا ما عندنا فى خبر العصبة و يمكن ان يحمل خبر العصبة مع تسليمة على ما مات، و خلف زوجاً أو زوجة و أخا لاب و أم، و أخاً للأب أو ابن أخ لاب و أم، أو ابن أخ لأب أو ابن عمّ لاب و امّ، و ابن عمّ لاب فان للزوج سهمه المسمى و الباقى لمن يجمع كلالة الأب و الام دون من يتفرد بكلالة الأب.

و قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» قال الفراء: معناه لئلا تضلوا.

قال القطامى:

رأينا ما رأى البصراء فيها فآلينا عليها ان تباعا «۱»

و المعنى إلا تباعا. و قال الزجاج و البصريون: لا يجوز إضمار لا. و المعنى يبين اللّه لكم كراهة أن تضلوا. و حذف كراهة، لدلالة الكلام عليه. قالوا: و انما جاز الحذف فى قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و المعنى و سل اهل القرية، لأنه بقى المضاف فدل على المحذوف. فاما حذف (لا) و هى حرف جاء لمعنى النفى، فلا يجوز، لكن قد تدخل فى الكلام مؤكدة و هى لغو كقوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» و المراد لئن يعلم. و مثله قول الشاعر:

و ما ألوم البيض الا تسخراً إذا رأين الشمط القفندرا «۲»

---

(۱)- ديوانه: ۴۳ يصف ناقته.

(۲)- أنظر ا: ۴۵

و المعنى و ما ألوم البيض ان تسخر و مثله قوله: «لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» «۱» «و لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ» «۲» و المعنى أقسم. و لا يجوز على القياس على ذلك أن تقول: لا أخلف عليك و تريد أخلف عليك، لان (لا) إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النفى، فإذا بنيت الكلام على النفى، فقد نقضت الإيجاب و انما جاز الغاء (لا) فى أول السورة، لان القرآن كله كالسورة الواحدة ألا ترى أن جواب الشيء فيه يقع و بينهما سور؟ كما قال تعالى جواباً لقوله: «وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «۳» فقال: «ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» «۴» و بينهما سور كثيرة. ذكره الزجاج. و قوله: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ» قال الفراء (هلك) فى موضع جزم. و مثله قوله: «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ» «۵» و لو كان موضعها يفعل كان جزماً. و قال الزجاج: جاز مع ان تقديم الاسم قبل الفعل، لانّ (ان) لا تعمل فى الماضى، و لأنها (ام) فى الجزاء قال: و التقدير ان هلك امرؤ هلك. و انشد الفراء:

صعدة قد نبتت فى حائر انما الريح تميلها تمل

فجزم تميلها. و قد حال بينها و بين أينما بالاسم و هو الريح.

و قال عمر: سألت رسول اللّه (ص) عن الكلالة، فقال: أ لم تسمع الآية التى أنزلت فى الصيف. و فى خبر آخر- تكفيك آية الصيف.

و قوله: «امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ: فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ» يمنع أن يكون الاخت ترث مع البنت، لأنه شرط فى ميراثها عدم الولد. و البنت ولد بلا خلاف بين أهل اللغة.

و ما روى عن النبى (ص) أن الأخوات مع البنات عصبة

خبر واحد، لا يلتفت اليه، لأنه يخالف نصب القرآن. و بما قلناه قال ابن عباس، لأنه لم يجعل الأخوات مع البنات عصبة.

---

(۱)- سورة البلد، آية ۱.

(۲)- سورة القيامة، آية ۱.

(۳)- سورة الحجر، آية ۶.

(۴)- سورة القلم، آية ۱- ۲.

(۵) سورة التوبة، آية ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۲

و موضع (ان) فى قوله (ان تضلوا) نصب فى قول الأكثر، لاتصالها بالفعل و فى قول الكسائى: خفض، لان تقديره عنده لئلا تتولوا، فان قيل:

ما وجه قوله: «اثنتين» مع أن قوله: «فان كانتا» قد دل على اثنتين؟ قيل:

يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون ذلك تأكيداً للمضمر يقول القائل: فعلت أنا.

و الثانى- ان يبين بذلك ان المطلوب فى ذلك العدد، لا غيره من الصفات من صغر او كبر أو عقل أو عدمه، و غير ذلك من الصفات، بل متى جعل العدد ثبت ما ذكره من الميراث.

و قوله: «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه عالم بكل شىء من مصالح عباده فى قسمته مواريثهم، و غيرها من جميع الأشياء، لا يخفى عليه شىء من جميعه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۳

۵-سورة المائدة..... ص: ۴۱۳

اشارة

هى مدنية فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة.

و قال جعفر بن مبشر: هى- مدنية إلا آية منها نزلت فى حجة الوداع و هى قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» و هى كلها مدنية بمعنى انها نزلت بعد الهجرة.

و قال الشعبى: نزل قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ» و النبى (صلى اللّه عليه و آله) واقف على راحلته فى حجة الوداع.

و قال عبد اللّه بن عمر آخر سورة نزلت المائدة. و هى مائة و عشرون آية كوفى و اثنتان و عشرون فى المدينتين. و ثلاثة و عشرون

بصرى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱]..... ص: ۴۱۳

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ (۱)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۴

هـذا خطاب من اللَّه (تعالى) للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى المقرين له بالعبودية المصدقين لرسوله (ص) فى نبوته، و فيما جاء به من عنـد اللَّه من شـريعة الإسـلام، أمرهم اللَّه بإيفـاء العقود و هى العهود التى عاهـدوها مع اللَّه و أوجبوا على أنفسـهم حقوقاً، و الزموا نفوسـهم بهـا فروضاً أمرهم اللَّه تعالى بالإتمام بالوفاء و الكمال لما لزمهم يقال: أو فى بالعهـد و وفى به و أوفى به لغـة أهل الحجاز. و هى لغـة القرآن، و اختلف اهـل التأويل فى العقود التى امر اللَّه (تعالى) بالوفاء بها فى هـذه الآيـة بعـد إجماعهم على ان المراد بالعقود العهود، فقال قوم: هى العقود التى كان اهل الجاهليـة عاقد بعضـهم بعضاً على النصـرة و المؤازرة. و المظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءً و ذلك هو معنى الحلف. ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و الربيع ابن أنس و الضحاك و قتادة و السدى و سفيان الثورى.

و العقود جمع عقد. و أصـله عقد الشـىء بغيره. و هو وصـله به، كما يعقد الحبل إذا وصل به شيئاً. يقال منه: عقد فلان بينه و بين فلان عقداً فهو يعقده. قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج و شدوا فوقه الكربا «۱»

و ذلك إذا واثقه على امر عاهده على عهد بالوفاء له بما عاقده عليه من أمان، أو ذمة أو نصـرة، أو نكاح أو غيره ذلك. قال قتادة: هى عقود الجاهلية الحلف.

و يقال: اعقـدت العسل فهو عقيـد و معقد و روى بعضـهم عقدت، العسل و الكلام و أعقدت. و قال آخرون: هى العهود التى أخذ اللَّه على عبـاده بالايمان به، و طاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم. روى ذلك عن ابن عباس و قال: هو ما أحل و حرم و ما فرض، و ما حد فى القرآن كله، فلا تعدوا أو لا تنكثوا، ثم سدد فقال:

---

(۱) ديوانه: ۶ مجاز القرآن لأبى عبيدة ا: ۱۴۵ اللسان (كرب) من قصيدته التى قالها فى الزبرقان بن بدر و بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة. العناء: خيط يشد فى أسفل الدلو. الكرب: الحبل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۵

«وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ» الى قوله: «سُوءُ الـدَّارِ» . و به قال أيضاً مجاهـد: و قال قوم: بل العقود التى يتعاقـدها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان، و عقد النكاح، و عقد العهد، و عقد البيع، و عقد الحلف.

ذهب اليه عبد اللَّه بن عبيدة و ابن زيد، و هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه.

و قال آخرون: ذلك امر من اللَّه لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم من العمل بما فى التوراة و الإنجيل فى تصديق محمد (صـلى اللَّه عليه و آله) و ما جاء به من عند اللَّه.

ذكر ذلك ابن جريـج و أبو صالح. و قال الجبائى: أراد به الوفاء بالايمان فيما يجوز الوفاء به. فاما ما كان يميناً بالمعصـية، فعليه حنثه و عليه الكفـارة. و عنـدنا ان اليمين فى معصـية لاـ تنعقـد، و لا كفارة فى خلافها. و أقوى هـذه الأقوال ما حكيناه عن ابن عباس أن معناه

أوفوا بعقود اللَّه التى أوجبها عليكم، و عقدها فيما أحل لكم و حرم، و ألزمكم فرضه. و بين لكم حدوده. و يدخل فى جميع ذلك ما قالوه إلا ما كان عقداً على المعاونة على أمر قبيح. فان ذلك محظور بلا خلاف.

و قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ» اختلفوا فى تأويل بهيمة الانعام فى هذه الآية فقال قوم: هى الانعام كلها: الإبل و البقر، و الغنم. ذهب اليه الحسن و قتادة و السدى و الربيع و الضحاك. و قال آخرون:

أراد بذلك اجنة الأنعام التى توجد فى بطون أمهاتها إذا ذكيت الأمهات. و هى ميتة. ذهب اليه ابن عمر و ابن عباس. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه.

و الأولى حمل الآية على عمومها فى الجميع.

و الانعام جمع نعم، و هو اسم للإبل، و البقر و الغنم خاصة عند العرب كما قال تعالى: «وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ» ثم قال: «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً» ففضل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان و أما بهائمها فإنها أولادها. و قال الفراء بهيمة الانعام: وحشها كالظباء، و بقر الوحش، و الحمر الوحشية. و انما سميت بهيمة الانعام، لان كل حى لا يميز، فهو بهيمة الانعام، لأنه أبهم عن ان يميز. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۶

و قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» اختلفوا فى المراد بقوله «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فقال بعضهم: أراد بذلك أحلت لكم أولاد الإبل، و البقر و الغنم إلا ما بين اللَّه تعالى فيما يتلى عليكم بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ... الآية» ذهب اليه مجاهد و قتادة و قال: الميتة، و ما لم يذكر اسم اللَّه عليه. و به قال السدى و ابن عباس. و قال آخرون: استثنى من ذلك الخنزير روى ذلك أيضاً عن ابن عباس، و الضحاك. و الاول أقوى، لان قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» يجب حمله على عمومه فى جميع ما حرم اللَّه (تعالى) فى كتابه. و الذى حرمه هو ما ذكره فى قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...... الى آخر الآية» و الخنزير و إن كان محرماً، فليس من بهيمة الانعام، فمتى حملناه عليه كان الاستثناء منقطعاً، و متى خصصنا بالميتة و الدم، كان الاستثناء متصلا. و إن حملناه على الكل تكون علينا حكم الميتة و ما ذكر بعده، فيكون الاستثناء أيضاً حقيقة و متصلا. و اختار الطبرى تخصيصه بالميتة و الدم، و ما أهل لغير اللَّه به. قال الحسين ابن على المغربى إلا ما يتلى معناه من البحيرة و السائبة و الوصيلة فلا تكون المحرم، و استثنى ها هنا ما حرمه (تعالى) فلا يليق بذلك.

و قوله: «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ» اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم:

معناه أوفوا بالعقود غير محلين الصيد و أنتم حرم أحلت لكم بهيمة الانعام. و يكون فيه التقديم و التأخير، فغير يكون منصوباً على هذا الحال مما فى قوله: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» من ذكر الذين آمنوا. و تقدير الكلام أوفوا أيها الذين آمنوا بعقود اللَّه التى عقدها عليكم فى كتابه لا- محلين الصيد، و أنتم حرم. و قال آخرون: معنى ذلك أحلت لكم بهيمة الانعام الوحشية من الظباء، و البقر و الحمر غير محلى الصيد غير مستحلين اصطيادهم، و أنتم حرم، و إلا- ما يتلى عليكم (فغير) على هذا منصوب على الحال من الكاف، و الميم اللين فى قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ» و التقدير أحلت لكم يا أيها الذين آمنوا بهيمة الانعام، لا مستحلى اصطيادها فى حال إحرامكم و قال آخرون: معناه أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما يتلى عليكم. بمعنى إلا التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۱۷

ما كان منها وحشياً، فانه صيد، و لا يحل لكم و أنتم حرم. و التقدير على هذا أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما بين لكم من وحشها غير مستحلى اصطيادها فى حال إحرامكم، فتكون (غير) منصوبة على الحال فى الكاف و الميم فى قوله: إلا ما يتلى عليكم. ذهب إلى ذلك الربيع، و الحرم جمع حرام. و هو المحرم قال الشاعر:

فقلت لها حثى اليك فاننى حرام و إنى بعد ذاك لبيب

أى و انى ملب.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ» معناه إن اللّه يقضـى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله، و تحريم ما يريد تحريمه، و إيجاب ما يريد إيجابه. و غير ذلک من أحكامه و قضاياه، فافعلوا ما أمركم به، و انتهوا عما نهاكم عنه.

الاعراب:..... ص: ۴۱۷

(و ما) فى قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فى موضع نصب بالاستثناء. و قال الفراء يجوز أن يكون موضعها الرفع. كما تقول جاءنى القوم، إلا زيداً و إلا زيد قال الزجاج: و هذا لا يجوز إلا أن تكون إلا بمعنى غير، فتكون صفة. فاما بمعنى الاستثناء، فلا يجوز.

و قوله عليه السلام: (ذكاة الجنين ذكاة امه عندنا)

معناه انه إذا ذكيت الام و خرج الولد ميتاً، قد اشعرا و أوبر، جاز أكله. و به قال الشافعى و أهل المدينة و قال ابو حنيفة: معناه انه يذكى كما تذكى امه و هو اختيار البلخى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۲]..... ص: ۴۱۷

اشارة

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تُحِلُّوا شَـعائِرَ اللَّهِ وَ لاـ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ لاـ الْهَـدْيَ وَ لا الْقَلائِـدَ وَ لا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْـلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوانـاً وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْـطادُوا وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَـدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْـجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَـدُوا وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۲)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۴۱۸

آية.

القراءة:..... ص: ۴۱۸

قرأ أبو بكر عن عاصم، و ابو جعفر و إسـماعيل المسـيبى (شـنآن) بسـكون النون الاولى فى الموضعين. الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمر (و ان صدوكم) بكسر الهمزة الباقون بفتحها.

المعنى:..... ص: ۴۱۸

هذا خطاب من اللّه (تعالى) للمؤمنين ينهاهم ان يحلوا شعائر اللّه. و اختلفوا فى معنى شعائر اللّه على سبعة اقوال:

فقال بعضـهم: معناه لا تحلوا حرمات اللّه، و لا تعـدوا حدوده، و حملوا الشـعائر على المعالم. و أرادوا بذلک معالم حدود اللّه و أمره و نهيه، و فرائضه ذهب اليه عطا و غيره.

و قال قوم: معناه لا تحلوا حرم اللّه و حملوا شعائر اللّه على معالم حرم اللّه من البلاد. ذهب اليه السدى.

و قال آخرون: معنى شعائر اللّه مناسک الحج. و المعنى لا تحلوا مناسک الحج، فتضيعوها. ذهب اليه ابن جريج، و رواه عن ابن عباس.

و قال ابن عباس: كان المشـركون يحجون البيت، و يهدون الهدايا، و يعظمون حرمة المشاعر، و يتجرون فى حججهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنهاهم اللّه عن ذلک.

و قال مجاهد: شعائر اللّه الصفا و المروة و الهدى من البدن، و غيرها. كل هذا من شعائر اللّه. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۳، ص: ۴۱۹

و قال الفراء

كانت عامة العرب لا ترى الصفا و المروة من الشعائر، و لا يطوفون بهما، فنهاهم اللَّه عن ذلك و هو قول أبى جعفر (عليه السلام).

و قال قوم: معناه لا تحلوا ما حرم اللَّه عليكم فى إحرامكم. روى ذلك عن ابن عباس فى رواية اخرى.

و قال الجبائى الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، و الحرم نهاهم اللَّه أن يتجاوزها إلى مكة بغير إحرام. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى لا- تحلوا الهدايا المشعرة. و هو قول الزجاج و اختاره البلخى. و أقوى الأقوال قول عطا من أن معناه، لا تحلوا حرمات اللَّه، و لا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة و هى. على وزن فعلية، و اشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، و إذا كان كذلك، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسك الحج، و تحريم ما حرم فى الإحرام، و تضييع ما نهى عن تضييعه و استحلال حرمات اللَّه، و غير ذلك من حدوده و فرائضه و حلاله و حرامه، لان كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم اولى.

و قوله: «وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ» معناه و لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، كما قال: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و هو قول ابن عباس و قتادة. و الشهر الحرام الذى عناه اللَّه ها هنا قال قوم:

هو رجب، و هو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال. و قال قوم: هو ذو العقدة. ذكره عكرمة. و قال ابو على الجبائى: هو أشهر الحرام كلها، نهاهم اللَّه عن القتال فيها.

و هو أليق بالعموم. و به قال البلخى.

و قوله: «وَ لَا الْهَدْيَ وَ لَا الْقَلائِدَ» فالهدى جمع واحدة هدية و أصله هدية و هو ما هداه الإنسان من بعير او بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت اللَّه تقربا به إلى اللَّه (تعالى) و طلباً لثوابه بقول اللَّه: لا تستحلوا ذلك فتغصبوه أهله عليه، و لا تحولوا بينهم و بين ما اهدوا من ذلك إلى بيت اللَّه ان يبلغوه محله من الحرم، و لكن التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٠

خلوهم حتى يبغوا به المحل الذى جعله عز و جعل له. و هو كعبته. قال ابن عباس:

و الهدى يكون هدياً قبل ان يقلد ما جعله على نفسه أن يهديه و يقلده. و قوله: «وَ لَا الْقَلائِدَ» معناه و لا تحلوا القلائد. و اختلفوا فى معناه فقال بعضهم: عنى بالقلائد الهدى. و انما كرر، لأنه أراد المنع من حل الهدى الذى لم يقلد، و الهدى الذى قلد. و هو قول ابن عباس. و قال آخرون: يعنى بذلك القلائد التى كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة من لحاء السمر، و إذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها الى المشعر. ذهب اليه قتادة و قال كان فى الجاهلية إذا خرج الرجل من أهله يريد الحج تقلد من السمر، فلا يعرض له أحد و إذا رجع تقلد قلادة شعر، فلا يعرض له احد. و قال عطا: كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به إذا خرجوا من الحرم. و قال الفراء: كان اهل الحرم يتقلدون بلحاء الشجر، و اهل غير الحرم يتقلدون بالصوف و الشعر و غيرهما، فنزلت «لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ...»

و قال مجاهد: و هو اللحا فى رقاب الناس. و البهائم أمن لهم. و هو قول السدى.

و قال ابن زيد: إنما عنى بالمؤمنين نهاهم أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم يتقلدون به، كم كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم. ذهب اليه عطا فى رواية و الربيع بن أنس. و قال ابو على الجبائى: القلائد هو ما قلده الهدى، نهاهم عن حلها، لأنه كان يحب أن يتصدق بها. قال: و يحتمل أن تكون عبارة عن الهدى المقلد. و الأقوى أن يكون المراد بذلك النهى عن حل القلائد، فيدخل فيه الإنسان و البهيمة إذ هو نهى عن استحلال حرمة المقلد، و هو هدياً كان ذلك أو إنساناً.

قوله: «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ» معناه، و لا تحلوا قاصدين البيت الحرام.

يقال: أممت كذا: إذا قصدته و عمدته. و بعضهم يقول يممته قال الشاعر:

إنى كذلك إذا ما ساءنى بلدٌ يممت صدر بعيرى غيره بلدا «١»

و البيت الحرام بيت اللَّه بمكة. و هو الكعبة.

---

(١) مجاز القرآن لابى عبيدة ا: ١۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٢١

و قوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً» معناه يلتمسون أرباحاً فى تجارتهم من اللَّه «وَ رِضْواناً» يعنى و ان ترضى عنهم منسكهم. نهى اللَّه تعالى ان يحلّ و يمنع من هذه صورته. فاما من قصد البيت ظلماً لأهله، وجب منعه و دفعه عنهم.

النزول:..... ص: ۴٢١

و قال ابو جعفر (عليه السلام): نزلت هذه الآية فى رجل من بنى ربيعة يقال له: الحطم. قال السدى: أقبل الحطم بن هند البكرى حتى أتى النبى (صلى اللَّه عليه و آله) وحده، و خلف خيله خارجة من المدينة، فدعاه فقال: الام تدعو فأخبره و قد كان النبى (ص) قال: لأصحابه: يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما أخبره النبى (صلى اللَّه عليه و آله) قال: انظروا لعلى اسلم ولى من أشاوره، فخرج من عنده فقال رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) لقد دخل بوجه كافر

، و خرج بعقب غادر، فمر بسرج من سرج المدينة فساده و انطلق به، و هو يرتجز و يقول:

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل و لا غنم

و لا بجزار على ظهر و ضم باتوا نياماً و ابن هند لم يتم

بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم «١»

ثم اقبل من عام قبل حاجا قد قلد هدياً، فأراد رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) أن يبعث اليه، فنزلت هذه الآية «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ» هذا قول ابن جريج، و عكرمة و السدى و قال ابن زيد: نزلت يوم الفتح فى ناس يأمون البيت من

---

(١) البيان و التبيين ٢: ٣٠٨ الاغانى ١۴: ۴۴ اللسان (حطم) و قبل هذا الرجز قوله هذا أوان الشد فأشتدى زيم. حطم السائق الذى يسير بأقصى سرعة: الوضم: خشبة القصاب التى يقطع عليك اللحم الزلم: قدح الميسر، خدلج الساقين: ممتلئ الساقين. ممسوح القدم: قدمه مستو. و قد جاء فى صفة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم مسيح القدمين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٢٢

المشركين يهلون بعمرة. فقال المسلمون: يا رسول اللَّه (ص) إنما هؤلاء مشركون، مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم، فانزل اللَّه تعالى الآية قال ابن عباس: ذلك فى كل من توجه حاجا. و به قال الضحاك و الربيع بن انس.

النسخ:..... ص: ۴٢٢

و اجمعوا على انه نسخ من حكم هذه الآية شيء إلا ابن جريج فانه قال:

لم ينسخ منها شيء، لأنه لا يجوز أن يبتدأ المشركون فى أشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا. و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

و قال الشعبى: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية و قال أبو ميسرة: فى المائدة ثمانية عشر فريضة ليس منها شيء منسوخ.

و اختلفوا فيما نسخ منه فقال بعضهم: نسخ جميعها ذهب إليه الشعبى و قال: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر اللَّه و لا الشهر الحرام، و لا الهدى، و لا القلائد. و به قال مجاهد: قال: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و به قال قتادة و

الضحاك و حبيب بن أبى ثابت و ابن زيد. و قال آخرون: نسخ منها قوله: «و لا الشهر الحرام، أمين البيت الحرام» ذكر ذلك عن ابن أبى عروبة عن قتادة و قال: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و قوله: «ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ» و قوله: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ الآية» فى السنة التى نادى على (عليه السلام) فيها بالأذان.

و به قال ابن عباس و قال قوم: لم ينسخ منه إلا القلائد. و روى ذلك عن ابن أبى بحيح عن مجاهد. و أقوى الأقوال قول من قال: نسخ منها «و لا الشهر الحرام و لا القلائد و لا أمين البيت الحرام» لإجماع الامة على أنه (تعالى) أحل قتال أهل الشرك فى أشهر الحرام و غيرها من شهور السنة. و اجمعوا أيضاً على أن مشركا لو قلد لحا جميع أشجار الحرم عنقه او ذراعه، لم يكن ذلك أماناً له من القتل إذا لم يتقدم له أمان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٣

المعنى:..... ص: ٤٢٣

و قوله: «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ» ظاهره يحتمل المسلم و المشرك لعموم اللفظ، لكن خصصنا المشركين بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ... الآية» و يحتمل أيضاً أن يكون مخصوصاً بأهل الشرك. و عليه اكثر المفسرين. فان كان مخصوصاً بهم، فلا شك أيضاً أنه. منسوخ بما قدمناه من الآية و الإجماع. و قوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً» معناه يلتمسون و يطلبون الزيادة، و الأرباح فى التجارة و رضوان اللَّه عنهم و ألا يحل بهم ما حل بغيرهم من الأمم بالعقوبة فى غالب دنياهم. و هو قول قتادة و قال: هى للمشركين يلتمسون فضل اللَّه، و رضوانه بما يصلح لهم دنياهم.

و به قال ابن عباس و الربيع بن انس و مجاهد و فى الآية دلالة على جواز حمل المتاع للتجارة فى الحج. و قوله: إذا حللتم، فاصطادوا فأهل الحجاز يقولون: حللت من الإحرام أحل، و الرجل حلال. و كذلك سعد بن بكر و كذا يقولون: حرم الرجل فهو حرام: إذا صار محرماً، و قوم حرمٌ و اسد و قيس و تميم يقولون: أحلّ من إحرامه، فهو مُحلّ و أحرم فهو محرمٌ. معناه إذا حللتم من إحرامكم، فاصطادوا الصيد الذى نهيتكم أن تحلوه، و أنتم حرم. و هو بصورة الامر. و معناه الاباحة.

و تقديره لا حرج عليكم فى اصطياده فاصطادوه ان شئتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال. و هو قول جميع المفسرين: مجاهد و عطاء، و ابن جريج و غيرهم.

و قوله: «وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ» قال ابن عباس: و لا يحملنكم شنآن قوم. و هو قول قتادة. و اختلف اهل اللغة فى تأويلها، فقال الأخفش، و جماعة من البصريين، لا يحقن لكم، مثل قوله: «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» و معناه حق ان لهم النار.

و قال الكسائى و الزجاج معناه: لا يحملنكم و قال بعض: الكوفيين معناه لا يحملنكم.

قال: يقال: جرمنى فلان على أن صنعت كذا أى حملنى عليه. و قال الفراء: معناه لا يكسبنكم شنآن قوم. و استشهد الجميع بقول الشاعر:

و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «١»

---

(١) قائله أبو أسماء بن الضريبة. مجاز القرآن لابى عبيدة ا: ١۴٧ اللسان: (جرم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٤

فمنهم من حمل قوله: جرمت على ان معناه حملت. و منهم من حمله على أن معناه أحقت الطعنة، لفزارة الغضب. و منهم من قال: معناه كسبت فزارة أن يغضبوا و قال المغربى: معناه قطعت فزارة و ليس من هذا فى شىء. و سمع الفراء من العرب من يقول: فلان جريمة أهله أى كاسبهم. و خرج يجرمهم أى يكسبهم.

و الأقاويل متقاربة المعانى. و قراءة القراءة المعروفين «لا يَجْرِمَنَّكُمْ» - بفتح الياء من جرمته. و قرأ يحيى بن وثاب، و الأعمش «يجرمنكم» بضم الياء من أجرمته فهو يجرمنى. و قيل: هما لغتان. و الاولى أفصح، و أعرف، و أجاز أبو على الفارسى معنى جرم كسب. قال: و هو فعل يتعدى الى مفعولين مثل كسب يدل على ذلك قول الشاعر فى صفة عقاب:

جريمة ناهض فى رأسه نيق يرى لعظام ما جمعت صليباً

معناه تكسب لفرخها. جريمة ناهض يحتمل تقريرين:

أحدهما- جريمه قوت ناهض اى كاسب قوته، كما قالوا ضارب قداح، و ضريب قداح و عريف و عارف.

و الآخر- أن تقدر حذف المضاف، و تضيف جريمة الى ناهض. و المعنى كاسب ناهض، فجرم يستعمل فى الكسب و ما يريد من سعى الإنسان عليه.

و أما جرم فمعناه اكتسب الإثم قال اللَّه تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ» و قال:

«فَعَلَيَّ إِجْرامِي» و معناه فعلى عقوبة إجرامى أو اثم أجرامى. و معنى «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ» لا تكتسبوا لبغض قوم عدواناً، و لا تفتنوه، فمن فتح أن أوقع النهى فى اللفظ على الشنآن. و المعنى بالنهى المخاطبون، كما قالوا: لا أريتك ها هنا و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون.

الاعراب:..... ص: ٤٢٤

و كذلك قوله: لا يجر منكم شقاقى ان يصيبكم المفعول الثانى و اسماء المخاطبين المفعول الاول، كما أن المفعول الاول فى الآية الأخرى المخاطبون. و الثانى قوله: «أنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٥

تَعْتَدُوا»

و لفظ النهى واقع على الشقاق. و المعنى بالنهى المخاطبون. قال الزجاج:

موضع (ان) الأولى نصب بانه مفعول له. و تقديره لا يحملنكم بغض قوم لان صدودكم عن المسجد يعنى النبى (ص) و أصحابه، لما صدوهم عن مكة. و موضع ان الثانية مفعول به و معناه لا يكسبنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً الاعتداء عليهم، لصدهم عن المسجد الحرام.

و قوله: «شَنَآنُ قَوْمٍ» معناه بغض قوم فى قول ابن عباس، و قتادة و ابن زيد، و غيرهم يقول: شنئت الرجل اشناه شنئاً و شنآنا و شناً و منشأةً: إذا أبغضته و ذهب سيبويه الى أن ما كان من المصادر على فعلان لم يتعد فعله إلا أن يشدّ شيء نحو شنيته شنآنا و لا يجوز أن يكون شنيته يراد به حذف الجر، كقول سيبويه فى فرقته و حذرته أن أصله حذرت منه لان اسم الفاعل منه على فاعل، نحو شانى و «إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» و قال الشاعر:

بشانيك الضراعة و الكلول

قال ابو على: هذا يقوى أنه مثل علم يعلم، فهو عالم، و نحوه من المتعدى و أيضاً، فان شنيت فى المعنى بمنزلة أبغضت، فلما كان معناه عدى كما عدى أبغضت كما أن الرفث لما كان بمعنى الإفضاء عدى بالجار، كما عدى الإفضاء به. و قال سيبويه:

قالوا: لويته حقه ليانـاً على فعلان، فيجوز أن يكون شنان فيمن أسكن النون مصدراً كالليان فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم، لو فتح النون. قال ابو عبيدة: «شَنَآنُ قَوْمٍ» بغضاء و هى متحركة الحروف مصدر شنيت، و بعضهم يسكنون النون الاولى و انشد للاحوص:

و ما العيش الا ما تلذ و تشتهى و ان عاب فيه ذو الشنان و فندا

فحذف الهمزة قال أبو على: و يجوز أن يكون خففها. و قال أبو عبيدة:

و شنيت أيضاً بمعنى أقررت به، و بؤت به و انشد للعجاج.

زلّ بنو العوام عن آل الحكم و شنئوا الملك لملك ذو قدم

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۲۶

و قال الفرزدق:

و لو كان هذا الامر فى جاهلية شنئت به أو غصّ بالماء شاربه

قال ابو على: و قد جاء فعلان مصدراً و وصفاً و هما جميعاً قليلا. فمما حل مصدراً ما حكاه سيبويه من قولهم: خمصان و ندمان. و انشد ابو زيد ما ظاهره أن يكون فعلان منه صفة و هو:

لما استمر بها شيحان منبجح بالبين عنك بها مولاك شنآنا

اللغة:..... ص: ۴۲۶

حكى أبو زيد فى مؤنث شنآن شنآنى، و يقرب أن يكون شيحان فعلان.

و فى الحديث (ثم اعرض و أشاح) قال ابو على: و ترك صرف شيحان فى البيت مع أنه لا فعلى له. و يجوز أن يكون، لأنه اسم علم. و يجوز أن يكون على قول من يجوز ترك صرف ما يتصرف فى الشعر. فاما الشنان قال ابو على: فعلان يجىء على ضربين:

أحدهما- اسم، و الاخر- صفة فالاسم على ضربين:

أحدهما ان يكون مصدراً، كالنقران و الغليان، و الطوفان و الغثيان. و عامة ذلك يكون معناه التحرك و التقلب. و الاسم الذى ليس بمصدر نحو الورشان و العلجان. و أما مجيئه فنحو الزفيان و القطوان و الصميان، و كبش اليان و نعجة اليانة، و كباش إلى، و مثله حمار قطوان و اتان قطوانة من قطا يقطو قطواً و قطواً:

إذا قارب بين خطوه. و من خفف النون ذهب الى انه مصدر، مثل ليان. و معنى الاية لا يحملنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً لصدهم إياكم و من اجل صدهم إياكم ان تعتدوا فأضيف المصدر الى المفعول و حذف الفاعل كقوله: من دعاء الخير و سؤال نعجتك و قوله: ان صدوكم من كسر الهمزة ذهب إلى أن (إن) للجزاء يقوى ذلك ان فى قراءة ابن مسعود ان يصدوكم فمتى؟ قيل كيف تكون للجزاء و الصد ماض، لأنه كان سنة الحديبية من المشركين للمسلمين، و ما يكون ماضياً لا يكون شرطاً؟ قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۲۷

ذكر ابو على ان الماضى قد يقع فى الجزاء لا ان المراد بالماضى الجزاء، لكن على انه إن كان مثل هذا الفعل، فيكون اللفظ على ما مضى و المعنى على مثله، كأنه يقول: إن وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا. و على ذلك حمل قول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة و لم تجدى من أن تقوى به بداً «۱»

إن قد أغنى عنه ما تقدم من قوله: «لا يَجْرِمَنَّكُمْ» و المعنى إن صدوكم قوم عن المسجد الحرام، فلا تكسبوا عدواناً. و من فتح الهمزة، فلانه مفعول له و التقدير لا يجرمنكم شنآن قوم، لان صدوركم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، فان الثانية فى موضع نصب بانه المفعول الثانى، و الأولى منصوبة، لأنه مفعول له و قوله:

«أَنْ تَعْتَدُوا» معناه إن تجاوزوا حكم اللَّه فيهم إلى ما نهاكم عنه. و ذكر انها نزلت فى النهى عن الطلب بدخول الجاهلية. ذهب اليه مجاهد و قال: هذا غير منسوخ. و هو الاولى. و قال غيره هو منسوخ ذهب اليه ابن زيد. و إنما قلنا: إنه غير منسوخ، لان معناه لا تتعدوا الحق فيما أمرتكم به. و إذا احتمل ذلك، لم يخبر أن يقال هو منسوخ إلا بحجة.

و قوله: و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان ليس بعطف على أن تعتدوا، فيكون فى موضع نصب، بل هو استئناف كلام أمر اللَّه تعالى الخلق بان يعين بعضهم بعضاً على البر و هو العمل بما أمرهم اللَّه به، و اتقاء ما نهاهم عنه، و نهاهم ان يعين بعضهم بعضاً على الإثم. و هو ترك ما أمرهم به، و ارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان، و نهاهم ان يجاوزوا ما حد اللَّه لهم فى دينهم، و فرض لهم فى أنفسهم و به قال ابن عباس و ابو العالية و غيرهما من المفسرين.

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» أمر من اللَّه، و وعيد و تهديد لمن اعتدى حدوده، و تجاوز أمره بقول اللَّه: اتقوا اللَّه. و معناه احذروا معاصيه و تعدى حدوده فيما أمركم به و نهاكم عنه، فتستوجبوا عقابه متى خالفتم و تستحقوا

---

(١) انظر ا: ٢٨٩- ٣٥٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٨

اليم عقابه، ثم وصف عقابه بالشدة فقال: إن اللَّه شديد العقاب لمن يعاقبه من خلقه، لأنه نار لا يطفى حرها، و لا يخمد جمرها، و لا يسكن لهيبها (نعوذ باللَّه منها).

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٣]..... ص: ٤٢٨

اشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

آية بلا خلاف.

اللغة:..... ص: ٤٢٨

بين اللَّه (تعالى) فى هذه الآية ما استثناه فى قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فهذا مما تلاه علينا فقال مخاطباً للمكلفين: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و أصله الميتة مشدد غير انه خفف، و لو قرئ على الأصل كان جائزاً إلا انه لم يقرأ به احد ها هنا إلا أبا جعفر المدنى يقال: ميت بمعنى واحد. و قال بعضهم الميت لما لم يمت و الميت لما قد مات و هذا ليس بشىء لان ميت يصلح لما قد مات، و لما سيموت. قال اللَّه (تعالى): «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و قال الشاعر فى الجمع بين اللغتين:

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

فجعل الميت مخففاً من الميت و قال بعضهم: الميتة كلما له نفسٌ سائلة من دواب التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٢٩

البر، و طيره مما أباح اللَّه أكلها أهليها و وحشيها فارقتها روحها بغير تذكية.

و قد روى عن النبى (صلى اللَّه عليه و آله) انه سمى الجراد و السمك ميتاً فقال: ميتتان مباحان: الجراد، و السمك.

و قوله: «و الدم» تقديره، و حرم عليكم الدم. و قيل: إنهم كانوا يجعلون فى المباعر يشوونها و يأكلونها، فاعلم اللَّه تعالى ان الدم المسفوح أى المصوب حرام، فاما المتلطخ، باللحم، فهو كاللحم، و ما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح.

و أما الطحال، فهو محرم عندنا. و قد روى كراهته عن «على عليه السلام

، و ابن مسعود و أصحابهما» و عند جميع الفقهاء أنه مباح. و انما شرطنا فى الدم المحرم ما كان مسفوحا، لأنه (تعالى) بين ذلك فى آية اخرى فقال: «أَوْ دَماً مَسْفُوحاً» .

و قوله: «وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ» معناه و حرم عليكم لحم الخنزير أهليه و بريه، فالميتة و لآدم مخرجهما فى الظاهر مخرج العموم. و المراد بهما الخصوص. و لحم الخنزير على ظاهره فى العموم. و كذلك كل ما كان من الخنزير حرام كلحمه من الشحم و الجلد، و غيره ذلك و

قوله: «وَ ما أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» موضع ما رفع و تقديره و حرم عليكم ما اهلّ لغير اللَّه به. و معنى اهل لغير اللَّه به ما ذبح للأصنام و الأوثان أى ذكر اسم غير اللَّه عليه، لان الإهلال رفع الصوت بالشيء. و منه استهلال الصبى و هو صياحه إذا سقط من بطن امه. و منه إهلال المحرم بالحج أو العمرة: إذا لبى به. قال ابن احمر:

يهل بالفر قد ركباننا كما يهل الراكب المعتمر

فما تقرب به من الذبح لغير اللَّه او ذكر عليه غير اسمه حرام، و كل ما حرم اكله مما عددناه يحرم بيعه و ملكه، و التصرف فيه.

و الخنزير يقع على الذكر و الأنثى. و فى الاية دلالة على ان ذبائح من خالف الإسلام، لا يجوز اكله، لأنهم يذكرون عليه اسم غير اللَّه لأنهم يعنون بذلك من ابد شرع موسى، أو اتخذ عيسى ابناً، و كذب محمد بن عبد اللَّه (ص) و ذلك غير اللَّه، فيجب أن لا يجوز أكل ذبيحته. فاما من اظهر الإسلام، و دان بالتجسيم، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۰

و الصورة و قال بالجبر و التشبيه أو خالف الحق، فعندنا لا يجوز أكل ذبيحته. فاما الصلاة عليه و دفنه فى مقابر المسلمين و موارثته، فانه يجرى عليه، لان هذه الأحكام تابعة فى الشرع لإظهار الشهادتين. و اما مناكحته فلا تجوز عندنا. و قال البلخى حاكياً عن قوم: إنه لا يجوز أجراء شيء من ذلك عليهم. و حكى عن آخرين أنه يجرى جميع ذلك عليهم، لأنها تجرى على من اظهر الشهادتين دون المؤمنين على الحقيقة، و كذلك أجريت على المجانين، و الأطفال. فاما التسمية على الذبيحة، فعندنا واجبة من تركها معتمداً، لا يجوز كل ذبيحته، و ان تركها ناسيا، لم يكن به بأس.

و كذلك إن ترك استقبال القبلة متعمداً لم يحل أكل ذبيحته، و ان تركه ناسياً، لم يحرم... و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و المنخنقة قال السدى: هى التى تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق و تموت. و قال الضحاك: هى التى تخنق و تموت. و قال قتادة: هى التى تموت فى خناقها. و قال ابن عباس: هى التى تختنق، فتموت. و حكى عن قتادة ان أهل الجاهلية كانوا يخنقونها، ثم يأكلونها. و الاولى حمل الآية على عمومها فى جميع ذلك و هى التى تختنق حتى تموت، سواء كان فى وثاقها أو بإدخال رأسها فى موضع لا تقدر على التخلص أو غير ذلك، لان اللَّه (تعالى) وصفها بأنها المنخنقة، و لو كان الامر على ما حكى عن قتادة، لقال: «و المخنوقة» .

و قوله: «وَ الْمَوْقُوذَةُ» يعنى التى تضرب حتى تموت: يقال: و قذتها أقذها وقذاً و أوقذها يوقذها إيقاذاً: إذا أثخنتها ضرباً. و قال الفرزدق.

شفارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبكار

و هو قول ابن عباس، و قتادة و الضحاك و السدى:

و قوله: «وَ الْمُتَرَدِّيَةُ» يعنى التى تقع من جبل، أو تقع فى بئر أو من مكان عالٍ، فتموت. و هو قول ابن عباس. و قتادة و السدى، و الضحاك، و متى وقع فى بئر و لا يقدر على موضع ذكاته، جاز أن يطعن و يضرب بالسكين فى غير المذبح حتى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۱

يبرد، ثم يؤكل. و قوله: «وَ النَّطِيحَةُ» يعنى التى تنطح أو تنطح، فتموت و النطيحة بمعنى المنطوحة، فنقل من مفعول الى فعيل، فان قيل: كيف تثبت فيها الهاء، و فعيل إذا كان بمعنى مفعول مثل لحية دهين، و عين كحيل و كف خضيب، بلا هاء التأنيث فى شيء من ذلك؟ قيل: اختلف فى ذلك فقال: بعض البصريين اثبت فيها الهاء أعنى فى النطيحة، لأنها جعلت كالاسم، مثل الطويلة و الظريفة فوجه. هذا تأويل النطيحة الى معنى الناطحة. و يكون المعنى حرمت عليكم الناطحة التى تموت من نطاحها. و قال بعض الكوفيين: إنما يحذف الهاء من فعلية بمعنى مفعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها، مثل كف خضيب، و عين كحيل، فاما إذا حذف الكف و العين و الاسم الذى يكون فقيل نعتاً له و اجتزوا بفعيل أثبتوا فيه هاء التأنيث، ليعلم بثبوتها فيه أنه صفة للمؤنث دون المذكر فيقول: رأينا

كحيلة و خضبية و اكيلة السبع، فلذلك دخلت الهاء فى النطيحة، لأنها صفة المؤنث. و القول بأن النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول اكثر المفسرين، ابن عباس، و ابن ميسرة و الضحاك، و السدى و قتادة، لأنهم اجمعوا على تحريم الناطحة و المنطوحة إذا ماتاً.

و قوله: «وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ» موضع (ما) رفع و تقديره و حرم عليكم ما أكل السبع بمعنى ما قتله السبع. و هو قول ابن عباس، و الضحاك و قتادة، و هو فريسة السبع.

و قوله: «إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ» معناه إلا ما أدركتم ذكاته، فذكيتموه من هذه الأشياء التى وصفها. و موضع (ما) نصب بالاستثناء. و اختلفوا فى الاستثناء إلى ما ذا يرجع فقال قوم: يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره من قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ» الا ما لا يقبل الذكاة من الخنزير و الدم. و هو الأقوى.

ذهب اليه على (عليه السلام) و ابن عباس قال: و هو أن تدركه تتحرك أذنه او ذنبه، أو تطرف عينه. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

و به قال الحسن و قتادة التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۲

و إبراهيم و طاوس، و عبيد بن عمير و الضحاك، و ابن زيد و قال آخرون: هو استثناء من التحريم، لا من المحرمات، لان الميتة لا ذكاة لها، و لا الخنزير قالوا: و المعنى حرمت عليكم الميتة و الدم و سائر ما ذكر إلا ما ذكيتم مما أحله اللَّه لكم بالتذكية، فانه حلال لكم. ذهب اليه مالك و جماعة من أهل المدينة، و الجبائى و سئل مالك من الشاة يخرق جوفها السبع حتى يخرج أمعاءها فقال لا أرى ان تذكى و لا يؤكل أى شىء يذكى منها. و قال كثير من الفقهاء إنه يراعى أن يلحق فيه حياة مستقرة، فيذكى و يجوز أن يؤكل و ما يعلم أنه لا حياة فيه مستقرة، فلا يجوز بحال. و اختار الطبرى الأقل. و قال: كل ما أدراك ذكاته مما ذكر من طير أو بهيمة قبل خروج نفسه و مفارقة روحه جسده، فحلال اكله إذا كان مما أحله اللَّه لعباده و اختار البلخى، و الجبائى الاول، فان قيل: فما وجه تكرير قول: «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ» و جميع ما عدد تحريمه فى هذه الآية و قد افتتح الآية بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و الميتة تعم جميع ذلك و ان اختلفت أسباب موته من خنق أو ترد أو نطح أو إهلال لغير اللَّه به أو أكيل سبع. و انما يكون لذلك معنى على قول من يقول: إنها، و ان كانت فيها حياة إذا كانت غير مستقرة، فلا يجوز أكلها. قيل:

الفائدة فى ذلك ان الذين خوطبوا بذلك لم يكونوا يعدون الميت إلا ما مات حتف انفه من دون شىء من هذه الأسباب، فأعلمهم اللَّه ان حكم الجميع واحد، و ان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة. و قال السدى إن ناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك، و لا يعدونه ميتاً. انما يعدون الميت الذى يموت من الوجع.

و التذكية: هو فرى الأوداج و الحلقوم إذا كانت فيه حياة، و لا يكون بحكم الميت. و اصل الذكاء فى اللغة تمام الشىء فمن ذلك الذكاء فى السن، و الفهم و هو تمام السن. قال الخليل: الذكاء أن تأتى فى السن على قروحه، و هو سن فى ذات الحافر، هى البزولة فى ذات الخف، و هى الصلوغه فى ذات الظلف. و ذلك تمام استكمال القوة. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۳

يفضله إذا اجتهدا عليها تمام السن منه و الذكاء

و قيل جرى المذكيات غلاب اى جرى المسار التى قد أسنت و معنى تمام السن النهاية فى الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد، فلا يقال له الذكاء. و الذكاء فى الفهم أن يكون فهما تاماً سريع القبول و ذكيت النار إنما هو من هذا تأويله أتممت اشعالها فالمعنى على هذا ما ذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام.

و قوله: «وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ» فالنصب: الحجارة التى كانوا يعبدونها و هى الأوثان. واحدها نصب، و يجوز أن يكون واحداً، و جمعه أنصاب. (و ما) موضعه رفع عطفاً على ما تقدم. و تقديره و حرم عليكم ما ذبح على النصب. و به قال مجاهد و ابن جريج، و قتادة. و قال ابن جريج: النصب ليست أصناما الصنم يصور و ينقش، و هذه حجارة تنصب ثلاثمائة و ستون حجراً. و منهم من يقول ثلاثمائة منها لخزاعة، فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من الميت، و شرحوا اللحم، و جعلوه على الحجارة. فقال المسلمون: كان أهل

الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه، فانزل اللَّه «لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها....

الاية» و قوله: «وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ» موضع (ان) رفع.

و تقديره، و حرم عليكم الاستقسام بالأزلام. و واحد الأزلام زلم و زلم قال الراجز:

بات يراعيها غلام كالزلم

و هى سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرنى ربى، و على بعضها نهانى ربى، فإذا أرادوا سفرا أو أمراً يهتم به. ضربوا تلك القداح فان خرج السهم الذى عليه أمرنى ربى، مضى لحاجته و إن خرج الذى عليه نهانى ربى، لم يمض، و إن خرج ما ليس عليه شيء أعادوها فبين اللَّه (تعالى) أن ذلك حرام العمل به.

و الاستقسام الاستفعال من قسمت أمرى أى قلبته و دبرته قال الراعى:

و تركت قومى يقسمون أمورهم اليك أم يتلبثون قليلا

و قيل: معناه طلب قسم الأرزاق بالقداح التى كانوا يتفاءلون بها فى أسفارهم و ابتداءات أمورهم قال الشاعر يفتخر بقوة عزيمته و انه لا يلتفت إلى ذلك.

أ و لم اقسم فترثبنى القسوم «١»

و به قال ابن عباس، و قتادة و سعيد بن جبير، و مجاهد و السدى قال مجاهد:

هى سهام العرب، و كعاب فارس و الروم كانوا يتقامرون بها.

و قوله: «ذلِكُمْ فِسْقٌ» معنى هذه الأشياء التى ذكرها فسق يعنى خروج من طاعة اللَّه الى معصيته و هو قول ابن عباس، و أصله من فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. قال الزجاج: و لو كان بعض هذه المرفوعات نصباً بتقدير و حرم اللَّه الدم و لحم الخنزير، لكان جائزا إلا انه لم يقرأ به احد و القراءة متبعة، لا يجوز خلاف ما قرئ به.

و قوله: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» نصب اليوم على الظرف.

و العامل فيه يئس ذو الفسق اليوم. و ليس يراد به يوماً. بعينه و معناه الآن يئس الذين كفروا من دينكم، كما يقول القائل: أنا اليوم قد كبرت، و هذا لا يصلح إلى اليوم يريد الآن.

و يئس على وزن فعل ييأس على وزن يفعل- بفتح العين، و روى بكسرها- و قيل: يئس على وزن لعب بكسر اللام، و العين- و ذكر يأيس.

و المعنى انا للَّه قد حول الخوف الذى كان يلحقكم منكم اليهم، و يئسوا من بطلان الإسلام، و جاءكم ما كنتم توعدون به من قوله، ليظهره على الدين كله.

و الدين اسم لجميع ما تعبد اللَّه به خلقه و أمرهم بالقيام به. و معنى يئس انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، و ترجعوا منه إلى الشرك. و به قال ابن عباس و السدى و عطا.

و قيل: إن اليوم الذى ذكر هو يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها فى الإسلام. ذهب اليه مجاهد، و ابن جريج و ابن زيد.

و قيل: يوم جمعة، لما نظر

---

(١) فى المطبوعة «فتوثبنى» بدل «فترثبنى» . الطبرى ٩- ٥١٠ مجاز القرآن لابى عبيدة ا: ١٥٢. قسوم جمع قسم: الحظ الربث حبسك الإنسان عن حاجته.

النبی (صلی اللَّه علیه و آله) فلم یر الا مسلماً موحداً، أو لم یر مشرکا.

و قوله: «فَلا تَخْشَوْهُمْ» هذا خطاب المؤمنین نهاهم اللَّه ان یخشوا و یخافوا من الکفار أن یظهروا علی دین الإسلام، و یقهروا المسلمین و یردوهم عن دینهم، و لکن اخشونی و خافونی إن خالفتم امری و ارتکبتم معصیتی ان أحل بکم عقابی و أنزل علیکم عذابی و هو قول ابن جریج، و غیره.

و قوله: «الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ» فی تأویله ثلاثهٔ اقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و السدی و اکثر المفسرین إن معناه أکملت لکم فرائضی و حدودی و أمری و نهی و حلالی و حرامی بتنزیلی ما أنزلت، و تبیانی ما بینت لکم، فلا زیادهٔ فی ذلک، و لا نقصان منه بالمسخ بعد هذا الیوم. و کان ذلک الیوم عام حجهٔ الوداع قالوا: و لم ینزل بعد هذا علی النبی (ص) شیء من الفرائض فی تحلیل شیء، و لا تحریمهٔ و أنه (علیه السلام) مضی بعد ذلک بإحدی و ثمانین لیلهٔ. و هو اختیار الجبائی و البلخی، فان قیل: أ کان دین اللَّه ناقصاً فی حال حتی أتمه ذلک الیوم؟ قیل: لم یکن دین اللَّه ناقصاً فی حال، و لا کان إلا کاملا، لکن لما کان معرضاً للنسخ، و الزیادهٔ فیه. و نزول الوحی لم یمتنع أن یوصف غیره بانه أکمل منه، حین أمن جمیع ذلک فیه. و ذلک یجری مجری وصف العشرهٔ بأنها کاملهٔ العدد، و لا یلزم أن توصف بأنها ناقصهٔ، لما کان عدد المائهٔ اکثر منها، و أکمل.

فکذلک ما قلناه. و قال الحکم و سعید بن جبیر و قتادهٔ معناه أکملت لکم حجکم و أفردتکم بالبلد الحرام تحجون دون المشرکین، و لا یخالطکم مشرک و هو الذی اختاره الطبری قال لان اللَّه قد انزل بعد ذلک قوله: «یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَهِٔ» و قال الفراء هی آخر آیهٔ نزلت. و هذا الذی ذکره لو صح لکان ترجیحاً لکن فیه خلاف. و قال الزجاج: معنی أکملت لکم الدین کفیتکم خوف عدوکم و أظهرتکم علیهم، کما تقول: الآن کمل لنا الملک. و کمل لنا ما نرید أی کفینا ما کنا نخافه. و

روی عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه (ع) أن الآیهٔ نزلت بعد أن نصب النبی (ص) علیاً علماً للامهٔ یوم غدیر خم منصرفهٔ عن حجهٔ الوداع، فانزل التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۳۶

اللَّه یومئذ «الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ» .

و قوله: «وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی» خاطب اللَّه (تعالی) جمیع المؤمنین بأنه أتم نعمته علیهم باظهارهم علی عدوهم المشرکین، و نفیهم إیاهم عن بلادهم، و قطعهٔ طمعهم من رجوع المؤمنین، و عودهم إلی ملهٔ الکفر، و انفراد المؤمنین بالحج و البلد الحرام.

و: قال ابن عباس و قتادهٔ و الشعبی.

و قوله: «وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً» معناه رضیت لکم الاستسلام لأمری و الانقیاد لطاعتی علی ما شرعت لکم من حدوده، و فرائضه و معالمه دیناً یعنی بذلک طاعهٔ منکم لی. فان قیل: أو ما کان اللَّه راضیاً الإسلام دیناً لعباده الا یوم أنزلت هذه الایهٔ. قیل: لم یزل اللَّه راضیاً لخلقه الإسلام دیناً، لکنه لم یزل یصف نبیه محمد (صلی اللَّه علیه و آله) و أصحابه فی درجات الإسلام، و مراتبه درجهٔ بعد درجهٔ، و مرتبهٔ بعد مرتبهٔ، و حالا بعد حال حتی أکمل لهم شرائعه و بلغ بهم أقصی درجاته، و مراتبه، ثم قال: حین أنزلت هذه الآیهٔ «وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً» فالصفهٔ التی لها الیوم و الحال التی أنتم علیها، فالزموه، و لا تفارقوه. قال ابن عباس و عمر و عامر الشعبی و قتادهٔ، کان ذلک یوم الجمعهٔ. و قال الطاووس بن شهاب، و شهر ابن خوشب، و اکثر المفسرین نزلت هذه الآیهٔ یوم عرفهٔ حجهٔ الوداع. و روی حنش عن ابن عباس، قال: ولد النبی (ص) یوم الاثنین، و خرج من مکهٔ یوم الاثنین، و دخل المدینهٔ یوم الاثنین، و أنزلت المائدهٔ یوم الاثنین، و أنزلت «الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ یوم الاثنین» و رفع الذکر یوم الاثنین. و قال الربیع بن أنس: نزلت فی المسیر من حجهٔ الوداع. و قوله: «فَمَنِ اضْطُرَّ فِی مَخْمَصَهٍٔ غَیْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» معناه من دعته الضرورهٔ فی مجاعهٔ لان المخمصهٔ شدهٔ ضمور البطن.

لا ثم أی غیر مائل إلی إثم.

و المخمصـة مفعلـة، مثل المجنبـة و المنجلـة من خمص البطن و هو طيه، و اضـطماره من الجوع، و شدة السـغب ها هنا دون أن يكون مخلوقا كذلك. قال النابغة الدنبانى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۷

فى صفة امرأة بخمص البطن:

و البطن ذو عكن خميصٌ لين و النحر ينفجه بثدى مقعد «۱»

و لم يرد بـذلك وصـفها بالجوع، لكن أراد وصـفها بلطافة طىّ ما علا الا وراك و الأفخاذ من جسدها، لان ذلك المحمود من النساء. فاما الاضطمار من الضر فكقول أعشى ثعلبة.

تبيتون فى المشى ملاءً بطونكم و جاراتكم غبرٌ تبثنَ خماصاً «۲»

يعنى يبتن مضطمرات البطن من الجوع. و قال بعض نحوى البصريين:

المخمصـة المصـدر من خمصه الجوع. و غيره يقول: هو اسم للمصـدر، و كذلك تقع المفعلة اسـماً فى المصادر للتأنيث، و التذكير: و الذى قلناه هو قول ابن عباس و قتادة و السدى و ابن زيد.

و قوله: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» نصب على الحال. و المتجانف المتمايل للاثم المنحرف اليه. و معناه فى هـذا الموضع المعتمـد له القاصـد اليه من جنف القوم: إذا مالوا. و كل اعوج، فهو اجنف.

و المعنى فمن اضـطر الى أكل الميتة، و ما عددّ اللَّه تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد الى ذلك، و لا مختار له، و لا مستحل له على كـل حال، فان اللَّه أباحه له. تناول ذلك مقـدار ما يمسك رمقه، لا زيادة عليه. و هو قول أهل العراق. و قال أهل المدينـة: يجوز أن يشـبع منه عند الضـرورة. و ما قلناه قول ابن عباس، و مجاهد و قتادة. قال قتادة: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» أى غير عاص بان يكون باغياً أو محاربا أو خارجا فى معصية. و قال ابن زيد: لا تأكل ذلك ابتغاء الإثم و لا جرأة عليه.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فى الكلام متروك دلّ ما ذكر عليه، لان المعنى فى اضـطر فى مخمصـة الى ما حرمت عليه مما ذكرت فى هذه الآية غير متجانف لإثم، فأكله لدلالة الكلام عليه.

و معنى «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ان اللَّه لمن أكل ما حرمت عليهم بهذه الآية

---

(۱)- ديوانه: ۶۶ و اللسان: (قعد). العكن: اطواء البطن. تنفجه: ترفعه. [.....]

(۲) ديوانه: ۱۰۹. و مجاز القرآن ا: ۱۵۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۸

أكله فى مخمصـة متجانف، لإثم غفور لـذنوبه أى ساتر عليه أكله، و يعفو عن مؤاخـذته به، و ليس يريـد أن يغفر له عقاب ذلك، لأنه اباحه له، فلا يستحق عليه العقاب و هو رحيم أى رفيق بعباده. لان رحمته و رفقه أنه أباح لهم أكل ما حرم عليهم فى حال الخوف على النفس و

روى المثنى قال: قلنا يا رسول اللَّه (ص) إنا بأرض يصـيبنا فيها مخمصـة، فما يصـلح لنا من الميتـة؟ قال: إذا لم تصـطبحوا أو تعتبقوا أو تختفؤا بها بقلا، فشأنكم بها.

و قال الحسن: يأكل منها مسكته.

و ذكر فى تختفئوا خمس لغـات: تختفئوا بـالهمزة و تختفوا- بحـذفها- و تختفيوا- بقلبهـا يـاء- و تختفوا و تخفوا- بالتخفيف- و الخفا أصل البردى كانوا يقشرونه و يأكلونه فى المجاعة، فمع وجود ذلك لا يجوز أكل الميتة.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» عقيب قوله: «فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» لا يـدل على ان له أن يعاقبهم على فعل المباح، لاـن الوجه فى ذلـك أنه أراد أن يصف نفسه بمغفرة الـذنوب و سترهـا، و الصـفح عنها ليـدل بـذلك على أنه أحرى ألا يؤخـذ بفعل

المباحات التی ليست بـذنوب، كما قال: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فدل على أن ما يفعله من المغفرة أو العقوبة صواب و حكمة، ليكون أعم فی الدلالة على استحقاقه الأوصاف المحمودة.

و أجاز بعضهم أن يكون ذلك ثواباً لبعض المكلفين قدمه كما انه يجوز ان تكون الحدود عقاباً لهم قدمه فلا شبهة فی ذلك.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴]..... ص: ۴۳۸

يَسْئَلُونَكَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۴)

- آية بلا خلاف-. التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۳۹

موضع (ما) رفع و يحتمل أن يكون وحدها اسـما و خبرها قوله: (ذا) و أحل من صـلة ذا. و تقديره أی شیء الذی أحل لهم؟ و يحتمل أن يكون ما و ذا اسما واحداً، و رفع بالابتداء و تقديره أی شیء أحل لهم؟ و أحل لهم خبر الابتداء.

فمعنى الآية يسألك يا محمد أصحابك ما الذی أحل لهم اكله من المطاعم، فقل لهم:

أحـل لكم الطيبات منها و هی الحلال الـذی أذن لكم ربكم فی أكله من الذبائـح على قول الطبری و الجبائی، و غيرهما و قال البلخی: الطيبات هو ما يستلذ به. قال قوم:

و أحـل لكم ايضـاً مع ذلك صـيد ما علمتم من الجوارح و هی الكواسب من سـباع الطير، و البهائم. و لا يجوز أن يسـتباح عنـدنا أكل شیء ممـا اصـطاده الجوارح من السـباع سوى الكلب إلاـ مـا أدرك ذكـاته. و سـميت الطير جوارح، لجرحهـا أربابهـا و كسـبها إيـاهم أقواتهم من الصيد يقال منه: جرح فلان أهله خيراً إذا كسبهم خيراً.

و فلان جارحة أهله يعنی كاسبهم، و لا جارحة لفلانة أی لا كاسب لها قال اعشى بنی ثعلبة:

ذات خد منضج ميسمها تذكر الجارح ما كان اجترح

يعنی اكتسب. و قوله: «و ما علمتم» تقديره و صيد ما علمتم من الجوارح و حذف لدلالة الكلام عليه، لان القوم على ما

روی كانوا سألوا رسول اللَّه (ص) حين أمرهم بقتل الكلاب عما يحل لهم اتخاذه منها، و صيده، فأنزل اللَّه (تعالى) فيما سألوا عنه هذه الآية، فاسـتثنى (عليه السـلام) مما كان حرم اتخاذه منها، و أمر بقتله كلاب الصـيد، و كلاب الماشية، و كلاب الحرث و أذن فی اتخاذ ذلك

ذكرت ذلك سلمى ام رافع عن أبی رافع. قال جاء جبرائيل إلى النبی (ص) يستأذن عليه، فاذن له فقال: قد اذنا لك يا رسول اللَّه فقال: اجـل و لكنـا لاـ نـدخل بيتـاً فيه كلب. قال ابو رافع: فأمرنی رسول اللَّه (صـلى اللَّه عليه و آله) أن أقتل كل كلب بالمدينـة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عنـدها كلب ينبـح عليهـا، فتركته رحمـة لهـا. و جئت إلى رسول اللَّه (ص) فـأخبرته، فأمرنی فرجعت، و قتلت الكب، فجاءوا فقالوا:

يا رسول اللَّه ما يحل لنا من هذه الامة التی أمرت بقتلها، فسكت رسول اللَّه (ص) التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۴۰

فانزل اللَّه «يَسْئَلُونَكَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ»

و به قـال عكرمـة و محمـد بن كعب القرطی و اختلفوا فی الجوارح التی ذكر الی الايـة: بقوله: «وَ مـا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ» فقال قوم: هو كل ما علم فصيد فيتعلمه بهيمة كانت او طائراً. ذهب اليه الحسن، و مجاهد و خيثمة بن عبد الرحمن. و

رووه عن ابن عباس، و طاوس و علی بن الحسين و أبی جعفر (ع) و قالوا: الفهد و البازی من الجوارح. و قال قوم: عنی بذلك الكلاب خاصة دون غيرها من السباع. ذهب اليه الضحاك و السدی و ابن عمر و ابن جريج. و هو الذی رواه أصحابنا عن أبی عبد اللَّه (عليهما السلام)

فاما ما عـدا الكلاب، فما أدرك ذكاته، فهو مباح، و إلا فلا يحل أكله. و يقوى قولنا قوله تعالى: «مكلبين» و ذلك مشتق من الكلب و من صادر بالباز و الصقر لا يكون مكلباً.

و قوله: «مكلبين» نصب على الحال و تقديره و أحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح مكلبين أى فى هذه الحال. يقال: رجل مكلب و كلاب إذا كان صاحب صيد بالكلاب. و فى ذلك دليل على أن صيد الكلب الذى لم يعلم، حرام إذا [لم «١» تدرك ذكاته.

و قوله: «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ» معناه تؤدبون الجوارح، فتعلمونهن طلب الصيد لكم بما علمكم اللَّه من التأديب الذى أدبكم به. و قال بعضهم: معناه كما علمكم اللَّه. ذهب اليه السدى. و هذا ضعيف لأن من المعنى الكاف لا يعرب فى اللغة، و لا بينهما تقارب، لان الكاف للتشبيه و من للتبعيض و اختلفوا فى صفة التعليم للكلب فقال بعضهم: هو ان يستشلى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه، و يمسك عليه إذا أخذه، فلا يأكل منه و يستجيب له إذا دعاه. فإذا توالى منه ذلك كان معلما.

ذهب إليه ابن عباس و عطا و ابن عمر و الشعبى و طاوس و ابراهيم و السدى. قال عطا: إذا أكل منه فهو ميتة. و قال ابن عباس: إذا أكل الكلب من الصيد، فلا تأكل منه فإنما امسك على نفسه. و هو الذى دلت عليه أخبارنا. غير أنهم اعتبروا ان يكون

---

(١) (لم) ساقطة من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۱

أكل الكلب للصيد دائما. فاما إذا كان نادراً، فلا بأس بأكل ما أكل منه. و قال ابو يوسف، و محمد: حد التعليم أن يفعل ذلك ثلاث مرات. و قال قوم: لاحد لتعليم الكلاب، فإذا فعل ما قلناه، فهو معلم. و قد دل على ذلك رواية أصحابنا، لأنهم

رووا أنه إذا أخذ كلب مجوسى فعلمه فى الحال، فاصطاده به، جاز أكل ما يقتله.

و قد بينا أن صيد غير الكلب، لا يحل أكله الا ما أدرك ذكاته. فلا يحتاج أن تراعى كيف تعلمه، و لا اكله منه. و من أجاز ذلك أجاز أكل ما أكل منه البازى و الصقر. ذهب اليه عطا و ابن عباس و الشعبى و ابراهيم، و قالوا: تعلم البازى هو أن يرجع إلى صاحبه. و قال قوم:

جوارح الطير و السباع سواء فى ذلك ما أكل منه، و ما لا يؤكل. روى ذلك عن النبى (ص)

و الشعبى و عكرمة، و ابن جريج. و قال قوم: تعليم كل جارحة من البهائم و الطير واحد و هو أن يشلى على الصيد، فيستشلى، و يأخذ الصيد، و يدعوه صاحبه، فيجيب، فإذا كان كذلك كان معلما أكل منه أو لم يأكل. روى ذلك عن سلمان رواه قتادة عن سعيد بن المسيب، عن سلمان، قال: و ان أكل ثلثه فكل. و به قال سعد بن أبى وقاص. و قال لو لم يبق إلا جذية، جاز أكلها و به قال ابو هريرة، و ابن عمر. و قد بينا مذهبنا فى ذلك و هو الذى رواه عدى بن حاتم عن النبى (صلى اللَّه عليه و آله).

و قوله: «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» يقوى قول من قال: ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله، لأنه أمسك على نفسه. و من شرط استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه سمى عند إرساله، فان لم يسم لم يجز له اكله إلا إذا أدرك ذكاته وحده أن يجده يتحرك: عينه أو أذنه أو ذنبه، فيذكيه حينئذ بفرى الحلقوم و الأوداج، و اختلفوا فى (من) [من قوله: «مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» فقال قوم:

هى زائدة، لان جميع ما يمسكه، فهو مباح. و تقديره فكلوا ما أمسكن عليكم. و جرى ذلك مجرى قوله: «يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ» و قوله: «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» و تقديره و ينزل من السماء جبالا فيها برد. و قال بعضهم: و ينزل من التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۲

السماء من جبال فيها من برد أى من السماء من برد يجعل الجبال من برد فى السماء و يجعل الانزال منها و أنكر قوم ذلك و قالوا (من) للتبعيض و يقوى قولهم: قد كان من مطر و كان من حديث. يقول هل كان من مطر، و هل كان من حديث:

عندكم و نكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاؤه و يريده. و قوله: «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» يجيز حذف (من) برد و لا يجيز

حذفها من الجبال. و يقول:

المعنى و ينزل من السماء من أمثال جبال برداً، ثم أدخلت فى من البرد مفسر عنده عن أمثال الجبال. و قد أقيمت الجبال مقام الأمثال. و الجبال هى جبال فلا يجيز حذف (من) من الجبال، لأنها دالة على أن فى السماء الذى أنزل منه البرد أمثال جبال برد، لا جبال برد. و أجاز حذف (من) من برد، لان البرد مفسر من الأمثال، كما يقال: عندى رطلان زيتاً، و من زيت. و ليس عندك الرطلان و انما عندك المقدار، فمن تدخل فى المفسر و تخرج منه، و كذلك عند هذا القائل من السماء من أمثال جبال، و ليس بجبال. و قال: فان كان أنزل من جبال فى السماء من برد جبالًا، ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الأولى فى السماء جاز كما يقال: أكلت من الطعام يريد أكلت من الطعام طعاماً، ثم يحذف الطعام، و لا يحذف (من). و الأقوى أن تكون من فى الآية للتبعيض، لان ما يمسكه الكلب من الصيد، لا يجوز أكل جميعه لان فى جملته ما هو حرام من الدم، و الفرث و الغدد، و غير ذلك مما لا يجوز أكله، فإذا قال: فكلوا مما أمسكن عليكم، أفاد ذلك بعض ما أمسكن، و هو الذى أباح اللَّه أكله من اللحم، و غيره. و قوله: «نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» قد بينا الوجه فيه و سنبين الوجه فى قوله: «مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» إذا انتهينا اليه ان شاء اللَّه.

و قوله: «وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» صريح فى وجوب التسمية عند الإرسال.

و هو قول ابن عباس و السدى و غيرهما. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه و اجتنبوا ما نهاكم عنه، فلا تقربوه، و احذروا معاصيه فى ارتكاب ما نهاكم عنه فى أن تأكلوا من صيد الكلب غير المعلم، أو مما لم يمسكه عليكم، أو تأكلوا مما لم يسمّ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۳

اللَّه عليه من الصيد، و الذبائح مما صاده اهل الأوثان و الأصنام «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» معناه التخويف بأنه سريع حسابه لمن حاسبه على نعمه، لا يشغله حساب بعض عن بعض. و متى غاب الكلب و الصيد عن العين، ثم رآه ميتاً لا يجوز أن يأكله، لأنه يجوز أن يكون مات من غير قتل الصيد.

و فى الحديث: (كل ما أصميت و لا تأكل ما أنميت)

فمعنى أصميت أن تصطاد بكلب أو غيره، فمات و أنت تراه مات بصيدك. و اصل الصميان السرعة و الخفة: و معناه ها هنا ما أسرع فيه الموت و أنت تراه. و معنى ما أنميت ما غاب عنك فلا تدرى مات بصيدك أو بعارض آخر يقال نمت الرمية: إذا مضت و السهم فيها. و أنميت الرمية: إذا رميتها، فمضيت، و السهم فيها قال امرؤ القيس:

فهو لا تنمى رميته ماله لا عد من نفره

و قال الحارث بن و علة الشيبانى:

قالت سليمى فد غنيت فتىً فالآن لا تصمى و لا تنمى

أى عشت و متى أخذ الكلب الصيد و مات فى يده من غير أن يجرحه، لم يجز أكله. و أجاز قوم ذلك. و الاول أحوط. و كل من لا تؤكل ذبيحته من أجناس الكفار، لا يؤكل صيده أيضاً. فأما الاصطياد بكلابه المتعلمه فجائز إذا صاده المسلم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵]..... ص: ۴۴۳

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَ لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۴

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه أحلّ للمؤمنين الطيبات، و هى الحلال على ما بينا القول فيه فى الآية الاولى، دون ما حرم فى الآية المتقدمة. و قيل: معنى الطيبات ما يستلذ و يستطاب. و ظاهر الآية على هذا يقتضى تحليل كل مستطاب إلا ما قام دليل على تحريمه.

و قوله: «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ» رفع بالابتداء «و حل لكم» خبره و ذلك يختص عند اكثر أصحابنا بالحبوب، لأنها المباحة من أطعمة اهل الكتاب، فاما ذبائحهم و كل مائع يباشرونه بأيديهم فانه نجس و لا يحل استعماله و تذكيتهم لا تصح لان من شرط صحتها التسمية، لقوله: و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه و هؤلاء لا يذكرون اسم اللَّه. و إذا ذكروه قصدوا بذلك اسم من ابد شرع موسى أو عيسى أو اتخذ عيسى ابناً. و كذب محمداً (صلى اللَّه عليه و آله) و ذلك غير اللَّه. و قد حرم اللَّه ذلك بقوله: «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» على ما مضى القول فيه و اكثر المفسرين على أن قوله: «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» المراد به ذبائحهم و به قال قوم من أصحابنا: فمن ذهب اليه الطبرى و البلخى و الجبائى و اكثر الفقهاء، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: أراد بذلك ذباحة كل كتابى ممن أنزل عليه التوراة و الإنجيل، أو ممن دخل فى ملتهم و دان بدينهم، و حرم ما حرموا، و حل ما حللوا. ذهب اليه ابن عباس و الحسن و عكرمة و سعيد بن المسيب، و الشعبى و ابن جريج، و عطا و الحكم و قتادة. و أجازوا ذبائح نصارى بنى تغلب و قال آخرون:

إنما عنى به الذين أنزلت التوراة و الإنجيل عليهم، و من كان دخيلاـ فيهم من سائر الأمم، و دان بدينهم، فلا تحل ذبائحهم. حكى ذلك الربيع عن الشافعى من الفقهاء.

و

روى تحريم ذبائح نصارى تغلب عن على (عليه السلام)

و رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. و قال مجاهد، و ابراهيم و ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاك، و ابن زيد و ابو الدرداء و إن اطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم و غيرها من الاطعمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۵

و به قال الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم.

و قوله: «وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ» فيه بيان إن طعامنا ايضاً حل لهم، فان قيل فما معنى ذلك، و هم لا يستحلون طعامنا بتحليلنا لهم ذلك؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- ان اللَّه بين بذلك أنه حلال لهم ذلك سواء قبلوه، أو لم يقبلوه.

و الثانى- أن يكون حلال للمسلمين بذله لهم، و لو كان محرماً عليهم، لما جاز لمسلم بذله إياه.

و قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ» معناه و أحل لكم العقد على المحصنات يعنى العفائف من المؤمنات. و قيل هن الحرائر منهن، و لاـ يدل ذلك على تحريم من ليس بعفيفة، لان ذلك دليل خطاب يترك لدليل يقوم على خلافه، و لا خلاف أنه لو عقد على من ليس بعفيفة، و لا أمة كان عقده صحيحا غير مفسوخ، و ان كان الاولى تجنبه. و كذلك لو عقد على أمة بشرط جواز العقد على الامة على ما مضى القول فيه. و اختلف المفسرون فى المحصنات التى عناهن هاهنا فقال بعضهم عنى بذلك الحرائر خاصة: فاجرة كانت أو عفيفة و حرموا إماء اهل الكتاب بكل حال لقوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ» . ذهب اليه مجاهد و طارق بن شهاب، و عامر الشعبى و الحسن و قتادة. و قال اخرون: أراد بذلك العفائف من الفريقين: حرائر كن او إماء، و أجازوا العقد على الامة الكتابية. روى ذلك أيضاً عن مجاهد، و عامر الشعبى و سفين و ابراهيم و الحسن بن أبى الحسن و قتادة فى رواية، ثم اختلفوا فى المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فقال قوم: هو عام فى العفائف منهن: حرة كانت أو أمة، حربية كانت او ذمية. و هو قول من قال المراد بالمحصنات العفائف. و قال اخرون:

أراد الحرائر منهن: حربيات كن أو ذميات. و على قول الشافعى المراد بذلك من كان من نساء بنى إسرائيل دون من دخل فيهن من سائر الملل. و قال قوم. أراد بذلك الذميات منهن. ذهب اليه ابن عباس. و اختار الطبرى أن يكون المراد بذلك الحرائر التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۶

من المسلمات و الكتابيات. و عندنا لا يجوز العقد على الكتابية نكاح الدوام، لقوله تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ» و لقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ» فإذا ثبت ذلك، قلنا فى قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» تأويلان.

أحدهما- ان يكون المراد بذلك اللائى أسلمن منهن. و المراد بقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ» من كن فى الأصل مؤمنات. ولدن على الإسلام قيل: إن قوماً كانوا يتحرجون من العقد على الكافرة إذا أسلمت فبين اللَّه بذلك انه لا حرج فى ذلك، فلذلك أفردهن بالذكر حكى ذلك البلخى.

و الثانى- أن يخص ذلك بنكاح المتعة أو ملك اليمين، لأنه يجوز عندنا وطؤهن بعقد المتعة، و ملك اليمين على أنه

روى أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) أن ذلك منسوخ بقوله: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ»

روى عن أبى عبد اللَّه (ع) انه قال: هو منسوخ بقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ»

و قوله: «إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» يعنى مهورهن. و هو عوض الاستمتاع بهن. و هو قول ابن عباس، و جميع المفسرين.

و قوله: «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَ لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ» نصب على الحال و تقديره أحل لكم المحصنات من الفريقين، و أنتم محصنون غير مسافحين، و لا متخذى أخدان يعنى اعفاء غير مسافحين بكل فاجرة، و هو الزنا، و لا متخذى أخدان يعنى اعفاء غير مسافحين، و لا متخذى أخدان، و لا متفردين ببغية واحدة، خادنها و خادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها. و قد بينا معنى الإحصان و وجوهه، و معنى السفاح و الخدن فى سورة النساء، فلا وجه لإعادته و بذلك قال ابن عباس و قتادة و الحسن.

و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» يعنى من يجحد ما أمر اللَّه الإقرار به، و التصديق به من توحيد اللَّه، و نبوة نبيه، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۴۷

و الإقرار بما جاء به فقد حبط عمله يعنى الاعمال التى يعملها، و يعتقدها قربات الى اللَّه، فإنها تنحبط، و لا يستحق عليها ثواباً، بل يستحق عليها العقاب، «وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» يعنى الهالكين الذين غبنوا نفوسهم حظها من ثواب اللَّه بكفرهم، و استحقاقهم العقاب على جحدهم التوحيد، و الإسلام. و قال قوم: إن قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ» عنى به اهل الكتاب، لان قوماً تحرجوا من نكاح نساء أهل الكتاب، و أكل طعامهم و ما بين اللَّه فى هذه الآية. ذهب اليه قتادة و ابن جريج و مجاهد و ابن عباس. فان قيل ما معنى «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ» قيل:

الايمان هو الإقرار بتوحيد اللَّه، و صفاته، و عدله، و الإقرار بالنبى (صلى اللَّه عليه و اله) و ما جاء به من عند اللَّه. فمن جحد ذلك أو شيئاً منه كان كافراً بالايمان.

و قد حبط عمله الذى يرجو به الفوز و النجاة. و هو فى الاخرة من الخاسرين. و قال مجاهد: معناه من يكفر باللَّه. قال البلخى لا يعرف تأويل مجاهد فى اللغة.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶]..... ص: ۴۴۷

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۶)

- آية بلا خلاف-

القراءة:..... ص: ۴۴۷

قرأ نافع و ابن عامر و الكسائى و حفص و يعقوب، و الأعشى إلا النقار «و أرجلكم» - بالنصب- الباقون بالجر و قرأ لمستم بلا الف حمزة و الكسائى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٤٨

و خلف الباقون لامستم بالف ها هنا و فى النساء هذا خطاب للمؤمنين أمرهم اللَّه إذا أرادوا القيام إلى الصلاة، و هم على غير طهر، أن يغسلوا وجوههم، و يفعلوا ما أمرهم اللَّه به فيها. و حذف الارادة، لان فى الكلام دلالة عليه، و مثله «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و معناه و إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، و إذا قمت فيهم فأقمت لهم الصلاة و معناه فأردت أن تقيم لهم الصلاة. ثم اختلفوا اهل يجب ذلك كلما أراد القيام إلى الصلاة او بعضها او فى اى حال هى؟ فقال قوم: المراد به إذا أراد القيام اليها، و هو على غير طهر. و هو الذى اختاره الطبرى و البلخى و الجبائى و الزجاج و غيرهم. و هو المروى عن ابن عباس، و سعد بن أبى وقاص، و أبى موسى الاشعرى و أبى العالية، و سعيد بن المسيب و جابر بن عبد اللَّه، و ابراهيم و الحسن و الضحاك، و الأسود و السدى، و غيرهم. و قال آخرون: معناه إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة ذهب اليه زيد ابن اسلم و السدى و قال آخرون: المراد به كل حال قيام الإنسان إلى الصلاة، فعليه ان يجدد طهر الصلاة. ذهب اليه عكرمة. و قال: كان على يتوضأ عند كل صلاة، و يقرأ هذه الآية. و قال ابن سيرين إن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة. و الاول هو الصحيح عندنا. و ما روى

عن على (عليه السلام) فى تجديد الوضوء عند كل صلاة محمول على الندب.

و قال قوم: كان الفرض أن يتوضأ لكل صلاة، ثم نسخ ذلك بالتخفيف،

و هو المروى عن ابن عمر انه حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد اللَّه بن حنظلة بن أبى عامر الغسيل حدثها أن النبى صلى اللَّه عليه و آله أمر بالوضوء عند كل صلاة، فشق ذلك عليه فأمر بالسواك و رفع عنه الوضوء إلا من حدث

، فكان عبد اللَّه يرى أن فرضه عليه، فكان يتوضأ

و روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) يتوضأ لكل صلاة، فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد. فقال عمر:

يا رسول اللَّه صنعت شيئاً ما كنت تصنعه! قال: عمداً فعلته يا عمر.

و قال الحسين بن على المغربى: معنى إذا قمتم إذا عزمتم عليها و هممتم بها. قال الراجز للرشيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٤٩

ما قاسم دون الفتى ابن امه و قد رضيناه فقم فسمه

فقال: يا أعرابى، ما رضيت ان تدعونا إلى عقد الامر له قعوداً حتى أمرتنا بالقيام، فقال: قيام عزم لا قيام جسم. و قال حريم الهمدانى:

فحدثت نفسى أنها أو خيالها أتانا عشاء حين قمنا لنهجعاً

أي حين عزمنا للهجوع. و أقوى الأقوال ما حكيناه أولا من ان الفرض بالوضوء يتوجه إلى من أراد الصلاة و هو على غير طهر، فاما من كان متطهراً، فعليه ذلك استحباباً. و ما روى عن النبى (ص) و الصحابة فى تجديد الوضوء، فهو محمول على الاستحباب فى جميع الأحوال، لإجماع أهل العصر على أن الفرض فى الوضوء كان فى كل صلاة، ثم نسخ، فعلمنا بذلك أن ما روى من تجديد الوضوء كان على وجه الاستحباب. و قال قوم: إن اللَّه (تعالى) أنزل هذه الآية اعلاماً للنبى (صلى اللَّه عليه و آله) أنه لا وضوح عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الاعمال، لأنه كان إذا أحدث امتنع من الاعمال حتى يتوضأ فأباح اللَّه له بهذه الآية أن يفعل ما بدا له من الاعمال بعد الحدث إلى عمل الصلاة، توضأ أو لم يتوضأ. و أمره بالوضوء للصلاة.

روى ذلك عبد اللَّه بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن عبد اللَّه بن علقمة عن أبيه قال: كان رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) إذا بال لم يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة، ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية.

و قوله: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكَمْ» امر من اللّه بغسل الوجه و اختلفوا فى حد الوجه الذى يجب غسله، فحده عندنا من قصاص شعر الرأس إلى محاذى شعر الذقن طولا و ما دخل بين الوسطى و الإبهام عرضاً، و ما خرج عن ذلك فلا يجب غسله.
و ما نزل من الشعر عن المحادر، فلا يجب غسله. و قال بعضهم: ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدراً إلى منقطع ذقنه طولا، و ما بين الأذنين عرضاً. قالوا و الأذنان و ما بطن من داخل الفم و الانف و العين، فليس من الوجه، و لا يجب غسل ذلك، و لا غسل شىء منه.
و اما ما غطاه الشعر كالذقن، و الصدغين، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵٠
فان إمرار الماء على ما علا الشعر عليه يجزى من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه، لان الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر من ذلك يقابلها دون غيره. و هذا بعينه مذهبنا. إلا ما خرج عن الإبهام و الوسطى إلى الاذن، فانه لا يجب غسله. ذهب إلى ما حكيناه إبراهيم، و مغيرة و الحسن و ابن سيرين، و شعبة و الزهرى و ربعية و قتادة، و القاسم بن محمد و ابن عباس، و ابن عمر. قال ابن عمر: الأذنان من الرأس. و به قال قتادة و الحسن، و رواه أبو هريرة عن النبى (صلى اللّه عليه و آله)
و قال آخرون:
الوجه كل ما دون منابت شعر الرأس إلى منقطع الذقن طولا، و من الاذن الى الاذن الأخرى عرضاً ما ظهر من ذلك لعين الناظر، و ما بطن منه من منابت شعر اللحية، و العارضين، و ما كان منه داخل الفم و الأنف، و ما أقبل من الأذنين على الوجه.
و قالوا: يجب غسل جميع ذلك و من ترك شيئاً منه لم تجزه الصلاة. ذهب اليه ابن عمر فى رواية نافع عنه، و ابو موسى الأشعرى، و مجاهد و عطا و الحكم، و سعيد بن جبير و طاوس، و ابن شيرين و الضحاك، و انس بن مالك و ام سلمة، و ابو أيوب و ابو امامة، و عمار بن ياسر و قتادة كلهم قالوا بتخليل اللحية، فاما غسل باطن الفم، فذهب اليه مجاهد، و حماد و قتادة. و اما من قال: ما أقبل من الأذنين يجب غسله، و ما أدبر يجب مسحه فالشعبى. و قد بينا مذهبنا فى ذلك. و الذى يدل على صحة ذلك أن ما قلناه مجمع على انه من الوجه. و من ادعى الزيادة فعليه الادلة. و استوفينا ذلك فى مسائل الخلاف و تهذيب الأحكام.
و قوله: «وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ» منصوب بالعطف على الوجوه الواجب غسلها.
و يجب عندنا غسل الأيدى من المرافق، و غسل المرافق معها إلى رؤوس الأصابع، و لا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق (و إلى) فى الآية بمعنى مع كقوله: «تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ» و قوله: «مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» و أراد بذلك (مع) قال امرؤ القيس:
له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الرتاج المضبب
التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵١
و قال النابغة الجعدى:
و لوح ذراعين فى بركة الى جؤجؤ رهل المنكب
أراد مع حارك و مع رهل. و طعن الزجاج على ذلك فقال: لو كان المراد بالى مع، لوجب غسل اليد إلى الكتف، لتناول الاسم له. و انما المراد بالى الغاية و الانتهاء، لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنا لو خلينا و ذلك، لقلنا بما قاله. لكن خرجنا بدليل. و دليلنا على صحة ما قلناه: اجماع الامة على أنه متى بدأ من المرافق كان وضوءه صحيحاً و إذا جعلت غاية ففيه الخلاف. و اختلف أهل التأويل فى ذلك، فقال مالك بن أنس: يجب غسل اليدين إلى المرفقين، و لا يجب غسل المرفقين. و هو قول زفر. و قال الشافعى:
لا- أعلم خلافاً فى ان المرافق يجب غسلها. و قال الطبرى: غسل المرفقين، و ما فوقهما مندوب اليه غير واجب. و انما اعتبرنا غسل المرافق، لإجماع الأمة على أن من غسلهما صحت صلاته. و من لم يغسلهما، ففيه الخلاف. و المرافق جمع مرفق. و هو المكان الذى يرتفق به، و يتكأ عليه على المرفقة و غيرها.

و قوله: «وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ» اختلفوا فى صفة المسح، فقال قوم: يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح، و هو مذهبنا. و به قال ابن عمر، و القاسم بن محمد، و عبد الرحمن بن أبى ليلى، و ابراهيم و الشعبى و سفيان. و اختاره الشافعى و أصحابه و الطبرى. و ذهب قوم إلى انه يجب مسح جميع الرأس ذهب اليه مالك. و قال ابو حنيفة، و ابو يوسف و محمد: لا يجوز مسح الرأس باقل من ثلاثة أصابع. و عنه روايتان فيهما خلاف، ذكرناهما فى الخلاف. و عندنا لا يجوز المسح إلا على مقدم الرأس. و هو المروى عن ابن عمر و القاسم بن محمد، و اختاره الطبرى. و لم يعتبر احد من الفقهاء ذلك. و قالوا: أى موضع مسح أجزاه و إنما اعتبرنا المسح ببعض الرأس، لدخول الباء الموجبة، للتبعيض لان دخولها فى الموضع الذى يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبعيض و إلا كان لغوا. و حملها على الزيادة لا يجوز مع التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۲

إمكان حملها على فائدة مجددة، فان قيل: يلزم على ذلك المسح ببعض الوجه فى التيمم قلنا كذلك نقول، لأنا نقول بمسح الوجه من قصاص الشعر إلى طرف الانف و من غسل الرأس، فانه لا يجزيه عن المسح عندنا و خالف جميع الفقهاء فى ذلك، و قالوا يجزيه لأنه يشتمل عليه. و هذا غير صحيح، لان حد المسح هو إمرار العضو الذى فيه نداوة على العضو الممسوح من غير أن يجرى عليه الماء. و الغسل لا يكون الا بجريان الماء عليه. فمعناهما مختلف، و ليس إذا دخل المسح فى الغسل يسمى الغسل مسحاً، كما أن العمامة لا تسمى خرقة، و ان كانت تشتمل على خرق كثيرة.

و قوله: «وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» عطف على الرؤوس فمن قرأ بالجر ذهب إلى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الرأس، و من نصبهما ذهب إلى انه معطوف على موضع الرؤوس، لان موضعها نصب لوقوع المسح عليها، و انما جر الرؤوس لدخول الباء الموجبة للتبعيض على ما بيناه فالقراءتان جميعاً تفيدان المسح على ما نذهب اليه. و ممن قال بالمسح ابن عباس و الحسن البصرى و ابو على الجبائى و محمد بن جرير الطبرى، و غيرهم ممن ذكرناهم فى الخلاف، غير إنهم أوجبوا الجمع بين المسح و الغسل المسح بالكتاب، و الغسل بالسنة، و خيرة الطبرى فى ذلك. و أوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهراً و باطناً. و عندنا أن المسح على ظاهرهما من رؤوس الأصابع إلى الكعبين. و هما الناتئان فى وسط القدم على ما استدل عليه. و قال عكرمة عن ابن عباس: الوضوء غسلتان و مسحتان. و به قال أنس بن مالك. و قال عكرمة ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح. و به قال الشعبى: ألا ترى أن التيمم يمسح ما كان غسلا و يلغى ما كان مسحاً. و قال قتادة افترض اللَّه مسحتين و غسلتين.

روى أوس ابن أبى أوس قال: رأيت النبى (صلى اللَّه عليه و آله) توضأ و مسح على نعليه، ثم قام فصلى.

و روى حذيفة قال: أتى رسول اللَّه (ص) سباطة قوم، فبال عليها قائماً، ثم دعا بماءٍ، فتوضأ و مسح على نعليه.

و روى حبة الغربى قال: رأيت على ابن أبى طالب (عليه السلام) شرب فى الرحبة قائماً، ثم توضأ و مسح على نعليه.

و روى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) فمسح التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۳

على رجليه.

و عنه أنه قال: إن كتاب اللَّه المسح و يأبى الناس الا الغسل. و عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال ما نزل القرآن إلا بالمسح.

فان قيل:

القراءة بالجر ليست على العطف على الرؤوس فى المعنى. و انما عطف عليها على طريق المجاورة، كما قالوا: حجر ضب خرب، و خرب، من صفات الحجر لا الضب و كما قال الشاعر:

كان بثيراً فى عرانين و بله كبير أناس فى بجاد مزمل

و المزمل من صفة الكبير لا البجاد. و قال الأعشى.

لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى لبانات و يسام سائم

قلنا: هذا لا يجوز من وجوه:

أحدها- ما قال الزجاج أن الاعراب بالمجاورة، لا يجوز فى القرآن، و انما يجوز ذلك فى ضرورة الكلام و الشعر.

و الثانى- أن الاعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف فاما قول الشاعر:

فهل انت ان ماتت أتانك راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب

قالوا: جر مع حرف العطف الذى هو الفاء، فانه يمكن أن يكون أراد الرفع و انما جر الراوى و هما. و يكون عطفاً على راحل يكون قد أقوى لان القصيدة مجرورة. و قال قوم: أراد بذلك الامر و إنما جر لإطلاق الشعر.

و الثالث- أن الاعراب بالمجاورة و إنما يجوز مع ارتفاع اللبس. فاما مع حصول اللبس، فلا يجوز، و لا يشتبه على احد أن خرب من صفة حجر، لا الضب.

و كذلك قوله: مزمل من صفة الكبير لا البجاد. و ليس كذلك فى الآية، لان الأرجل يمكن أن تكون ممسوحة و مغسولة، فاما قول الشاعر: ثواءٍ ثويته، فإنما جره بالبدل من الحول و المعنى لقد كان فى ثواءٍ ثوبته تقضى لبانات. و هو من بدل الاشتمال، كقوله: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ» . و قول الشاعر:

لم يبق الا أسير غير منفلت و موثق فى عقال الأسر مكبول

فليس خفض موثق على المجاورة، لان معنى البيت لم يبق غير أسير فالا بمعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۴

غير و هى تعاقبها فى الاستثناء. فقوله غير موثق عطف المعنى على موضع أسير.

و تقديره لم يبق غير أسير و غير منفلت. و اما قوله: «وَ حُورٌ عِينٌ» فى قراءة من جرهما، فليس بمجرور على المجاورة، بل يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون عطفاً على قوله: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» الى قوله: «وَ حُورٌ عِينٌ» عطف على أكواب. و قولهم:

انه لا يطاف إلا بالكأس غير مسلم، بل لا يمتنع أن يطاف بالحور العين كما يطاف بالكأس و قد ذكر فى جملة ما يطاف به الفاكهة و اللحم.

و الثانى- أنه لما قال: «أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» عطف بحور عين على جنات النعيم فكأنه قال: هم فى جنات النعيم. و فى مقاربة أو معاشرة حور عين.

ذكره أبو على الفارسى، فاما من قال: الرجلان ممسوحان و يراد بالمسح الغسل، فقوله: يبطل بما قلناه من أن المسح غير الغسل. و استشهادهم بقولهم: تمسحت للصلاة و أنهم سموا الغسل مسحاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ»، و انه أراد غسلها باطل بما قدمناه، و لأنه لو كان ذلك محتملا لغة، لما احتمل شرعاً، لان الشرع فرق بين الغسل و المسح، و لذلك قالوا بعض أعضاء الطهارة مغسولة، و بعضها ممسوحة. و فلان يرى غسل الرجلين، و فلان يرى مسحهما، و لأنه لا خلاف أن الرأس ممسوح مسحاً ليس بغسل، فلا بد أن يكون حكم الرجلين حكمه، لكونهما معطوفتين عليه. و قولهم: تمسحت للصلاة، فلأنهم لما أرادوا أن يخبروا بلفظ مختصر عن جميع أفعال الصلاة، لم يجز أن يقولوا اغتسلت للصلاة، لان فى الطهارة ما ليس بغسل. و استطالوا أن يقولوا اغتسلت و تمسحت للصلاة قالوا: بدلا من ذلك تمسحت توسعاً، و مجازاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ» فأكثر المفسرين على ان المراد به فطفق ضرباً. ذهب اليه الفراء و أبو عبيدة. و قال آخرون: أراد المسح فى الحقيقة، و أنه كان مسح أعراقها و سوقها. و انما حمل على الغسل شاذ منهم و من قال القراءة تقتضى المسح غير أنه المسح على الخفين، فقوله باطل، لان الخف التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۵

لا يسمى رجلا فى لغة و لا شرع. و اللّه (تعالى) أمر بإيقاع الفرض على ما يسمى رجلا فى الحقيقة. و اما لقراءة بالنصب، فقد بينا أنها معطوفة على موضع الرؤوس لان موضعها النصب، و الحكم فيها المسح و العطف على الموضع جائز، لأنهم يقولون:

لست بقائم و لا قاعداً. و يقولون حسبت بصدره و صدر زيد و ان زيداً فى الدار و عمرو، فيرفع عمر و بالعطف على الموضع. و قال

الشاعر:

معاوى اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحديدا

و قال آخر:

هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب أخا عون بن مخراق

و انما نصب عبد رب، لان التقدير باعث ديناراً، فحمله على الموضع، و قد سوغوا العطف على المعنى، و ان كان اللفظ لا يقتضيه قال الشاعر:

جئنى بمثل بنى عمرو لقومهم أو مثل اسرة منظور بن سبار

لما كان معنى جئنى هات مثلهم، أو اعطنى مثلهم. قال: أو مثل بالنصب عطفاً على المعنى، و عطف الأرجل على الايدى لا يجوز، لان الكلام متى حصل فيه عاملان: قريب و بعيد لا يجوز إعمال البعيد دون القريب مع صحة حمله، عليه.

لا يجوز أن يقول القائل: ضربت زيداً و عمراً و أكرمت خالداً و بكراً. و يريد بنصب بكر العطف على زيد أو عمرو المضروبين، لان ذلك خروج عن فصاحة الكلام، و دخول فى معنى اللغو و بمثل ما قلناه ورد القرآن و اكثر الشعر قال اللَّه تعالى: «وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً» و لو اعمل الاول، لقال:

كما ظننتموه. و قال «آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» و لو أعمل الاول، لقال أفرغه.

و قال: «هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» و لو اعمل الاول لقال: هاؤم اقرأوه. و قال الشاعر:

قضى كل ذى دين فوفى غريمه و عزة ممطول معنى غريمها

و لو أعمل الاول، لقال: فوفاه غريمه. فاما قول امرئ القيس.

فلو انما أسعى لأدنى معيشة كفانى و لم اطلب قليل من المال

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٣، ص: ۴۵۶

فإنما أعمل الاول للضرورة، لأنه لم يجعل القليل مطلوباً و انما كان المطلوب عنده الملك. و جعل القليل كافياً. و لو لم يرد هذا و نصب، لفسد المعنى. فاما من نصب بتقدير و اغسلوا أرجلكم، كما قالوا:

متقلداً سيفاً و رمحاً و علفتها تبناً و ماء بارداً

فقد اخطأ، لان ذلك إنما يجوز إذا استحال حمله على اللفظ. فاما إذا جاز حمله على ما فى اللفظ، فلا يجوز هذا التقدير. و من قال يجب غسل الرجلين، لأنها محدودتان كاليدين، فقوله ليس بصحيح، لأنا لا نسلم ان العلة فى كون اليدين مغسولتين كونهما محدودتين. و انما وجب غسلهما، لأنهما عطفاً على عضو مغسول. و هو الوجه. فكذلك إذا عطف الرجلين على ممسوح هو الرأس، وجب أن يكونا ممسوحين. و الكعبان عندنا هما الناتئان فى وسط القدم. و به قال محمد بن الحسن و إن أوجب الغسل. و قال اكثر المفسرين و الفقهاء: الكعبان هما عظما الساقين يدل على ما قلناه أنه لو أراد ما قالوا، لقال إلى الكعاب، لان فى الرجلين منها أربعة. و ايضاً فكل من قال: يجب مسح الرجلين، و لا يجوز الغسل قال الكعب هو ما قلناه، لان من خالف فى أن الكعب ما قلناه على قولين: قائل يقول بوجوب الغسل، و آخر يقول بالتخيير. قال الزجاج: كل مفصل للعظام فهو كعب.

و فى الآية دلالة على وجوب الترتيب فى الوضوء من وجهين:

أحدهما- ان الواو يوجب الترتيب لغة على قول الفراء و أبى عبيد و شرعا على قول كثير من الفقهاء، و

لقوله (عليه السلام): ابدأوا بما بدأ اللَّه به.

و الثانى- ان اللَّه أوجب على من يريد القيام الى الصلاة إذا كان محدثاً أن يغسل وجهه أولا، لقوله: «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا» و الفاء توجب التعقيب و الترتيب بلا خلاف، فإذا ثبت أن البداءة بالوجه هو الواجب، ثبت فى باقى الأعضاء، لان أحداً لا يفرق و يقويه

قوله (عليه السلام) للاعرابى- حين علمه الوضوء، فقال: هذا وضوء لا يقبل اللَّه الصلاة إلا به، فان كان رتب فقد بين انه الواجب الذى لا يقبل اللَّه الصلاة إلا به

، و ان لم يرتب لزم أن يكون من رتب، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۷

لا يجزيه و قد اجتمعت الامة على خلافه. و فى الآية دلالة على أن من مسح على العمامة أو الخفين لا يجزيه، لان العمامة لا تسمى رأساً. و الخف لا يسمى رجلا كما لا يسمى البرقع و ما يستر اليدين وجهاً و لا يداً. و ما روى من المسح على الخفين أخبار آحاد لا يترك لها ظاهر القرآن. على أنه

روى عن على (عليه السلام) أنه قال: نسخ ذلك بهذه الآية و كذلك قال لمن قال: اقبل المائدة أو بعدها.

و فى الآية دلالة على وجوب النية فى الوضوء، لأنه قال: إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا. و تقديره فاغسلوا للصلاة كما يقول القائل: إذا أردت لقاء عدوك، فخذ سلاحك بمعنى فخذ سلاحك للقائه و لا يمكن أن يكون غاسلا هذه الأعضاء للصلاة إلا بنية. و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» معناه و ان أصابتكم جنابة و أردتم القيام الى الصلاة فاطهروا بالاغتسال.

و الجنابة تكون بشيئين.

أحدهما- بانزال الماء الدافق فى النوم أو اليقظة. و على كل حال بشهوة كان أو بغير شهوة.

و الآخر- بالتقاء الختانتين وحده غيبوبة الحشفة أنزل أو لم ينزل، و الجنب يقع على الواحد و الجماعة و الاثنين، و المذكر و المؤنث مثل رجل عدل، و قوم عدل، و رجل زور و قوم زور، و نحو ذلك و هو بمنزلة المصدر قال الزجاج: تقديره ذو جنب. و يقال أجنب الرجل و جنب و اجتنب و الفعل الجنابة و قد حكى فى جمعه أجناب و الأول أظهر.

و اصل الجنابة البعد قال علقمة:

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب

و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ» معناه و ان كنتم مرضى يعنى ان كنتم جرحى أو مجدرين أو مرضى يضر بكم استعمال الماء و كنتم جنباً أو على غير وضوء قد بينا ذلك فى سورة النساء و قوله: «أَوْ عَلى سَفَرٍ» معناه و إن كنتم مسافرين و أنتم جنباً و جاء أحد منكم من الغائط معناه أو جاء أحد منكم من الغائط قد قضى حاجته فيه، و هو مسافر أو لامستم النساء معناه أو جامعتم النساء و أنتم مسافرون. و قد بينا اختلاف الفقهاء فى اللمس، و بينا أصح الأقوال فى ذلك، فلا وجه لإعادته، فان قيل: ما معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۵۸

تكرير قوله: لامستم النساء إن كان معنى اللمس الجماع مع انه قد تقدم ذكر الواجب عليه لقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» قلنا وجه ذلك أن المعنى فى قوله:

«وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً» غير المعنى الذى ألزمه اللَّه بقوله: او لامستم النساء، لأنه (تعالى) بين الحكم بقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» معناه إذا كنتم واجدين للماء ممكنين لاستعماله، ثم بين حكمه إذا عدم الماء، أو لا يتمكن من استعماله أو هو مسافر غير مريض مقيم، فاعلمه أن التيمم هو فرضه، و هو طهارته. و قد بينا حكم التيمم و معناه و كيفيته فيما مضى. و قوله: «فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ» قد بينا جميع ذلك فيما مضى جملته أنه يقول: أيها المؤمنون إذا قمتم الى الصلاة، و أنتم على غير طهر، و لم تجدوا ماء، و لا- تتمكنون من استعماله، فاقصدوا وجه الأرض طاهراً نظيفاً غير نجس، و لا قذر «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ» يعنى مما يعلق باديكم منه يعنى من الصعيد و قد بينا كيفية التيمم، و أنه من قصاص الشعر الى طرف الانف، و من الزند الى أطراف الأصابع فى اليدين. و قد بينا اختلاف المفسرين و الفقهاء فى ذلك، فلا معنى لإعادته. و

قوله: «ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» معناه ما يريد اللَّه مما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم الى الصلاة و الغسل من الجنابة و التيمم صعيداً طيباً عند عدم الماء أو تعذر استعماله، ليلزمكم فى دينكم من ضيق، و لا ليفتنكم فيه، و هو قول على (عليه السلام)

و مجاهد و جميع المفسرين. و قوله: «وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه لكن يريد اللَّه ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء و الغسل من الأحداث و الجنابة أن ينظف بذلك أجسامكم من الذنوب. و اللام فى قوله:
«ليطهركم» دخلت لتبيين الارادة و المعنى ارادته لتطهيركم كما قال الشاعر:
أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل
روى ما قلناه عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى امامة ان رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) قال: إن الوضوء يكفر ما قبله
و قوله: «وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۵۹
عَلَيْكُمْ»
معناه و يريد اللَّه مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء و الغسل إذا قمتم الى الصلاة مع وجود الماء، و التيمم مع عدمه، أن يتم نعمته بإباحته لكم التيمم، و تصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصة منه لكم فى ذلك مع سوابغ نعمه التى أنعم بها عليكم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه و لتشكروا اللَّه على نعمه التى أنعم بها عليكم بطاعتكم إياه فيما أمركم به و نهاكم عنه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷]..... ص: ۴۵۹

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۷)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اذكار بنعم اللَّه تعالى عليهم برسوله (صلى اللَّه عليه و آله) و ميثاقه الذى واثقهم به عند ما ضمنوا لرسول اللَّه (ص) السمع و الطاعة، ثم حذرهم ان ينقضوا ذلك بقلوبهم، و أعلمهم أنه عليهم بذات الصدور.
و الميثاق الذى واثقهم به قال البلخى: و الجبائى هو ما
أخذ عليهم رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) عند إسلامهم و بيعتهم بأن يطيعوا اللَّه فى كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرهم.
قال الجبائى: هو مبايعتهم له ليلة العقبة و بيعة الرضوان و هو قول ابن عباس و قال آخرون: هو ما اخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم (ع) و اشهدهم على أنفسهم ا لست بربكم؟ قالوا: بلى. ذهب اليه مجاهد. و الصحيح قول ابن عباس لامرين:
أحدهما- ان الخبر مروى فى أخذ الميثاق على من استخرج من صلب آدم (ع) ضعيف تحيله العقول.
و الثانى- أن اللَّه (تعالى) ذكر بعقب تذكيره المؤمنين ميثاقه الذى واثق به اهل التوراة بعد ما أنزل كتابه على نبيه موسى (ع) فيما أمرهم به و نهاهم عنه، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۶۰
فقال: «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» الآيات بعدها منبهاً بذلك أصحاب رسول اللَّه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) على مواضع حظوظهم من الوفاء للَّه بما عاهدهم عليه و تعريفهم سوء عاقبة هل الكتاب فى تضييعهم من الوفاء للَّه بما عاهدهم عليه و ما ضيعوا من ميثاقه الذى واثقهم به فى أمره و نهيه زاجراً لهم عن نكث عهده لئلا يحل بهم ما حل بمن تقدم من الناكثين عهده من اهل الكتاب.
و قال ابو الجارود عن أبى جعفر (ع)- الميثاق هو ما بين لهم فى حجة الوداع من تحريم كل مسكر و كيفية الوضوء على ما ذكره اللَّه و غير ذلك و نصب امير المؤمنين (عليه السلام) اماماً للخلق
و هذا داخل فيما حكيناه عن ابن عباس إذ هو بعض ما أمر اللَّه به.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸]..... ص: ۴۶۰

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (٨)

آية- بلا خلاف-.

هـذا خطاب للمؤمنين أمرهم اللَّه تعالى ان يكونوا قوامين بالقسط أى قائمين بالعـدل يقومون به، و يدومون عليه شـهدا. اللَّه أى مبينون عن دين اللَّه، لان الشاهد يبين ما شهد عليه.

و «قوامين» نصب بانه خبر كان (شهداء) نصب على الحال.

و قوله: «و لا يجرمنكم» قد فسـرناه فيما مضى. قال الكسائى: و ابو عبيدة معناه لا يحملنكم بغض قوم على الا تعدلوا يقال: جرمنى فلان على أن فعلـت كـذا أى حملنى عليه و قـال الفراء يجرمنكم يكسـبنكم يقـال: جرمت على أهلى أى كسـبتهم. و فلاـن جريمـة أهله أى كاسبهم قـال الكسـائى: و فيه لغتـان جرمت أجرم جرمـاً و أجرمت أجرم أجرامـاً. و شـنآن قال الكسائى: معناه البغض و فيه لغتان: فتح التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۶۱

النون الاولى و جزمها. و قد بينا اختلاف القراء فيه. قال الزجاج: من حرك النون أراد بغض قوم. و من سـكن أراد بغيض قوم. و حكى ايضـاً جرم و أجرم لغتين و قيـل أجرمته أدخلته فى الجرم كمـا قيـل آثمته و معناه أدخلته فى الإثم و المعنى لا يحملنكم شـنآن قوم اى بغض قوم ألا تعدلوا فى حكمكم فيهم، و سيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم. و

قال عبد اللَّه بن كثير: نزلت هذه الآية فى يهود حين مضـى النبى (ص) إلى حصن بنى قريظة يستعينهم فى دية فهموا أن يقتلوه، فنزلت هذه الآية، ثم أمرهم بعد النهى عن الجور أن يفعلوا العدل مع كل أحد ولياً كان أو عدواً

، فـان فعل العـدل أقرب لكم أيها المؤمنون إلى التقوى، ثم حـذرهم تعالى فقال: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى خافوا عقابه باجتناب معاصـيه و فعل طاعاته، فان اللَّه خبير أى عالم بأعمالكم و الكنايـة فى قوله: «هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى كنايـة عن العـدل أى العدل أقرب للتقوى، و لو لم يكن هو فى الكلام، لكان أقرب نصباً، كما قال: انتهوا خيراً لكم و كنى عن الفعل فى هذا الموضع بهو.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹]..... ص: ۴۶۱

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)

- آية بلا خلاف-.

وعـد اللَّه تعالى فى هـذه الآيـة الـذين صـدقوا بوحدانيـة اللَّه و أقروا بنبوة نبيه محمد (صـلى اللَّه عليه و آله) و عملوا الصالحات ان لهم مغفرة و وعدهم مغفرة و وقعت الجملة موقع المفرد كما قال الشاعر:

وجدنا الصالحين لهم جزاء و جنات و عيناً سلسبيلا

و تكـون الجملـة الـتى هى لهم مغفرة فى موضع النصب، و لـذلك عطف فى الـبيت و عينـا، فنصب على الموضع، و يحتمـل أن يكون موضـع (لهم مغفرة) فى موضع الرفع، و يكـون الموعـود به محـذوفاً، و يكون التقـدير لهم مغفرة و أجر عظيم فيمـا التبيـان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۶۲

وعـدهم أو لهم مغفرة و أجر عظيم هو الجنـة. و هو معنى قول الحسن و الجبائى و الوعـد، هو الخبر الـذى يتضـمن النفع من المخبر. و الوعيد: هو الخبر الذى يتضمن الضرر من المخبر. و تقول: وعدته خيراً و أوعدته شراً و الا يعاد مطلقاً يكون فى الشر.

و الوعـد مطلقـاً فى الخير، فـإذا قيـدته بـذكر الخير او الشـر، قلت فيهمـا معاً وعـدته و أوعـدته معاً فيما حكاه الزجاج. و المغفرة أصـلها التغطية و معناها تكفير السيئة.

و التكفير ايضاً: التغطية و منه تكفر فى السلاح: إذا تغطى به قال لبيد:

فى ليلة كفر النجوم غمامها

و الأجر المذكور فى الآية هو الثواب الذى وعد اللَّه المؤمنين به على فعلهم الطاعات. و الفرق بين الثواب و الأجر فى العرف أن الثواب هو الجزاء على الطاعات.

و الأجر قد يكون مثل ذلك و قد يكون فى المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى الأجر.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰]..... ص: ۴۶۲

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۱۰)

- آية-.

قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه جحدوا توحيد اللَّه، و صفاته و عدله، و أنكروا نبوة نبيه، و الاعتراف بما جاء به من عند اللَّه، و كذبوا بآيات اللَّه أخبر اللَّه عنهم أنهم اصحاب الجحيم. و جحيم اسم من اسماء جهنم، فعلى هذا قوله، «و الذين» فى موضع رفع على الابتداء «و كفروا» فى صلة الذين و كذبوا بآياتنا عطف على ما فى الصلة. و قوله: أولئك اصحاب الجحيم جملة فى موضع خبر الذين.

و حد الكفر عندنا كل معصية يستحق بها عقاب دائم، لان ما ليس بكفر من المعاصى لا يستحق عليه إلا عقاب منقطع، ثم ينقسم قسمين فان كان كفر ردة، تعلقت عليه أحكام من منع الموارثة من المسلم و الصلاة عليه، و الدفن فى مقابر المسلمين، و غير ذلك. و ان كان كافر ملة بأن يكون مظهراً للشهادتين لم يجر عليه شىء من هذه الأحكام. و قال قوم: إن الكفر أعظم الأجرام، لأنه جحد أنعم اللَّه، التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۶۳

و نعمته أعظم النعم، و يستحق عليها أعظم الشكر، فيجب أن يكون كفرها و جحدها أعظم الاجرام و المكذب بآيات اللَّه، و ان يعلمها آيات، فهو كافر إذا كان له سبيل إلى معرفتها. و معنى أصحاب الجحيم أنهم يخلدون فى النار، لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال اصحاب الصحراء بمعنى الملازمين لها.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱]..... ص: ۴۶۳

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۱)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب للمؤمنين ذكرهم اللَّه نعمته عليهم حين هم قوم أن يبسطوا اليهم أيديهم. و اختلفوا فى الباسطين أيديهم على خمسة اقوال:

فقال مجاهد و قتادة و ابو مالك: هم اليهود هموا بأن يقتلوا النبى (ص) لما مضى إلى بنى قريظة يستعين بهم على دية مقتولين من بنى كلاب بعد بئر معونة كانا وفدا على النبى (صلى اللَّه عليه و آله) فلقيهما عمرو بن أمية الضمرى فقال: أ مسلمين؟

فقالا: بل رافدين، فقتلهما، فقال له النبى (ص) قتلت قتيلين قبل أن يبلغا الماء و اللَّه لا دينهما. و مضى إلى يهود بنى قريظة يستعين بهم. و قيل: كان يستقرض لأجل الدية لأنه كان يحملها، فهمت بنو قريظة بالفتك به و بقتله، فأعلم اللَّه تعالى النبى (ص) ذلك فانصرف عنهم.

و قال الحسن: إنما بعثت قريش رجلا- ليفتك بالنبى (صلى اللَّه عليه و آله) فاطلع اللَّه نبيه على أمره و منعه اللَّه منه، لأنه دخل على النبى (ص) و سيفه مسلول فقال له: أرنيه فأعطاه إياه، فلما حصل فى يده قال: ما الذى يمنعنى من قتلك؟

فقال النبى (صلى اللَّه عليه و آله) اللَّه يمنعك فرمى بالسيف و أسلم.

و اسم الرجل عمرو بن وهب الجمحی بعثه صفوان بن أمیة لیغتاله (صلی اللَّه علیه و آله) بعد بدر، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۶۴

فاعلمه اللَّه ذلک. و کان ذلک سبب إسلام عمرو بن وهب.

و قال الواقدی. غزا رسول اللَّه (ص) جمعاً من بنی ذبیان و محارب بذی أمر فتحصنوا برءوس الجبال، و نزل رسول اللَّه (ص) بحیث یراهم، فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه، فنشره علی شجرة و اضطجع تحته بعیداً من أصحابه، و الاعراب ینظرون الیه فأخبروا سیدهم دعثور بن الحارث المحاربی فجاء حتی وقف علی رأسه بالسیف مشهوراً، فقال: یا محمد (ص) من یمنعک منی الیوم؟ فقال: اللَّه و دفع جبرائیل فی صدره و وقع السیف من یده، فأخذه رسول اللَّه (ص)، و قام علی رأسه و قال: من یمنعک منی الیوم؟ فقال: لا احد و انا اشهد ان لا اله إلا اللَّه، و ان محمداً رسول اللَّه (ص) فنزلت الآیة.

و قال ابو علی الجبائی المعنی بذلک ما لطف اللَّه (تعالی) المسلمین من کف أعدائهم عنهم حین هموا باستئصالهم بأشیاء شغلهم بها من الأمراض و القحط، و موت الأکابر، و هلاک المواشی و غیر ذلک من الأسباب التی انصرفوا عندها عن قتل المؤمنین:

و قال ابن عباس. کانت الیهود دعوا رسول اللَّه (ص) إلی طعام لهم، و عزموا علی الفتک به، فاعلم اللَّه ذلک نبیه (ص) فلم یحضر.

و قال آخرون: نزلت الآیة فیما عزم المشرکون علی الإیقاع بالنبی (ص) و أصحابه یوم بطن النخلة إذا دخلوا فی الصلاة، فاعلمه اللَّه ذلک، فصلی بهم صلاة الخوف. و انما جعل اللَّه تخلیص النبی مما هموا به نعمة علی المؤمنین من حیث کان إمامهم و سیدهم، و کان مبعوثاً الیهم بما فیه مصالحهم، فمقامه بینهم نعمة علی المؤمنین، فلذلک اعتد به علیهم. و قال قوم: هو مردود علی قوله: «الْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ دِینِکُمْ» و معناه جملة الظفر.

اللغة:..... ص: ۴۶۴

و الذکر هو حضور المعنی للنفس یقال: ذکر یذکر ذکراً. و اذکروه إذکاراً و تذاکروا تذاکراً. و ذاکره مذاکرة. و ذکره تذکیراً. و استذکر استذکاراً و ادکر ادکاراً.

و قد یستعمل الذکر بمعنی القول، لأن من شأنه أن تذکر به المعنی. و التذکر هو طلب التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۴۶۵

المعنی لا طلب القول. و الفرق بین الذکر و العلم ان الذکر ضده الجهل. و قد یجمع الذکر للشیء و الجهل به من وجه واحد. و محال ان یجتمع العلم به و الجهل به من وجه واحد و الفرق بین الذکر و الخاطر أن الخاطر مرور المعنی علی القلب. و الذکر حصول المعنی فی النفس و ایضاً الذکر یجری علی نقیض النسیان، لأنه یستعمل بعد ما نسیه. و لیس کذلک الخاطر.

و الهم بالأمر هو حدیث النفس بفعله. یقال: هم بالأمر یهم هما. و منه الهم.

و هو الفکر الذی یغم.و جمعه هموم و اهتم اهتماماً. و أهمه الأمر إذا عنی به، فحدث نفسه به و الفرق بین الهم بالشیء و القصد الیه انه قد یهم بالشیء قبل أن یریده و یقصده بان یحدث نفسه به و هو مع ذلک ممیل فی فعله ثم یعزم الیه و یقصد الیه.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۱۲]..... ص: ۴۶۵

اشارة

وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّی مَعَکُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَیْتُمُ الزَّکاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِی وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُکَفِّرَنَّ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذلِکَ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِیلِ (۱۲)

- آية بلا خلاف-.

الميثاق: اليمين المؤكدة، لأنه يستوثق بها من الأمر، فأخذ اللّه ميثاقهم بإخلاص العبادة له، و الايمان برسله. و ما يأتون به من شرايع دينه.

و قوله: «بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» فالنقيب فيه أربعة أقوال:

قال الحسن: هو الضمين و قال الربيع: هو الأمين.

و قال قتادة: هو الشهيد على قومه. و قال قوم: هو الرئيس من العرفاء.

اللغة:..... ص: ۴۶۵

و اصل النقيب فى اللغة النقب و هو الثقب الواسع. و قال ابو مسلم: هو فعيل بمعنى مفعول كأنه اختير و نقر عليه، فقيل نقيب، لأنه ينقب عن احوال التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۶۶

القوم، كما ينقب عن الاسرار. و منه نقاب المرأة. و منه المناقب و هى الفضائل.

و النقب: الطريق فى الجبل. و يقال نقب الرجل على القوم ينقب نقبا: إذا صار نقيباً. و نكب عليهم ينكب نكابة: إذا صار منكباً. و هو عون العريف. و قد نقب نقابة. و النقبة سراويل بغير رجلين لاتساع نقبه تلبسه المرأة. و أول الجرب النقبة و جمعها النقب. و النقب قال الشاعر:

متبذلا تبدوا محاسبه يضع الهاء مواضع النقب

و يقال: كلب نقيب إذا نقب حنجرته، لئلا يرتفع صوته فى نباحه يفعل ذلك البخلاء، لئلا يطرقهم ضعيف بسماع نباح الكلاب. و منه نقبت الحائط: إذا بلغت فى النقب آخره.

و فى معنى قوله: «اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» قولان:

أحدهما- قال الحسن و الجبائى: أنه أخذ من كل سبط منهم ضميناً بما عقد عليهم بالميثاق من امر دينهم.

الثانى قال مجاهد و السدى: إنهم بعثوا إلى الجبارين، ليقفوا على آثارهم و يرجعوا بذلك إلى موسى، فرجعوا ينهون قومهم على قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم، و عظم خلقهم إلى اثنين منهم.

و قال البلخى: يجوز أن يكون النقباء رسلا و يجوز ان يكونوا قادة. و قوله:

«بعثنا» لا- يدل على أنهم رسل، كما إذا قال القائل: الخليفة بعث الأمير أو القضاة لا يفيد أنهم رسل، بل يفيد أنه ولاهم و قلدهم. و الغرض بذلك إعلام النبى (ص) أن هؤلاء الذين هموا بقتل النبى (ص) صفاتهم و أخلاقهم أخلاق أسلافهم الغدر، و نقض العهد.

و قوله: «وَ قالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ» معناه ناصركم على عدوكم و عدوى الذى أمرتكم بقتالهم إن قاتلوهم، و وفيتم بعهدى و ميثاقى الذى أخذته عليكم. و فى الكلام حذف، و تقديره و قال اللّه: إنى معكم. و إنما حذف استغناء بقوله: «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ» ثم ابتدأ تعالى قسما، لئن أقمتم الصلاة معشر بنى إسرائيل التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۶۷

«وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ» أى أعطيتموها «وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي» معناه و صدقتم بما أتاكم به رسلى من شرائع دينى و قال الربيع بن أنس: هذا الخطاب من اللّه للنقباء و قال غيره:

هو خطاب لبنى إسرائيل. و التقدير ان موسى (ع) قال لهم عن اللّه تعالى: إن اللّه ناصركم على عدوكم ما أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلى «وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ» قيل معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و السدى: معناه نصرتموهم و هو اختيار الزجاج.

الثانى- قال عبد الرحمن بن زيد: معناه و نصرتموهم و أطعتموهم. و به قال أبو عبيدة. و العزر- فى اللغة-: الرد و المنع فى قول الفراء

تقول: عزرت فلانـاً: إذا أدبته، و فعلت به ما يردعه عن القبيـح. و قال تعالى: «وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ» و معناه تنصـروه. و إلا كان تكراراً. و هو اختيار الطبرى و أنشد أبو عبيدة فى التعزير بمعنى التوقير قول الشاعر:

و كم من ما جد لهم كريم و من ليث يعزر فى الندى «١»

أى يعظم. و هو قول أبى على.

و قوله: «وَ أَقْرَضْـتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً» معناه و أنفقتم فى سبيل اللّه، و جهاد عدوه و عدوكم قرضاً حسـناً. و قيل: معناه بطيبة نفس. و قيل معنـاه الا ـ يتبعه من و لا ـ أذى. و قيـل من الحلاـل دون الحرام. و انمـا قال: قرضاً، و لم يقل إقراضاً، لأنه رده إلى قرض قرضاً، كما قال: «أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «٢» و لم يقل إنباتاً و يقال: أعطيته عطاء. و قال امرؤ القيس:

و رضت فذلت صعبة اى إذلال «٣»

لان فيه معنى أذللت.

و قوله: «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَـيِّئاتِكُمْ» اللام جواب القسم. و هو قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ» فالأولى لام القسم و الثانيـة جوابه. و قال قوم: كل واحد منهما

---

(١) مجاز القرآن لابى عبيدة ا: ١٥٧ و تفسير الطبرى ١٠: ١٢٠. الندى مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه.

(٢) سورة نوح، آية ١٧.

(٣) ديوانه: ١٤١. راض الدابة علمها السير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤۶٨

قسم. و صـحيح الأـول، لان الكلام لم يتم فى قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ» و معنى «لَأُكَفِّرَنَّ» لأعطين بعفوى و صـفحى عن عقوبتكم على مـا مضـى اجرامكم، و لأدخلنكم مع ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و الجنات البساتين و الكفر و معناه الجحود، و التغطية و الستر. قال لبيد:

فى ليلة كفر النجوم غمامها «١»

و قوله تجرى من تحتها يعنى من تحت أشجار هذه الجنات الأنهار.

و قوله: فمن كفر بعـد ذلـك منكم يعنى من جحـد منكم يا معشـر بنى إسـرائيل ما أمرته به، فتركه أو ركـب ما نهيته عنـد بعـد اخـذى الميثاق عليه، فقـد ضل يعنى أخطأ قصـد الطريق الواضـح، و زال عن منهاج السبيل القاصـد. و الضـلال هو الركوب على غير هـدى. و سواء السبيل يعنى وسطه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ١٣]..... ص: ۴۶٨

اشارة

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)

- آية بلا خلاف-.

القراءة:..... ص: ۴۶٨

قرأ حمزه و الكسائى قسية بلا الف- و قرأ الباقون قاسية- بالف.

المعنى:..... ص: ۴۶۸

المعنى بالآية تسلية النبى (ص) فقال اللَّه له: لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا أيديهم اليك و إلى أصحابك و نكثوا العهد الذى بينك

---

(۱)- انظر ا: ۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۶۹

و بينهم، و غدروا بك، فان ذلك من عادتهم، و عادات أسلافهم، لانى أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتى، و بعثت منهم اثنى عشر نقيباً، فنقضوا ميثاقى، و نكثوا عهدى، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم. و فى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر عليه. و المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم، فقد ضل سواء السبيل، فنقضوه، فلعنتهم فبما نقضهم ذلك لعناهم فاكتفى بقوله: فيما نقضهم من ذكر فنقضوا.

(و ما) زائدة و التقدير فبنقضهم (و ما) مؤكدة. و هو قول قتادة و جميع المفسرين و مثله قول الشاعر:

لشىء ما يسود من يسود

و الهاء و الميم كنايتان عن بنى إسرائيل و اللعن هو الطرد للسخط على العبد، و هو الابعاد من رحمة اللَّه على جهة العقوبة. و قال الحسن: هو المسخ الذى كان فيهم حين صاروا قردة، و خنازير. و معنى جعلنا- ها هنا- قال البلخى: سميناها بذلك عقوبة على كفرهم، و نقض ميثاقهم. قال: و يجوز أن يكون المراد ان اللَّه بكفرهم لم يفعل بهم اللطف الذى تنشرح به صدورهم كما يفعل بالمؤمن. و ذلك مثل قولهم: أفسدت سيفك: إذا تركت تعاهده حتى صدئ. و يقولون: جعلت أظافيرك سلاحك: إذا لم تقصها. و يشهد للأول قوله تعالى: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ» و أراد بذلك انهم سموا للَّه شركاء. و قال ابو على: هو البيان عن حالهم، و جفا قلوبهم عن الايمان باللَّه و رسوله، كما يقال: جعلته فاسقاً مهتوكا: إذا أبان عن حاله للناس.

و معنى قاسية. أى يابسة يقال للرحيم: لين القب، و لغير الرحيم: قاسى القلب. و القاسى و القاسح- بالحاء- الشديد الصلابة. و يقال: قسا يقسو قسوة و منه «فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» و قسية أشد مبالغة. و قاسية أعرف و أكثر فى الاستعمال. و قال ابو عبيدة: قاسية معناه فاسدة من قولهم: درهم قسى أى زائد قال أبو زبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۷۰

لها صواهل فى صم السلام كما صاح القسيات فى ايدى الصياريف.

يصف وقع المساحى فى الحجارة. و قال ابو عباس. الدرهم انما سمى قسياً إذا كان فاسداً لشدة صوته بالقس الذى فيه، فهو راجع الى الاول. و قال الراجز:

و قد قسوت و قسا لداتى

و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» فالتحريف يكون بأمرين: بسوء التأويل، و بالتغيير و التبديل، كما قال تعالى: «وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بعد قوله: «وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ» و الكلم جمع كلمة.

و قوله: «وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» معناه تركوا نصيباً مما ذكروا به يعنى مما أنزل على موسى. و هو قول الحسين و السدى و ابن عباس.

و قوله: «وَ لاـ تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ» معناه على خيانة منهم و فاعله فى اسماء المصادر كثير، نحو عافاه اللَّه عافية. وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ و فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ و يقال: قائلة بمعنى القيلولة. كل ذلك بمعنى المصدر و راغية الإبل و ثاغية الشاة. و يقال: رجل خائنة قال

الشاعر:

حدثت نفسك بالوفاء و لم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع

فخائنة على وجه المبالغة، كما قالوا: رجل نسابة، لأنه يخاطب رجلا.

و معناه لا تخن، فتغلل إصبعك فى المتاع أى تدخلها الخيانة، و مغل بدل من خائنة.

و يجوز أن يكون على خائنة معناه على فرقة خائنة.

و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» نصب على الاستثناء من الهاء و الميم فى قوله:

«عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ» .

و قوله: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال قتادة: هو التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٧١ منسوخ بقوله: «قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» و قال ابو على بقوله: «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» و قال البلخى: يجوز أن يكون أمر بالعفو و الصفح بشرط التوبة أو بذل الجزية، لأنهم إذا بذلوا الجزية لا يؤاخذون بشىء من كفرهم. و هو قول الحسن، و جعفر بن مبشر. و اختار الطبرى هذا. فعلى هذا لا يكون منسوخا و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» لا يدل على أنه جعل قلوبهم قاسية، ليحجرفوا بل يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون كلاماً مستأنفاً و يكون التمام عند قوله: «قاسية» ثم أخبر عنهم بأنهم يحرفون الكلام عن مواضعه.

الثانى- أن يكون ذلك حالا، لقوله: «فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون» اى يحرفون الكلم ناسين لحظوظهم «لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» .

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ١۴]..... ص: ۴٧١

وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (١۴)

- آية بلا خلاف-.

قوله: «وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى انما لم يقل: من النصارى لما قاله الحسن: من أنه أراد تعالى بذلك أن يدل على أنهم ابتدعوا النصرانية التى هم عليها اليوم، و تسموا بها.

و قوله: «أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ» يعنى بتوحيد اللَّه عز و جل، و الإقرار بنبوة المسيح، و جميع أنبياء اللَّه و انهم كلهم عبيد اللَّه لا يذكر. و قال ابو على: معناه تركوا العمل به، فكان كالذى لا يذكر.

و قوله: «مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» يعنى فيما أنزله اللَّه على موسى و عيسى فى التوراة و الإنجيل، و الكتب المتقدمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٧٢

و قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» قال مجاهد و قتادة و ابن زيد و السدى و الجبائى:

معناه بين اليهود و النصارى. و قال الربيع و الزجاج و الطبرى:

معناه بين النصارى. و هو ما وقع بينهم من الخلاف نحو الملكية، و هم الروم و النسطورية و اليعقوبية من العداوة. و أصل الإغراء تسليط بعضهم على بعض.

و قيل: معناه التحريش. و أصله اللصوق. يقال: غريت بالرجل غرى- مقصور و ممدود- و معناه لصقت به. قال كثير:

إذا قيل مهلا قالت العين بالبكا غراء و مدتها حوافل تهمل

و أغريت زيداً بكذا حتى غرى به. و منه الغراء الذى يغرى به للصوق و الإغراء بالشىء معناه الإلصاق من جهة التسليط. و انما أغرى بينهم بالأهواء المختلفة فى الدين فى قول إبراهيم. و قيل: بإلقاء البغضاء بينهم- عن الحسن و قتادة- و قيل:

يـأمر بعضـهم أن يعـادى بعضـاً فى قول أبى على فكـأنه يـذهب إلى ما تقـدم من الامر لهم بمعاداة الكفار. و الـذى يقوله أن الوجه فى إغراء اللّه فيمـا بينهم أنه امر النصـارى بمعـاداة اليهود فيما يفعله اليهود من القبيـح فى التكـذيب بالمسيـح، و شـتم امه، و القـذف لها و الغرية عليها، و اضافتها اليه تعالى، و وصفها بما لا يليق، و امر اليهود بمعاداة النصارى فى اعتقادهم التثليث، و ان المسيح ابن اللّه و غير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة، نقضوا هذا الميثاق و اعرضوا عنه حتى صار بمنزلة المنسى فكان فى ذلك أمر كل واحد منهما بالطاعة، فـان قيل يمنع من ذلك قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَـداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» فجعل اغراءه لهم بالعـداوة جواباً لقوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» لاـن الفـاء تـدل على الجواب. و إذا كـانت جوابـاً، وجب أن يكون (تعـالى) إنما أغرى بينهم لأجل نسـيانهم للحظ الـذى ذكروا به، و انه عـاقبهم بهـذا الإـغراء، و ليس فى الاـمر و النهى و العبـادات عقوبـات- بلاـ خلاـف- فـدل جوابه بالفاء فى قوله: «فأغرينـا» عقيب قوله: «فنسوا حظاً» على أنه عاقب بالإغراء لا على ما قلتموه؟ قيل: قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» جوابه و انه فعل هـذا الإغراء، لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكا التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٧٣

لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكان الإغراء إنما وقع بينهم من أجل نسيانهم لحظهم من قبل أنهم نسوا ما ذكروا به من معرفـة التوحيـد، و التـدين به، فصـاروا إلى القـول بالاتحـاد و الشـرك و القربـة عليه (تعـالى) فلأجـل ذلـك أمر اللّه أضـدادهم بمعاداتهم، و اغرائهم بهم. فان قيل: فان اللّه (تعالى) ذكر النصارى فى هذه الآية بنسيان حظهم ثم أجاب بالفاء فى قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» و ليس يصـح على هـذا أن يكون أغرى بينهم من اجـل مـا فعله النصارى من الكفر، لأنه إذا أمر اليهود بمعاداة النصارى، لأجل نسـيان النصـارى و كفرهم فإنما هـذا عن امر اللّه اليهود بهم، و ليس بإغراء بعضـهم ببعض، و قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» يـدل على ان اللّه بعث كل واحد من الفريقين على صاحبه، و هذا يوجب خلاف قولكم؟! قيل: الامر على ما قلتم من أن امر اليهود بمعاداة النصارى هو إغراء لهم بهم، و ليس بـإغراء بين النصـارى، لكنه تعـالى قـد ذكر اليهـود فيمـا تقـدم من هـذه السـورة، و تكـذيبهم، و فريتهم على اللّه، ثم ذكر النصارى، فلما جمع بين الفريقين فى الـذكر فى هـذه السورة، و ان لم يجمعهم فى هذه الآية، جاز ان يذكر انه اغرى بينهم العداوة بان امر كـل واحـد منهما بمعاداة عـدوه فيما عصـى فيه. و صـح الإغراء بينهم و إلقاء العـداوة و التباعـد و المنافرة، و صـح أن يجعل ذلك جوابـاً. و قـد قـال البلخى جواباً آخر: و هو ان يكون الإـغراء بين النصارى خاصـة بعضـهم لبعض على ظاهر الآيـة، و هو أن اللّه تعالى نصب الادلة على إبطال قول كل فرقة من فرق النصارى، فإذا عرفت طائفة منها فساد مذهب الأخرى فيما نصب اللّه لها من الادلة، و ان جهلت فساد مقالة نفسـها لتفريطها فى ذلك، و سوء اختيارها، فجاز على هذا أن يضاف الإغراء فى ذلك إلى اللّه من حيث انه امر كل فرقـة منها بمعاداة الاخرى على ما تعتقـده، و ان أمرها ايضاً بأن تترك ما هى متمسـكة به لفساده و هـذا واضـح بحمـد اللّه، فان قيل: أ يجوز على هذا ان يقال ان اللّه اغرى بين المؤمنين و الكفار العداوة؟

قلنا: اما إغراء المؤمن بالكفار فصـحيح، و اما إغراء الكافر بالمؤمن، فليس بصـحيح، لان ما عليه المؤمنون حق، و ما عليه الكفار، باطل. و إنما يقال: إن اللّه اغرى بين التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٧۴

قوم و قوم إذا كان على بطلان قول كل طائفـة منهما دليل يدل على فساد قول من يخالفها فعلى هذا لا يصح إطلاق القول بما قالوه، و متى قيد القول على ما بيناه، جاز، و أن لم يخبر مع الإطلاق.

و قوله: «وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» لما قال (تعالى) لنبيه:

«فَاعْفُ عَنْهُـمْ وَ اصْـفَحْ» بين انه من وراء الانتقـام منهم، و انه سـيجازيهم عنـد ورودهم عليه، بمـا كـانوا يصـنعون فى الـدنيا من نقض الميثاق، و نكث العهد و يعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۵ الى ۱۶]..... ص: ۴٧۴

يـا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ

(۱۵) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۶)

آيتان كوفى و ثلاث بصرى و مدنى. هذا خطاب لأجل الكتاب من اليهود و النصارى الذين عصوا الرسول فيما أمرهم به، و دعاهم اليه، فقال لهم قد جاءكم رسولنا محمد (صلى اللَّه عليه و آله) يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب أى يبين للناس ما كنتم تخفونه. و قال ابن عباس و قتادة: إن مما بينه رجم الزانين، و أشياء كانوا يحرفونها بسوء التأويل. و انما لم يقل: يا أهل الكتابين، لأن الكتاب اسم جنس. و فيه معنى العهد، و هو أو جزوا حسن فى اللفظ من حيث كانوا، كأنهم أهل كتاب واحد. و الوجه فى تبيين بعضه، و ترك بعضه أنه يبين ما فيه دلالة على نبوة النبى (ص) من صفاته، و نعته، و بشارته به، و ما يحتاج إلى علمه من غير ذلك مما تنفق له الأسباب التى يحتاج معها إلى استعلام ذلك، كما اتفق فى الرجم التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۷۵

و ما عدا هذين مما ليس فى تفصيله فائدة يكفى ذكره فى الجملة.

و قوله: «وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» معناه يترك كثيراً لا يأخذكم به، و لا يذكره لأنه لم يؤمر به على قول أبى على و قال الحسن: و يصفح عن كثير بالتوبة منه.

و معنى النور فى الآية يحتمل أمرين:

أحدهما- أنه النبى (صلى اللَّه عليه و آله) فى قول الزجاج.

و الاخر- هو القرآن على قول أبى على و انما سمى نوراً، لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور، و يجب ان يتبع لأنه نور مبين عن الحق من الباطل فى الدين. و الاولى ان يكون كناية عن النبى، لأن قوله: «وَ كِتابٌ مُبِينٌ» المراد به القرآن، و قوله: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ» يعنى يفعل اللطف المؤدى الى سلوك طريق الحق يعنى بالنبى (صلى اللَّه عليه و آله) او الكتاب «مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ» يعنى رضا اللَّه و الرضوان و الرضا من اللَّه ضد السخط. و هو ارادة الثواب لمستحقه و قال قوم: هو المدح على الطاعة و الثناء. و قال الرمانى: هو جنس من الفعل يقتضى وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها، و يضاف الغضب. قال لان الرضا بما كان يصح، و ارادة ما كان لا يصح إذ قد يصح أن يرضى بما كان، و لا يصح أن يريد ما كان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشىء من الغير، غير انها لا تسمى بذلك إلا إذا وقع مرادها، و لم يتخللها كراهة، فتسميتها بالرضا موقوفة على وقوع المراد إلا أن بعد وقوع المراد بفعل ارادة هى رضا لما كان فسقط ما قاله.

و قوله: «سُبُلَ السَّلامِ» السبل جمع سبيل. و فى السلام قولان:

أحدهما- هو اللَّه فى قول الحسن و السدى- و المعنى دين اللَّه. و قال:

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ» الثانى- قال الزجاج: إنه السلامة من كل مخافة و مضرة إلا ما لا يعتد به، لأنه يؤول إلى نفع فى العاقبة.

و قوله: «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ» معناه من الكفر الى الايمان، لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير فى الظلام، و يهتدى بالايمان إلى النجاة كما التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۷۶

يهتدى. بالنور و قوله: «باذنه» معناه بلطفه.

و قوله: «يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» معناه يرشدهم إلى طريق الحق. و هو دين الحق. و قال الحسن: هو الذى يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة. و به قال أبو على. و معنى «صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» طريق مستقيم و هو دين اللَّه القويم الذى لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۷]..... ص: ۴۷۶

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۷)

آية بلا- خلاف- اللام فى قوله: «لَقَدْ كَفَرَ» جواب للقسم و تقديره أقسم لقد كفر الذين قالوا. و انما كفروا بقولهم: إن اللَّه هو المسيح بن مريم على وجه التدين به، لأنهم لو قالوه على وجه الحكاية منكرين لذلك لم يكفروا به. و انما كانوا بذلك كافرين من وجهين: أحدهما- انهم كانوا بالنعمة من حيث أضافوها إلى غير اللَّه ممن ادعوا إلهيته.

و الثاني- كفر صفة لأنهم وصفوا المسيح و هو محدث بصفات اللَّه تعالى، فقالوا: هو إله واحد فكل جاهل باللَّه كافر، لأنه لما ضيع حق نعمة اللَّه، كان بمنزلة من أضافها إلى غيره و معنى من يملك من اللَّه شيئاً من يقدر ان يدفع من أمر اللَّه شيئاً، من قولهم: ملكت على فلان أمره: إذا اقتدرت عليه حتى لا- يمكنه إنفاذ شيء من أمره الا- بك. و تقديره من يملك من أمره شيئاً. و وجه الاحتجاج بذلك انه لو كان المسيح إلهاً، لقدر على دفع أمر اللَّه إذا اتى بإهلاكه و إهلاك غيره، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٧٧

بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم (تعالى) إذ ذلك من صفات المحتاج الذليل.

و قوله: «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» انها لم يقل و ما بينهن مع ذكر السموات على الجمع، لأنه أراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر:

طرقاً فتلك هما همى اقريهما قلصاً لواقح كالقسى و حولا

فقال: طرفاً، ثم قال: فتلك هما همى. فان قيل: كيف حكى عنهم ان اللَّه هو المسيح بن مريم. و عندهم هو ابن اللَّه؟ قلنا: لأنهم زعموا انه اله. و هذا الاسم انما هو للاله بمنزلة ذلك، كما لو قال الدهرى: إن الجسم قديم لم يزل، و ان لم يذكره بهذا الذكر.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۸]..... ص: ۴۷۷

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)

- آية بلا خلاف-.

روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبى حين حذرهم بنقمات اللَّه و عقوباته، فقالوا: لا تخوفنا فاننا أبناء اللَّه و احباؤه و قال السدى: إن اليهود تزعم ان اللَّه عز و جل أوحى الى بنى إسرائيل إن ولدك بكر من الولد. و قال الحسن: انما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد. و اما قول النصارى، فقيل فيه: إنهم تأولوا ما فى الإنجيل من قول عيسى اذهب الى أبى و أبيكم. و قال قوم: لما قالوا:

المسيح ابن اللَّه أجرى ذلك على جميعهم، كما يقولون: هذيل شعراء أى منهم شعراء و كما قالوا فى رهط مسيلمة قالوا: نحن أنبياء أى قال قائلهم. و كما قال جرير:

ندسنا أبا مندوسة القين بالقنى

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٧٨

فقال: ندسنا. و انما النداس رجل من قوم جرير.

و قوله: «وَ أَحِبَّاؤُهُ» جمع حبيب، فقال اللَّه لنبيه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) قل لهؤلاء المفترين على ربهم: «فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» فلأى شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فان الأب يشفق على ولده. و الحبيب على حبيبه، لا يعذبه و هم يقرون بأنهم معذبون، لأنهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم و أباحوا الناس ارتكاب فواحشهم. و اليهود تقر انهم يعذبون أربعين يوماً. و هى عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل.

و قوله: «بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ» معناه قل لهم: ليس الامر على ما زعمتم انكم أبناء اللَّه و احباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنى آدم ان أحسنتم

جوزيتم على إحسانكم مثلهم، و إن اسأتم، جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم. و ليس لكم عند اللَّه إلا ما لغيركم من خلقه.

و قوله: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» فانه و ان علق العذاب بالمشيئة، فالمراد به المعصية، لأنه تعالى لا يشاء العقوبة إلا لمن كان عاصياً، فكان ذكرها أوجز و أبلغ، لما فى ذلك من رد الامر الى اللَّه الذى يجازى به على وجه الحكمة. «۱»

و انما هذا وعيد من اللَّه لهؤلاء اليهود و النصارى المتكلين على منازل أسلافهم فى الجنان عندهم. فقال اللَّه تعالى: لا تغتروا بذلك فإنهم نالوا ما نالوا بطاعتى و إيثار رضاى، لا بالامانى. و قال السدى: معنى «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» يعنى يهدى من يشاء فى الدنيا فيغفر له، و يميت من يشاء على كفره، فيعذبه.

و قوله تعالى: «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه انه يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه، فقد وجب اليأس مما قدروا من كل جهة، و أنه لا منجى لهم الا بالعمل بطاعة اللَّه و اجتناب معاصيه. و قال أبو على: ذلك بأنه يملك السموات، و الأرض و ما بينهما على أنه لا ولد له، لان المالك لذلك لا شبه له، و لان المالك لا يملك ولده لخلقه له.

و قوله: «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» معناه انه يئول اليه امر العباد فى أنه لا يملك ضرهم،

---

(۱)- فى المطبوعة (يجز بها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۷۹

و لا نفعهم غيره- عز و جل-، لأنه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما ملكهم فى دار الدنيا كما يقال: صار أمرنا الى القاضى لا على معنى قرب المكان، و إنما يراد بذلك أنه المتصرف فينا و الآمر لنا دون غيره.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۹]..... ص: ۴۷۹

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۹)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب لليهود و النصارى ناداهم اللَّه خصوصاً لينبههم على ما يذكر لهم.

و قوله (قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ) يدل على أنه اختصه من العلم بما ليس مع غيره «عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» يعنى على انقطاع من الرسل. و فيه دلالة على أن زمان الفترة: لم يكن فيه نبى. و الفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين. و الأصل فيها الانقطاع عما كان عليه من الجد فيه من العمل، يقال: فتر عن عمله و فترته عنه. و فتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة. و امرأة فاترة الطرف أى منقطعة عن حدة النظر. و فتور البدن كفتور الماء، و الفتر ما بين السبابة و الإبهام إذا فتحا. و قال الحسن:

كانت هذه الفترة بين عيسى و محمد (ص) ستمائة سنة و قال قتادة خمسمائة و خمسين سنة. و قال الضحاك أربعمائة سنة و بعضاً و ستين سنة.

و قوله (أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ) يدل على بطلان مذهب التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸۰

المجبرة فى القدرة، لان الحجة بمنع القدرة أوكد من الحجة بمنع اللطف، و تكون الحجة فى ذلك لمن علم اللَّه أن بعثة الأنبياء مصلحة لهم، فإذا لم يبعث، تكون لهم الحجة، فاما من لا يعلم ذلك فيهم، فلا حجة لهم، و ان لم يبعث اليهم الرسل. و معنى «أَنْ تَقُولُوا» ألا تقولوا «ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ».

على قول الفراء و غيره من الكوفيين، كقوله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألا تضلوا. و قال البصريون: معناه كراهة أن تضلوا، و كراهة أن تقولوا، و حذفت كراهة. كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و إنما أراد أهلها. و أن «تقولوا» فى موضع نصب عند أكثر

البصريين و قال الخليل و الكسائى:

موضعه الجر و تقديره لئلا تقولوا. و البيان الذى أتاهم به النبى (ص) هو دين الإسلام الذى ارتضاه اللَّه. و هو بيان نفس الحق من الباطل، و ما يجب.

و البشير هو المبشر لكل مطيع بالثواب. و النذير هو المنذر المخوف كل عاص للَّه بالعقاب ليتمسك المطيع بطاعته، و يجتنب العاصى لمعصيته. و الجملة التى ذكرناها قول ابن عباس و قتادة و جميع المفسرين.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۲۰]..... ص: ۴۸۰

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (۲۰)

آية بلا خلاف فى هذه الآية اعلام من اللَّه تعالى للنبى (ص) قديم تمادى هؤلاء اليهود فى الغى و بُعدهم من الحق و سواء اختيارهم لأنفسهم و شدة خلافهم لانبيائهم مع التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸۱

كثيرة نعم اللَّه عليهم و تتابع أياديه و آلائه عليهم، مصلياً بذلك نبيه (ص) من مقاساتهم فى ذات اللَّه. فقال: فاذكر يا محمد إذ قال موسى لهم (يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) و أياديه لديكم و آلائه عليكم. و هو قول ابن عباس و ابن عيينة.

و قوله (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ) يعنى ان موسى ذكر قومه بنعمه عليهم، و بلائه لديهم فقال لهم (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء يخبرونكم بأنباء لغيب، و لم يعط ذلك غيركم فى زمانكم هذا. و قيل ان الأنبياء الذين ذكرهم اللَّه أنهم جعلوا فيهم هم الذين اختارهم موسى إلى الجبل: و هم السبعون الذين ذكرهم اللَّه تعالى فقال (وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا) «۱» و قال قوم: هم الأنبياء الذين كانوا بعد موسى (ع).

و قوله (وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً) معناه سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم.

و قال قتادة: لأنهم أول من سخر لهم الخدم من بنى إسرائيل، و ملكوا. و قال قوم: كل من ملك بيتاً أو خادماً أو امرأة و لا يدخل عليه إلا بأمره فهو ملك- كائناً من كان- ذهب اليه عمرو بن العاص و زيد بن اسلم و الحسن و الفراء قال:

هؤلاء إنما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور و الخدم و لهم نساء و أزواج. و به قال الحسن و ابن عباس و مجاهد. و روى عن النبى (ص).

و قال السدى جعلهم ملوكاً يملك الرجل منهم نفسه و أهله و ماله. و قال الزجاج: جعلكم اللَّه تملكون أمركم و لا يغلبكم عليه غالب. و قال البلخى:

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸۲

ليس ينكر أن يكون اللَّه يجعل لهم الملك و السلطان و وسع عليهم التوسعة التى يكون الإنسان بها ملكاً. و قال المؤرج: معناه- بلغة كنانة و هذيل- جعلكم أحراراً. و قال أبو على: الملك هو الذى له ما يستغنى به عن تكلف الاعمال و تحمل المشاق، و التسكع فى المعاش. و قال ابن عباس، و مجاهد: جُعلوا ملوكاً بالمن و السلوى و الحجر و الغمام. و زاد الجبائى: و بغير ذلك من الأموال. و قال قوم: ملوكا أنفسهم بالتخلص من الغيظ.

و قوله: (وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ) يعنى أعطاكم ما لم يعط أحداً من عالمى زمانهم. و هو قول الحسن و البلخى. و قال أبو على: أعطاكم ما لم يعط أحداً من العالمين أى من اجتماع هذه الأمور و كثرة الأنبياء فيهم، و الآيات التى جاءتهم، إنزال المن و

السلوى عليهم. و هو قول الفراء و الزجاج.

و قال ابن عباس و مجاهد و الحسن: هذا خطاب موسى لامته- و هو الأظهر- و قال سعيد بن جبير، و أبو مالك: هو خطاب من اللَّه لامة محمد (ص). و إنما قلنا: أن الاول أولى لأن اللَّه أخبر حاكياً عن موسى (ع) أنه قال لهم (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً) ثم عطف على ذلك قوله:

(وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ) فالعدول عن ذلك من غير ضرورة لا يجوز.

و قوله: «أنبياء» لا ينصرف فى معرفة و لا نكرة لان علامة التأنيث فيها لازمة مثل حمراء تأنيث أحمر. و يخالف ذلك علامة التأنيث فى طلحة و قائمة تأنيث قائم فلذلك انصرف هذا فى النكرة دون المعرفة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٨٣

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٢١]..... ص: ۴٨٣

يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (٢١)

آية بلا خلاف.

هذه حكاية عن موسى (ع) أنه خاطب قومه و أمرهم بالدخول الى الأرض المقدسة و هى: بيت المقدس على قول ابن عباس، و ابن زيد، و السدى و أبى على. و قال الزجاج و الفراء: هى دمشق و فلسطين و بعض الأردن. قال الفراء بتشديد النون- و قال قتادة: هى الشام. و قال مجاهد هى أرض الطور.

و المقدسة فى اللغة: المطهرة. و قيل: إنها طهرت من الشرك و جعلت مسكناً و قراراً للأنبياء و المؤمنين، و الأصل التقديس، و هو التطهير، و منه قيل للسطل الذى يتطهر منه: القدس. و قيل: بيت المقدس لأنه يطهر من الذنوب. و منه تسبيح اللَّه و تقديسه سبوح قدوس، و هو تنزيهه عما لا يجوز عليه من نحو الصحابة و الولد و الظلم و الكذب.

و قوله: «كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعنى فى اللوح المحفوظ. فان قيل: كيف كتب اللَّه لهم مع قوله «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» ؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- قال ابن إسحاق: إنها كانت هبة من اللَّه لهم ثم حرمهم إياها.

و الثانى- إن ظاهر ذلك يقتضى العموم بأن اللَّه كتب لهم، فلما قال «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» استثنى ذلك من جملته.

و يحتمل أن يكون المراد انها يدخلها قوم منهم. و قيل: ان القوم الذين كتب لهم دخولها غير الذين حرم عليهم، و الذين كتب لهم دخولها مع يوشع بن التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٨۴

نون بعد موت موسى بشهرين.

و قوله: «وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ» فيه قولان:

أحدهما- لا ترجعوا عن طاعة اللَّه الى معصيته- فى قول أبى على.

الثانى- لا ترجعوا عن الأرض التى أمرتم بدخولها.

و قوله «فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه كان فرض عليهم دخولها كما فرضت الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج، فلما لم يفعلوا فقد خسروا الثواب. هذا قول قتادة و السدى.

و الثانى- أنه أراد بذلك خسران حظهم كالخسران فى البيع بذهاب رأس المال.

و خاسرين نصب على الحال، و العامل فيه «فتنقلبوا» دون قوله «و لا ترتدوا» .

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٢٢]..... ص: ۴٨۴

قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ (۲۲)

آيـة بلا خلاف هـذه حكايـة من اللَّه عن قوم موسـى لما أمرهم بـدخول الأرض المقدسـة، انهم قالوا: إن فى الأرض قوماً جبارين، و نصب (جبارين) ب (أن) و (فيها) خبر (إن) قـدم على الاسم. و الجبار هو الـذى لا ينال بالقهر و أصـله- فى النخل- ما فات اليد طولًا و الجبار من الناس هو الذى يجبرهم على ما يريد.

و قال ابن عباس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنه لما بعث موسى من قومه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸۵

اثنى عشـر نقيباً ليخبروه، خبرهم، رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخـذهم فى كمه مع فاكهة كان حملها من بستانه و أتى بهم الملك فنثرهم بين يديه و قال معجباً للملك منهم: هؤلاء يريدون قتالنا؟! فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا.

و قال قتادة و مجاهـد مثله. قال مجاهـد كانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود لهم خمسة رجال بالخشب. و يدخل فى قشـر نصـف رمانة خمسة رجال.

و ان موسـى كان طوله عشـرة أذرع و له عصا طولها مثل ذلك و نزا من الأرض مثل ذلك، فبلغ كعب عوج بن عوق فقتله. و قيل كان سريره مائة ذراع.

و أصل الجبار من الإجبار على الامر و هو الإكراه عليه. و الجبر جبر العظم و هو كالاكراه على الصلاح. قال العجاج:

قد جبر الدين الاله فجبر و عوَّر الرحمن من ولى العور «۱»

أى أصـلحه و لأمه كجبر العظم كرهـاً. و الجبـار هـدر الأرش لأن فيه معنى الكره. و الجبـار فى صـفات اللَّه صـفة التعظيم، لأنه يفيد الاقتدار، و تقول: لم يزل اللَّه جباراً بمعنى أن ذاته تدعو العارف بها إلى تعظيمها.

و الفرق بين الجبار و القهار أن القهار هو الغالب لمن ناوأه أو كان فى حكم المناوئ بمعصـيته إياه، و لا يوصف فيما لم يزل بأنه قهار. و الجبار فى صفة المخلوقين صفة ذم، لأنه يتعظم بما ليس له من العظمة. فان العظمة للَّه تعالى.

و قوله (وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها) يعنى هؤلاء الجبارين

---

(۱) لسان العرب (جبر)، (عور)، و العور هنا بمعنى قبح الامر و فساده، تقول: عورت عليه أمره أى أفسدته عليه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۴۸۶

«فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ» تمام الحكاية عن قوم موسى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۲۳]..... ص: ۴۸۶

قـالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخـافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَـا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبـابَ فَـإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَـإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ (۲۳)

آيتان فى البصرى و آية عند الباقين.

هـذا إخبار من اللَّه تعالى عن رجلين من جملـة النقباء الذين بعثهم موسـى لتعرف خبر القوم. و قيل هما يوشع بن نون، و كالب، و قيل كلاب بن يوفنا، فى قول ابن عباس و مجاهـد و السـدى و قتادة و الربيع. و قال الضـحاك: هما رجلان كانا فى مدينـة الجبارين و كانا على دين موسـى (ع). و قوله «مِنَ الَّذِينَ يَخـافُونَ» قـال قتـادة: يخافون اللَّه- عز و جل- و قال أبو على يخافون الجبارين أى لم يمنعهم الخوف من الجبـارين أن قالوا الحق «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» بالتوفيق للطاعـة. و قال الحسن: أنعم اللَّه عليهما بالإسـلام. و كان سـعيد بن جبير يقرأ «يخافون» بضم الياء. و روى تأويل ذلك عن ابن عباس: انهما كانا من الجبارين أنعم اللَّه عليهما بالإسلام.

و قوله: «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ» اخبار عن قول الرجلين انهما قالا ذلك. و إنما صار الظفر بـدخول باب مدينة الجبارين لما رأوا من رعبهم و ما ألقى اللّه فى قلوبهم من حكمـة بأنه كتبها لهم، و ما تقدم من وعد موسـى (ع) إياهم بأنهم إن دخلوا الباب غلبوا.

و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه فتوكلوا على اللّه فى التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٨٧

نصره إياكم على الجبارين إن كنتم مؤمنين باللّه، و بما آتاكم به رسوله من عنده.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٢٤]..... ص: ٤٨٧

قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (٢۴)

آية بلا خلاف.

هـذا إخبـار عن قوم موسـى أنهم قـالوا: لاـ نـدخل هـذه المدينـة مـا دام الجبـارون فيهـا، لأـنهم جبنوا و خـافوا من قتال الجبارين لعظم أجسامهم و شدة بطشهم، و لم يثقوا بوعد نبيهم بالنصر لهم عليهم و الغلبة لهم.

و قوله «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ» إنما أبرز الضمير ليصح العطف عليه، لأنه لا يجوز العطف على الضمير قبل أن يؤكد. و إنما جاز فى قوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ» «١» ذلـك، لأـن ذكر المفعول صار عوضاً عن المنفصل مثل (لا) فى «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا» «٢» و إنما لم يقرن قوله «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا» بالنكير- إذ الذهاب لا يجوز عليه تعالى- لأمرين:

أحدهما- لأن الكلام كله يدل على الإنكار عليهم و التعجب من جهلهم فى تلقيهم أمر نبيهم بالردِّ له و المخالفة عليه.

الثـانى- لأنهم قالوا ذلك على المجاز بمعنى و ربك معين لك- على ما ذكره البلخى- و الأول أقوى لأنه أظهر من أولئك الجهال. و إنمـا يتـأول على ما قاله البلخى لو كانوا ممن لا يجوز عليهم مثل ذلك. و قال الحسن: هـذا القول منهم يـدل على أنهم كانوا مشـبهة و أنهم كفروا بذلك باللّه. و قال أبو على: إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر، لان

---

(١) سورة يونس آية ٧١

(٢) سورة الانعام آية ١۴٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٨٨

ذلك جل باللّه تعالى. و إن قالوه على وجه الخلاف فهو فسق.

فان قيل: هل يجوز وصفه تعالى بالقتال كما قال (قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) «١» ؟

قلنا: هـذا مجاز، و المعنى إن عـداوته لهم عداوة المقاتل، و انه يحل بهم ما يحله بالمقاتل المسـتعلى بالاقتدار و عظم السـلطان، و ليس كذلك قول هؤلاء الجهال.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٢٥]..... ص: ۴٨٨

قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (٢۵)

آية بلا خلاف.

فى هـذه الآيـة إخبـار من اللّه تعـالى عمـا قـاله موسـى (ع) عقيب ما كان من قومه من الخلاف و قلـة القبول على نبيهم، و خرج ذلك مخرج الغضب منه على قومه لما كان من عصيانهم إياه. و مثل ذلك لا يخرج إلا على غضب.

و قوله «لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» مجاز، لأن الإنسان لا يصح أن يملك نفسه، لأن الأصل فى الملك القدرة، و المالك هو القادر، و

محال أن يقدر الإنسان على نفسه، ثم من حق المملوك أن يكون مقدوراً عليه أو فى حكم المقدور عليه فى أن له أن يصرفه تصريف المقدور عليه كملك الإنسان للمال و العبد و نحوه، فلا يجوز على هذا أن يملك نفسه. و معنى الآية أنه لما ملك تصريف نفسه فى طاعة اللّه جاز أن يصف نفسه بأنه يملكها، لأنه مما يجوز أن يملكه. و قوله: «و أخى» لأنه كان أيضاً طائعاً له فيما يأمره به، فكان كالقادر عليه. و يحتمل موضعه أربعة أوجه:

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣١ و سورة ۶۵ المنافقون آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٨٩

أحدهما- الرفع على موضع (إن) و تقدره: إني لا أملك إلا نفسى و أخى لا يملك الا نفسه.

الثانى- الرفع أيضا بالعطف على الياء فى (إنى).

الثالث- النصب بالعطف على الياء فى (إنى).

الرابع- النصب بالعطف على نفسى.

و قوله «فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» قيل فى الوجه الذى سأل الفرق بينه و بينهم قولان:

أحدهما- أن يحكم و يقضى بما يدل على بعدهم عن الحق و ذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان و لذلك القوا فى التيه. هذا قول ابن عباس و الضحاک.

الثانى- قال أبو على إنما دعا بأن يفرق بينه و بينهم فى الآخرة بأن يكون هؤلاء فى النار، و أن يكون هؤلاء فى الجنة. و لو دعا بالهلاک فى الدنيا لأهلكهم اللّه.

و قال قوم: إنما سأل أن ينصره اللّه عليهم حتى يرجعوا الى الحق. و قال البلخى معناه باعد، و افصل. و حكى عن المؤرج ان معناه: اقض- بلغة مدين- و الفرق الذى يدل على المباعدة مثل قول الراجز:

يا رب فافرق بينه و بينى أشدَّ ما فرَّقت بين اثنين

و قوله «الفاسقين» - فى الآية- لا يدل على ان ما وقع منهم كان فسقاً لا كفراً، لأن الكفر قد يوصف بالفسق، لأن الفسق هو الخروج من الطاعة الى المعصية على وجه التمرد، و يكون ذلك فى الكفر قال اللّه تعالى «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» «١» و كان بذلك كافراً بلا خلاف.

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ۵١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴٩٠

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٢۶]..... ص: ۴٩٠

قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (٢۶)

هذه الآية إخبار من اللّه، و خطاب لموسى (ع) أنَّ قومه قد حرم عليهم دخول بلد الجبارين أربعين سنة، و فى كيفية التحريم قولان:

أحدهما- قول أكثر المفسرين: أنه تحريم منع كما قال الشاعر:

جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك محرم

يعنى دابته التى هو راكبها و يريد بذلك إنى فارس لا يمكنك أن تصرعنى. و قال أبو على: يجوز أن يكون المراد به تحريم تعبد- و الأول هو الأظهر- و قال البلخى: يجوز أن يكونوا أمروا بأن يطوفوا فيه أربعين سنة يتيهون فى الأرض يعنى فى المسافة التى بينهم و

بينها. و قال الربيع: و كان مقداره ستة فراسخ. و قال مجاهد، و الحسن: كانوا يصبحون حيث أمسوا.

و يسمون حيث أصبحوا. و قال الحسن: لم يمت موسى (ع) فى التيه. و روى عن ابن عباس أنه مات فى التيه على علم منه فيه. و أما هارون فانه مات قبل موسى فى التيه، و كان أكبر من موسى. و استخلف موسى يوشع بعده. و قال:

إن اللّه بعثه نبياً. و فى دخوله أيضاً مدينة الجبارين خلاف.

و أصل التيه التحير الذى لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود. و أصله الحيرة. يقال: تاه يتيه تيهاً: إذا تحير. و تيهته و توهته، و الياء أكثر. و التيهاء- من الأرض- هى التى لا يهتدى فيها. يقال: أرض تيه و تيهاء. قال الشاعر:

تيه أتاويه على السقاط

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۹۱

فان قيل: يجوز على جماعة- عقلا- كثيرين أن يسيروا فى فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- قال أبو على: يكون ذلك بأن تحول الأرض التى هم عليها إذا ناموا فيردهم الى المكان الذى ابتدءوا منه.

الثانى. أن يكون بالاشتباه. و الأسباب المانعة من الخروج عنها إما بأن يمحو العلامات التى يستدل بها أو بان يلقى شبه بعضها على بعض، و يكون ذلك معجزة خارقة للعادة.

و قيل: إن التيه كان عقوبة لهم بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل عن كل يوم سنة. و من قال هذا قال: لم يكن موسى و هارون فيها، أو كانا فيها غير متوهين، كما كان ابراهيم فى نار نمرود غير متألم بها.

و قوله: (أربعين سنة) نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- على قول الربيع ب «محرمة» حرمها عليهم أربعين سنة.

و الثانى- «يتيهون» على قول الحسن و قتادة، لأنهما قالا: إنه ما دخلها أحد منهم. و قيل: انه دخلها يوشع بن نون و كالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين. قالوا لأنه لا خلاف بين المفسرين أن دخلوها كان محرم عليهم على طريق التأبيد. و إنما دخلها أولادهم مع يوشع و كالب بن يوفنا. و قوله:

«فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» خطاب لموسى (ع) أمره اللّه أن لا يحزن على هلاكهم لفسقهم. و الاسى: الحزن يقال أسى يأسى أسى أى حزن قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلک أسى و تجمل

و قال الزجاج: هو خطاب للنبى (ص).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۹۲

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۲۷]..... ص: ۴۹۲

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (۲۷)

آية بلا خلاف.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن اللّه تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود فى الظلم و نقض العهد و ارتكاب الفواحش من الأمور كحال ابن آدم قابيل فى قتله أخاه هابيل، و ما عاد عليه من الوبال بتعديه. فأمر نبيه أن يتلو عليهم اخبارهما و فيه تسلية للنبى (ص) لما ناله من جهلهم بالتكذيب فى جحوده و تبكيت اليهود.

و قوله: «إِذْ قَرَّبا قُرْباناً» متعلق بنبإ، و تقديره: اقرأ عليهم خبر ابنى آدم و ما جرى منهما إذ قربا قرباناً. و القربان يقصد به القرب من رحمة اللّه من أعمال البر و هو على وزن فعلان من القرب، كالفرقان من الفرق، و العدوان من العدو، و الشكران من الشكر، و الكفران

من الكفر.

قال ابن عباس و عبد اللَّه بن عمر، و مجاهد، و قتادة، و أكثر المفسرين:

إن المتقربين كانا ولدى آدم لصلبه: قابيل، و هابيل. و قال الحسن، و أبو مسلم محمد بن بحر، و الزجاج: هما من بنى إسرائيل، لأن علامة تقبل القربان لم تكن قبل ذلك. و كان سبب قبول قربان أحدهما. ورد الآخر أحد أمرين:

أحدهما- أنه رد قربان أحدهما لأنه كان فاجراً فاسقاً. و قبل قربان هابيل لأنه كان متقياً مطيعاً، و لذلك قال اللَّه (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).

الثانى- انه قرّب بشر ماله و أخسه. و قرب الآخر بخير ماله، و أشرفه. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٩٣

فتقبل الأشرف، و رد الأخس.

و قال قوم ان سبب القربان أنه لم يكن هناك فقير فمن أراد القربان أخرج من ماله ما أحب، ففعلا ذلك، فأكلت النار قربان أحدهما دون الآخر، و لم يكن ذلك عن أمر اللَّه. و قال أكثر المفسرين و رواه أبو جعفر و غيره من المفسرين:

أنه ولد لكل واحد من قابيل و هابيل اخت توأم له فأمر آدم كل واحد بتزويج اخت الآخر. و كانت اخت قابيل أحسن من الاخرى. فارادها، و حسد أخاه عليها، فقال آدم قربا قرباناً، فأيكما قبل قربانه فهى له، و كان قابيل صاحب زرع فعمد الى أخبث طعام. و عمد هابيل الى شاة سمينة و لبن و زبد، فصعدا به الجبل فأتت النهار فأكلت قربان هابيل، و لم تعرض لقربان قابيل. و كان آدم غائباً عنهما بمكة، فقال قابيل لا عشت يا هابيل فى الدنيا، و قد تقبل قربانك و لم يتقبل قربانى. و تريد أن تأخذ اختى الحسناء. و آخذ أختك القبيحة، فقال له هابيل: ما حكاه اللَّه تعالى، فشدخه بحجر فقتله، ثم حمله على عاتقه و كان يضعه على الأرض ساعة و يبكى و يعود يحمله كذلك ثلاثة أيام إلى أن رأى الغرابين.

و قوله: «لأقتلنك» معناه قال الذى لم يتقبل قربانه: و «قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ» يعنى الذى تقبل قربانه، و إنما حذف لدلالة الكلام عليه.

و قيل فى علامة القبول قولان:

قال مجاهد كانت النار تأكل المردود. و قال غيره بل كانت العلامة فى ذلك ناراً تأتى فتأكل المتقبل و لا تأكل المردود.

و قال قوم فى الآية دلالة على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها. و اما النافلة فيصل اليه ضرب من النفع بها. و تقبل الطاعة إيجاب الثواب عليها- و هذا الذى ذكروه غير صحيح- لأن قوله «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٩٤ مِنَ الْمُتَّقِينَ»

: معناه إنما يستحق الثواب على الطاعات من يوقعها لكونها طاعة فاما إذا فعلها لغير ذلك فانه لا يستحق عليها ثواباً. فإذا ثبت ذلك، فلا يمتنع أن تقع من الفاسق يوقعها على الوجه الذى يستحق عليها الثواب فيستحق الثواب و لا تحابط عندنا بين ثوابه و ما يستحق عليه العقاب. و الاتقاء يكون لكل شىء يمتنع منه غير أنه لا يطلق اسم المتقين إلا على المتقين للمعاصى خاصة بضرب من العرف، لأنه أحق ما يجب أن يخاف منه كما لا يطلق خالق إلا على اللَّه- عز و جل- لأنه أحق بهذه الصفة من كل فاعل، لان جميع أفعاله تقع على تقدير و ترتيب و قوله: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» يعنى القرابين إنما

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٨]..... ص: ٤٩٤

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ (٢٨)

يتقبلها اللَّه من الذين يتقون معاصى اللَّه خوف عقابه دون من لا يتقيها.

فى هذه الآية إخبار عن ولد آدم المقتول، و هو هابيل أنه قال لأخيه حين هدَّده بالقتل لما تقبل قربانه و لم يتقبل قربان أخيه، فقال «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ» و معناه لئن مددت إلى يدك. و البسط هو المد و هو ضدَّ القبض «لتقتلنى» و معناه لأن تقتلنى ما أنا باسط

يدى اليك لأن أقتلك.

فان قيل لم قال ذلك و قد وجب بحكم العقل الدفع عن النفس و إن أدَّى إلى قتل المدفوع؟! قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- أن معناه لئن بدأتنى بقتل لم أبدأك لا على أنى لا أدفعك عن نفسى إذا قصدت قتلى هذا قول ابن عباس و جماعة، و قيل: إنه قتله غيلة بأن ألقى عليه و هو نائم صخرة شدخه بها. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٩٥

الثانى- قال الحسن، و مجاهد، و الجبائى: إنه كان كتب عليهم إذا أراد الرجل قتل رجل تركه و لم يمتنع منه. و كان عمرو بن عبيد يجيز الوجهين و هو الأقوى لأن كلا الامرين جائز.

فان قيل كيف يجوز الوجه الأخير و فيه اطماع فى النفس؟! قلنا: ليس فيه شىء من ذلك لأنه يجرى مجرى قول القائل لغيره لئن ظلمتنى لم أظلمك، و لئن قبحت فى أمرى لم أقبح فى أمرك بل فى ذلك غاية الزجر و الردع عن القبيح، لأن القبيح منفر عن نفسه صارف عن فعله.

و قوله: «إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ» يعنى أخاف اللَّه فى ابتداء مدى اليك يدى لقتلك «رب العالمين» يعنى رب الخلائق.

و اللام فى قوله «لئن» لام القسم و تقديره أقسم «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ» و جوابه «ما أَنَا بِباسِطٍ» و لا تقع (ما) جواباً للشرط و الفرق بينهما أن ل (ما) صدر الكلام و القسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم ب (أن) و لام الابتداء، و لم يجز بالفاء لأن المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم و إنما القسم يؤكده، و جواب الشرط يجب بوجوبه، و إذا اجتمع القسم و الجزاء كان جواب القسم أولى من جواب الجزاء، لأنه لما تقدم و صار الجزاء فى حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له و اكتفى به من جواب الجزاء لدلالته عليه.

و روى غياث بن ابراهيم عن أبى اسحق الهمدانى عن على (ع) أنه قال: لما قتل ابن آدم (ع) أخاه بكا و قال:

تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون و طعم و قل بشاشة الوجه المليح

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٩٦

فأجاب آدم (ع):

أيا هابيل قد قتلا جميعاً و صار الحى بالموت الذبيح

و جاء بشرة قد كان فيه على خوف فجاء بها يصيح

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٢٩]..... ص: ٤٩٦

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)

فى هذه الآية إخبار عن ابن آدم (ع) المقتول أنه قال: لا أبدأك بالقتل لأنى «أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي» و معناه أن ترجع، و أصله الرجوع الى المنزل يقال: باء إذا رجع الى المباءة و هى المنزل «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «١» أى رجعوا. و البواء الرجوع بالقود، و هم فى هذا الأمر بواء أى سواء، لأنهم يرجعون فيه الى معنى واحد. و قال الشاعر:

ألا تنتهى عنا ملوك و تتقى محارمنا لا يبؤؤ الدم بالدم «٢»

أى لا يرجع الدم بالدم. و قوله «بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ» معناه اثم قتلى ان قتلتنى، و اثمك الذى كان منك قبل قتلي- هذا قول ابن عباس، و ابن مسعود و الحسن، و قتادة، و الضحاك، و مجاهد- و قال مجاهد معناه خطيئاتى و دمى، ذهب الى ان المعنى مثل إثمى. و قال الجبائى، و الزجاج. و إثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك. و يجوز أن يريد باثمى الأول اثم قتلى ان قتلتنى

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١ و سورة ٣ آل عمران آية ١١٢. [.....]

(٢) اللسان (بوء) و فيه روايتان: لا يبأء، لا يبؤء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۹۷

و اثمك الذى قتلتنى، فاضافة تارة الى المفعول و اخرى الى الفاعل، لأنه مصدر يصح ذلك فيه، كما تقول ضربُ زيدٍ عمراً و ضَربُ عمروٍ زيدٌ فتضيفه تارة الى الفاعل و اخرى الى المفعول.

فان قيل: كيف جاز أن يريد منه الإثم و هو قبيح؟

قلنا: المراد بذلك عقاب الإثم، لأن الرجوع بالإثم رجوع بعقابه، لأنه لا يجوز لأحد أن يريد معصية اللّه من غيره كما لا يجوز أن يريدها من نفسه، و هو قول أبى على و غيره. و قال قوم: التقدير إنى أريد أن لا تبوء باثمى كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألا تضلوا. و هذا وجه يحتمله الكلام لكن الظاهر خلافه، و إنما يحتمل على ذلك إذا دل الدليل على أنه لا يجوز أن يريد من غيره الإثم. و ليس هاهنا ما يدل عليه و الكلام يدل على أنه أراد العقاب لا محالة لو أراد الإثم. و قوله «فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ» لا يدل على فساد القول بالارجاء، لان ظاهره يقتضى أنه يستحق بذلك النار و العذاب، و ان ذلك جزاءه و ليس فى ذلك ما يمنع من جواز إسقاطه بغير توبة فينبغى أن لا يمنع منه.

و فى الآية دلالة على أن الوعيد بالنار قد كان فى زمن آدم بخلاف ما يدعيه جماعة من اليهود و النصارى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٣٠]..... ص: ۴۹۷

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ (٣٠)

آية بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۹۸

قيل فى معنى «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ» ثلاثة أقوال:

أحدها- شجعته نفسه على قتل أخيه فى قول مجاهد. و قال قتادة زينت له نفسه قتل أخيه. و قال قوم: معناه ساعدته نفسه على قتل أخيه، فلما حذف حرف الجر نصب قوله «قَتْلَ أَخِيهِ» .

و من قال معناه زينت نصبه كأنه مفعول به. يقال طاع لهذه الظبية اصول الشجرة، و طاع لفلان كذا أى أتاه طوعاً، و يقال أيضاً انطاع. و لا يقال اطاعته نفسه، لأن (أطاع) يدل على قصد لموافقة معنى الأمر، و ليس كذلك طوع، لأنه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة. و فى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه، و قتل نفسه. و فيه ما لا يتعدى نحو أمرَ و نهى، لأن الأمر و النهى لا يكون إلا ممن هو أعلى لمن هو دونه.

و قال ابن عباس و ابن مسعود و أبو مالك و أبو جعفر (عليه السلام): إنه قتله بصخرة شدخ رأسه بها

، و قال مجاهد: لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ذلك، ظهر فى صورة طير، فأخذ طيراً آخر و ترك رأسه بين حجرين فشدخه، و قابيل ينظر اليه ففعل مثله. و قيل هو أول قتل كان فى الناس. و قوله: «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ» لا يدل على أنه قتله ليلًا، لأن معناه صار من الخاسرين بقتله ليلًا أو نهاراً، لأنه يحسن فى هذا أن يقال:

أصبح، لأنه بمنزلة الأمر الذى بيت ليلًا، فكانت ثمرته الوبال و الخسران.

و المعنى- هاهنا- ذهاب رأس المال بهلاك نفسه. و ذلك أعظم الخسران كما قال تعالى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» فمعنى الآية أصبح من الذين باعوا الآخرة بالدنيا، فخسروا فى ذلك و خابت صفقتهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۴۹۹

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٣١]..... ص: ۴۹۹

فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (۳۱)

آية بلا خلاف.

قرأ الحسن (يا و يلتنى) مضاف، و هما لغتان يقال يا ويلتا و يا ويلتى ذكره الأزهرى.

قيل: إنه كان أول ميت من الناس فلذلك لم يدر كيف يواريه و كيف يدفنه حتى بعث اللَّه غرابين أحدهما حى و الآخر ميت، و قيل كانا حيين فقتل أحدهما صاحبه ثم بحث الحى الأرض فدفن فيه الغراب الميت، ففعل به مثل ذلك قابيل، و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و ابن مالك و مجاهد و الضحاك و قتادة. و فى ذلك دلالة على فساد ما قال الحسن و أبو على و أبو مسلم إنهما كانا من بنى إسرائيل، لأنه لم يكن الناس الى زمان بنى إسرائيل، لا يدرون كيف يدفنون ميتهم، قال الرمانى و لا يجوز أن يكون الغراب مكلفاً، لأن المعلوم من دعوة الرسول أن المكلفين هم الملائكة و الانس و الجن، و المعلوم ضرورة أنه لا مطيع للَّه أحد إلا من هذه الثلاثة أصناف، و أيضاً فقد بعث اللَّه النبى (ص) الى كل مكلف سوى الملائكة و لا يقول أحد: إنه مبعوث الى الغربان. و معنى «فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً» ألهمها ذلك. و قال الزجاج أكرم اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۰۰

المقتول بأن بعث غراباً حثا عليه التراب ليريه كيف يوارى سوأة أخيه. و قال قوم: كان ملكاً فى صورة الغراب. و قال أبو على يجوز أن يكون الغراب قد زاد اللَّه فى عقله ما عقل أمر اللَّه لا على وجه التكليف كما نأمر صبياننا و أولادنا فيفهمون عنا.

و معنى «سَوْأَةَ أَخِيهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- قال أبو على: إنه جيفة أخيه، لأنه كان تركه حتى أنتن فقيل لجيفته سوءة. و قال غيره: معناه عورة أخيه و الظاهر يحتمل الأمرين. و أصل السوء التكره تقول ساءه يسوءه إذا أتاه بما يكرهه.

و روى الحسن عن النبى (ص) (أن اللَّه ضرب لكم مثلًا ابنى آدم فخذوا من خيرهما و دعوا شرهما).

و قوله «قالَ يا وَيْلَتى فيه حذف لأن تقديره ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فواراه قال و القائل أخاه يا ويلتاه. و قال الزجاج الوقف فى غيره القرآن عليها يا ويلتاه، و النداء لغير الآدميين نحو «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «۱» .

و «يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ» «۲» . و قال يا ويلتا و إنما وقع فى كلام العرب على تنبيه المخاطب و ان الوقت الذى يدعى هذه الأشياء هو وقتها. و المعنى يا ويلتا تعالى فانه من ابانك أى قوله: منى الويل و كذلك يا عجبا: المعنى يا أيها العجب هذا وقتك. و قال سيبويه: الويل كلمة تقال عند الهلكة.

و قيل الويل وادٍ فى جهنم و قوله «أعجزت» يقال عجزت عن الأمر أعجز عجزاً و معجزة.

---

(۱) سورة يس آية ۳۰.

(۲) سورة هود آية ۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۰۱

و قوله «فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» قيل كانت توبته غير صحيحة، لأنها لو كانت صحيحة لاستحق عليها الثواب. و قال أبو على: ندم على قتله على غير الوجه الذى يكون الندم توبة لأنه ندم لأنه لم ينتفع به و ناله ضرر بسببه من أبيه و اخوته. و لو كان على الوجه الصحيح لقبل اللَّه توبته. و على مذهبنا كان يستحق الثواب لو كانت صحيحة، و إن لم يسقط العقاب.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۳۲]..... ص: ۵۰۱

مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا

النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)

آيـة عنـد الجميع قرأ أبو جعفر و الزبير (من أجل) ذلـك بفتح النون و اسكان الهمزة و مثله (قد أفلح) و ما أشبهه. الباقون يقطعون الهمزة بفتح النون بنقل الحركة من الهمزة الى ما قبلها. و من أسكنها تركها على أصلها.

و معنى (من أجل) من جراء ذلك و جريرته. و قال الزجاج: معناه من جناية ذلك. يقال أجلت الشيء أجلًا إذا اجنيته. قال الخوانى:

و أهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا فى عاجل أنا آجله «١»

---

(١) اللسان (أجل) و روايته (كنت بينهم) بدل (ذات بينهم) و فى الصحاح مثل هنا و قائله خوات بين جبير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٠٢

أى جانيه و قيل جاره عليهم. قال عدى بن زيد.

أجل ان اللّه قد فضلكم فوق من احكأ صلباً بإزار «١»

و أصـله الجر. و منه الأجـل الوقت الـذى يجر اليه العقـد الأول و منه الآجـل نقيض العاجل. و منه (أجل) بمعنى نعم، لأنه انقياد الى ما يجر اليه و منه الآجال القطيع من بقر الوحش، لأن بعضها ينجر الى بعض.

و «ذلـك» اشـارة الى قتـل أحـد ابنى آدم أخـاه ظلمـاً. حكمنـا الى بنى إسـرائيل أنه من قتل منهم نفساً بغير نفس أو فساد كان منها فى الأرض فاسـتحقت بـذلك قتلها. و فسادها فى الأرض إنما يكون بالحرب للّه و لرسوله و اخافة السبيل- على ما سـنبينه فيما بعد- و هو قول الضحاك و جميع المفسرين. و اختلفوا فى تأويل قوله (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) على ستة أقوال:

أحدهما- قال الزجاج: معناه إنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً فى أنهم خصومه من قبل ذلك الإنسان.

و الثانى- قال أبو على: إن عليه مثل مأثم كل قاتل من الناس لأنه سنَّ القتل و سهله لغيره، فكان بمنزلة المشارك فيه. و مثله قوله (ع): (من سـنن سـنة حسـنة كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيمة، و من سن سـنة سيئة كان له وزرها و وزر من عمل بها).

الثالث- قال الحسن و قتادة و مجاهد: إن معناه تعظيم الوزر و المأثم

---

(١) اللسان (أجل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٠٣

و تقـديره يـا ابن آدم انـك لو قتلت النـاس جميعـا كـان لـك من عملـك مـا تفوز به و تنجو من النـار؟!- و اللّه- كـذبتك نفسـك و الشيطان، فكذلك قتلك ظلماً الإنسان أى كنت تستحق الخلود فى النار كما كنت تستحقه بقتل الناس جميعاً.

الرابع- قـال ابن عباس: معناه من شـد على عضـد نبى أو امام عـدل، فكأنما أحيا الناس جميعاً. و من قتل نبياً أو إماماً عـدلًا، فكأنما قتل الناس جميعاً.

الخامس- قال ابن مسعود و غيره من الصحابة: معناه (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) عند المقتول «وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً» عند المستنقذ.

السـادس- قال ابن زيـد معناه انه عليه من القود و القتل مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً. و قوله: (وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) قال مجاهـد معناه من نجاها من الهلاك مثل الغرق و الحرق. و قال الحسن و ابن زيـد معناه من عفا عن دمها و قد وجب القود عليها. و قال أبو على معناه من زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيها بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه

اللَّه. فلم يقدم عليه فقد حى الناس بسلامتهم منه و ذلك إحياؤه إياها. و هو اختيار الطبرى و اللَّه تعالى هو المحيى للخلق لا يقدر على ذلك غيره تعالى. و إنما قال: (أحياها) على وجه المجاز بمعنى نجاها من الهلاك كما حكى عن نمرود ابراهيم «أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ» فاستبقا واحداً و قتل الآخر. قوله (وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ) قسم من اللَّه تعالى أن رسله أتت بنى إسرائيل الذين ذكر قصصهم و أخبارهم بالآيات الواضحة و الحجج الدالة على صدق رسله و صحة ما أتوا به ثم أخبر أن التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٠۴
كثيراً منهم يعنى من بنى إسرائيل لمسرفون بعد مجيئ رسل اللَّه اليهم و معنى (لمسرفون) لعاملون بمعاصى اللَّه، و مخالفون أمره و نهيه باتباعهم غير رسل اللَّه. و الإسراف الخروج عن التقصير و الاقتصاد و ضده التقطير. و الاقتصاد هو التعديل بلا إسراف و لا إقتار و قد يمدح بالاقتصاد.

و قال أبو جعفر (ع): المسرفون هم الذين يستحلون المحارم و يسفكون الدماء.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٣٣]..... ص: ۵٠۴

إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (٣٣)

آية بلا خلاف.

المحارب عندنا هو الذى أشهر السلاح و أخاف السبيل سواء كان فى المصر أو خارج المصر، فان اللص المحارب فى المصر و غير المصر سواء. و به قال الاوزاعى و مالك و الليث بن سعد و ابن لهيعة و الشافعى و الطبرى. و قال قوم: هو قاطع الطريق فى غير المصر ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه و هو المروى عن عطاء الخراسانى. و معنى (يُحارِبُونَ اللَّهَ) يحاربون أولياء اللَّه و يحاربون رسوله (وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً) و هو ما ذكرناه من
إشهار السيف و اخافة السبيل. و جزاءهم على قدر الاستحقاق إن قتل قتل و ان أخذ المال و قتل قتل و صلب و ان أخذ المال و لم يقتل قطعت يده و رجله من خلاف. و ان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفى لا غير هذا مذهبنا. و هو المروى عن أبى جعفر التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٠۵
عليه السلام و أبى عبد اللَّه (ع)

و هو قول ابن عباس و أبى مجلز و سعيد بن جبير، و السدى، و قتادة، و الربيع و ابراهيم- على خلاف عنه- و به قال أبو على الجبائى و الطبرى و حكى عن الشافعى أنه إن أخذ المال جهراً كان للإمام صلبه حياً و ان لم يقتل.

«و ان يقتلوا» فى موضع رفع و تقديره إنما جزاؤهم القتل، و الصلب أو القطع من موضع الخلاف، و معنى (إنما) ليس جزاؤهم الا هذا قال الزجاج: إذا قال جزاؤك عندى درهم جاز أن يكون معه غيره، فإذا قال انما جزاؤك درهم كان معناه ما جزاؤك إلا درهم.

و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس و الضحاك، نزلت فى قوم كان بينهم و بين النبى (ص) موادعة فنقضوا العهد، و أفسدوا فى الأرض، فخير اللَّه نبيه فى ما ذكر فى الآية، و قال الحسن و عكرمة نزلت فى أهل الشرك.

و قال قتادة، و أنس و سعيد بن جبير و السدى: انها نزلت فى العرنيين و العكليين حين ارتدوا و أفسدوا فى الأرض فأخذهم النبى (ص) و قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و سمل أعينهم «١» و فى بعض الاخبار أحرقهم بالنار.

ثم اختلفوا فى نسخ هذا الحكم الذى فعله بالعرنيين، فقال البلخى و غيره نسخ ذلك بنهيه عن المثلة. و منهم من قال: حكمه ثابت فى نظرائهم لم ينسخ.

و قال آخرون لم يسمل النبى (ص) أعينهم و إنما أراد أن يسمل فأنزل اللَّه آية المحاربة، و الذى نقوله: إن عندنا ان كان فيهم طليعة لهم حتى يقتلوا قوماً

(۱) سمل أعينهم أى فقأها بحديدة محماة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۰۶

سلمت عين الربيئة «۱» و أجرى على الباقين ما ذكرناه. و قال قوم: الامام مخير فيه ذهب اليه ابن عباس فى رواية و مجاهد و الحسن و سعيد بن المسيب، و عطا و ابراهيم فى رواية عنه. فمن قال بالأول، ذهب الى أن (أو) فى الآية تقتضى التفصيل و من قال بالثانى ذهب الى انها للتخيير.

و معنى قوله: «وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ» معناه أن يقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى. و لو كان موضع (من) (على) أو (الباء) لكان المعنى واحداً.

و قوله «أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ» فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدهما- أنه يخرج من بلاد الإسلام ينفى من بلد الى بلد إلا أن يتوب و يرجع و هو الذى نذهب اليه. و به قال ابن عباس، و أنس بن مالك، و مالك ابن أنس، و الحسن و السدى و الضحاك، و قتادة، و سعيد بن جبير، و الربيع ابن انس، و الزهرى. و قال أصحابنا لا يمكن أيضاً من دخول بلاد الشرك، و يقاتل المشركون على تمكينهم من ذلك حتى يتوبوا و يرجعوا الى الحق.

و قال الفراء النفى أن يقال: من قتله فدمه هدر.

و الثانى- انه ينفى من بلد الى بلد غيره ذهب اليه سعيد بن جبير فى رواية أخرى، و عمر بن عبد العزيز.

الثالث ان النفى هو الحبس ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه.

أصل النفى الإهلاك و منه النفى الاعدام، فالنفى الإهلاك بالاعدام.

و منه النفاية لردىء المتاع. و منه النفى، و هو ما تطاير من الماء عن الدلو، قال الراجز:

(۱) ربيئة القوم عينهم الذى يطلعهم على أخبار العدو. يقف على مرتفع عال و يرقب حركات العدو.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۰۷

كأن متنيه من النفى مواقع الطير على الصفىِّ «۱»

و النفى الطرد قال أوس بن حجر:

ينفون عن طرق الكرام كما ينفى المطارق ما يلى الفرد

و قوله: «ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا» معناه أن فعل ما ذكرناه من الأحكام خزى فى الدنيا، و الخزى الفضيحة يقال خزى يخزى خزياً إذا افتضح و خزى يخزى خزاية إذا استحيا و خزوته اخزوه خزوا إذا سسته و منه قول لبيد:

و اخزها بالبر للَّه الأجل «۲»

«وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ» معناه زيادة على ذلك و هذا يبطل قول من قال اقامة الحدود تكفير للمعاصى لأنه يقال مع اقامة الحدود عليهم بين ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيما و معنى ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيما انهم يستحقون ذلك و لا يدل على انه يفعل بهم ذلك لا محالة لأنه يجوز أن يعفو اللَّه عنهم و يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم.

(۱) اللسان (نفى) و روايته:

كأن متنيه من النفى من طول اشرافى على الطوى

مواقع الطير على الصفى

(٢) اللسان (خزا) و قبله:

أكذب النفس إذا حدثتها ان صدق النفس يزدى بالأمل

غير أن لا تكذبنها فى التقى و اخزها بالبر للَّه الأجل

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٠٨

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٣۴]..... ص: ۵٠٨

إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣۴)

آية بلا خلاف.

قال الزجاج يحتمل الذين ان يكون فى موضع الرفع بالابتداء و خبره فاعلموا ان اللَّه غفور رحيم و المعنى غفور رحيم لهم و المعنى لكن التائبون من قبل القدرة عليهم فاللَّه غفور رحيم. و يجوز أن يكون فى موضع نصب بالاستثناء من قوله (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)..

لما بين اللَّه حكم المحارب- على ما فصلناه- استثناء من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ، و يقدر عليه لأن توبته بعد حصوله فى قبضة الامام، و قيام البينة عليه بذلك لا ينفعه، و وجب اقامة الحد عليه.

و اختلفوا فيمن تدرأ عنه التوبة الحدود: هل هو المشرك أو من كان مسلماً من أهل الصلوة؟ فقال الحسن، و قتادة، و مجاهد و الضحاك: هو المشرك دون من كان مسلماً. فأما من أسلم، فانه لم يؤاخذ بما جناه إلا أن يكون معه عين مال قائمة فانه يجب عليه ردها و ما عداه يسقط. و أما على (ع) فانه حكم بذلك فيمن كان مسلماً و هو حارثة بن بدر، لأنه كان قد خرج محارباً ثم تاب فقبل على (ع) توبته. و جعل له أماناً على يد سعيد بن قيس.

و حكم به أبو موسى الاشعرى فى فلان المرادى جاء تائباً بعد كونه محارباً فقبل توبته. و أبو هريرة فى على الاسدى و به قال السدى و مالك بن أنس إلا أن مالكاً قال يؤخذ بالدم إذا طالب به وليه. و قال الليث بن سعيد لا يؤاخذ به و قال الشافعى تضع توبته عنه حدَّ اللَّه الذى وجب لمحاربته، و لا يسقط عنه التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٠٩

حقوق بنى آدم و هو مذهبنا، فعلى هذا إن أسقط الآدمى حق نفسه و يكون ظهرت منه التوبة قبل ذلك لا يقاص عليه الحد، و إن لم يكن ظهرت منه التوبة أقيم الحد، لأنه محارب فيتحتم عليه الحد. و هو قول أبى على.

و لا خلاف أنه إذا أصيب المال بعينه فى يده أنه يرد الى أهله. فاما المشرك المحارب فمتى أسلم و تاب سقطت عنه الحدود، سواء كان ذلك منه قبل القدرة عليه أو بعدها بلا خلاف.

فاما السارق إذا قدر عليه بعد التوبة و تكون التوبة منه بعد قيام البينة فانه لا يسقط عنه الحد. و إن كان قبل قيام البينة استقطت عنه. و قال قوم:

لا تسقط التوبة الحد عن السارق- و لم يفصل. و ادعى فى ذلك الإجماع.

قالوا لأن اللَّه جعل هذا الحكم للمحارب بالاستثناء بقوله: «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و لم يكن غير المحارب فى معناه فيقاص عليه، لأن ظاهر هذا التفرد و ليس كذلك هو فى المحارب الممتنع بفئة و فى الآية حجة على من قال لا تصح التوبة مع الاقامة على معصية أخرى يعلم صاحبها أنها معصية، لأنه تعالى علق بالتوبة حكماً لا يحل به الاقامة على معصية هى السكر أو شرب نبيذ التمر على غير التأويل بإجماع المسلمين.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ٣۵]..... ص: ۵٠٩

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۳۵)

آية بلا خلاف.

خاطب اللَّه فی هذه الآية المؤمنين و أمرهم أن يتقوه و معناه أن يتقوا معاصيه و يجتنبوها و يبتغوا اليه معناه يطلبون إليه الوسيلة و هی القربة فی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۱۰

قول الحسن و مجاهد و قتادة و عطا و السدی و ابن زيد و عبد اللَّه بن كثير و أبی و ابل. و هی على وزن (فعيلة) من قولهم توسلت اليك أی تقربت قال عنترة ابن شداد:

إن الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك فلجلجی و تخضبی

و قال الآخر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا و عاد التصافی بيننا و الوسائل

يقال منه سلت أسال أی طلبت و هما يتساولان أی يطلب كل واحد منهما من صاحبه. و الأصل الطلب و الوسيلة التی ينبغی أن يطلب مثلها.

فان قيل كيف قال تعالى «اتَّقُوا اللَّهَ» و هو غاية التحذير مع أنه تعالى رغب فی الدعاء إليه و هما كالمتنافرين؟ قيل إنما قال ذلك لئلا يكون المكلف على غرور من أمره بكثرة نعم اللَّه عليه فيظن أنها موجبة للرضا عنه فحقيقة الدعاء اليه باتقائه من جهة اجتناب معاصيه و العمل بطاعته. فان قيل هل يجوز أن يتقى المعاقب من أجل عقابه كما يحمد المحسن من أجل إحسانه.

قلنا: لا- لأن أصل الاتقاء الحجز بين الشيئين لئلا يصل أحدهما الى الآخر من قولهم اتقاه بالترس. و منه اتقاه بحقه، فالطاعة له تعالى حاجزة بين العقاب و بين العبد أن يصل إليه. و أما حمد الإنسان، فمجاز لأن المحمود فی الحقيقة يستحق الولاية و الكرامة.

و قوله: «وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ» أمر منه تعالى بالجهاد فی دين اللَّه، لأنه وصلة و طريق الى ثوابه. و يقال لكل شیء وسيلة الى غيره هو طريق إليه فمن ذلك طاعة اللَّه فهی طريق الى ثوابه. و الدليل على الشیء طريق الى العلم به و التعرض للشیء طريق الى الوقوع فيه و اللطف طريق الى طاعة اللَّه و الجهاد التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۱۱

فی سبيل اللَّه قد يكون باللسان و اليد و القلب و السيف و القول و الكتاب.

و قوله: (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- اعملوا لتفلحوا و معناه و يكون غرضكم الصلاح فهذا يصح مع اليقين.

الثانی- اعملوه على رجاء الصلاح به فهذا مع الشك فی خلوصه مما يحبطه و هذا الوجه لا يصح إلا على مذهب من قال بالإحباط. فاما من لا- يقول به فلا- يصح ذلك فيه غير أنه يمكن أن يقال الشك فيه يجوز أن يكون فی هل أوقعه على الوجه المأمور به أم لا؟ لأنه لا حال إلا و هو يجوز أن يكون فرط فيما أمر به «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» هم الفائزون بما فيه غاية صلاح أحوالهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): الآيات ۳۶ الى ۳۷]..... ص: ۵۱۱

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۳۶) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۷)

آيتان بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى فی هذه الآية «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ» و افتدوا بجميع ذلك من العذاب الذی يستحقونه على كفرهم «ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ» .

و الذين فی موضع نصب بان و خبر (ان) الجملة فی (لو) و جوابها.

و قوله: «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يحتمل أمرين: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۱۲

أحدهما- أن يكون فى موضع الحال.

و الثانی- أن يكون عطفاً على الخبر، و لا يجوز أن يكون خبراً من «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» . و (لو) فى موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدوه لرحمه، لأنه فى موضع معتمد الفائدة مع أن الثانى فى استئناف (إنه) و لا يحكم بقطع الخبر، و إنما أجيبت (لو) ب (ما) و لم يجز أن يجاب (أن) ب (ما) لأن (ما) لها صدر الكلام و جواب (لو) لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم، لأنه غير عامل. و (أن) عاملة فلذلك صلح أن يجاب ب (لا) و لم يصلح ب (ما) كقولك إن تأتى لا يلحقك سوء، و لا يجوز (ما) لأن (لا) تنفى عما بعدها ما وجب لما قبلها فى أصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو و (ما) تنفى عما بعدها ما لم يجب لغيرها، فلذلك كان لها صدر الكلام. و إنما نفى اللَّه أن يقبل منهم فدية من غير تقييد بالتوبة، لأمرين:

أحدهما لأنهم لا يستحقون هذه الصفة لو وقعت منهم التوبة مع البيان عن أن الآخرة لا تقبل فيها توبة.

الثانى ان ذلك مقيد بدليل العقل و السمع الذى دل على وجوب إسقاط العقاب عند التوبة كقوله «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «۱» و عندنا أنه لم يقيده بالتوبة لأن التوبة لا يجب إسقاط العقاب عندها عندنا و إنما يتفضل اللَّه بذلك عند التوبة فأراد اللَّه أن يبين أن الخلاص من عقابه الذى استحق على الكفر به و معاصيه لا يستحق على وجه. و إنما يكون ذلك تفضلا على كل حال.

و اللام فى قوله: «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» لام الملك لأن حقيقتها الاضافة

---

(۱) سورة غافر آية ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۱۳

على معنى الاختصاص غير أنها إذا أضيفت تصح أن يكون فعلًا إلى ما يصح أن يكون فاعلًا فالاضافة بمعنى اضافة الفعل الى الفاعل نحو «إن قام زيد» و يجوز أن يكون على معنى المفعول بقرينة ككلام زيد و نحوه. و قوله:

«لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» يدل على أنه ليس لهم ما فى الأرض جميعاً، لأنه لو كان لهم لكان الأبلغ أن يقال يسلبون النعمة به من غير فدية تسقط عنهم شيئاً من العقوبة. و قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ» فى معناه ثلاثة أقوال.

أحدها- قال أبو على معناه يتمنون أن يخرجوا منها فجعل الارادة هاهنا تمنياً.

و قال الحسن معناه الارادة على الحقيقة، لأنه قال كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا منها، و هو قوله: «كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها» «۱» . و قال بعضهم معناه يكادون أن يخرجوا منها، إذا رفعتهم بلهبها كما قال- عز و جل- «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «۲» أى يكاد و يقارب.

فان قيل كيف يجوز أن يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون؟ قلنا: لأن العلم بأن الشيء لا يكون لا يصرف عن إرادته. كما أن العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته و إنما يدعو الى الارادة حسنها أو الحاجة اليها كما أن المراد بهذه المنزلة. فان قيل: هل يجوز أن يطمعوا فى الخروج من النار كما قال الحسن. قلنا الخروج منها الى غير عذاب يجرى مجرى عذابها فلا يجوز لعلمهم بأن العذاب دائم لا يفتر عنهم فان كان معه العلم بأنهم لا يخرجون منها لم يجز أن يطمعوا فى الخروج، لأن العلم ينافى

---

(۱) سورة ا لم السجدة آية ۲۰.

(۲) سورة الكهف آية ۷۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۱۴

الطمع و لا ينافى الارادة كما لا يطمع العاقل فى أن يعود فى الدنيا شاباً كما كان. و قال أبو على: إنما يتمنون الخلاص منها قبل دخولها، لما فى التمنى من التروح، و ليس ذلك من صفة أهلها. و لا يجوز أن يقال فى الكلام يريدون أن يستخرجون من النار كما

جاز (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى «١» لأن أن المخففة من الشديدة لتحقيق كائن فى الحال أو الماضى أو المستقبل، و ليس فى الارادة تحقيق وقوع المراد لا محالة، كما ليس فى الأمر تحقيق وقوع المأمور به، فلذلك لم يجز أمرته أن سيقوم، و جاز أمرته أن يقوم. قوله «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» يعنى من جهنم «وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ» أى دائم ثابت لا يزول و لا يحول، كما قال الشاعر:

فان لكم بيوم الشعب منى عذاباً دائماً لكم مقيماً

و روى أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر يا أعمى القلب تزعم ان قوماً يخرجون من النار و قد قال اللَّه تعالى: «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» ! فقال ابن عباس ويحك أ و ما فقهت هذه للكفار؟!.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۳۸]..... ص: ۵۱۴

وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)

آية بلا خلاف.

و قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» قال سيبويه الأجود فيه النصب و مثله «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» . و بالنصب قرأ عيسى بن عمر و هو بخلاف ما عليه القراء لا يجوز أن يقرأ به و الوجه الرفع. و مثله «الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما» .

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۱۵

و يحتمل رفعهما شيئين:

أحدهما- قال سيبويه إنه على تفسير فرض فيما يتلى عليكم حكم السارق و السارقة. و منه «وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ» «١» .

الثانى- قال المبرد و الفراء لأن معناه الجزاء و تقديره من سرق فاقطعوه، و له صدر الكلام. و قال الفراء و لو أردت سارقاً بعينه لكان النصب الوجه و يفارق ذلك قولهم زيداً فاضربه، لأنه ليس فيه معنى الجزاء.

و ظاهر قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» يقتضى عموم وجوب القطع على كل من يكون سارقاً أو سارقة، لأن الألف و اللام إذا دخلا على الأسماء المشتقة أفادا الاستغراق إذا لم يكونا للعهد دون تعريف الجنس- على ما ذهب اليه قوم-. و قد دللنا على ذلك فى أصول الفقه. فأما من قال القطع لا يجب إلا على من كان سارقاً مخصوصاً من مكان مخصوص مقداراً مخصوصاً و ظاهر الآية لا ينبئ عن تلك الشروط، فيجب أن تكون الآية مجملة مفتقرة الى بيان، فقوله فاسد لأن ظاهر الآية يقتضى وجوب القطع على كل من يسمى سارقاً و إنما يحتاج الى معرفة الشروط ليخرج من جملتهم من لا يجب قطعه فأما من يجب فانا نقطعه بالظاهر، فالآية مجملة فيمن لا يجب قطعه دون من يجب قطعه فسقط ما قالوه.

و قوله «فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما» أمر من اللَّه بقطع أيدى السارق و السارقة.

و المعنى إيمانهما. و إنما جمعت أيدى لأن كل شىء من شيئين، فتثنيته بلفظ الجمع كما قال- عز و جل-: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «٢» و قال الفراء كلما

---

(١) سورة النساء آية ١۵. [.....]

(٢) سورة التحريم آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۱۶

كان فى البدن منه واحد فتثنيته بلفظ الجمع لأن أكثر أعضائه فيه منه اثنان، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك، فقيل قلوبهما و

ظهورهما. كما قيل عيونهما و أيديهما. و قال الفراء إنما فعلوا ذلك للفصل بين ما فى البدن منه واحد و بين ما فى البدن منه اثنان، فجعل ما فى البدن منه واحد تثنيته و جمعه بلفظ واحد و لم يثن أصلا، لأن الاضافة تدل عليه، و لأن التثنية جمع، لأنه ضم شيء الى شيء. و إن ثنى جاز قال الشاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فجمع بين الأمرين. و إنما اعتبرنا قطع الايمان، لإجماع المفسرين على ذلك. كالحسن و السدى و الشعبى و غيرهم. و فى قراءة ابن مسعود «و السارقون و السارقات فاقطعوا إيمانهما» و النصاب الذى يتعلق القطع به قيل فيه ستة أقوال:

أولها- على مذهبنا، و هو ربع دينار. و به قال الاوزاعى و الشافعى، لما

روى عن النبى (ص) أنه قال القطع فى ربع دينار.

الثاني- ثلاثة دراهم و هو قيمة المجن. ذهب اليه مالك بن أنس.

الثالث- خمسة دراهم

روى ذلك عن على (ع) و عن عمر، و انهما قالا: لا يقطع الخمس إلا فى خمسة دراهم

و هو اختيار أبى على، قال: لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة فى أنه فاسق.

الرابع- قال الحسن: يقطع فى درهم، لأن ما دونه تافه.

الخامس- عشرة دراهم ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه لما رووا أنه كان قيمة المجن عشرة دراهم.

السادس- قال أصحاب الظاهر و ابن الزبير يقطع فى القليل و الكثير. التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۱۷

و لا يقطع إلا من سرق من حرز. و الحرز يختلف، فكل شيء حرز يعتبر فيه حرز مثله فى العادة. وحدَّه أصحابنا بأنه كل موضع لم يكن لغيره الدخول اليه و التصرف فيه إلا باذنه فهو حرز. و قال أبو على الجبائى الحرز أن يكون فى بيت أو دار مغلق عليه و له من يراعيه و يحفظه.

و من سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع. قال الرمانى، لأنه لا يسمى سارقاً حقيقة و إنما يقال ذلك مجازاً كما يقال سرق كلمة أو معنى فى شعر لأنه لا يطلق على هذا اسم سارق على كل حال. و قال داود: يقطع إذا سرق من غير حرز.

و كيفية القطع عندنا يجب من أصول الأصابع الأربعة و يترك الإبهام و الكف- و هو المشهور

عن على (ع): و قال أكثر الفقهاء: إنه يقطع من الرسغ.

و هو المفصل بين الكف و الساعد. و قالت الخوارج يقطع من الكتف. و أما الرِّجل فعندنا تقطع الأصابع الأربعة من مشط القدم و يترك الإبهام و العقب.

دليلنا أن ما قلناه مجمع على وجوب قطعه. و ما قالوه ليس عليه دليل.

و لفظ اليد يطلق على جميع اليد الى الكتف و لا يجب قطعه- بلا خلاف إلا ما حكيناه عمن لا يعتد به. و قد استدل قوم من أصحابنا على صحة ما قلناه بقوله «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» «۱» و إنما يكتبونه بالأصابع.

- و المعتمد ما قلناه- و عليه اجماع الفرقة المحقة.

و متى تاب السارق قبل أن يرفع الى الامام. و ظهر ذلك منه ثم قامت عليه البينة، فانه لا يقطع. غير أنه يطالب بالسرقة و إن تاب بعد قيام البينة

---

(۱) سورة البقرة آية ۷۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۱۸

عليه وجب قطعه على كل حال. و قال الفقهاء يجب قطعه على كل حال. فان كان تاب كان قطعه امتحاناً، و ان لم يكن تاب كان عقوبة و جزاء. و متى قطع فانه لا يسقط عنه رد السرقة سواء كانت باقية أو هالكة، فان كانت باقية ردها- بلا خلاف- و إن كانت هالكة رد عندنا قيمتها. و قال أبو حنيفة و أصحابه: لا يجمع عليه القطع و الغرامة معاً، فان قطع سقطت الغرامة و ان غرم سقط القطع. و قد دللنا على صحة ما قلناه- فى مسائل الخلاف- و متى سرق بعد قطع اليد دفعة ثانية قطعت رجله اليسرى حتى يكون من خلاف.

فان سرق ثالثة حبس عندنا. و به قال الحسن. و قال أبو على تقطع اليد الاخرى، فان سرق فى الحبس قتل عندنا. و لا يعتبر ذلك أحد من الفقهاء.

و ظاهر الآية يقتضى وجوب قطع العبد و الأمة إذا سرقا لتناول اسم السارق و السارقة لهما.

و قوله: «جَزاءً بِما كَسَبا» معناه استحقاقاً على فعلهما «نَكالًا مِنَ اللَّهِ» أى عقوبة على ما فعلاه. قال زهير:

و لو لا أن ينال أبا طريفٍ عذاب من خزيمة أو نكال

أى عقوبة. و نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- مفعول له و تقديره لجزاء فعلهما.

الثانى- نصب على المصدر الذى دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا:

جاوزهم و نكلوا بهم. و قال الازهرى معناه لينكل غيره نكالًا عن مثل فعله يقال نكل ينكل إذا جبن، فهو ناكل «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى مقتدر لا يغالب «حكيم» فيما يأمر به من قطع السارق و السارقة، و فى غيره من الافعال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥١٩

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٣٩]..... ص: ٥١٩

فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)

آية بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى أن من تاب و أقلع و ندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة و غيرهما و فعل الفعل الجميل الصالح «فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ» و معناه يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التى تاب منها. و وصف اللَّه تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة، لأن فى ذلك ترغيباً للعاصى فى فعل التوبة، و لذلك قال تعالى واصفاً نفسه بأنه تواب رحيم. و وصف العبد بأنه تواب معناه أواب و هى صفة مدح من أجل المدح على التوبة التى يسقط العقاب عندها. و لا خلاف فى سقوطه عندها و هى الندم على ما مضى من القبيح أو الإخلال بالواجب و العزم على ترك الرجوع الى مثله فى القبح.

و فى الناس من قال يكفى الندم مع العزم على ترك المعاودة. و الذى ذكرناه أولى، لأن سقوط العذاب عنده مجمع عليه. و ان اختلفوا هل هو واجب أو تفضل؟ و ما قالوه فيه خلاف. و يمكن التوبة من الحسن إلا أن حسنه لا يدعو الى التوبة منه كما يدعو قبح القبيح الى التوبة منه لكن قد يتوب الإنسان منه لقبحه فيما يتوهمه أو لمضرة تلحقه به. و لا يجوز التوبة من الحسن كيف تصرفت الحال لأنه تحريم لما ليس بحرام، و تقبيح لما ليس بقبيح. و يمكن أن تكون التوبة من القبيح معصية للَّه كالذى يتوب من الإلحاد و يدخل فى النصرانية.

و قال مجاهد: ان الحدَّ كفارة. و هذا غير صحيح، لأن اللَّه تعالى دل التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٢٠

على معنى الأمر بالتوبة. و إنما يتوب المذنب من ذنبه. و الحد من فعل غيره.

و أيضاً فمتى كان مُصراً كان اقامة الحد عليه عقوبة. و العقوبة لا تكفر الخطيئة. كما لا يستحق بها الثواب. و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يدل على ما نذهب اليه من أن قبول التوبة و إسقاط العقاب عندنا تفضل من اللَّه، فلذلك صح و صفه بانه غفور رحيم. و لو كان الغفران واجباً عند التوبة لم يلق به غفور رحيم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۰]..... ص: ۵۲۰

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۰)

قيل فيمن يتوجه هذا الخطاب اليه قولان:

أحدهما- انه متوجه الى النبى (ص) و المراد به امته كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» .

و الثانى- أنه متوجه الى كل مكلف من الناس و تقديره: أ لم تعلم يا انسان. و اتصال هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج و البيان عن صحة ما تقدم من الوعد و الوعيد. و ما ذكره من الأحكام.

و المعنى أ لم تعلم يا انسان «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى له التصرف فيهما من غير دافع و لا منازع «يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» إذا كان مستحقاً للعقاب «وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» إذا عصاه و لم يتب، لأنه إذا تاب، فقد وعد بأنه لا يؤاخذ به بعد التوبة. و عند المخالفة يقبح مؤاخذته بعدها.

فعلى الوجهين معاً لا يعلق ذلك بالمشيئة. و فى ذلك دلالة على أنه قادر على التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۲۱

أن يعاقب على وجه الجزاء، لأنه لو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه وجه مدح «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أن من ملك السموات و الأرض و قدر على هذه الأجسام و الاعراض التى يتصرف فيها و يديرها، فهو لا يعجزه شىء لقدرته على كل جنس من أجناس المعانى. و قوله «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عام فى كل ما يصح أن يكون مقدراً له تعالى. و لا يحتاج الى أن يقيد بذكر ما تصح القدرة عليه لأمرين:

أحدهما- ظهور الدلالة عليه، فجاز ألا يذكر فى اللفظ.

و الآخر- أن ذلك خارج مخرج المبالغة كما يقول القائل أتانى أهل الدنيا. و لعله لم يجئه الا خمسة فاستكثرهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۱]..... ص: ۵۲۱

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (۴۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۲۲

هذا خطاب للنبى (ص) نهاه اللَّه أن يحزنه الذين يسارعون فى الكفر أى يبادرون فيه. و (يحزنك)- بفتح الياء و ضمها- لغتان. و قد قرئ بهما.

و قد قدمنا ذكره مستوفئ.

من المنافقين «الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا» يعنى صدقنا «بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» يعنى لم تصدق قلوبهم «وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» وقف هاهنا. و «سماعون» فيه مبالغة من سامع مثل جابر و جبار. و قيل فى رفع «سماعون» قولان:

أحدهما- قال سيبويه رفع على الابتداء و الخبر «مِنَ الَّذِينَ هادُوا» كما تقول من قومك عقلاء.

الثانى- قال الزجاج: على أنه خبر الابتداء. و تقديره: المنافقون هم، و اليهود سماعون للكذب. و قيل فى معنى ذلك قولان:

أحدهما- «سماعون» كلامك للكذب عليك سماعون كلامك «لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» ليكذبوا عليك إذا رجعوا اليهم أى هم عيون عليك.

و قیل انهم کانوا رسل اهل خیبر لم یحضروا. فلهذا جالسوک، هذا قول الحسن و الزجاج و أبو علی.

الثانی- قال أهل التفسیر «سَمّاعُونَ لِلْکَذِبِ» قابلون له کما یقال لا تسمع من فلان أی لا تقبل منه، و منه سمع اللَّه لمن حمده «سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِینَ» أرسلوا بهم فی قضیهٔ زان محصن. فقالوا لهم: إن أفتاکم محمد (ص) بالجلد فخذوه و إن أفتاکم بالرجم فلا تقبلوه، لأنهم قد کانوا حرفوا حکم الجلد الذی فی التوراهٔ الی جلد أربعین، و تسوید الوجه و الاشهار علی حمار.

هذا قول ابن عباس، و جابر، و سعید بن المسیب و السدی، و ابن زید. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۲۳

و قال قتادهٔ: إنما کان ذلک فی قتیل منهم قالوا: إن أفتاکم بالدیهٔ فاقبلوه و إن أفتاکم بالقود فاحذروه.

و قال أبو جعفر (ع) نزلت الآیهٔ فی أمر بنی النضیر و بنی قریظهٔ و قوله: «یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ»

قیل فی معنی (تحریفهم) قولان:

أحدهما- تحریف کلام النبی (ص) بعد سماعه. للکذب «یَقُولُونَ إِنْ أُوتِیتُمْ هذا» أی دین الیهود فاقبلوه «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» أن تقبلوا خلافه- فی قول الحسن و أبی علی.

الثانی- جعلهم بدل رجم المحصن جلد أربعین تغییراً لحکم اللَّه- فی قول المفسرین.

و قوله: «مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ» لأن المعنی من بعد استقراره فی مواضعه، و مضی الأیام علیه. و قال الزجاج من بعد أن فرض فروضه، و أحلَّ حلاله، و حرم حرامه. و لو قال مکان «بَعْدِ مَواضِعِهِ» عن مواضعه لجاز، لأن معناهما متقارب، هذا کما یقول القائل: أتیتک عن فراغی من الشغل، و بعد فراغی منه، و لا یجوز قیاساً علی ذلک أن تقول بدل قولک: رمیت عن القوس، رمیت بعد القوس، و لا فی قولک: جاء زید بعد عمرو، أن تقول:

عن عمرو، لأن المعنی یختلف. و ذلک أن (عن) لما عدا الشیء الذی هو کالسبب له، و (بعد) إنما هی لما تأخر عن کون الشیء، فما صح معنی السبب و معنی التأخر جاز فیه الأمران، و ما لم یصح إلا أحد المعنیین لم یجز إلا أحد الحرفین.

و قوله: «وَ مَنْ یُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ» فی الفتنهٔ ثلاثهٔ أقوال:

أحدهما- قال الزجاج معناه من یرد فضیحته بإظهار ما ینطوی علیه.

الثانی- قال السدی من یرد اللَّه هلاکه. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۲۴

الثالث- قال الحسن و أبو علی و البلخی من یرد اللَّه عذابه من قوله «یَوْمَ هُمْ عَلَی النّارِ یُفْتَنُونَ» أی یعذبون. و قوله «ذُوقُوا فِتْنَتَکُمْ» أی عذابکم. و قوله «إِنَّ الَّذِینَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ» یعنی الذین عذَّبوا.

و أصل الفتنهٔ التخلیص من قولهم: فتنت الذهب فی النار أی خلصته من الغش و الفتنهٔ الاختبار تسمی بذلک لما فیها من تخلیص الحال لمن أراد الإضلال. و إنما أراد الحکم علیه بذلک بإیراد الحجج. ففیه تمییز و تخلیص لحالهم من حال غیرهم من المؤمنین. و من فسَّره علی العذاب فلأنهم یحرقون کما یحرق خبث الذهب فهم خبث کلهم. و من فسَّره علی الفضیحهٔ فلما فیها من الدلالهٔ علیهم التی یتمیزون بها من غیرهم. و قوله: «أُولئِکَ الَّذِینَ لَمْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ» قیل فیه قولان:

أحدهما- قال أبو علی و غیره لم یرد اللَّه أن یظهرها من الحرج و الضیق الدال علی دنس الکفر عقوبهٔ لهم.

الثانی- قال البلخی و غیره: لم یرد أن یطهرها من الکفر بالحکم بأنها بریئهٔ منه ممدوحهٔ بضده کما یطهر قلوب المؤمنین بذلک. و لا یجوز أن یکون المراد بذلک الذین لم یرد اللَّه منهم الایمان، لأنه لو لم یکن مریداً منهم الایمان، لم یکن مکلفاً لهم، لأن التکلیف هو إرادهٔ ما فیه المشقهٔ و الکلفهٔ، و لأن اللَّه أمرهم بالایمان- بلا خلاف- و الأمر لا یکون أمراً إلا بارادهٔ المأمور به علی ما بین فی غیر موضع.

و قوله: «لَهُمْ فِی الدُّنْیا خِزْیٌ» یعنی لهؤلاء الکفار و المنافقین الذین ذکرهم فی الآیهٔ، فبین أن لهم خزیاً من عذاب اللَّه فی الدنیا. و هو ما کان یفعله بهم من الذل و الهوان، و البغض و الزام الجزیهٔ علی وجه الصغار «وَ لَهُمْ التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۲۵

فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ»

مضافاً الى عذاب الدنيا و خزيها.

و قال أبو جعفر (ع) و جماعة من المفسرين ذكرنا أسماءهم: إن امرأة من خيبر- فى شرف منهم- زنت و هى محصنة فكرهوا رجمها، فأرسلوا الى يهود المدينة يسألون النبى (ص) طمعاً أن يكون أتى برخصة، فسألوه، فقال:

هل ترضون بقضائى؟ قالوا: نعم، فأنزل اللّه عليه الرجم، فأبوه. فقال جبرائيل: سلهم عن ابن صوريا، ثم اجعله بينك و بينهم، فقال: تعرفون شاباً أبيضاً أعوراً أمرداً يسكن فدكاً يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودى على ظهر الأرض بما أنزل اللّه على موسى. قال: فأرسلوا اليه فأرسلوا فأتى، فقال له رسول اللّه (ص): أنت عبد اللّه بن صوريا. قال: نعم. قال:

أنت أعلم اليهود قال: كذلك يقولون. قال رسول اللّه (ص): فانى أناشدك اللّه الذى لا- إله إلا- هو القوى إله بنى إسرائيل الذى أخرجكم من أرض مصر، و فلق لكم البحر فأنجاكم و أغرق آل فرعون، و ظلل عليكم الغمام و أنزل عليكم المنَّ و السلوى، و أنزل عليكم كتابه فيه حلاله و حرامه، هل تجدون فى كتابكم الذى جاء به موسى الرجم على من أحصن؟ قال عبد اللّه بن صوريا:

نعم، و الذى ذكرتنى لو لا مخافتى من رب التوراة أن يهلكنى إن كتمت ما اعترفت لك به، فأنزل اللّه فيه «يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» «١» فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتى رسول اللّه (ص) ثم قال: هذا مقام العائذ باللّه و بك أن تذكر لنا الكثير الذى أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبى (ص) عن ذلك، ثم سأله ابن صوريا عن نومه و عن شبه الولد بأبيه و امه و ما حظّ الأب من

---

(١) سورة ۴ النساء آية ١۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٢۶

أعضاء المولود؟ و ما حظ الام؟ فقال: تنام عيناى و لا ينام قلبى، و الشبه يغلبه أى الماءين علا، و للأب العظم و العصب و العروق، و للام اللحم و الدم و الشعر. فقال: أشهد أن أمرك أمر نبى، و أسلم، فشتمه اليهود.

فقال المنافقون لليهود: إن أمرك محمد بالجلد فاقبلوه و إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا. و هو قوله: «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ» يعنى الجلد «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» و سلاه عن ذلك بقوله: «لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» فلما أرادوا الانصراف تعلقت قريظة بالنضير، فقالوا يا أبا القاسم- و كانوا يكرهون أن يقولوا يا محمد لئلا يوافق ذلك ما فى كتابهم من ذكره- هؤلاء إخواننا بنوا النضير إذا قتلوا منا قتيلًا لا يعطونا القود و أعطونا سبعين وسقاً من تمر، و إن قتلنا منهم قتيلًا أخذوا القود و معه سبعون وسقاً من تمر، و إن أخذوا الدية أخذوا منا مائة و أربعين وسقاً. و كذلك جراحاتنا على أنصاف جراحاتهم، فأنزل اللّه تعالى «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً، وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» «١» فحكم بينهم بالسواء، فقالوا:

لا نرضى بقضائك، فأنزل اللّه «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» «٢» .

ثم قال «وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ» شاهداً لك بما يخالفونك. ثم فسر ما فيها من حكم اللّه فقال «وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» الآية «فَإِنْ تَوَلَّوْا» يعنى بنى النضير، لما قالوا لا تقبل حكمك «يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» و هو إجلاؤهم من ديارهم.

---

(١) سورة ۵ المائدة آية ۵٣.

(٢) سورة ۵ المائدة آية ۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٢٧

و اختلفوا فيمن نزلت هـذه الآيـة. و قـال السـيدى نزلت فى أبى لبابـة الانصـارى لقوله لبنى قريظـة حين حاصـرهم النبى (ص): إنما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد.

و قال عكرمـة و عامر الشـعبى: نزلت فى رجل من اليهود قتل رجلا من أهل دينه فقال القاتل لحلفائهم من المسـلمين سـلوا لى محمـداً (ص) فان بعث بالدية اختصمنا اليه و ان كان يأمرنا بالقتل لم نأته. و قال أبو هريرة: نزلت فى عبد اللّه بن صوريا، و ذلك

أنه ارتد بعد إسلامه على ما وصفناه عن أبى جعفر (ع)

و قال ابن جريج و مجاهد: نزلت فى المنافقين و هم السماعون لقوم آخرين و الأصح من هذه الأقوال

أنها نزلت فى ابن صوريا على ما قدمناه عن أبى جعفر (ع)

و هو اختيار الطبرى لأنه رواه أبو هريرة و البراء بن عازب و هما صحابيان.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۲]..... ص: ۵۲۷

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (۴۲)

قرأ السحت- بضم السين و الحاء- ابن كثير و أهل البصرة و الكسائى و أبو جعفر (ع)

الباقون بإسكان الحاء.

و قوله: «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ» وصف لهؤلاء اليهود الذين تقدم وصفهم.

و رفعه كما رفع سماعون الأول سواء، لأنه صفة بعد صفة. و قد يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۲۸

النصب فى الموضعين على القطع لكن لم يقرأ به، و قد فسرنا معنى الكذب.

و قوله: «أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» معناه أنه يكثر أكلهم للسحت، و هو الحرام.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: (السحت الرشوة فى الحكم)

و فى السـحت لغتان ضم الحاء و إسـكانها. و قـد قرئ بهما على ما بيناه، فالسـحت اسم للشـىء المسـحوت و ليس بمصدر، و المصدر بفتح السـين. و قال الحسن سـمعوا كذبه و أكلوا رشوته. و قال ابن مسعود و قتادة و ابراهيم و مجاهد و الضـحاك و السدى: السـحت الرشى

و روى عن على (ع) أنه قـال: (السـحت الرشوة فى الحكم و مهر البغى و عسب الفحل، و كسب الحجام، و ثمن الكلب، و ثمن الخمر، و ثمن الميتة، و حلوان الكاهن و الاستعجال فى المعصية).

و روى عن أبى هريرة مثله.

و قـال مسروق سـألت عبـد اللّه عن الجور فى الحكم قـال: ذلـک الكفر، و عن السـحت فقال الرجل يقتضـى لغيره الحاجـة فيهـدى له الهدية.

و أصـل السـحت الاستئصـال اسـحت الرَّجـل إسـحاتاً و هو أن يسـتأصل كـل شـىء يقـال: سـحته و أسـحته إذا استأصـله. و أذهبه. قال الفرزدق:

و عض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف «۱»

و يقال للحالق: اسحت أى استأصل، و منه قوله: «فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ» «۲» أى يستأصلكم به و فلان مسحوت المعدة إذا كان أكولًا شرهاً.

---

(۱) اللسان (جلف). عض زمان: ساء زمان. المسحت الشـىء المهلك و المجلف- بضم الميم و تشديـد اللام- الشـىء الـذى بقى منه

بقية قليلة لا يعتنى بها.

(۲) سورة طه آية ۶۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۲۹

و قد اسحت ماله إذا أفسده و أذهبه، ففى اشتقاق السحت أربعة أقوال:

قال الزجاج لأنه يعقب عذاب الاستئصال و البوار. و قال أبو على هو حرام لا بركة فيه لأهله، لأنه يهلك هلاك الاستئصال. و قال الخليل هو القبيح الذى فيه العار نحو ثمن الكلب و الخمر فعلى هذا يسحت مروَّة الإنسان.

و قال بعضهم حرام يحمل عليه الشره، فهو كشره المسحوت المعدة.

و قوله: «فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن شهاب: خيره اللَّه تعالى فى الحكم بين اليهود فى زناء المحصن، و فى رواية اخرى عن ابن عباس، و قتادة، و ابن زيد أنه خيره فى الحكم بينهم فى قتيل قتل من اليهود. و كلا القولين قد رواه أصحابنا على ما قدمناه.

و روى أن علياً (ع) دخل فى بيت المال فأفرط فيه ثم قال لا أمسى و فيك درهم ثم أمر رجلا فقسمه بين الناس، فقيل له لو عوضته شيئاً، فقال إن شاء لكنه سحت

و فى اختيار الحكام، و الأئمة الحكم بين أهل الذمة إذا احتكموا اليهم قولان:

أحدهما- قال ابراهيم و الشعبى و قتادة و عطاء و الزجاج، و الطبرى، و هو

المروى عن على (ع) و الظاهر فى رواياتنا أنه حكم ثابت و التخيير حاصل.

و قال الحسن و عكرمة، و مجاهد، و السدى، و الحكم، و جعفر بن مبشر، و اختاره الجبائى: أنه منسوخ بقوله: «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» «۱» فنسخ الاختيار و أوجب الحكم بينهم بالقسط، و هو العدل يقال أقسط إقساطاً إذا عدل «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» يعنى العادلين، و قسط يقسط قسوطاً إذا جار. و منه قوله: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

---

(۱) سورة المائدة آية ۵۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۰

«۱» أى الجائرون و قوله: «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً» أى لا يقدرون لك على ضر فى دين، و لا دنياً، فدع النظر ان شئت و إن حكمت فاحكم بما أنزل اللَّه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۳]..... ص: ۵۳۰

وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۳)

آية بلا خلاف.

المعنى كيف يحكمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم، فيرضوا بك حكماً، و عندهم التوراة فيها حكم اللَّه التى أنزلها على موسى التى يقرون بها أنها كتابى وجه التعجب للنبى (ص) و فيه تقريع لليهود الذين نزلت فيهم فكأنه قال الذى أنزلته على نبيى و إنه الحق و إن ما فيه حكم من حكمى لا يتناكرونه و يعلمونه، و هم مع ذلك يتولون: أى يتركون الحكم به جرأة على كيف تقرون أيها اليهود بحكم نبيى محمد مع جحدكم نبوته، و تكذيبكم إياه و أنتم تتركون حكمى الذى تقرون به أنه واجب و أنه حق من عند اللَّه.

و قوله: «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» قال أبو على فيه دليل على أنه لم ينسخ لأنه لو نسخ لم يطلق عليه بعد النسخ أنه حكم اللَّه كما لا يطلق أن حكم اللَّه تحليل الخمر أو تحريم السبت. و قال الحسن «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» بالرجم. و قال قتادة و عصياناً لى.

«فِيها حُكْمُ اللَّهِ» بالقود.

---

(۱) سورة الجن آیة ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۱

فان قيل كيف يقولون «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» و عندكم أنها محرَّفة مغيرة؟:

قلنا: على ما قال الحسن و قتادة لا يتوجه، لأنها و إن كانت مغيرة محرَّفة لا يمتنع أن يكون فيها هذان الحكمان غير مبدَّلين، و هو رجم المحصن و وجوب القود. و يحتمل أن يكون المراد بذلك فيها حكم اللَّه عندهم، لأنهم لا يقرون بأنها مغيرة بل يدعون أنها هى التى أنزلت على موسى (ع) بعينها.

و الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به، و قد يفصل بالبيان أنه الحق و قد يفصل بالزام الحق و الأخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة و تثبت القضية. و قوله: «ثم يتولون» فالتولى هو الانصراف عن الشىء و التولى عن الحق: الترك له. و هو خلاف التولى اليه، لأن الإقبال عليه و التولى له فاللَّه صرف النصرة و المعونة اليه و منه تولى اللَّه للمؤمنين.

و قوله: «مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» قال عبد اللَّه بن كثير: إشارة الى حكم اللَّه فى التوراة. و قال قوم هو إشارة الى تحكيمك، لأنهم ليسوا منه على ثقة، و إنما طلبوا به الرخصة. و قوله: «وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و ما هم بالمؤمنين بحكمك أنه من عند اللَّه مع جحدهم نبوتك و العدول عما يعتقدونه حكماً للَّه فيه لا على من يقرون بنبوته، فبين أن حالهم ينافى حال المؤمن به. و الثانى- قال أبو على أن من طلب غير حكم اللَّه من حيث لم يرض به فهو كافر باللَّه و هكذا هؤلاء اليهود.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۴]..... ص: ۵۳۱

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (۴۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۲

آية عند الجميع.

قرأ «اخشونى» بياء فى الوصل أهل البصرة و أبو جعفر، و إسماعيل، و يقف يعقوب بالياء.

أخبر اللَّه تعالى أنه الذى أنزل التوراة فيها هدى أى بيان أن أمر النبى حق و أنَّ ما سألوك عنه فى حكم الزانيين حق، و القود حق «و نور» يعنى فيها جلاء ما أظلم عليهم و ضياء ما التبس عليهم «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» يعنى يحكم بالتوراة النبيون الذين أذعنوا بحكم اللَّه و أقرّوا به.

و قال الحسن و قتادة و عكرمة و الزهرى و السدى: إن النبى (ص) داخل فى ذلك، بل قال أكثرهم: هو المعنى بذلك لما حكم فى رجم المحصن، و لا يدل ذلك على أنه كان متعبداً بشرع موسى (ع) لأن اللَّه تعالى هو الذى أوجب عليه بوحى أنزل عليه لا بالرجوع الى التوراة فصار ذلك شرعاً له و إن وافق ما فى التوراة و إنما نبه اليهود بذلك على صحة نبوته من حيث علم ما هو من غامض علم التوراة و مما قد التبس على كثير منهم و هو قد عرف ذلك من غير قراءة كتبهم، و الرجوع الى علمائهم، فلم يكن ذلك إلا باعلام اللَّه له ذلك و ذلك من دلائل صدقه (صلى اللَّه عليه و آله). التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۳

و قوله: «لِلَّذِينَ هادُوا» العامل فى (الذين) أحد شيئين:

أحدهما (يحكم) فى قول الزجاج و أبى على و جماعة من أهل التأويل.

و الثانی- قال قوم العامل (أنزلنا) كأنه قال أنزلناها للذين هادوا.

و الربانيون. قد فسرناه فيما مضى «١» و هو جمع ربانی و هم العلماء البصراء بسياسة الناس و تدبير أمورهم، قال السدی: عنا به ابن صوريا.

و قال الباقون- و هو الأولى- إنه على الجمع، و الإجبار جمع جبر، و هو العالم مشتق من التحبير و هو التحسين فالعالم يحسن الحسن و يقبح القبيح، و قال الفراء، أكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر. و قوله «بِمَا اسْتُحْفِظُوا» معناه بما استودعوا. و العامل فی الباء أحد سببين:

أحدهما-: «الأحبار» كأنه قال العلماء بما استحفظوا.

و الثانی- (يحكم) بما استحفظوا.

و قوله: «وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس شهداء على حكم النبی (ص) فی التوراة.

الثانی- شهداء على ذلک الحكم أنه الحق من عند اللَّه.

و قوله: «فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- لا تخشوهم يا علماء اليهود فی كتمان ما أنزلت ذهب اليه السدی.

الثانی- لا تخشوهم فی الحكم بغير ما أنزلت بل اخشونی فان النفع و الضر بيدی «وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِی ثَمَناً قَلِيلًا» معناه لا تأخذوا بترك الحكم الذی أنزلته على موسى (ع) أيها الأحبار خسيساً. و هو الثمن القليل. و إنما

---

(١) فی تفسير آية ٧٩ من سورة آل عمران المجلد الثانی ص ١١٠- ١١١.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٣٤

نهاهم عن أكل السحت على تحريفهم كتاب اللَّه و تغييرهم حكمه، و هو قول ابن زيد و السدی.

و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» معناه من كتم حكم اللَّه الذی أنزله فی كتابه و جعله حكماً بين عباده، فأخفاه و حكم بغيره: من رجم المحصن و القود «فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» .

و اختلفوا هل الآية على عمومها أم لا؟ فقال ابن مسعود و الحسن و ابراهيم هی على عمومها. و قال ابن عباس: هی فی الجاحد لحكم اللَّه.

و قيل فی اليهود خاصة فی قول الجبائی، لأنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هی خاصة فی اليهود. و قال البلخی يجوز أن تكون (من) بمعنى (الذی) و تكون للعهد، و هو من تقدم ذكره من اليهود. و يحتمل أن يكون خرج مخرج الشتم لا على وجه المجازاة كما يقول القائل: من فعل كذا فهو الذی لا حسب له و لا أصل، و لا يريد أنه استحق الدَّناءة بالفعل الذی ذكروا أنه إنما كان غير حسيب من أجل فعله و إنما يريدون الشتم و إن كان قد يفعل ذلک لعارض الحسيب العظيم الهمة. و اختار الرمانی قول ابن مسعود غير أنه قال الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة عند الحاكم بخلاف ما أنزل اللَّه، لأنه بمنزلة من قال الحكمة خلاف ما أنزل اللَّه. و الأولى أن تقول هی عامة فيمن حكم بغير ما أنزل اللَّه مستحلا لذلک، فانه يكون كافراً بذلک- بلا خلاف- و متى لم يكن كذلک فالآية خاصة على ما قاله ابن عباس فی الجاحدين أو ما قاله أبو علی فی اليهود.

و روى البراء بن عازب عن النبی (ص) أن هذه الآيات الثلاث: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ. وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ التبيان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٣٥

فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

. وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» فی الكفار خاصة

، و به قـال ابن مسـعود و أبو صالـح. و قـال ليس فی أهـل الإسـلام منها شـیء و به قال الضـحاک و أبو مجلز و عكرمـة و قتادة. و قال الشـعبی: نزلت «الكافرون» فی المسلمين «و الظالمون» فی اليهود «و الفاسقون» فی النصاری و قال عطا و طاوس أراد به كفراً دون كفر، و ظلماً دون ظلم، و فسـقاً دون فسق. و رووه عن ابن عباس. و قال ابراهيم هی عامـة فی بنی إسـرائيل و غيرهـم من المسـلمين، و به قال الحسن: و قد بينا الأقوی من هذه الأقاويل.

قوله تعالی: [سورة المائدة (۵): آية ۴۵]..... ص: ۵۳۵

وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۴۵)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائی

«و العين بالعين و الأنف بالأنف و الاذن بالاذن و السن بالسن» بالرفع فيهن. و روی ذلك عن النبی (ص) و أنه كان يقرأ به.

و قرأ نافع «الاذن» بسكون الذال حيث وقع. و قرأ نافع و عاصم و حمزة و خلف و يعقوب «و الجروح قصاص» بالنصب.

قوله «وَ كَتَبْنا» أی فرضـنا عليهم يعنی اليهود الذين تقدم ذكرهم «فيها» يعنی فی التوراة «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» و معناه إذا قتلت نفس نفساً أخری متعمداً أنه يستحق عليها القود إذا كان القاتل عاقلًا مميزاً، و كان التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۶

المقتول مكافياً للقاتـل. أما بـأن يكونـا مسـلمين حرين أو كـافرين أو مملوكين، فأمـا أن يكون القاتـل حراً مسـلما و المقتول كافراً أو مملوكاً فان عندنا لا يقتل.

و فيه خلاف بين الفقهاء. و إن كان القاتل مملوكاً أو كافراً أو المقتول مثله أو فوقه فانه يقتل به- بلا خلاف-.

و قوله: «وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ» من نصب جميع ذلك عطفه علی المنصوب بواو الاـشتراک ثم اسـتأنف، فقـال و الجروح قصـاص. و من نصب الجروح عطفهـا علی مـا قبلهـا من المنصوبات. و من لم ينصب غير النفس فعلی أن ذلك هو المكتوب عليهم.

ثم ابتـدأ ما بعـده بيانـاً مبتـدأ. و يحتمل أن يكون الواو عاطفـة جملـة علی جملـة و لا يكون الاشتراک فيمن نصب. و يحتمل أن يكون حمـل علی المعنی، لأـن التقـدير قلنـا لهم «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» فحمل «الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ» علی المعنی دون اللفظ. و يحتمل أن يكون عطف علی الـذكر المرفوع فی الظرف الـذی هو الخبر، و إن لم يؤكـد المعطوف عليه بضـمير منفصـل، كمـا قال «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا» «۱» فلم يؤكـد كما أكـد فی قوله: «يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ» «۲» ذكر الوجوه الثلاثـة الزجاج، و أبو علی الفارسـی و من نصب الجميع جعل الكل فيما كتب عليهم.

هذا و إن كان إخبار من اللَّه أنه ما كتب عليهم فی التوراة فانه لا خلاف أن ذلك ثابت فی هذا الشرع و يراعی فی قصاص الأعضاء ما يراعی فی قصاص النفس من التكافؤ. و متی لم يكونا متكافئين، فلا قصاص علی الترتيب

---

(۱) سورة ۶ الأنعام آية ۱۴۸.

(۲) سورة ۷ الأعراف آية ۲۶.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۳۷

الذی رتبناه فی النفس سواء. و فيه أيضاً خلاف، و يراعی فی الأعضاء التساوی أيضاً، فلا تقلع العين اليمنی باليسـری، و لا تقطع اليمين باليسار. و تقطع الناقصة بالكاملة. فمن قطع يمين غيره و كانت يمين القاطع شـللًا. قال أبو علی: يقال له إن شئت قطعت يمينه الشلاء أو

تأخذ دية يدك. و قد ورد فى أخبارنا أن يساره تقطع إذا لم يكن للقاطع يمين، فأما عين الأعور، فإنها تقلع بالعين التى قلعها سواء كانت المقلوعة عوراء أو لم تكن. و ان قلعت العين العوراء كان فيها كما الدية إذا كانت خلقة أو ذهبت بآفة من اللّه أو يقلع احدى عينى القالع و يلزمه مع ذلك نصف الدية. و فى ذلك خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و أما الجروح، فانه يقتص منها إذا كان الجارح مكافياً للمجروح على ما بيناه فى النفس، و تقتص بمثل جراحته الموضحة بالموضحة و الهاشمة بالهاشمة و المنقلة بالمنقلة «١» و لا قصاص فى المأمومة و هى التى ام الرأس و لا الجايفة، و هى التى تبلغ الجوف، لأن فى القصاص منها تعزيراً بالنفس. و لا ينبغى أن يقتص من الجراح إلا بعد أن تندمل من المجروح، فإذا اندمل اقتص حينئذ

---

(١) الموضحة هى الجراح التى بلغة العظم فأوضحت عنه.

(الهاشمة) قيل: شجة تهشم العظم. و قيل: هى التى هشمت العظم و لم يتباين فراشه. و قيل هى التى هشمت العظم فنقش و اخرج، فتباين فراشه. و (المنقلة)- بكسر القاف و تشديده- هى التى تنقل العظم أى تكسره حتى يخرج منها فراش العظم و هى قشور تكون على العظم دون اللحم. و فيها أقوال أخر و روايات فى الشرع من شاء فليراجع كتب الفقه الاستدلالية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٣٨

من الجارح. و إن سرت الى النفس كان فيها القود. و كسر العظم لا قصاص فيه، و إنما فيه الدية. و كل جارحة كانت ناقصة فإذا قطعت كان فيها حكومة.

و لا يقتص لها الجارحة الكاملة كيد شلاء و عين لا تبصر و سن سوداء متأكلة «١»، فان جميع ذلك حكومة لا تبلغ دية تلك الجارحة. و قد روى أن فى هذه الأشياء مقدوراً و هو ثلث دية العضو الصحيح. و تفصيل أحكام الجنايات و الديات استوفيناه فى النهاية و المبسوط فى الفقه لا نطول بذكره هاهنا.

و قوله: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» الهاء فى «كَفَّارَةٌ لَهُ» يحتمل عودها الى أحد أمرين:

أحدهما- و هو الأقوى- ما قاله عبد اللّه بن عمر و الحسن و قتادة و ابن زيد و ابراهيم- على خلاف عنه- و الشعبى بخلاف عنه: إنها عائدة على المتصدق من المجروح أو ولى المقتول، لأنه إذا تصدق بذلك على الجارح لوجه اللّه كفَّر عنه بذلك عقوبة ما مضى من معاصيه.

الثانى- على المتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق عنه ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و إنما رجحنا الأول، لأن العائد يجب أن يرجع الى مذكور، و هو من تصدق، و المتصدق عليه لم يجر له ذكر، و معنى «من تصدق» به عفا عن الحق و اسقط.

فان قيل: هل يكفر الذنب إلا التوبة أو اجتناب الكبيرة؟

قلنا: على مذهبنا يجوز أن يكفر الذنب شىء من أفعال الخير، و يجوز أن يتفضل اللّه بإسقاط عقابها. و قال قوم: يجوز أن يكفر بالطاعة الصغيرة

---

(١) (المتأكلة) هى السن المحتكة اما من الكبر أو من عاهة فيها و هى أيضاً السن التى قد ذهب منها شىء و بقى منها بقية. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٣٩

حتى يسقط بها.

و قوله «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قد بينا أن فى الناس من قال ذلك يختص باليهود الذين لم يحكموا بما أنزل اللّه فى التوراة من القود و الرجم. و يمكن أن يحمل على عمومه فى كل من لم يحكم بما أنزل اللّه و حكم بخلافه بأنه يكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب.

و هذا الوجه يوجب أن ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به فى هذا الشرع و إن كان مكتوباً فى التوراة.

قوله تعالى: [سورة المائدة (۵): آية ۴۶]..... ص: ۵۳۹

وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (۴۶)

آية عند الجميع.

قوله: (و قفينا) معناه أتبعنا يقال: قفاه يقفوه و قفواً و منه قافية الشعر لأنها تتبع الوزن و منه القفا، و يثنى قفوان، و استقفاه إذا قفا أثره ليسلبه.

و القفى الضيف، لأنه يقفى بالبر و اللطف. و قوله «على آثارهم» فالآثار جمع أثر و هو العمل الذى يظهر للحس، و آثار القوم ما أبقوا من أعمالهم، و منه المأثرة، و هى المكرمة التى يأثرها الخلف عن السلف، لأنها عمل يظهر نصاً المنفس، و الأثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه بالبر، و منه الإيثار بالاختيار، لأنه اظهار أحد العملين على الآخر و استأثر فلان بالشىء إذا التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴۰

اختاره لنفسه. و الهاء و الميم فى قوله: «آثارهم» قيل فيمن يرجع اليه قولان:

أحدهما- اختاره البلخى و الرمانى: انهما يرجعان الى النبيين الذين أسلموا، و قد تقدم ذكرهم. و قال أبو على يعودان على الذين فرض عليهم الحكم الذى مضى ذكره، لأنه أقرب. و الأول أحسن فى المعنى. و هذا أجود فى العربية.

و قوله: «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ» نصب مصدقاً على الحال. و المعنى أنه يصدق على ما مضى من التوراة الذى أنزلها اللَّه على موسى و يؤمن بها. و إنما قال لما مضى قبله بين يديه لأنه إذا كان ما يأتى بعده خلفه، فالذى مضى قبله قدامه و بين يديه.

و قوله (وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ) يعنى عيسى أنزلنا عليه الإنجيل «فيه» يعنى فى الإنجيل «هدى» يعنى بيان، و حجة «و نور» سماه نوراً لما فيه من الاهتداء به كما يهتدى بالنور و «هدى» رفع بالابتداء «و فيه» خبره قدِّم عليه. و «نور» عطف عليه و «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ» نصب على الحال و ليس ذلك بتكرير لأن الأول حال لعيسى (ع) و أنه يدعوا الى التصديق بالتوراة. و الثانى- أن فى الإنجيل ذكر التصديق بالتوراة و هما مختلفان و «هدى» فى موضع نصبٍ بالعطف على «مصدقاً» .

و (موعظة) عطف على «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» . و إنما اضافه الى المتقين، لأنهم المنتفعون بها. و قد مضى مثل ذلك فيما مضى. و المتقون هم الذين يتقون معاصى اللَّه و ترك واجباته خوفاً من عقابه و الوعظ و الموعظة هو الزجر عما كرهه اللَّه الى ما يحبه اللَّه و التنبيه عليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴۱

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴۷]..... ص: ۵۴۱

وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۴۷)

آية.

قرأ حمزة (و ليحكم) بكسر اللام، و نصب الميم. الباقون بجزم الميم و سكون اللام على الأمر.

حجة حمزة أنه جعل اللام متعلقة بقوله «وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ» لأن إيتاءه الإنجيل انزال ذلك عليه، فصار كقوله «إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ» «۱» و حجة من جزم الميم انه جعله أمراً بدلالة قوله: «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» فكما أمر النبى (ص) بالحكم بما أنزل عليه كذلك أمر عيسى (ع) بالحكم بما أنزل اللَّه فى الإنجيل. و فى معنى الأمر قولان:

أحـدهما- و قلنا: «لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ» فيكون على حكايـة ما فرض عليهم و حـذف القول لدلالـة ما قبله فى قوله و قفينا، و آتينا كما قال: «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «٢» أى يقولون سلام عليكم.

الثانى- أنه استأنف الأمر لأهل الإنجيل على غير حكايـة، لأن أحكامه كانت حينئـذ موافقـة لأحكام القرآن. و لم تنسخ بعد- هذا قول أبى على- و الأول أقوى- و هو اختيار الرمانى.

و قوله: «بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» يعنى الإنجيل، و هو يذكر و يؤنث،

---

(١) سورة ۴ النساء آية ١٠۴.

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٢۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴٢

و الإنجيـل إفعيـل من النجـل و هو الأصـل، و النجـل النزَّ من المـاء. و النجـل الولـد. و النجل القطع. و منه سـمى المنجل. و قرأ الحسـن (أنجيل) بفتح الهمزة و هو شاذ و هو ضـعيف. لأنه ليس فى كلام العرب شـىء على وزن (أفعيل) و إنما جزمت لام الامر و نصبت لام كى، لأن لام الأمر توجب معنى لا يكون للاسم فأوجبت إعراباً لا يكون للاسم و لام كى يقـدر بعـدها (أن) بمعنى الاسم. و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال أبو على ان (من) بمعنى الذى و هو خبر عن قوم معرفين، و هم اليهود الذين تقدم ذكرهم.

و الثـانى- قـال غيره ان ذلك خرج مخرج المجاراة و المعنى أن من لم يحكم بما أنزل اللَّه من المكلفين فهو فاسق، لأن اطلاق الصـفة يدل على أنه ذهب الى ان الحكمة فى خلاف ما أمر اللَّه به فلهذا كان كافراً.

و قال ابن زيد: الفاسقون- هاهنا- و فى أكثر القرآن بمعنى الكاذبين كقوله «إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ» «١» يعنى كاذب.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۴٨]..... ص: ۵۴٢

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴٨)

---

(١) سورة ۴٩ الحجرات آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴٣

آية بلا خلاف.

هـذا خطـاب النبى (ص) بـأنه تعـالى أنزل إليه الكتاب يعنى القرآن «بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً» نصب على الحال يصـدق ما بين يـديه من الكتاب يعنى التوراة و الإنجيـل و ما فيهما من توحيـد اللَّه و عـدله و الدلالـة على نبوته (ع) و الحكم بالرجم و القود على ما تقـدم ذكره. و فيه دلالة على أن ما حكا اللَّه أنه كتبه عليهم فى التوراة حكم بأنه يلزمنا العمل به، لأنه جعل القرآن مصدقاً لذلك و مهيمناً عليه.

و قيـل فى معنى (المهيمن) خمسـة أقوال: أحـدهما- قـال ابن عبـاس و الحسن و قتادة، و مجاهـد: معناه أمين عليه و شاهـد. و قال قوم: مؤتمن.

و قال آخرون: شاهد. و قال آخرون: حفيظ. و قال بعضهم: رقيب.

و الأصل فيه (مؤيمن) فقبلت الهمزة هاء، كما قيل فى أرقت الماء: هرقت.

هذا قول أبى العباس و الزجاج و قد صُرِف، فقيل (هيمن) الرجل إذا ارتقب، و حفظ و شهد، يهيمن هيمنة فهو مهيمن. و قال بعضهم مهيمناً- بفتح الميم الثانية- و هو شاذ. و فى معنى المهيمن هاهنا قولان:

قال ابن عباس، و الحسن و أكثر المفسرين: إنه صفة للكتاب.

الثانى- قال مجاهد هو صفة النبى (ص) و الأول أقوى، لأجل حرف العطف، لأنه قال: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ» ثم قال: «و مهيمناً» و لا يجوز أن يعطف على حال لغير الأول. لا تقول ضربت هند زيداً قاعداً و قائمة، و لو قلت قائمة بلا واو لكان جائزاً. و يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴۴

أن يكون عطفاً على مصدقا و يكون مصدقاً حالًا للنبى (ص) و الأول أظهر.

و قوله «فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» قال ابن عباس، و الحسن، و مسروق: يدل على أن أهل الكتاب إذا ترافعوا الى احكام يجب أن يحكموا بينهم بحكم القرآن و شريعة الإسلام، لأنه أمر من اللَّه تعالى بالحكم بينهم و الأمر يقتضى الإيجاب. و قال أبو على ذلك نسخ بالتخيير فى الحكم بين أهل الكتاب و الاعراض عنهم و الترك. و قوله: «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ» نهى له (ص) عن اتباع أهوائهم فى الحكم، و لا يدل ذلك على أنه كان اتبع أهواءهم، لأنه مثل قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «١» و لا يدل ذلك على أن الشرك كان وقع منه. و قوله «عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» أى لا تتبع أهواءهم عادلًا عما جاءك من الحق.

و قوله «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» فالشرعة و الشريعة واحد و هى الطريقة الظاهرة. و الشريعة هى الطريق الذى يوصل منه الى الماء الذى فيه الحياة فقيل الشريعة فى الدين أى الطريق الذى يوصل منه الى الحياة فى النعيم، و هى الأمور التى تعبد اللَّه- عز و جل- بها من جهة السمع قال الشاعر:

أ تنسوننى يوم الشريعة و القنا بصفين فى لباتكم قد تكسرا

يريد شريعة الفرات و الأصل فيه الظهور أشرعت القنا إذا أظهرته.

و شرعت فى الأمر شروعاً إذا دخلت فيه دخولًا ظاهراً، و القوم فى الأمر شرع سواء أى متساوون. و المنهاج الطريق المستمر يقال: طريق نهج و منهج أى بين قال الراجز:

---

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ۶۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۴۵

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء و طريق نهج «١»

و قال المبرد: الشرعة ابتداء الطريق، و المنهاج الطريق المستمر قال:

و هذه الألفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة منه. و منه قول الحطيئة:

ألا حبذا هند و أرض هند و هند أتى من دونها النأى و البعد «٢»

قال فالنأى لما قل بعده و البعد لما كثر بعده فالنأى للمفارقة، و قد جاء بمعنى واحد. قال الشاعر:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أم الهيثم

و أقفر و أقوى معناهما خلا و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك «شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» أى سنة و سبيلا و الشرعة التى جعلت «لكل» قيل فيه قولان: أحدهما- قال مجاهد شريعة القرآن لجميع الناس لو آمنوا به. الثانى- قال قتادة و غيره و اختاره الجبائى أنه شريعة التوراة و شريعة الإنجيل و شريعة القرآن.

و قوله «منكم» قيل فى المعنى به قولان:

أحدهما أمة نبينا و أمم الأنبياء قبله على تغليب المخاطب على الغائب.

الثانی- أنه أراد أمة نبینا وحده، و هو قول مجاهد. و الاول أقوی لأنه تعالی بین أنه جعل لکل شرعة و منهاجاً غیر شرعة صاحبه و یقوی ذلک قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَکُمْ أُمَّةً واحِدَةً» و لو کان الأمر علی ما قال مجاهد لما کان لذلک معنی، لأنه تعالی قد جعلهم أمة واحدة بأن أمرهم بالدخول

---

(۱) مجاز القرآن لابی عبیدة ۱: ۱۶۸ و اللسان (روی). و قد رواه الطبری (من یک فی شک).

(۲) اللسان «نأی» .

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۴۶

فیها و الانقیاد لها. و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً» قیل فی معناه أقوال:

أحدها قال الحسن و الجبائی انه اخبار عن القدرة کما قال «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَیْنا کُلَّ نَفْسٍ هُداها» «۱» .

الثانی قال البلخی معناه لو شاء اللَّه لفعل ما یختارون عنده الکفر، لکنه لا یفعله، لأنه مناف للحکمة و لا یلزم علی ذلک أن یکون فی مقدوره ما یؤمنون عنده فلا یفعله، لأن ذلک لو کان مقدوراً لوجب أن یفعله ما لم یناف التکلیف.

الثالث قال قوم: لو شاء اللَّه لجمعهم علی ملة واحدة فی دعوة جمیع الأنبیاء و الأول أصح لأن دعوة الأنبیاء تابعة للمصالح، فلا یمکن جمع الناس علی شریعة واحدة مع اختلاف المصالح.

الرابع قال الحسین بن علی المغربی: معناه لو شاء اللَّه ألا یبعث الیهم نبیاً، فیکونون متعبدین بما فی العقل و یکونون أمة واحدة. و أقوی الوجوه أولها.

و قوله «وَ لکِنْ لِیَبْلُوَکُمْ فِی ما آتاکُمْ» معناه لیختبرکم بما کلفکم من العبادات و هو عالم بما یؤل الیه أمرکم، لأنه عالم لنفسه و قد فسرنا معنی البلوی فیما مضیء. «فَاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- بادروا فوت الحظ بالتقدم فی الخیر.

الثانی- بادروا الفوت بالموت ذکره الجبائی.

---

(۱) سورة ۳۲ حم السجدة آیة ۱۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۴۷

و قوله «إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ» أی الی اللَّه مرجعکم یعنی الی الموضع الذی لا یملک أحد فیه لکم ضراً و لا- نفعاً غیره فجعل رجوعهم الی هذا الحد بالموت رجوعاً الیه تعالی و بین أنه یعلمهم ما کانوا یختلفون فیه فی الدنیا من أمر دینهم و أنه یحکم فی ذلک بینهم بالحق.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۴۹]..... ص: ۵۴۷

وَ أَنِ احْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ یَفْتِنُوکَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَیْکَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُصِیبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ (۴۹)

آیة بلا خلاف.

موضع «أن احکم» نصب و العامل فیها و أنزلنا و التقدیر و أنزلنا الیک أن احکم بینهم بما انزل اللَّه. و یجوز أن یکون موضعها رفعاً و تقدیره و من الواجب أن احکم بینهم بما أنزل اللَّه. و وصلت أن بالأمر و لا یجوز صلة الذی بالأمر لأن (الذی) اسم ناقص مفتقر الی صلة فی البیان عنه فتجری مجری صفة النکرة و لذلک لا بد لها من عائد یعود الیها و لیس کذلک «ان» لأنها حرف، و هی مع ما

بعدها بمنزلة شيء واحد فلما كان فى فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره.

و انما كرر الأمر بالحكم بينهم، لامرين:

أحدهما-

أنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا اليه فى زناء المحصن ثم احتكموا اليه فى قتيل كان منهم ذكره أبو على و هو المروى

عن التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٤٨

أبى جعفر (ع).

الثاني- ان الأمر الاول مطلق و الثاني دل على أنه منزل.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ» نهى له (ص) أن يتبع أهواءهم فيحكم بما يهوونه.

و قوله «وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس احذرهم ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الأحكام اطماعاً منهم فى الاستجابة الى الإسلام.

الثاني- قال ابن زيد احذرهم ان يضلوك بالكذب عن التوراة بما ليس فيها فانى قد بينت لك حكمها. و قال الشعبى الآية و ان خرجت مخرج الكلام على اليهود فان المجوس داخلون فيها.

و قوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا» معناه فان أعرضوا عن حكمك بما أنزل اللَّه «فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدهما- قال الجبائى انه و ان ذكر لفظ الخصوص فان المراد به العموم كما قد يذكر العموم و يراد به الخصوص.

الثاني- انه على تغليظ العقاب أى يكفى أن يؤخذوا ببغض ذنوبهم فى إهلاكهم و التدمير عليهم.

الثالث ان يعجل بعض العقاب بما كان من التمرد فى الاجرام لان ذلك من حكم اللَّه فى العباد.

الرابع- قال الحسن: ان المراد به اجلاء بنى النضير بنقض العهد و قتل بنى قريظة و قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» معناه تسلية للنبى (ص) عن اتباع هؤلاء القوم الى اجابته و الإقرار بنبوته بأن قليلا من الناس الذين التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٤٩

يؤمنون، و ان الأكثر هم الفاسقون، فلا ينبغى ان يعظم ذلك عليك.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٥٠]..... ص: ٥٤٩

أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)

آية بلا خلاف.

قرأ (تبغون) بالتاء ابن عامر وحده الباقون بالياء. من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم، و من قرأ بالياء، فلأن ما قبله على لفظ الغيبة و هو قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» فحملوا عليه. و الكناية فى قوله «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» قيل فيها قولان:

أحدهما- إنها كناية عن اليهود فى قول مجاهد، و أبو على قال أبو على لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه. و إذا وجب على أقويائهم بالغنى و الشرف فى الدنيا لم يأخذوهم به، فقيل لهم «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ» يعنى عبدة الأوثان «تبغون» و أنتم أهل كتاب.

الثاني- انها كناية عن كل من طلب غير حكم اللَّه أى انما خرج منه الى حكم الجاهلية. و كفى بذلك خزياً أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم.

و نصب «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» و هو مفعول به و معنى تبغون تطلبون يقال بغى يبغى بغياً إذا طلبه و البغاة هم الذين يطلبون التآمر على الناس و الترأس بغير حق و البغى الفاجرة لأنها تطلب الفاحشة، و منه قوله «وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ

اللَّهُ» «١» أى من طلب عليه الاستعلاء

---

(١) سورة الحج آية ۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۵۰

بـالظلم. و قوله «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً» نصب على التمييز أى فصلا بين الحق و الباطل من غير محاباة، و لا مقاربة لأنه لا يجوز للحاكم أن يحابى فى الحكم بأن يعمل على ما يهواه بدلا مما يوجبه العدل و قد يكون حكم أحسن من حكم بأن يكون أولى منه و أفضل منه و كذلك لو حكم بحق يوافق هواه كان ما يخالف هواه أحسن مما يوافقه و قوله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» معناه عند قوم يوقنون باللَّه و بحكمه فأقيمت اللام مقام (عند) هذا قول أبى على، و هذا جائز إذا تقاربت المعانى و لم يقع اللبس لأن حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض.

قوله تعالى: [سورة المائدة (۵): آية ۵۱]..... ص: ۵۵۰

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۱)

قوله «بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» إخبار منه تعالى ان الكفار يوالى بعضهم بعضاً و قوله «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» يعنى من استنصرهم و اتخذهم أنصاراً فانه منهم أى محكوم له بحكمهم فى وجوب لعنه و البراءة منه و يحكم بأنه من أهل النار. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» معناه لا يهديهم الى طريق الجنة لكفرهم، و استحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار، هذا قول أبى على. و قال غيره: معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح و الثناء و النصرة على الأعداء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۵۱

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵۲]..... ص: ۵۵۱

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ (۵۲)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى (ص) أعلمه اللَّه أنه يرى الذين فى قلوبهم مرض أى شك و نفاق «يقولون» فى موضع الحال، و تقديره قائلين نخشى أن تصيبنا دائرة. و الذين يخشون أن تصيبهم دائرة قيل فيه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و قتادة و السدى و أبو على الجبائى: إنهم قوم من المنافقين.

و قال عطية بن سعد و عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: إنه عبد اللَّه ابن أبى بن سلول.

و «الدائرة» الدولة التى تحول الى من كانت له عمن هى فى يديه، قال الشاعر:

ترد عنك القدر المقدورا و دائرة الدهر أن تدورا»

يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم.

و قوله «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ» عسى موضوعة فى اللغة للشك و هى من اللَّه تعالى تفيد الوجوب، لأن الكريم إذا أطلع فى خير يفعله، فهو بمنزلة

(۱) مجاز القرآن ا: ۱۶۹ و تفسير الطبرى ۱۰: ۴۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۲

الوعد به فى تعلق النفس به و إرجائها له، و لذلك حق لا يضيع و منزلة لا تخيب.

و الفتح القضاء و الفصل- و هو قول قتادة- و منه قوله «افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ» «۱» و قال أبو على هو فتح بلاد المشركين على المسلمين و قال السدى: هو فتح مكة و يقال للحاكم الفتاح، لأنه يفتح الحكم و يفصل به الأمر. و قوله «أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

قال السدى: هو تجديد أمر فيه إذلال المشركين و عز للمؤمنين، و قيل هو الجزية.

و قيل: هو اظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتلهم فى قول الحسن و الزجاج.

و قال أبو على: هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق، لأنه إذا أتى اللّه المؤمنين ذلك ندم المنافقون و الكفار على تقويتهم بأنفسهم ذلك، و كذلك إذا ماتوا أو تحققوا ما يصيرون اليه من العقاب ندموا على ما فعلوه فى الدنيا من الكفر و النفاق.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵۳]..... ص: ۵۵۲

وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ (۵۳)

آية قرأ ابن كثير، و عامر، و نافع «يقول» بلا واو. الباقون بالواو، و كلهم قرأ بضم اللام إلا أبا عمرو، فانه فتحها. من نصب اللام فالمعنى عسى

---

(۱) سورة ۷ الأعراف آية ۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۳

أن يقول، و من رفعه فعلى الاستئناف.

فان قيل كيف يجوز النصب و لا يجوز أن يقول الذين آمنوا؟

قيل: قال أبو على الفارسى يحتمل ذلك أمرين غير هذا:

أحدهما- أن يحمل على المعنى، لأنه إذا قال عسى اللّه أن يأتى بالفتح و كأنه قال عسى أن يأتى اللّه بالفتح، «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» كما قال «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» كأنه قال: أصدق و أكن، و قد جاء مثله نحو قوله «وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» «۱» و قال «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا» «۲».

و وجه آخر و هو: أن يبدل (أن يأتى) من اسم اللّه اسم كما أبدلت (أن) من الضمير الذى فى قوله «وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» «۳» فإذا أبدلته فكأنك قلت عسى أن يأتى اللّه بالفتح، و يقول الذين آمنوا. و أما من رفع فلانه عطف جملة على جملة، و لم يجعلها عاطفة على مفرد. و يقوى الرفع قراءة من قرأ بلا واو و أما إسقاط الواو و إثباتها فجميعاً حسنان: أما الحذف فلان فى الجملة المعطوفة ذكراً فى المعطوف عليها و ذلك أن من وصف بقوله «يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ» الى قوله «نادمين» هم الذين قال فيهم «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» فلما صار فى كل واحدة من الجملتين ذكر فيما تقدم من الأخرى حسن عطفها بالواو و بغير الواو، كما أن قوله

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۱۶.

(۲) سورة ۴ النساء آية ۸۳.

(۳) سورة ۱۸ الكهف آية ۶۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۴

«سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» «۱» لما كان فى كل واحدة من الجملتين ذكر ما تقدم اكتفى بذلك عن الواو. و يدل على حسن اثبات الواو قوله «وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» .

و قوله «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» أى الذين صدقوا باللّه و رسوله ظاهراً و باطناً تعجباً من نفاق المنافقين «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ» فى معاونتكم على أعدائكم و نصرتكم «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» أى ضاعت أعمالهم التى عملوها، لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به، لأن ما فعلوه فعلوه على وجه النفاق دون التقرب به الى اللّه. و قوله «فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ» ليس المراد به معنى الصباح، و إنما معناه صاروا خاسرين، و مثل ذلك قولهم: ظل فلان بفعل كذا، و بات يفعل كذا، و ليس بمراد وقت بعينه، و إنما وصفهم بالخسران، لأنهم فوتوا نفوسهم الثواب و استحقوا عوضاً منه العقاب فأى خسران أعظم من ذلك.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵۴]..... ص: ۵۵۴

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۵۴)

آية قرأ نافع و أهل المدينة «يرتدد» بدالين، و به قرأ ابن عامر، و كذلك

---

(۱) سورة الكهف آية ۲۲. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۵

هو فى مصاحفهم. الباقون بدال واحدة مشددة، و كذلك هو فى مصاحفهم.

من أظهر و لم يدغم قال: لأن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً و لا يمكن الإدغام فى الحرف الذى يدغم حتى يسكن، لان اللسان يرتفع عن المدغم و المدغم فيه ارتفاعة واحدة، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعة واحدة، و إذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام فى الساكن لأن المدغم إذا كان ساكناً و المدغم فيه كذلك التقى ساكنا، و التقاء الساكنين فى الوصل فى هذا النحو ليس من كلامهم فأظهر الحرف الاول فى حركة و أسكن الثانى من المثلين، و هذه لغة أهل الحجاز، فلم يلتق الساكنان.

و حجة من أدغم أنه لما اسكن الحرف الاول من المثلين للادغام لم يمكنه أن يدغمه فى الثانى و الثانى ساكن فحرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين و هذه لغة بنى تميم. و فى القرآن نظيره قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» «۱» و قال: مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «۲» .

و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقول:

فقال الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جريج إنها نزلت فى أبى بكر.

الثانى- قال السدى: نزلت فى الأنصار.

الثالث- قال مجاهد:

نزلت فى أهل اليمن، و روى ذلك عن النبى (ص)

و اختاره الطبرى لمكان الرواية.

و روى أنهم قوم أبى موسى الأشعرى.

و كـانت وفودهم قـد أتت أيـام عمر، و كـان لهم فى نصـرة الإسـلام أثر. و قال أبو جعفر و أبو عبـد اللَّه (ع) و روى ذلك عن عمار و حذيفة، و ابن عباس: أنها نزلت فى أهل البصرة و من قاتل علياً (ع)

فروى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

---

(١) سورة ۴ النساء آية ١١۴.

(٢) سورة ٨ الانفال آية ١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۵۶

يوم البصرة «و اللَّه ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» و تلا هذه الآية.

و مثـل ذلـك روى حذيفـة، و عمار و غيرهما. و الـذى يقوى هـذا التأويل أن اللَّه تعالى وصف من عناده بالآيـة بأوصاف وجـدنا أمير المؤمنين (ع) مستكملا لها بالإجماع، لأنه قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»

و قـد شـهد النبى (ص) لأمير المؤمنين (ع) بما يوافق لفظ الآيـة فى قوله و قـد نـدبه لفتـح خيبر بعـد فرار من فر عنها واحـدا بعد واحد (لأعطين الرايـة غـداً رجلًا يحب اللَّه و رسوله و يحبه اللَّه و رسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتـح اللَّه على يـديه) فـدفعها الى أمير المؤمنين، فكان من ظفره ما وافق خبر الرسول (ص).

ثم قـال «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكـافِرِينَ» فوصف من عناه بالتواضع للمؤمنين و الرفق بهم، و العزة على الكافرين. و العزيز على الكـافرين هو الممتنع من أن ينـالوه مع شـدة نكـايته فيهم و وطـأته عليهم، و هـذه أوصـاف أمير المؤمنين (ع) التى لا يـدانى فيها و لا يقارب. ثم قال «يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ» فوصف- جل اسـمه- من عنا بهذا الجهاد و بما يقتضى الغلبة فيه، و قد علمنـا أن أصـحاب الرسول (ص) بين رجلين: رجلًا لا عنـاء له فى الحرب و لا جهاد. و الآخر له جهاد و عناء، و نحن نعلم قصور كل مجاهد عن منزلة أمير المؤمنين (ع) فى الجهاد، فإنهم مع علو منزلتهم فى الشـجاعة و صدق البأس لا يلحقون منزلته و لا يقاربون رتبته لأنه عليه السـلام المعروف بتفريـج الغمم، و كشف الكرب عن وجه الرسول (ص) و هو الـذى لم يحم قـط عن قرن، و لا نكص عن هول، و لا ولى الـدبر، و هذه حالة لم تسـلم لأحد قبله و لا بعده فكان (ع) بالاختصاص بالآية أولى لمطابقة أوصافه لمعناها. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۵۷

فاما من قال أنها نزلت فى أبى بكر فقوله بعيـد من الصواب، لأنه تعالى إذا كان وصف من أراده بالآيـة بالعزة على الكافرين و بالجهاد فى سبيله مع اطراح خوف اللوم كيف يجوز أن يظن عـاقب توجه الآيـة الى من لم يكن له حظ فى ذلـك الموقف لأن المعلوم أن أبا بكر لم يكن له نكاية فى المشـركين، و لا قتيل فى الإسـلام، و لا وقف فى شىء من حروب النبى (ص) موقف أهل البأس و الفناء، بل كان الفرار شـيمته، و الهرب ديـدنه، و قـد انهزم عن النبى (ص) فى مقام بعـد مقام، فانهزم يوم أحـد و يوم حنين، و غير ذلك، فكيف يوصف بالجهـاد فى سبيل اللَّه- على ما يوصف فى الآيـة- من لا جهاد له جملـة. و هل العـدول بالآيـة عن أمير المؤمنين (ع) مع العلم الحاصل. بموافقة أوصافه لها الى غيره إلا عصبية ظاهرة. و لم يذكر هذا طعناً على أبى بكر (رضى اللَّه عنه) و لا قدحاً فيه، لان اعتقادنا فيه أجمل شىء، بل قلنا أ ليس فى الآية دلالة على ما قال.

و معنى «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى أهل لين ورقة «أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ» أى أهل جفاة و غلظة. و الذل بكسـر الذال غير الذل بضـمها، لأن الأول اللين و الانقياد و الثانى و الهوان و الاستخفاف.

و روى عن على (ع) و ابن عباس (رحمة اللَّه عليه) أن معنى «أذلة» أهل رحمة و رقة. و معنى «أعزة» أهل غلظة و شدة.

و قال الأعمش «أذلة» يعنى ضعفاء.

و محبـة اللَّه تعالى لخلقه إرادة ثوابهم و إكرامهم و إجلالهم. و محبتهم له إرادتهم لشكره و طاعته و تعظيمه. و الارتداد- عندنا- على ضربين: مرتـد عن فطرة الإسـلام، فانه يجب قتله و لا يستتاب، و يقسم ماله بين ورثته و تعتـد منه زوجته عدة الوفاة من يوم ارتداده. و الآخر من أسلم عن كفر التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۸

ثم ارتد فهذا يستتاب، فان تاب و إلا وجب عليه القتل، فان لحق بدار الحرب.

اعتـدت منه زوجته عـدة الطلاق، فـان رجع الى الإسـلام فى زمـان العـدة كان أملك بها، و إن لم يرجع و انقضت العـدة فقـد ملكت نفسـها، و لا سبيـل له عليهـا و إن رجع فيمـا بعـد. و أمـا المرأة فإنها تستتاب على كل حال، فان تابت و إلا حبست حتى تموت. و فى ذلك خلاف قد بيناه فى مسائل الخلاف. فأما من يعتقد الجبر و التشبيه و أزلية صـفات قديمة معه تعالى فهو كافر بلا خلاف بين أهل العـدل. و اختلفوا فمنهم من قال حكمه حكم المرتـد يستتاب فان تاب و إلا قتل. و منهم من قال يستتاب و لا يقتل لأنه لم يخرج عن الملة لإقراره بالشهادتين.

و قوله «يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» صـفة للقوم الذين وعد اللَّه أن يأتى بهم إن ارتدوا. و قوله «وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ» أى لا يخشون لوم أحـد و عذلـة و لا يصـدهم ذلك عن العمل بما أمرهم اللَّه به و ذلك اشارة الى هذا النعت الذى نعتهم به «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ» أى ذلك فضـل من اللَّه و تيسر منه و لطـف منه، و منـة من جهته «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» يعنى جواد على من يجود به عليه لا يخـاف نفـاد مـا عنـده «عليم» بموضع جوده و عطائه و لا يبذله الا لمن تقتضى الحكمة إعطاؤه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (۵): آية ۵۵]..... ص: ۵۵۸

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (۵۵)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه، فروى أبو بكر الرازى فى كتاب التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۵۹

أحكام القرآن على ما حكاه المغربى عنه، و الطبرى، و الرمانى، و مجاهد، و السدى:

إنها نزلت فى على (ع) حين تصدق بخاتمه و هو راكع، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

و جميع علماء أهل البيت. و قال الحسن و الجبائى:

انهـا نزلـت فى جميع المـؤمنين. و قـال قـوم نزلـت فى عبـادة بن الصـامت فى تـبرئه من يهـود بنى قينقـاع، و حلفهم الى رسـول اللَّه و المؤمنين. و قال الكلبى نزلت فى عبد اللَّه بن سلام و أصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم، فنزلت الآية.

و اعلم إن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (ع) بعد النبى بلا فصل.

و وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولىَّ فى الآية بمعنى الأولى و الأحق.

و ثبت أيضـاً أن المعنى بقوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أمير المؤمنين (ع) فـإذا ثبت هـذا الاصـلان دل على إمـامته، لأـن كـل من قـال: ان معنى الولى فى الآية ما ذكرناه قال إنها خاصة فيه. و من قال باختصاصها به (ع) قال المراد بها الامامة.

فان قيل دلوا أولا على ان الولى يستعمل فى اللغة بمعنى الأولى و الاحق ثم على ان المراد به فى الآية ذلك، ثم دلوا على توجهها الى أمير المؤمنين (ع).

قلنا: الذى يدل على أن الولى يفيد الأولى قول أهل اللغة للسلطان المالك للأمر: فلان ولى الأمر قال الكميت:

و نعم ولى الأمر بعد وليه و منتجع التقوى و نعم المؤدب

و يقولون: فلان ولى عهد المسلمين إذا استخلف للأمر لأنه أولى بمقام من قبله من غيره

و قال النبى (ص) (أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل)

يريد من هو أولى بالعقد عليها. و قال تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٦٠
وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»
«١» يعنى من يكون أولى بحيازة ميراثى من بنى العم. و قال المبرد: الولى و الأولى و الأحق و المولى بمعنى واحد و الأمر فيما ذكرناه ظاهر، فاما الذى يدل على أن المراد به فى الآية ما ذكرناه هو ان اللّه تعالى نفى ان يكون لنا ولى غير اللّه و غير رسوله، و الذين آمنوا بلفظة «إنما» و لو كان المراد به الموالاة فى الدين لما خص بها المذكورين، لأن الموالاة فى الدين عامة فى المؤمنين كلهم. قال اللّه تعالى «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «٢» و إنما قلنا: أن لفظة (إنما) تفيد التخصيص، لأن القائل، إذا قال إنما لك عندى درهم فهم منه نفى ما زاد عليه، و قام مقام قوله: ليس لك عندى إلا درهم. و لذلك يقولون انما النحاة المدققون البصريون و يريدون نفى التدقيق عن غيرهم. و مثله قولهم: إنما السخاء سخاء حاتم يريدون نفى السخاء عن غيره، قال الأعشى:
و لست بالأكثر منهم حصى و إنما العزة للكاثر «٣»
أراد نفى العزة عن من ليس بكاثر. و احتج الأنصار بما
روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله أنه قال (إنما الماء من الماء) فى نفى الغسل من غير انزال.
و ادعى المهاجرون نسخ الخبر، فلو لا أن الفريقين فهموا التخصيص لما كان الأمر كذلك و لقالوا (إنما) لا تفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء.
و يدل أيضاً على أن الولاية فى الآية مختصة أنه قال: «وليكم» فخاطب به جميع المؤمنين و دخل فيه النبى (ص) و غيره ثم، قال و رسوله، فاخرج

---

(١) سورة مريم آية ٤- ٥.
(٢) سورة التوبة آية ٧٢.
(٣) اللسان (كثر) و الأكثر هنا و الكاثر بمعنى العدد الكثير و ليس هو للتفضيل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٦١
النبى (ص) من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته، فلما قال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» وجب أيضاً أن يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية. و إلا أدى الى أن يكون المضاف هو المضاف اليه و أدى الى أن يكون كل واحد منهم ولى نفسه، و ذلك محال. و إذا ثبت أن المراد بها فى الآية ما ذكرناه، فالذى يدل على أن أمير المؤمنين (ع) هو المخصوص بها أشياء:
منها- أن كل من قال: ان معنى الولى فى الآية معنى الأحق قال إنه هو المخصوص به. و من خالف فى اختصاص الآية يجعل الآية عامة فى المؤمنين و ذلك قد أبطلناه.
و منها- ان الطائفتين المختلفتين الشيعة و أصحاب الحديث رووا أن الآية نزلت فيه (عليه السلام) خاصة.
و منها- أن اللّه تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، لأنه قال: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ» فبين أن المعنى بالآية هو الذى أتى الزكاة فى حال الركوع. و أجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى حال الركوع غير أمير المؤمنين (ع)، و ليس لأحد أن يقول: إن قوله «وَ هُمْ راكِعُونَ» ليس هو حالًا ل «يُؤْتُونَ الزَّكاةَ» بل المراد به أن من صفتهم إيتاء الزكاة، لأن ذلك خلاف لأهل العربية، لأن القائل إذا قال لغيره لقيت فلانا، و هو راكب لم يفهم منه الا لقاؤه له فى حال الركوب، و لم يفهم منه أن من شأنه الركوب، و إذا قال: رأيته و هو جالس أو جاءنى و هو ماش لم يفهم من ذلك كله إلا موافقة رؤيته فى حال الجلوس أو مجيئه ماشياً. و إذا ثبت ذلك وجب أن يكون حكم الآية مثل ذلك.
فان قيل: ما أنكرتم أن يكون الركوع المذكور فى الآية المراد به التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٦٢

الخضوع کأنه قال یؤتون الزکاة خاضعین متواضعین کما قال الشاعر:

و لا تهین الفقیر علک أن ترکع یوماً و الدهر قد رفعه «۱»

و المراد علک أن تخضع، قلنا الرکوع هو التطأطأ المخصوص، و إنما یقال للخضوع رکوعاً تشبیهاً و مجازاً، لأن فیه ضرباً من الانخفاض، یدل علی ما قلناه نص أهل اللغة علیه، قال صاحب العین: کل شیء ینکب لوجهه فتمس رکبتیه الأرض أو لا تمس بعد أن یطأطئ رأسه فهو راکع قال لبید:

أخبر أخبار القرون التی مضت أدب کأنی کلما قمت راکع «۲»

و قال ابن درید: الراکع الذی یکبو علی وجهه، و منه الرکوع فی الصلاة قال الشاعر:

و أفلت حاجب فوق العوالی علی شقاء ترکع فی الظراب «۳»

أی تکبوا علی وجهها. و إذا کانت الحقیقة ما قلناه، لم یجز حمل الآیة علی المجاز.

فان قیل قوله «الَّذِینَ آمَنُوا» لفظ جمع کیف تحملون ذلک علی الواحد؟

قیل: قد یعبر عن الواحد بلفظ الجمع إذا کان معظماً عالی الذکر قال تعالی «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۴» و قال: «رَبِّ ارْجِعُونِ»

---

(۱) قائله الأضبط بن قریع الاسدی. و هو فی اللسان (رکع). و قد مر فی موارد کثیرة من هذا الکتاب.

(۲) اللسان (رکع) و قد مر فی ۱/ ۱۹۵.

(۳) اللسان (رکع) و قد مر فی ۱/ ۱۹۵.

(۴) سورة الحجر آیة ۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۶۳

و قال «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَیْنا کُلَّ نَفْسٍ هُداها» «۱» و نظائر ذلک کثیرة. و قال:

«الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ» «۲» و لا خلاف فی أن المراد به واحد، و هو نعیم بن مسعود الاشجعی. و قال: «أَفِیضُوا مِنْ حَیْثُ أَفاضَ النَّاسُ» «۳» و المراد رسول اللَّه (ص) و قال «الَّذِینَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا» «۴» نزلت فی عبد اللَّه بن أبی ابن سلول.

فإذا ثبت استعمال ذلک کان قوله «الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ» محمولا علی الواحد الذی قدمناه.

فان قیل: لو کانت الآیة تفید الامامة لوجب أن یکون ذلک إماماً فی الحال و لجاز له أن یأمر و ینهی و یقوم بما یقوم به الأئمة.

قلنا: من أصحابنا من قال: إنه کان إماماً فی الحال و لکن لم یأمر لوجود النبیَّ (ص) و کان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضی النبی (ص) قام بما کان له. و منه من قال- و هو الذی نعتمده- أن الآیة دلت علی فرض طاعته و استحقاقه للامامة. و هذا کان حاصلا له. و أما التصرف فموقوف علی ما بعد الوفاة کما یثبت استحقاق الأمر لولی العهد فی حیاة الامام الذی قبله و إن لم یجز له التصرف فی حیاته. و کذلک یثبت استحقاق الوصیة للوصی و ان منع من التصرف وجود الموصی. و کذلک القول فی الأئمة و قد استوفینا الکلام علی الآیة فی کتب الامامة بما لا یحتمل بسطه ها هنا.

فان قیل: أ لیس قد روی أنها نزلت فی عبادة بن الصامت أو عبد اللَّه بن سلام و أصحابه؟ فما أنکرتم أن یکون المراد بالذین آمنوا هم دون من

---

(۱) سورة أ لم السجدة آیة ۱۳.

(۲) سورة آل عمران آیة ۱۷۲.

(۳) سورة البقرة آیة ۱۹۹.

(۴) سورة آل عمران آیة ۱۶۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۶۴

ذهبتم الیه؟

قلنا: أول ما نقوله: إنا دللنا علی أن هـذه الآیة نزلت فی أمیر المؤمنین (ع) بنقل الطائفتین، و لما اعتبرناه من اعتبار الصـفة المذکورة فی الآیـة و أنهـا لیست حاصـلة فی غیره بطل ما یروی فی خلاف ذلک، علی أن الـذی روی فی الخبر من نزولها فی عبادة بن الصامت لا ینـافی ما قلناه، لأن عبادة لما تبرأ من حلف الیهود أعطی ولایـة من تضـمنته الآیـة، فأما ما روی من خبر عبـد اللَّه بن سـلام فبخلاف ما ذهبوا الیه، لأنه روی أن عبد اللَّه بن سـلام لما اسـلم قطعت الیهود حلفه و تبرؤوا منه فاشتد ذلک علیه، و علی أصحابه فأنزل اللَّه تعالی الآیـة تسـلیة لعبـد اللَّه ابن سـلام و أصـحابه و أنه قد عوضـهم من محالفة الیهود، ولایة اللَّه و ولایة رسوله و ولایة الذین آمنوا. و الذی یکشف عما قلناه أنه

قد روی أنها لما نزلت خرج النبی (ص) من البیت، فقال لبعض أصـحابه (هل أعطی أحد سائلًا شـیئاً فقالوا: نعم یا رسول اللَّه قد أعطی علی بن أبی طالب السائل خاتمه، و هو راکع. فقال النبی (ص) اللَّه أکبر قد أنزل اللَّه فیه قرآنا) ثم تلا الآیة الی آخرها.

و فی ذلـک بطلان ما قالوه. و قـد اسـتوفینا ما یتعلق بالشـبهات المـذکورة فی الآیـة فی کتاب الاستیفاء و حللناها بغایـة ما یمکن، فمن أراده وقف علیه من هنـاک. فأمـا الولی بمعنی الناصـر فلسـنا نـدفعه فی اللغـة لکن لا- یجوز أن یکون مراداً فی الآیـة لمـا بیناه من نفی الاختصاص.

و إقامة الصـلاة اتهامها بجمیع فروضـها من قولهم فلان قائم بعمله الذی ولیه أی یوفی العمل جمیع حقوقه، و منه قوام الآمر. و فی الآیة دلالة علی أن العمل القلیل لا یفسد الصلاة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۶۵

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۵۶]..... ص: ۵۶۵

وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (۵۶)

آیة قیل فی معنی قوله «وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» قولان:

أحدهما- قال أبو علی من یتولی القیام بطاعة اللَّه و رسوله و نصرة المؤمنین.

الثانی- من یکون ولیاً للَّه و رسوله و المؤمنین: بنصـرة دین اللَّه و الإخلاص له. و لا یدل ذلک علی أن الولایة الأولی هی تولی النصرة من حیث کان فی هـذه الآیـة کـذلک. لأنه لا تنافی بین أن تفیـد الآیة الاولی الطاعة و إن أفادت الثانیة تولی النصـرة و لیس یجب أن تحمل الثانیة علی الآیة الاولی من غیر ضرورة.

علی أن فی أصـحابنا من قال: هـذه الآیـة مطابقـة للأولی و أنها تفیـد وجوب طاعة اللَّه و طاعة رسوله و طاعة الذین آمنوا، و هم الذین ذکرهم اللَّه فی الآیة فعلی هذا زالت الشبهة.

و «من» رفع بالابتـداء. و الجملة خبر عنه و فی «یتولی» ضـمیر یعود الی (من) و العائد الی «من» معنی الخبر، کأنه قال، فهو غالب و صار هـذا الکلام فی موضـعه، و هـذا العائـد فی موضع الجواب. و معنی «من» فی الجزاء معنی «إن» فلهـذا جزمت الفعل المضارع، و «لو» لا تجزم لأنها للماضی، و لیست بمعنی «إن» و إنما یعرب الفعل المضارع دون الماضی.

و الفرق بین «من» و «الذی» من ثلاثة أوجه أحدها- أن «من» لما یعقل التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۶۶

و «الـذى» مشتركة. و «من» فى الجزاء لما يستقبل، و هى فى معنى «إن» و ليس كذلك «الذى» و ثالثها- أن «من» تجزم و لا تحتاج فى الجزاء و الاستفهام الى صلة و لا يكون جوابها إلا بالفعل و الفاء.

و قوله: «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» قال الحسن حزب اللَّه جند اللَّه.

و قال غيره أنصار اللَّه قال الشاعرة:

و كيف أضوى و بلال حزبى «١»

أى كيف استضام، و بلال ناصرى. و أصله النائبة من قولهم: حزبه الأمر يحزبه حزباً إذ أنابه، و كل قوم تشابهت قلوبهم و أعمالهم فهم أحزاب. و منه قوله «أُولئِكَ الْأَحْزابُ» «٢» «و كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» «٣» .

و «إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ» و تحزب القوم إذا اجتمعوا كالاجتماع على النائبة. و أرض حزبة غليظة و حمار حزابية مجتمع الخلق غليظ.

---

(١) قائلة رؤبة بن العجاج. ديوانه: ١۶، و مجاز القرآن ١: ١۶٩ من ارجوزة يمدح بها بلال بن أبى بردة و قد ذكر نفسه ثم اعترض من يعترضه فى الهجاء فقال:

ذاك و ان عبى لى المعجبى و طحطح الجد لحاء القشب

ألقيت أقوال الرجال الكذب و كيف اضوى و بلال حزبى

و رواية الديوان «و لست اضوى» . (طحطح الشيء): فرقه.

و (اللحاء): المخاصمة و (القشب)- بفتح القاف و سكون الشين- الكلام المفترى. [.....]

(٢) سورة ص آية ١٣.

(٣) سورة المؤمنون آية ۵۴ و سورة الروم آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵۶٧

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵٧]..... ص: ۵۶٧

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۵٧)

آية قرأ «و الكفار» بالجر أبو عمرو، و نافع، و الكسائى. و الباقون بالنصب، فمن نصب عطف على «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ» و حجتهم فى ذلك قوله: «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ» . و من جر عطف على «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» أى و من الكفار أولياء و حجتهم فى ذلك أن الحمل على أقرب العاملين أجود، لأنها لغة القرآن و حسن الحمل على الجر، لان فرق الكفار ثلاث المشرك. و المنافق. و الكتابى الذى لم يسلم و قد كان منهم الهزء فساغ لذلك أن يكون الكفار مجروراً و تفسيراً للموصول و موضحاً له.

و قد اخبر اللَّه تعالى أن المشركين كان منهم استهزاء بقوله «إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «١» و عن المنافقين فى قوله: «وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ» «٢» و اخبر عن الكتابى فى هذه الآية. فقال «لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ» و إن وقع على جميع الأصناف، فهو فى من ليس من أهل الكتاب أليق، و عليه أغلب، فلذلك أفرد بالذكر. و قال الحسن: المعنى بالكفار مشركوا العرب، و إنما دخل غيرهم فى الحكم بما صحب الكلام من الدليل

---

(١) سورة المجادلة آية ١٩.

(۲) سورة البقرة آية ۱۴.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۶۸

و قال غيره: يدخل فيه جميع أصناف الكفار، و انما وصفهم اللَّه تعالى بما كانوا عليه من التلاعب بالدين لامرين:

أحدهما- لاغراء المؤمنين بعداوتهم و البراءة منهم.

الثانی- ذماً لهم و تحذيراً من مثل حالهم لأنها حال السفهاء الذين لا خلاق لهم. و قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن التابوت و سويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا، و كان رجال من المسلمين يوادونهما، فانزل اللَّه هذه الآية و يجوز فی «هزواً» أربعة أوجه: الاول «هزؤا» بضم الزای و تخفيف الهمزة، الثانی هزواً بالواو و من غير همز على التخفيف لأن الهمزة مفتوحة قبلها ضمة كجون، الثالث هزأ بسكون الزای و الهمزة. الرابع هزى على وزن هدى بفتح الزای و إسقاط الهمزة. و الهزء السخرية و هو اظهار ما يلهى تعجباً مما يجرى. قال اللَّه تعالى: «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» «۱» و قال الشاعر:

ألا هزئت و أعجبها المشيب فلا نكر لديك و لا عجيب

و يقال هزئ به يهزأ و هزواً و هزؤا و استهزؤا به استهزاءاً. و هو (اللعب) الأخذ على غير طريق الحق، و مثله العبث و أصله من لعاب الصبی يقال:

لعب يلعب لعباً إذا سال لعابه لأنه يخرج الی غيره جهته و كذلك اللاعب يمر فی غير جهة الصواب.

و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» : قيل فی معناه قولان:

أحدهما- ان كنتم مؤمنين بوعده و وعيده.

الثانی- إن من كان مؤمناً غضب لإيمانه على من طعن فيه. و كافاه

---

(۱) سورة الانعام آية ۱۰ و سورة الأنبياء آية ۴۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۶۹

بما يستحقه من المقت له.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۵۸]..... ص: ۵۶۹

وَ إِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَ لَعِباً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (۵۸)

آية بلا خلاف.

النداء و الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان و أصله ندى الصوت و هو بعد مذهبه و ضجة جرمه. و منه قولهم: أناديك و لا أناجيك أی أعالنك النداء، و لا أسر لك النجوى، و أصل الباب الندو، و هو الاجتماع يقال ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا فی النادی، و منه دار الندوة و ندى الماء، لأنه يجتمع قليلا قليلا و ندى الصوت لأنه عن جرم ندی.

أخبر اللَّه تعالى عن صفة الكفار الذين نهى اللَّه المؤمنين عن اتخاذهم أولياء بأنهم إذا نادى المؤمنون الی الصلاة و دعوا اليها اتخذوها هزواً و لعباً و فی معنى ذلك قولان:

قال قوم: إنهم كانوا إذا أذن المؤمنون للصلاة تضاحكوا فيما بينهم و تغامزوا على طريق السخف و الجنون تجهيلا لأهلها، و تنفيراً للناس عنها، و عن الداعی اليها.

الثانی- أنهم كانوا يرون المنادی اليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها جهلا منهم بمنزلها و قال أبو ذهيل الجمحی:

و أبرزتها من بطن مكة بعد ما أصات المنادی بالصلاة فأعتما

و قوله تعالى: «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انهم لا يعقلون ما لهم فى اجابتهم لو أجابوا اليها من الثواب، التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٧٠

و ما عليهم فى استهزائهم بها من العقاب.

الثانى- انهم بمنزلة من لا-عقل له يمنعه من القبائح و يردعه عن الفواحش و قال السدى: كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادى أشهد أن لا اله إلا اللَّه و أشهد أن محمداً رسول اللَّه (ص) قال: حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار و هو نائم و أهله فسقطت شرارة فأحرق البيت و احترق هو و أهله.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٥٩]..... ص: ٥٧٠

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (٥٩)

آية واحدة أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يخاطب أهل الكتاب فيقول لهم «هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها هل تسخطون. الثانى هل تنكرون. و الثالث هل تكرهون، و المعنى متقارب يقول نقم ينقم نقماً و نقم ينقم و الاول اكثر قال عبد اللَّه بن قيس الرقيات:

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا «١»

قال ابن عباس: أتى رسول اللَّه (ص) نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب و رافع ابن أبى رافع و غيره، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال

---

(١) ديوانه: ٧٠ و مجاز القرآن ١: ١٧٠ و اللسان (نقم) من قصيدته التى قالها لعبد الملك بن مروان فى خبر ذكره ابو الفرج الاصفهانى فى الاغانى ٥: ٧٦- ٨٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٧١

أؤمن «بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» «١» فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، و قالوا:

لا نؤمن به و بمن آمن به، فانزل اللَّه هذه الآية.

و قوله «وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» فى موضع نصب، لأنه مصدر فى تقدير بان أكثركم، و لو استأنفه كان صواباً لكن لم يقرأ به. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

قال الزجاج و الفراء هل تكرهون منا إلا أيماننا و فسقكم، و المعنى ليس هذا مما ينقم.

الثانى- قال الحسن: لفسقكم نقمتم ذلك علينا.

الثالث- قال أبو على: نقموا فسق أكثرهم، لأنهم لم يتابعوهم عليه.

فان قيل كيف قال: «وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» و هم جميعاً فساق؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة:

أحدهما أنهم خارجون عن أمر اللَّه طلباً للرئاسة و حسداً على منزلة النبوة.

الثانى- فاسقون بركوب الاهواء. الثالث- على التلطف للاستدعاء.

و معنى الآية هل تكرهون إلا أيماننا و فسقكم أى انما كرهتم أيماننا و أنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة و تكسبكم بها الأموال.

فان قيل كيف يعلم عاقل أن دينا من الأديان حق فيؤثر الباطل على على الحق؟!

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٧٢

قلنا: أكثر ما نشاهده كذلك، من ذلك أن الإنسان يعلم ان القتل يورده النار، فيقتل إما إيثاراً لشفاء غيظ أو لاخذ مال. و كما فعل إبليس مع علمه بأن اللَّه يدخله النار بمعصيته فآثر هواه على القربة من اللَّه و عمل لما يدخله النار. و هذا ظاهر فى العادات.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ۶٠]..... ص: ٥٧٢

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (۶٠)

قراء حمزة «و عبد الطاغوت» بضم الباء و خفض التاء يريد خدم الطاغوت فى قول الأعمش، و يحيى بن رئاب. الباقون بفتح الباء و الدال و نصب التاء.

قال أبو على: حجة حمزة أنه حمل على ما عمل فيه (جعل) كأنه قال و جعل منهم من عبد الطاغوت. و معنى (جعل) خلق، كما قال «وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» «١» و قال «وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ» «٢» قال: و ليس (عبد) لفظ جمع لأنه ليس فى أبنية الجمع شىء على هذا البناء لكنه واحد فى موضع جمع كما قال «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» «٣» و جاء على (فعل) لأن هذا البناء يراد به الكثرة نحو يقظ و ندس و (عبد) فى الأصل صفة، و ان

(١) سورة الاعراف آية ١٨٨.

(٢) سورة الانعام آية ١.

(٣) سورة الرعد آية ٣۴ و سورة النحل آية ١٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٧٣

كان استعمل استعمال الأسماء، و لا يزيل ذلك عنه كونه صفة كما لم يزل فى الأبرق و الأبطح حيث كسر تكسير الأسماء لم يزل عنهما معنى الصفة بدلالة أنهم تركوا صرفهما كما تركوا صرف (أحمر) و لم يجعلوه كأوكل و أبدع.

و أما من فتح فانه عطفه على مثال الماضى الذى فى الصلة، و هو قوله «لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و أفرد الضمير فى (عبد) و ان كان المعنى فيه كثرة لأن الكلام محمول على لفظ (من) دون معناه، و لو حمل الكلام أو البعض على المعنى لكان صواباً قال الفراء: و قرأ أبى و عبد اللَّه «و عبد الطاغوت» على الجمع، و المعنى و الذين عبد الطاغوت- بضم العين و الباء- مثل ثمار و ثمر، و عبيد و عبد، على أنه جمع جمع، و يكون المعنى و جعل منهم عبد الطاغوت كما تقول: جعلت زيداً أخاك أى نسبته اليك و يجوز على هذا رفع الدال على تقدير، و هم عبد الطاغوت لكن لم يقرأ به أحد. قال:

و لو قرأ قارئ و عبد الطاغوت كان صواباً يريد به عبدة الطاغوت و يحذف الهاء للاضافة كما قال الشاعر:

قام ولاها فسقوه صرخدا «١»

يريد ولاتها و حكى فى الشواذ و (عبد الطاغوت) على ما لم يسمى فاعله، ذكره الرمانى. قال الطبرى هى قراءة أبى جعفر المدنى. و حكى البلخى (عابد الطاغوت، و عبد الطاغوت) مثل شاهد و شهد. و حكى ايضا (عباد الطاغوت) مثل كافر و كفار، و لا يقرأ بشىء من ذلك. و قال الطبرى

(١) معانى القرآن للفراء ١: ٣١۴. و الطبرى ١: ۴۴١ (صرخد) موضع فى الشام تنسب له الخمرة الجيدة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٧۴

عن بريدة الاسلمى انه قرأ (عابد الطاغوت) فهذه ثمانية أوجه، لكن لا يقرأ إلا بقراءتين أو ثلاثة، لان القراءة متبوعة يؤخذ بالمجموع عليه، قال الفراء (عبد) على ما قرأ حمزة إن كانت لغة فهو مثل حذر و حذر، و عجل و عجل فهو وجه و الا فانه أراد قول الشاعر:

أبنى لبينى إن أمكم أمة و إن آباءكم عبد «١»

فحرك و هذا فى ضرورة الشعر لا فى القراءة و أنشد الأخفش:

أنسب العبد الى آبائه اسود الجلدة من قوم عبد «٢»

أمر اللّه تعالى فى هذه الآية نبيه (ص) أن يخاطب الكفار و يقول لهم «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أى هل أخبركم «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ» أى من الذى طعنتم عليه من المسلمين، و مما رغبتم عنه و نقمتم عليه، و انما قال «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ» و ان لم يكن من المؤمن شرَّ و كذلك قوله «أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً» على الانصاف فى الخطاب و المظاهرة فى الحجاج لأن الكفار يعتقدون ان هؤلاء أشرار، و أن ما فيهم شر فخرج على ما يعتقدونه.

و قوله: «مثوبة» معناها الثواب الذى هو الجزاء و وزنها مفعولة مثل مقولة و مجوزة و مضوفة على معنى المصدر و قال الشاعر:

و كنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزرى «٣»

---

(١) قائله أوس بن حجر. ديوانه القصيدة: ۵ البيت ۴ و معانى القرآن للفراء ١: ٣١۴، ٣١۵ و اللسان (عبد).

(٢) اللسان (عبد).

(٣) قائله ابو جندب الهذلى. اشعار الهذلين ٣: ٩٢ و مجاز القرآن لابى عبيدة ١٧٠ و اللسان (ضيف)، (نصف). المضيفة، و المضافة: الامر يشفق منه و قد روى البيت بهما جميعاً. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٧۵

و قال ابو عبيدة هى (مفعلة) مثل مكرهة و معقلة و مشغلة.

و موضع (من) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: أحدها- الجر و التقدير بشر من ذلك لمن لعنه اللّه و الرفع على من لعنه اللّه، و النصب على أنبئكم من لعنه اللّه. و قيل فى معنى (الطاغوت) قولان:

أحدهما- قال الحسن: هو الشيطان، لأنهم أطاعوه طاعة المعبود.

و الثانى- كل ما دعا الى عبادته من دون اللّه من الفراعنة، فشبه به ما عبد من الأصنام و نحوها. قال ابو على: و هو ها هنا العجل الذى عبدته اليهود، لأن الكلام كله فى صفتهم.

و قوله (أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً) يعنى هؤلاء الذين وصفهم بأنهم لعنهم و غضب عليهم، و انهم عبدة الطاغوت شر مكانا يعنى فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة. و هو نصب على التمييز و قوله «وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» يعنى أجوز عن الطريق المستقيم. و ظن بعضهم ان قوله (و جعل منهم القردة جعلهم كذلك و الخنازير و عبد الطاغوت) يفيد أنه جعلهم يعبدون الطاغوت- يتعالى اللّه عن ذلك- لأنه لو كان جعلهم كذلك لما كان عليهم لوم، و انما المعنى ما قلناه: من أنه اخبر عمن هو شر ممن عابوه، و هم الذين لعنهم و غضب عليهم، و من جعل منهم القردة و الخنازير، و من عبد الطاغوت، لأنه تعالى هو الخالق لهم، و ان كان لم يخلق عبادتهم للطاغوت. و قال ابو على: هو معطوف على قوله «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و من «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» و من جعل منهم القردة و الخنازير و ليس بمعطوف على قوله (وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ) فعلى هذا سقطت الشبهة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٧۶

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶۱]..... ص: ۵۷۶

وَ إِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ (۶۱)

آيـة بلاـ خلاـف أخبر اللَّه تعـالى عن هؤلاـء المنـافقين بـأنهم إذا جاؤوا المؤمنين (قالُوا آمَنَّا) أى صـدقنا (وَ قَـدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) قيل فيه قولان:

أحـدهما- قال الحسن و ابن عباس و السدى و قتادة و أبو على: و قد دخلوا بالكفر بخلاف ما أظهروه على النبى (ص) و خرجوا به من عنده.

الثانى- و قد دخلوا به فى أحوالهم و قد خرجوا به الى احوال أخر كقولك هو يتقلب فى الكفر و يتصرف به، و معناه تقريب الماضى من الحال و لهـذا دخلت (فى) هـذا الموضوع. و قال الخليل: و يكون لقوم ينتظرون الخبر كقولك قد ركب الأمير لمن كان ينتظره، و هو راجع الى ذلـك الأصل لأنه تقريب من الحال المنتظرة و أصل الـدخول الانتقال الى محيط كالوعاء إلا أنه قـد كثر حتى قيل دخل فى هذا الامر، و لا يدخل فى المعنى ما ليس منه. و دخل فى الإسلام. و خرج بالردة منه. و كان ذلك مجاز. و قوله:

(جـاؤكم) لاـ يجوز ان يكون عاملًا فى «إذا» كمـا يعمـل فى «متى» لو قيـل: متى جـاؤكم، قـالوا آمنا، لان «إذا» مضافـة الى ما بعـدها و المضاف اليه لا يعمل فى المضاف لأنه من تمامه. و ليس كذلك «متى» لأنها جزاء.

و قوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمـا كـانُوا يَكْتُمُونَ» معنـاه مـا يكتمونه من نفاقهم إذ أظهروا بألسـنتهم ما أضـمروا خلافه فى قلوبهم فبين اللَّه للناس أمرهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۷۷

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶۲]..... ص: ۵۷۷

وَ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۶۲)

آيـة بلاـ خلاـف وصف اللَّه تعالى المنافقين الـذين تقـدم وصـفهم لنبيه (ص) بأنه «تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ» أى يبادرون فى الإثم و العدوان.

قال السدى: الإثم الكفر، و قال غيره و هو يقع على كل معصـية و هو الاولى. و الفرق بين الإثم و العدوان أن الإثم الجرم كائنا ما كان، و العدوان الظلم، فهم يسارعون فى ظلم الناس و فى الجرم الذى يعود عليهم بالوبال و الخسران. و قيل: العدوان من عدوهم على الناس بمـا لا يحل. و قيل- لمجاوزتهم حـدود اللَّه و تعـديتهم إياها. و يقال قائم إذا تحرج من الإثم. و الآثم الفاعل للاثم. و السـحت الرشوة فى الحكم- فى قول الحسن- و أصـله استئصـال القطع فيكون من هـذا لأـنه يقتضـى عـذاب الاستئصال و يتكرر لأنه يقتضـى استئصال المال بالذهاب.

و انما قال «يسارعون» بدل قوله «يعجلون» و ان كانت العجلة أدل على الذم لامرين:

أحدهما- أنهم يبادرون اليه كالمبادرة الى الحق، فأفاد «يسارعون» أنهم يعملونه كأنهم محقون فيه.

و الآخر- لازالة إيهام أن الذم من جهة العجلة. و إيجابه فى الإثم و العدوان.

و قوله «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» يدل على أن الحمد و الذم يكونان التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۷۸

للافعال، لأنه بمنزلـة بئس العمل عملهم، و هـذا ذم لذلـك العمل إلا انه جرى على طريقة الحقيقة أو طريقة المجاز بدليل آخر يعلم. و قـد كثر استعماله حتى قيل الأخلاق المحمودة و الأخلاق المذمومة. و نعم ما صـنعت و بئس ما صـنعت و أصل الذم و اللوم واحد إلا أن الـذم كثر فى نفس العمـل دون اللوم، لأـنه لاـ يقـال: لمت عمله كمـا يقـال ذممت عمله. و (مـا) فى قوله «لبئس ما» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان تكون كافة كما تكون فى انما زيد منطلق و ليتما عمرو قائم، فلا- يكون لها على هذا موضع. الثانى ان تكون نكرة موصوفة كأنه قيل: لبئس شيئاً كانوا يعملون.

قوله تعالى: [سورة المائدة (۵): آية ۶۳]..... ص: ۵۷۸

لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ (۶۳)

آية معنى «لو لا» ها هنا هلا. و أصلها ان يمتنع الشيء لوجود غيره.

(لو) معناها امتناع الشيء لامتناع غيره. و قال الرمانى أصلها التقدير لوجوب الشيء عن الاول فنقلت الى التحضيض على فعل الثانى من أجل الاول. و ان لم يذكر و لا بد معها من دلالة دخلها معنى: لم لا يفعل.

فان قيل كيف تدخل (لو لا) على الماضى و هى للتحضيض و فى التحضيض معنى الامر؟! قيل: لأنها تدخل للتحضيض و التوبيخ، فإذا كانت مع الماضى فهى توبيخ كقوله تعالى «لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» «۱» و قوله «لَوْ لا- إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً» «۲».

(۱، ۲) سورة ۲۴ النور آية ۱۲- ۱۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۷۹

و «الربانى» العالم بالدين الذى من قبل الرب، و هو منسوب الى الرب على وجه تغيير الاسم، كما قالوا روحانى فى النسبة الى الروح، و بحرانى فى النسبة الى البحر. و قال الحسن «الربانيون» علماء أهل الإنجيل و الأحبار علماء أهل التوراة. و قال غيره كله فى اليهود، لأنه يتصل بذكرهم.

و قوله: «لبئس ما» اللام فيه لام القسم و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا فى باب «أن» خاصة لأنها زحلقت عن الاسم الى الخبر لئلا يجمع بين حرفين فى موضع واحد بمعنى واحد و الصنع و العمل واحد. و قيل الفرق بينهما أن الصنع مضمن بالجودة من قولهم: ثوب صنيع، و فلان صنيعة فلان إذا استخلصه الى غيره و صنع اللَّه لفلان أى احسن اليه و كل ذلك كالفعل الجيد.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶۴]..... ص: ۵۷۹

وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۶۴)

آية التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۸۰

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن اليهود انها قالت: إن «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» و قيل فى معنى (مغلولة) قولان: أحدهما قال ابن عباس و قتادة، و الضحاك:

إن المراد بذلك أنها مقبوضة من العطاء على وجه الصفة له بالبخل كما قال تعالى «وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» «۱» و انما قالوا ذلك لما نزل قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «۲» قالوا:

إن رب محمد فقير يستقرض منا فأنزل اللَّه هذه الآية.

الثانى- قال الحسن معناه انها مقبوضة عن عذابنا.

و قال البلخى يجوز ان يكون اليهود، قالوا قولا و اعتقدوا مذهباً معناه يؤدى الى ان اللَّه يبخل فى حال و يجود فى حال أخرى، فحكى

اللَّه تعالی ذلک علی وجه التعجب منهم و التکذیب لهم. و یجوز أن یکون ذلک علی وجه التعجب منهم و التکذیب لهم. و یجوز ان یکونوا قالوا ذلک علی وجه الهزء حیث لم یوسع علی النبی (ص) و علی أصحابه. و لیس ینبغی أن یتعجب من قوم یقولون لموسی: «اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَةٌ» و من اتخذ العجل إلهاً، و من زعم أنه ربه أبیض الرأس و اللحیة جالس علی کرسی، کیف یقولون إن اللَّه یبخل مرة و یجود اخری. و قال الحسین بن علی المغربی حدثنی بعض الیهود الثقات منهم بمصر ان طائفة قدیمة من الیهود قالت ذلک بهذا اللفظ.

و اما الید فإنها تستعمل علی خمسة أوجه: أحدها- الجارحة. و الثانی- النعمة. الثالث- القوة. الرابع- الملک. الخامس- تحقیق إضافة الفعل،

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آیة ۲۹.

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۲۴۵ و سورة ۵۷ الحدید آیة ۱۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۸۱

قال اللَّه تعالی «أُولِی الْأَیْدِی وَ الْأَبْصارِ» «۱» معناه القوی و یقال لفلان علی فلان ید أی نعمة و له علی ید أشکرها أی نعمة. و قال الشاعر:

له فی ذوی الحاجات أید کأنها مواقع ماء المزن فی البلد القفر

و مثل ذلک یقولون له علیه صنع حسنة. و قوله «الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَةُ النِّکاحِ» «۲» معناه من یملک ذلک و قوله «لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ» «۳» أی تولیت خلقه. و قوله «غلت أیدهم» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال الزجاج و غیره معناه الزموا البخل علی مطابقة الکلام الأول فهم أبخل الناس.

الثانی- قال الحسن و أبو علی «غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ» فی جهنم.

و قوله «وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» أی أبعدوا من رحمة اللَّه و ثوابه. و قوله «بَلْ یَداهُ مَبْسُوطَتانِ» تکذیب منه تعالی لما قالوا و إخبار أن یدیه مبسوطتان أی نعمة مبسوطة. و قیل فی وجه تثنیة الید ثلاثة أقوال:

أحدها- أنه أراد نعمة الدنیا و نعمة الدین أو نعمة الدنیا و نعمة الآخرة.

الثانی- قال الحسن معناه قوتاه بالثواب و العقاب و الغفران و العذاب بخلاف قول الیهود إن یده مقبوضة عن عذابنا.

الثالث- أن التثنیة للمبالغة فی صفة النعمة مثل قولهم: لبیک و سعدیک، و کما یقول القائل: بسط یدیه یعطی یمنة و یسرة و لا یریدون الجارحة و إنما یریدون کثرة العطیة و قال الأعشی:

(۱) سورة ص آیة ۴۵.

(۲) سورة البقرة آیة ۲۳۷.

(۳) سورة ص آیة ۷۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۸۲

یداک یدا مجد فکف مفیدة و کف إذا ما ضن بالزاد تنفق «۱»

و قوله تعالی «یُنْفِقُ کَیْفَ یَشاءُ» معناه یعطی من شاء من عباده و یمنع من شاء منهم، لأنه متفضل بذلک و یفعل حسب ما تقتضیه المصلحة.

و قوله «وَ لَیَزِیدَنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْیاناً وَ کُفْراً» أی و سیزدادون عند ذلک طغیاناً و کفراً لأن القرآن لا یفعل شیئاً

من ذلک، کما یقول القائل: و عظتک فکانت موعظتی و بالًا علیک. و ما زادتک إلا شراً أی انک ازددت عندها شراً. و ذلک مشهور فی الاستعمال. و الطغیان هنا هو الغلو فی الکفر.

و قوله «وَ أَلْقَیْنا بَیْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» قیل فیه قولان:

أحدهما- إن المراد بذلک بین الیهود و النصاری علی ما قلناه فی قوله «فَأَغْرَیْنا بَیْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» «۲» هذا قول الحسن و مجاهد. و قد جری ذکرهم فی قوله «لا تَتَّخِذُوا الْیَهُودَ وَ النَّصاری أَوْلِیاءَ» «۳» .

الثانی- ان الکنایة راجعة علی الیهود خاصة. و المراد ما وقع بینهم من الخلاف بین الاشمعینیة و العنانیة و غیرهم من طوائف الیهود ذکره الرمانی.

و بما ذا القی بینهم العداوة و البغضاء؟ قیل فیه قولان:

أحدهما- قال أبو علی بتعریف الیهود قبح مذهب النصاری فی عبادة المسیح و بتعریف النصاری قبح مذهب الیهود فی الکفر بالمسیح.

الثانی- قال الرمانی بوضع البغضاء عقاباً علی الاختلاف بالباطل.

و قوله «إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ» فیه دلالة علی أنهم لا یجتمعون علی مذهب

---

(۱) دیوانه: ۱۵۰

(۲) سورة المائدة آیة ۱۵.

(۳) سورة المائدة آیة ۵۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۸۳

واحد الی یوم القیامة. و لا بد أن یکون ذلک مختصاً بمن یعلم اللّه من حالهم انهم لا یؤمنون.

و قوله «کُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد: لحرب محمد (ص) و فی ذلک دلالة و معجزة، لأن اللّه أخبر عن الغیب و کان کما أخبر، لأن الیهود کانت أشد أهل الحجاز بأساً و أمنعهم داراً حتی أن قریشاً کانت تعتضد بهم و الأوس و الخزرج تستبق الی محالفتهم و التکثر بنصرتهم، فأباد اللّه حضراءهم و اقتلع أصلهم فأجلی النبی (ص) بنی قینقاع و بنی النضیر، و قتل بنی قریظة و شرد أهل خیبر و غلب علی فدک و دان له أهل وادی القری. فمحا اللّه آثارهم صاغرین و حقق بخبر نبیه (ص). و هذه کلمة مستعملة فی اللغة فی التشاغل بالحرب و الاستعداد لها. قال عوف ابن عطیة.

إذا ما اجتنینا جنا منهل شببنا لحرب بعلیاء نارا

الثانی- قال قتادة: هو عام. و المعنی إن اللّه أذلهم بذلک لا یغزون أبداً و إنما یطفئ اللّه بلطفه نار حربهم و ما یوقی نبیه (ص) من نقض ما یبرمون.

و ما یطلعه علیه من أسرارهم و یمن به علیه من النصر و التأیید، ثم أخبر تعالی أن هؤلاء الیهود «یَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً» یعنی بمعصیة اللّه و تکذیب رسله و مخالفة أمره و نهیه، و اجتهادهم فی دفع الإسلام و محو ذکر النبی (ص) من کتبهم، و ذلک هو سعیهم بالفساد، ثم قال «وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ» یعنی لا یحب من کان عاملًا بمعاصیه فی أرضه.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۶۵]..... ص: ۵۸۳

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْکِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَکَفَّرْنا عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِیمِ (۶۵)

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌٣، ص: ٥٨٤

آیهٔ قد بینا أن معنى (لو) امتناع الشیء لامتناع غیره. و قال الرمانی معناه وجوب المعنى الثانی، بالأول على جهة التقدیر بطریقة لو کان کذا لکان کذا، فان قطع الأول قطع الثانی بطریقه کقولک و قد کان کذا و کذا، و قد کان کذا و ما کان کذا، فما کان کذا فنحوه. و ما کفَّرنا عنهم سیئاتهم فما آمنوا و اتقوا. و الفرق بین (لو) و (إن)- مع أن کل واحدة منهما تعلق المعنى الأول- أن «لو» للماضی و «ان» للمستقبل کقولک: ان أتیتنی أکرمتک. و لو اتیتنی لاکرمتک، فیقدر الإکرام بالإتیان فی الماضی. و فی «إن» وعد و لیس فی «لو» ذلک.

أخبر اللّٰه تعالى أن هؤلاء الیهود و الکفار لو آمنوا و اتقوا معاصیه لکفر عنهم سیئاتهم أی غطاها علیهم و أزال عقابها عنهم و أثابهم على إیمانهم و تقواهم.

«وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِیمِ» اللام لام القسم و أصل التکفیر التغطیة.

و منه یکفر فی السلاح قال الشاعر:

فی لیلة کفر النجوم غمامها «١»

و قوله «وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِیمِ» و ان کان على لفظ الماضی فالمراد به الاستقبال و إنما کان کذلک، لأنه قدر تقدیر الماضی کما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا» و ذلک یدل على أن «لو» أوسع من «ان» .

قوله تعالى:[سورهٔ المائدهٔ (٥): آیهٔ ٦٦]..... ص: ٥٨٤

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَکَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما یَعْمَلُونَ (٦٦)

---

(١) قد مر فی ١: ٦٠ منسوب الى لبید.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌٣، ص: ٥٨٥

آیهٔ قد بینا معنى (لو) فیما مضى و إنما فتحت (أنهم) بعدها لأن هذا موضع قد خالف الابتداء بأنه بالفعل أولى فصار بمنزلة العامل الذی یختص بالفعل دون الاسم أو الاسم دون الفعل یبین ذلک امتناع اللام من الدخول على الخبر فی (لو) و لیس کذلک (حتى) و (الا). و معنى «أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ» علموا بما فیهما على ما فیهما دون أن یحرفوا شیئاً منهما أو یغیروا أو یبدلوا کما کانوا یفعلون و یحتمل أن یکون معناه بما فیهما بأن أقاموهما نصب أعینهم لئلا یزالوا فی شیء من حدودهما.

و قوله «وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» یحتمل أمرین:

أحدهما- قال ابن عباس و أبو علی و غیرهما: المراد به الفرقان.

الثانی- قال قوم: کل ما دل اللّٰه علیه من امور الدین. و قوله «لَأَکَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» بإرسال السماء علیهم مدراراً «وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» بإعطاء الأرض خیرها و برکتها و قال قوم «من فوقهم» ثمار النخل و الأشجار «وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» الزرع. و المعنى لو آمنوا لأقاموا فی أوطانهم، و أموالهم و زروعهم، و لم یجلوا عن بلادهم، ففی ذلک التأسیف لهم على ما فاتهم، و الاعتداد بسعة ما کانوا فیه من نعمة اللّٰه علیهم، و هو جواب التبخیل فی قولهم «یَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ» «١» .

الثانی- ان المعنى فیه التوسعة، کما یقال: هو فی الخیر من قرنه الى

---

(١) سورة المائدة آیة ٦٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٨٦

قدمه أى يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها. و اختار الطبرى الوجه الأول.

و قد جعل اللَّه التقى من أسباب الرزق فقال «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» «١» و قال «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» «٢» و قال «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» «٣» و قال «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً» «۴» .

و قوله «مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ» يعنى من هؤلاء الكفار قوم معتدلون فى العمل من غير غلو و لا تقصير. قال أبو على: و هم الذين أسلموا منهم، و تابعوا النبى (ص)، و هو المروى فى تفسير أهل البيت.

و قال قوم: نزلت فى النجاشى و أصحابه. و حكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا: نزلت فى قوم لم يناصبوا النبى (ص) مناصبة هؤلاء. و الأول أقوى، لأن اللَّه تعالى لا يجوز أن يسمى الناصب مقتصداً بحال. و يحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد اللَّه، و لا يدعى فيه الالهية و النبوة.

و قال مجاهد: هم مسلمو أهل الكتاب. و به قال ابن زيد، و السدى.

و اشتقاق المقتصدين من القصد، لأنه القاصد الى ما يعرف، فكان خلاف الطالب المتحير فى طلبه. و الاقتصاد الاستواء فى العمل المؤدى الى الغرض. و قوله «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ» أخبار منه تعالى أن أكثر هؤلاء اليهود و النصارى. و يعملون الاعمال السيئة و هم الذين يقيمون على

---

(١) سورة ۶۵ الطلاق آية ٢- ٣.

(٢) سورة الاعراف آية ٩۵.

(٣) سورة نوح آية ١٠- ١٣ [.....]

(۴) سورة الجن آية ١۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٨٧

الكفر و الجحود بالنبى (ص) و قوله «ساء» معناه قبح و «ما يَعْمَلُونَ» يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر و التقدير: بئس شيئاً عملهم كما قال: «ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا» . و الثانى أن تكون (ما) بمعنى الذى و ما بعدها صلة لها و العائد محذوف.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶۷]..... ص: ۵۸۷

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۶٧)

آية بلا خلاف قرأ نافع و عاصم فى رواية أبى بكر و ابن عامر «رسالاته» على الجمع.

الباقون «رسالته» على التوحيد. من قرأ على الجمع ذهب الى أن الأنبياء يبعثون بضروب الرسائل و اختلاف العبادات. و من وحد، فلأنه يدل على الكثرة.

قيل فى سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها قال محمد بن كعب القرظى، و غيره: إن اعرابياً هم بقتل النبى (ص) فسقط السيف من يده و جعل يضرب برأسه شجرة حتى انتشر دماغه.

الثانى-

أن النبى (ص) كان يهاب قريشاً فأزال اللَّه- عز و جل- بالآية تلك الهيبة.

و

قيل كان النبى (ص) حراس بين أصحابه، فلما نزلت الآية قال الحقوا بملاحقكم، فان اللَّه عصمنى من الناس.

الثالث- قالت عائشة إن المراد بذلك إزالة التوهم أن النبى (ص) كتم شيئاً من الوحى للتقية. التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٨٨

الرابع-

قال أبو جعفر و أبو عبد اللَّه (عليهما السلام) إن اللَّه تعالى:

لما أوحى الى النبى (ص) أن يستخلف علياً كان يخاف، أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بادائه.

و الآية فيها خطاب للنبى (ص) و إيجاب عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه و تهديد له إن لم يفعل و انه يجرى مجرى إن لم يفعل و لم يبلغ رسالته.

فان قيل كيف يجوز ذلك؟ و لا يجوز أن يقول: إن لم تبلغ رسالته.

فما بلغتها لأن ذلك معلوم لا فائدة فيه! قلنا: قال ابن عباس: معناه إن كتمت آية مما أنزل اليك فما بلغت رسالته و المعنى ان جريمته كجريمته لو لم يبلغ شيئاً مما أنزل اليه فى انه يستحق به العقوبة من ربه.

و قوله «وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» معناه يمنعك أن ينالوك بسوء من فعل أو شر أو قهر. و أصله عصام القربة، و هو وكاؤها الذى يشد به من سير أو خيط. قال الشاعر:

و قلت عليكم مالكاً إن مالكاً سيعصمكم إن كان فى الناس عاصم «١»

أى سيمنعكم. و قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» قيل فى معناه قولان:

قال الجبائى: إن اللَّه لا يهدى الى الثواب و الجنة الكافرين.

و قال الرمانى: معنى الهداية هاهنا المعونة بالتوفيق و الألطاف الى الكفر بل إنما يهديهم الى الايمان و الثواب، لأن من هداه الى غرضه فقد أعانه

---

(١) مجاز القرآن ا: ١٧١ و الطبرى ١٠: ٤٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٨٩

على بلوغه، و لا يجوز أن يكون المراد به أنه لا يهديهم الى الايمان، لأنه تعالى هداهم اليه بأن دلهم عليه و رغبهم فيه و حذرهم من خلافه.

و فى الآية دلالة على صحة نبوة النبى (ص) من وجهين:

أحدهما- أنه لا يقدم على الاخبار بذلك محققاً إلا من يأمن أن يكون مخبره على ما هو به، لأنه لا داعى له الى ذلك غير الصدق.

و الثانى- أنه لما وقع مخبره على ما أخبر به فيه و فى نظائره دل على أنه من عند علام الغيوب. و حكى البلخى أن بعد قوله تعالى «وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» لم يكن الكفار قادرين على قتل النبى و لا منهيون عن قتله، لأن مع المنع لا يصح النهى عنه، قال و إنما هم منهيون عن أسباب القتل التى تقتل غالباً، لأنهم كانوا قادرين عليها. قال و وجه آخر أنهم كانوا قادرين لكن علم أنهم لا يقتلونه. و أنه يحول بينهم و بين القتل. و الأول لا يصح، لأن القدرة على بعض الأجناس قدرة على كل جنس تتعلق القدرة بها.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٨]..... ص: ٥٨٩

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۶۸)

سبب نزول هذه الآية ما

روى عن ابن عباس أنه جاء جماعة من اليهود، فقالوا: يا محمد أ لست تقول: إن التوراة من عند اللَّه؟ قال بلى. قالوا فانا التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۰

نؤمن بها و لا نؤمن بما عداها فنزلت الآية.

و معناها أنه تعالى أمر نبيه (ص) أن يقول لأهل الكتاب «لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» . و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- حتى تقيموهما بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبى (ص) و العمل بما يوجب ذلك فيهما.

الثانى- قال أبو على يجوز أن يكون الأمر باقامة التوراة و الإنجيل و ما فيهما إنما كان قبل النسخ لهما.

و قوله «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد به القرآن الذى أنزله على جميع الخلق.

الثانى- أن يريد جميع ما نصبه اللَّه من الأدلة الدالة على توحيده و صفاته و صدق نبيه (صلى اللَّه عليه و آله).

و قوله: «وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً» و المراد أنهم يزدادون عند نزوله طغياناً و كفراً، لأن القرآن المنزل لا يزيد شيئاً طغياناً.

فان قيل هذا هو المفسدة بعينه، لأنهم إذا فسدوا عنده و لولاه لما فسدوا كان ذلك مفسدة.!!!

قيل ليس فى الآية أنه لو لم ينزل القرآن لم يكونوا يفعلون الكفر بل لا يمتنع أنه لو لم ينزل القرآن لفعلوا من الكفر ما هو أعظم، فصار إنزال القرآن لطفاً فى استنقاص الكفر و تقليل المفسدة، فالمفسدة زائلة و اللطف حاصل، على أنه لا يمنع أن يكونوا يفعلون الكفر بعينه لو لم ينزل القرآن التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۱

فحقيقة المفسدة اذاً ليست بحاصلة، لأن حد المفسدة ما وقع عنده الفساد و لولاه لم يقع من غير أن يكون تمكيناً.

و الطغيان هاهنا تجاوز الحد فى الظلم و الغلو فيه و أصله تجاوز الحد.

و منه قوله تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ» «۱» و قوله: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى «۲» أى يتجاوز الحد فى الخروج عن الحق.

و قوله: «فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ» معناه لا تحزن تقول أسى يأسى أساً إذا حزن. قال الشاعر:

و انحلبت عيناه من فرط الأسى «۳»

و هذا تسلية للنبى (ص) و ليس بنهى عن الحزن، لأنه لا يقدر عليه لكنه تسلية و نهى عن التعرض للحزن. قال البلخى ذلك يدل على بطلان ما

روى من أن النبى (ص) دعا للكفار بالهداية، لأنه نهاه عن الحزن و أمره بلعنهم و لا يجتمع قول اللهم العنهم، و اهدهم و اغفر لهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۶۹]..... ص: ۵۹۱

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۹)

أخبر اللَّه تعالى أن الذين صدقوا اللَّه و أقروا بنبوة نبيه (ص) «وَ الَّذِينَ هادُوا» يعنى الذين اعتقدوا اليهودية و نبوة موسى، و تأييد شرعه «و الصابئون»

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) سورة العلق آية ۶.

(٣) قائله العجاج. ديوانه: ٣١ و مجاز القرآن ا: ١٧١ و الكامل للمبرد ا: ٣۵٢ و اللسان (حلب)، (كرس).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٩٢

و هو جمع صابئ، و هو الخارج عن دين عليه امَّة عظيمة من الناس الى ما عليه فرقة قليلة، و هم عباد الكواكب. و عندنا لا يؤخذ منهم الجزية.

و عند المخالفين يجرون مجرى أهل الكتاب و صبأ ناب البعير و سن الصبى إذا خرج. و ضبأ- بالضاد المعجمة- معناه اختبأ فى الأرض، و منه اشتق ضابى البرجمى. و «النصارى» و هم الذين يقرون بالمسيح (ع) و قوله:

«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» قيل فيه قولان:

أحدهما- يعنى الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، و هم المنافقون ذكره الزجاج.

الثاني- من دام على الايمان و الإخلاص و لم يرتد عن الإسلام.

و قيل فى معنى رفع الصابئين ثلاثة أقوال: أحدها- قال سيبويه: إنه على التقديم و التأخير و التقدير: ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى من آمن باللَّه و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و الصابئون كذلك. قال الشاعر:

و إلا فاعلموا أنا و أنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

و المعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا فى شقاق و أنتم كذلك. و قال ضابئ البرجمى:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فاني و قيار بها لغريب «١»

و الثاني- قال الكسائى هو عطف على الضمير فى (هادوا) و كأنه قال هادوا هم و الصابئون. قال الرمانى هذا غلط من وجهين: أحدهما- ان الصابئ لا يشارك اليهود فى اليهودية. و الآخر أنه عطف على الضمير المتصل

---

(١) قد مر هذا البيت فى ا: ٢٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۵٩٣

من غير تأكيد بالمنفصل.

و الثالث قال الفراء: إنه عطف على ما لا يتبين فيه الاعراب و هو (الذين) و يجوز النسق على مثل (الذين) و على المضمر نحو انى و زيد قائمان، فعطف على موضع (ان).

و قوله «وَ عَمِلَ صالِحاً» فالعمل و الفعل واحد. و قال الرمانى: فعل الشيء إحداثه و إيجاده بعد أن لم يكن و عمله إحداث ما يكون به متغيراً سواء كان إحداثه نفسه أو احداث حادث فيه.

و قوله تعالى «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» مع ما يمر بهم من أجل يوم القيامة لأمرين: أحدهما- أن ذلك لا يعتد به لأنه عارض، ثم يصيرون الى النعيم الدائم. و منه قوله «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «٢» و هو عذاب النار كما يقال للمريض لا بأس عليك. الثاني أن أهوال يوم القيامة إنما تنال الضالين دون المؤمنون. و الأول أقوى لعموم قوله: «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» «٣»

و روى عن النبى (ص) أن الناس يلجمهم العرق. و انهم يحشرون حفاة عراة عزلا، فقالت عائشة لا يحتشمون من ذلك، فقال (ص): «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»

«۴» فأما قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» و قد ذكر الذين آمنوا، فأن المعنى بالذين آمنوا هاهنا- فى قول الزجاج- المنافقون بدلالة قوله «لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» «۵» و التقدير من

---

(۲) سورة الأنبياء آية ۱۰۳.

(۳) سورة الحج آية ۲.

(۴) سورة عبس آية ۳۷.

(۵) سورة المائدة آية ۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۴

آمن منهم. و قال قوم: من آمن يرجع الى من عدا الذين آمنوا و حمل «الَّذِينَ آمَنُوا» على ظاهره من حقيقة الايمان. و منهم من قال: يرجع الى الجميع و يكون المعنى فى «من آمن» من يستديم على الايمان و يستمر عليه.

و قد استوفينا ما يتعلق بذلك فى سورة البقرة.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۰]..... ص: ۵۹۴

لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ (۷۰)

آية عند الجميع.

اللام فى قوله «لقد» لام القسم. أقسم اللَّه تعالى أنه أخذ الميثاق و هو الأيمان المؤكدة التى أخذها أنبياءهم على بنى إسرائيل فى قول أبى على.

و قال غيره: يجوز أن يكون الميثاق هى الآيات البينة التى قرر بها علم ذلك عندهم. و إنما أخذ ميثاقهم على الإخلاص لتوحيد اللَّه تعالى، و العمل بما أمر به، و الانتهاء عما نهى عنه و التصديق برسله و البشارة بالنبى الامىّ و الإقرار به، حسب ما تقدمت صفته عندهم.

و وجه الاحتجاج على أهل الكتاب بما أخذ على آبائهم من الميثاق أنهم قد عرفوا ذلك فى كتبهم، و أقروا بصحته، فحجته لازمه لهم.

و العمل به واجب عليهم، و عيب المخالفة يلحقهم كما لحق آباءهم الذين نقضوا الميثاق الذى أخذ عليهم.

و قوله «كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ» و الهوى هو لطف محل الشىء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغى، فلذلك غلب على الهوى التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۵

صفة الذم، كما قال تعالى: «وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» «۱» و يقال: منه: هو يهوى و يقال: هوى يهوى هوياً إذا انحط فى الهواء و أهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئاً. و «فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ» «۲» أى جهنم، لأنه يهوى فيها. و هم يتهاوون فى الهواء إذا سقط بعضهم فى أثر بعض و الفرق بين الهوى و الشهوة: أن الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهى الإنسان الطعام، و لا يهوى الطعام. و هواء الجو ممدود، و هوى النفس مقصور.

و قوله: «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» «۳» قيل فيه قولان: أحدهما- أنها منحرفة لا تعى شيئا كهواء الجو. و الآخر أنه قد أطارها الخوف. و منه قوله «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ» «۴» أى استهوته من هوى النفس.

و قوله: «فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ» نصب فريقاً فى الموضعين بأنه مفعول به قدم. و إنما قال فى الأول «كذبوا» بلفظ الماضى. و فى الثانى «يقتلون» بلفظ المستقبل لأمرين:

أحدهما- ليدل بذلك على أن من شأنهم ذلك و عادتهم ففيه معنى كذبوا و قتلوا و يكذبون و يقتلون مع موافقته لرؤوس الآى.

الثانى- أن يكون على معنى فريقاً كذبوا، و لم يقتلوا و فريقاً كذبوا و قتلوا فيكون يقتلون صفة الفريق.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۱]..... ص: ۵۹۵

وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (۷۱)

---

(۱) سورة النازعات آية ۴۰- ۴۱.

(۲) سورة القارعة آية ۹.

(۳) سورة ابراهيم آية ۴۳.

(۴) سورة الانعام آية ۷۱. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۶

آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائى «ألا تكون» بالرفع. الباقون بالنصب. و لم يختلفوا فى رفع (فتنة) فمن رفع، فالمعنى حسبوا فعلهم غير فاتن لهم، لأنهم كانوا يقولون «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» و من نصبه فلأن «أن» تنصب الفعل المضارع. و قال أبو على الفارسى الافعال على ثلاثة أضرب: فعل يدل على ثبات الشىء و استقراره نحو العلم، و فعل يدل على خلاف الاستقرار و الثبات، و فعل يحتمل الأمرين، فما كان معناه العلم وقع بعده (أن) الثقيلة، و لم تقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل، لأن الثقيلة معناها إثبات الشىء و استقراره و العلم بأنه كذلك أيضاً، فإذا أوقع عليه و استعمل معه كان وقعه ملائما له. و لو استعملت الناصبة للفعل بعد ما معناه العلم و استقرار الشىء له لتباينا و تدافعا، فمن استعمال الثقيلة بعد العلم و إيقاعه عليها قوله: «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» «۱» و «أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى «۲»، لأن الباء زائدة. و كذلك التبين و التيقن، و ما كان معناه العلم كقوله «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ» «۳» فهذا ضرب من العلم لأنه تبين لأمر قد بان فلذلك كان قسما كما كان علمت قسما فى نحو قوله:

و لقد علمت لتأتين منيتى و كذلك «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ» «۴» فهو

---

(۱) سورة النور آية ۲۵.

(۲) سورة العلق آية ۱۴.

(۳، ۴) سورة يوسف آية ۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۵۹۷

بمنزلة علموا ليسجننه و على ذلك قول الشاعر:

بدا لى أنى لست مدرک ما مضى (و لا سابقا شيئاً إذا كان جائيا)

فأوقع بعدها الشديدة كما يوقعها بعد علمت و اما ما كان معناه ما لم يثبت و لم يستقر فنحو (أطمع) و (أخاف) و (اشفق) و (أرجو) فهذا و نحوه لا يستعمل بعده إلا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله تعالى: «وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي» «۱» و قوله «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ» «۲» و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «۳» و قوله: «فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما» «۴» و قوله: «أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا» «۵» و كذلك أرجو، و عسى، و لعل فأما ما يستعمل فى الامرين نحو حسبت و ظننت و زعمت فهذا النحو يجعل مرة بمنزلة (أرجو) و (أطمع) من حيث كان أمراً غير مستقر و مرة يجعل مرة بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله. و من حيث كان خلافه. و الشىء قد يجرى مجرى الخلاف نحو (عطشان) و (ريان) فاما استعمالهم استعمال العلم، فلأنهم قد أجابوه بجواب القسم. حكى سيبويه ظننت ليسقينى. و قيل فى قوله «وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» «۶» ان النفى جواب الظن كما كان

جواباً لعلمت فی قوله «عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ» «۷» و کلا الوجهین جاء به القرآن مثل قراءة من نصب قوله «أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ أَنْ یَسْبِقُونا» «۸»

---

(۱) سورة الشعراء آیة ۸۲.

(۲) سورة الانفال آیة ۲۶.

(۳) سورة البقرة آیة ۲۲۹.

(۴) سورة الکهف آیة ۸۱.

(۵) سورة المجادلة آیة ۱۳.

(۶) حم السجدة آیة ۴۸.

(۷) سورة الإسراء آیة ۱۰۲.

(۸) سورة العنکبوت آیة ۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۵۹۸

«أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ»

«۹» «الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا» «۱۰» و مثل قراءة من رفع قوله «أَمْ یَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ» «۱۱» «أَ یَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِینَ» «۱۲» «أَ یَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ» «۱۳» فهذه مخففة من الشدیدة. و مثل ذلک فی الظن قوله: «تَظُنُّ أَنْ یُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «۱۴» و قوله «إِنْ ظَنَّا أَنْ یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ» «۱۵» و من الرفع قوله: «وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ.. وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا کَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ یَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً» «۱۶» و إنما ها هنا الخفیفة من الثقیلة لأن الناصبة للفعل لا تقع بعدها (أن) لاجتماع الحرفین فی الدلالة علی الاستقبال کما لم تجتمع الناصبة مع السین، و لم یجتمعا کما لم یجتمع الحرفان بمعنی واحد. و لذلک کانت (ان) فی قوله «عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ» «۱۷» المخففة من الشدیدة. و من ذلک قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ» «۱۸» فاما قوله: «الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» «۱۹» و قوله: «ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاقٍ حِسابِیَهْ» «۲۰» فالظن ها هنا بمعنی العلم، و حسن وقوع الخفیفة من الشدیدة فی قول من رفع و إن کان بعده فعل لدخول (لا) و کونها عوضاً من حذف الضمیر معه و إیلاء

---

(۹) سورة الجاثیة آیة ۲۰.

(۱۰) سورة العنکبوت آیة ۲.

(۱۱) سورة الزخرف آیة ۸۰. [.....]

(۱۲) سورة المؤمنون آیة ۵۶.

(۱۳) القیامة آیة ۳.

(۱۴) سورة القیامة آیة ۲۵.

(۱۵) سورة البقرة آیة ۲۳۰.

(۱۶) سورة الجن آیة ۵- ۷.

(۱۷) سورة المزمل آیة ۲۰.

(۱۸) سورة یونس آیة ۲۲.

(۱۹) سورة البقرة آیة ۴۶.

(٢٠) سورة الحاقة آیة ٢٠.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٣، ص: ٥٩٩

ما لم یکن یلیه. و لو قلت علمت أن یقول لم یجز حتی یأتی بما یکون عوضاً نحو (قد) و (لا) و السین و سوف، کما قال «عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ» و لا یدخل علی ذلک قوله: «وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعی «۶» فلم یدخل بین (أن) و (لیس) شیء لأن (لیس) لیس بفعل علی الحقیقة. و أما (فتنة) فلو نصب لکان صحیحاً فی العربیة علی تقدیر: أن لا یکون قولهم فتنة.

و لکن لم یقرأ به أحد. قال الرمانی: وحد الحسبان هو قوة أحد النقیضین فی النفس علی الآخر و أصله الحساب، فالنقیض القوی یحتسب به دون الآخر أی هو فیما یحتسب و لا یطرح و منه الحسب لأنه مما یحسب و لا یطرح لأجل الشرف و منه قولهم: حسبک أی یکفیک، لأنه بحساب الکفایة و منه احتساب الأجر، لأنه فیما یحتسب و یکفی.

و الفتنة ها هنا العقوبة. و قیل البلیة- فی قول السدی و قتادة و الحسن و مجاهد- و قیل: الشدة. و کل ذلک متقارب. و قال ابن عباس: الفتنة- ها هنا- الشرک. و أصل الفتنة الاختبار، و منه افتتن بفلانة إذا هواها، لأنه یظهر ما یطوی من خبره بها. و فتنت الذهب فی النار إذا خلصته لیظهر خبره فی نفسه متمیزاً من شائب غیره. و قوله «یَوْمَ هُمْ عَلَی النَّارِ یُفْتَنُونَ» «۱» أی یحرقون. فإذا هم خبث کلهم «وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً» «۲» أی اختبرناک اختباراً أی لیظهره خبرک علی خلوص أمرک فی طاعتک أو غیر ذلک من حالک.

و قوله «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» معناه عن الحق علی وجه التشبیه بالأعمی

(۶) سورة النجم آیة ٣٩.

(١) سورة الذاریات آیة ١٣.

(٢) سورة ٢٠ طه آیة ٤٠.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٣، ص: ٦٠٠

و الأصم لأنه لا یهدی الی طریق الرشد فی الدین کما لا یهتدی هذا الی طریق الرشد فی الدنیا لأجل العمی و الصمم، فکذلک أولئک لاعراضهم عن النظر.

و قوله «ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» إخبار منه تعالی أن هؤلاء الکفار حسبوا أن لا یکون فتنة علی ما فسرناها «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» و قتلوا الأنبیاء و کذبوهم ثم أن فریقاً منهم تابوا فتاب اللّه علیهم «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» یعنی عادوا الی ما کانوا علیه. و قیل قوله «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» فی الإقرار بالنبی (ص) و قوله: «کَثِیرٌ مِنْهُمْ» قال الزجاج یحتمل رفعه ثلاثة أوجه:

أحدها- ان یکون بدلًا من الفاء، فکأنه لما قال «عَمُوا وَ صَمُّوا» أبدل الکثیر منهم أی عمی و صم کثیر منهم کما یقول جاءنی قومک أکثرهم.

و الثانی- أن یکون جمع الفعل متقدماً علی لغة من قال اکلونی البراغیث، و ذهبوا قومک. قال أبو عمرو الهذلی:

و لکن دیافی أبوه و امه بحوران یعصرون السلیط أقاربه «۱»

الثالث ان یکون (کثیراً) خبر ابتداء محذوف و التقدیر ذو العمی و الصمم «کَثِیرٌ مِنْهُمْ» ثم بین تعالی «إنه بصیر» أی عالم «بِما یَعْمَلُونَ» أی بأعمالهم.

قوله تعالی:[سورة المائدة (٥): آیة ٧٢]..... ص: ٦٠٠

لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ وَ قالَ الْمَسِیحُ یا بَنِی إِسْرائِیلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ إِنَّهُ مَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَیْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ (٧٢)

(۱) اللسان (سلط)، (ديف) نسبه الى الفرزدق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۰۱

آية بلا خلاف.

اللام فى قوله «لقد» لام القسم. أقسم اللَّه تعالى بأنه «كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» و الكفر هو الجحود لما يجب عليه الإقرار به، و التصديق له. و قال الرماني: هو تضييع حق النعمة بالجحد او ما جرى مجراه فى عظم الجرم. و لذلك كان من قتل نبياً فهو كافر و ان أقر بجميع نعم اللَّه. و عندنا إن قتل نبى يدل على ان قاتله جاحد لما يجب عليه الإقرار به، و الاعتقاد لتصديقه.

و الذين يقولون من النصارى: إن اللَّه هو المسيح بن مريم هم اليعقوبية، و هم مع ذلك مثلثة، لأنهم يقولون إن الأب و الابن و روح القدس إله واحد.

و غيرهم يقولون: إن المسيح ابن اللَّه. و لا يقولون هو اللَّه و أجمعوا على أنه إله.

و قوله: «وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» اخبار عن المسيح (ع) أنه قال لبنى إسرائيل الذين كانوا فى زمانه «اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» الذى يملكنى و إياكم و إنى و إياكم عبيده، و من خلقنى و خلقكم «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فالشرك هو الكفر. و إنما يطلق على من أشرك فى عبادة اللَّه غيره، و إنما كان كافراً، لأنه جحد نعمة اللَّه بإضافتها الى غيره، و زعمه أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على ما يستحق به العبادة سوى اللَّه تعالى. و الشرك أصله الاجتماع فى الملك، فإذا كان الملك بين نفسين، فهما شريكان و كذلك كل شيء يكون بين نفسين، و لا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفرداً كالعبد يكون مالكاً التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۰۲

للَّه و هو ملك للإنسان، لأنه لو بطل ملك الإنسان، لكان ملكاً للَّه كما كان، لم يزد فى ملكه شيء لم يكن.

و قوله: «فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» اخبار من المسيح لقومه أن من يشرك باللَّه، فان اللَّه يمنعه الجنة. و التحريم ها هنا هو تحريم منع لا تحريم عبادة.

و قوله: «وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» معناه أنهم مع حرمانهم الجنة مستقرهم النار، و لا ناصر لهم يدفع عنهم و يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۳]..... ص: ۶۰۲

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۳)

آية بلا خلاف.

و هذا قسم آخر من اللَّه بأنه كفر من قال: «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» و القائلون بهذه المقالة هم جمهور النصارى من الملكانية، و اليعقوبية و النسطورية، لأنهم يقولون: أب، و ابن، و روح القدس إله واحد، و لا يقولون ثلاثة آلهة. و يمنعون من العبارة. و إن كان يلزمهم أن يقولوا إنهم ثلاثة آلهة.

و ما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة. و إنما قلنا: يلزمهم، لأنهم يقولون الابن إله و الأب إله و روح القدس إله. و الابن ليس هو الأب.

و معنى «ثالِثُ ثَلاثَةٍ» أحد ثلاثة. و قال الزجاج، لا يجوز نصب ثلاثة لكن العرب فيه مذهب آخر و هو أنهم يقولون رابع ثلاثة، فعلى هذا يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۰۳

الجر و النصب، لأنه معناه الذى صير الثلاثة أربعة بكونه فيهم.

ثم أخبر تعالى، فقال «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ» أى ليس إلا اله واحد. و دخلت (من) للتوكيد.

و قوله: «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ» أى إن لم يرجعوا و يتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث أقسم «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يعنى الذين يستمرون على كفرهم و المس- ها هنا- ما يكون معه احساس و هو حلوله فيه، لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به و يكون المس بمعنى اللمس، لأن فى اللمس طلباً لاحساس الشيء، فلهذا اختير ها هنا المس.

و اللمس ملاصقة معها إحساس و إنما قال «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» لأمرين:

أحدهما- ليعم الوعيد الفريقين الذين قالوا إن اللَّه هو المسيح بن مريم، و الذين قالوا هو ثالث ثلاثة و الضمير عائد الى أهل الكتاب.

الثانى- أنه من أقام منهم على الكفر لزمه هذا الوعيد فى قول أبى على، و الزجاج، و ليس فى الآية ما يدل على أن فى أفعال الجوارح ما هو كفر لأن الذى فيها هو الاخبار عن أن من قال اللَّه ثالث ثلاثة فهو كافر، و هذا لا خلاف فيه. و ليس فيها أن هذا القول بعينه هو كفر أو دلالة على الكفر، فمن يقول الكفر هو الجحود، و ان الايمان هو التصديق بالقلب يقول إن فى أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود فى القلب مثل القول الذى ذكره اللَّه تعالى. و مثل ذلك السجود للشمس و عبادة الأصنام و غير ذلك، فلا دلالة فى الآية على ما قالوه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦٠٤

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٧٤]..... ص: ٦٠٤

أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)

آية الألف فى قوله «أفلا» الف إنكار و أصلها الاستفهام، لأنه لا يصح للسؤال جواب عن مثل هذا فيكون حينئذ تقريعاً لهم و إنكارا عليهم ترك التوبة و إنما دخلت «الى» فى قوله: «يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ» لأن معنى التوبة الرجوع الى طاعة اللَّه، لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها، و قد بينا فيما مضى أن التوبة طاعة يستحق بها الثواب، فأما إسقاط العقاب عندها فهو تفضل من اللَّه غير واجب.

و الفرق بين التوبة و الاستغفار أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء أو التوبة أو غيرها من الطاعة. و التوبة الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله فى القبيح أو الإخلال بالواجب و الاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح و لا يجوز. و فى الآية تحضيض على التوبة و الاقلاع من كل قبيح و الإنكار لتركها، و حث على الاستغفار «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى أنه يستر الذنوب و يغفرها رحمة منه لعباده.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٥]..... ص: ٦٠٤

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)

آية بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه ليس المسيح بن مريم إلا رسول أرسله اللَّه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» أى انه رسول ليس بإله كما ان الأنبياء قبله بيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦٠٥

رسل ليسوا بآلهة. و انه أتى بالمعجزات من قبل اللَّه كما أتوا بها من قبل ربهم، فمن ادعى له الإلهية فهو كمن ادعى الالهية لجميعهم لتساويهم فى المنزلة و معنى «خلت» مضت. «وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنها كانت تصدق بآيات ربها و منزلة ولدها، و تصدقة فيما أخبرها به بدلالة قوله «وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» «١» ذكر ذلك الحسن، و الجبائى.

الثانى- لكثرة صدقها و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها أو سميت صديقة على وجه المبالغة، كما قيل: رجل سكيت. أى مبالغ

فى السكوت.

و قوله «كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» فيه احتجاج على النصارى، لأن من ولدته النساء، و كان يأكل الطعام لا يكون إلها للعباد لأن سبيله سبيلهم فى الحاجة الى الصانع المدبر، لأن من فيه علامة الحدث، لا يكون قديماً. و من يحتاج الى غيره لا يكون قادراً لا يعجزه شيء و قيل إن ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد أن يحدث حدثاً مخصوصاً على مجرى العادة.

و قوله «انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ» أمر للنبى و أمته بأن يكفروا فيما بين اللَّه من الآيات و الدلالات لهم على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح، و نبوته ثم أمره بأن ينظر ثانياً «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يؤفكون. و قيل من أين يؤفكون و معنى «يؤفكون» يصرفون. و قيل يقبلون. و المعنى متقارب، لان المعنى انظر كيف يصرفون عن الآيات التى بيناها لهم و يقال:

لكل مصروف عن شيء مأفوك عنه، و قد افكت فلاناً عن كذا أى صرفته عنه صرفاً. فأنا آفكه إفكاً فهو مأفوك و قد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر،

---

(١) سورة التحريم آية ١٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶۰۶

و الافك الكذب، لأنه صرف الخبر عن وجهه. و المؤتفكات المنقلبات من الرياح، و غيرها، لأنها صرفت بقلبها عن وجهها.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۶]..... ص: ۶۰۶

قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۷۶)

آية أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء النصارى الذين قالوا «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» : «أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» أى توجهون عبادتكم الى من لا يقدر على الضر و النفع، لأن القادر عليهما هو اللَّه تعالى او من يمكنه اللَّه من ذلك. و لو جاز توجيه العبادة الى المسيح الذى لا يملك ذلك لجاز توجيهها الى الأصنام كما يقوله عباد الأصنام. و قد علمناك خلاف ذلك.

و الملك: هو القدرة على تصريف ما للقادر عليه أن يصرفه، فملك الضرر و النفع أخص من القدرة عليهما، لأن القادر عليهما قد يقدر من ذلك على ماله أن يفعل، و قد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله. و النفع: هو فعل اللذة أو السرور او ما أدى اليهما أو الى واحد منهما مثل الملاذ التى تحصل فى الحيوان. و الصلة بالمال و الوعد باللذة، فان جميع ذلك نفع، لأنه يؤدى الى اللذة. و الضرر هو فعل الألم أو الغم أو ما أدى اليهما أو الى واحد منهما كالآلام التى توجد فى الحيوان و القذف و السب، لأن جميع ذلك يؤدى الى الآلام و الغضب ضرر لأنه من الأسباب المؤدية الى الآلام.

و قوله «وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قيل فى معناه ها هنا قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶۰۷

أحدهما- أنه ذكر للاستدعاء الى التوبة فهو يسمع قول العبد فيها و ما يضمره منها.

و الآخر التحذير من الجزاء بالسيئة، لأنه يعلم الاعمال و يسمع الاسرار و الإعلان. و ذلك دليل على ملك الجزاء بالثواب و العقاب.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۷]..... ص: ۶۰۷

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (۷۷)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يخاطب أهل الكتاب، و هم النصارى ها هنا.

و قال قوم: المراد به اليهود و النصارى، لأن اليهود أيضاً غلوا فى تكذيب عيسى، و محمد (ص) و يقول لهم «لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» و

معناه لا تتجاوزوا الحد الذى حده اللّه لكم الى الازدياد. و ضده التقصير و هو الخروج عن الحد الى النقصان. و الزيادة فى الحد و النقصان معاً فساد أى و دين اللّه الذى أمر به هو بين الغلو، و التقصير، و هو الاقتصاد.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ» و قل لهم: لا تسلكوا سبيل الأوائل، لأن الاتباع هو سلوك الثانى طريقة الأول على وجه الاقتداء به و قد يتبع الثانى الأول فى الحق و قد يتبعه فى الباطل. و إنما يعلم أحدهما بدليل.

و المراد ها هنا النهى عن اتباع سبيلهم الباطل. و (الأهواء) ها هنا المذاهب التى تدعوا اليها الشهوة دون الحجة، لأن قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة، و يميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده، و هو ضلال فيهلك به. و قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦٠٨

«قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» فيه قولان:

قال الحسن، و مجاهد: هم اليهود.

و قال أبو على هم أسلافهم الذين هم رؤساء ضلالتهم الذين سنوا لهم هذا الكفر من الفريقين اليهود و النصارى «وَ أَضَلُّوا كَثِيراً» يعنى هؤلاء الذين ضلوا من قبل و أضلوا أيضاً كثيراً من الخلق. و نسب الإضلال اليهم، من حيث كان بدعائهم و إغوائهم.

و قوله «وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ضلوا باضلالهم غيرهم فى قول الزجاج.

الثانى- و ضلوا من قبل، و ضلوا من بعد، فلذلك كرر. و قيل «ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» عن الهدى فى الدنيا «وَ أَضَلُّوا كَثِيراً» عن طريق الجنة.

و «سَواءِ السَّبِيلِ» معناه مستقيم الطريق. و المعنى فيه الحق من الدين، لأنه يستقيم بصاحبه الى الجنة، و الخلود فى النعيم. و قيل له: سواء لاستمراره على استواء.

قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٧٨]..... ص: ٦٠٨

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ» الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما- إياسهم من مغفرة اللّه مع الاقامة على الكفر و المعصية للّه- عز و جل- لدعاء الأنبياء (عليهم السلام) عليهم بالعقوبة و دعوتهم مستجابة مع ما فى ذلك من الفضيحة، و انطواء أولياء اللّه لهم على العداوة، و المظاهرة التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦٠٩

عليهم فى إقامة الحجة.

الثانى- قال الحسن و مجاهد و قتادة و أبو مالك لعنوا على لسان داود، فصاروا قردة و على لسان عيسى، فصاروا خنازير. و انما ذكر عيسى و داود، لأنهما أنبه الأنبياء المبعوثين بعد موسى (ع) و لما ذكر داود أغنى عن ذكر سليمان، لأن قولهما واحد.

و قال أبو جعفر (ع) أما داود فلعن أهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه، فقال: اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء و مثل المنطقة على الحقوين، فمسخهم اللّه قردة. و أما عيسى فلعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك.

الثالث- قال أبو على الجبائى: إنه إنما أظهر ذلك لئلا يوهموا الناس أن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من عقوبة المعاصى.

و اللعن هو الابعاد من رحمة اللّه، فلعنه اللّه يعنى أبعده اللّه من رحمته الى عقوبته، و لا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة من الأطفال و المجانين و البهائم، لأنه تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الابعاد عنها. و قوله:

«ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» إشارة الى اللعن الذى تقدم ذكره بمعصيتهم و اعتدائهم.

ف (إذا) لما قرب و (ذلك) لما بعد، لأنه اجتزئ فى دلالة الخطاب لما قرب بالإقبال عليه. و فى القريب بالاشارة اليه فلما بعد لم يصلح

الاجتزاء فيهما كما يصلح فيما قرب، فاتى بالكاف للخطاب و أكد ذلك باللام و كسرت لالتقاء الساكنين و الكاف فى ذلك حرف و فى غلامك اسم، و لهذا لم يؤكد بما يؤكد فى غلامك لأنك لا تقول ذلك نفسك. كما تقول فى غلامك نفسك.

و إنما قال: «بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» و إن كان الكفر أعظم الاجرام التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۱۰

ليدل على أن من خلصت معصيته مما يكفرها أو بقتة، و أنهم مع كفرهم قد عصوا بغير الكفر من الجرم الذى فسر فى الآية التى بعد.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۷۹]..... ص: ۶۱۰

كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (۷۹)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم لم يكونوا يتناهون عن منكر أى لم يكن ينهى. بعضهم بعضاً مثل قولك لا يتضاربون و لا يترامون و لا ينتهون و معناه لا يكفون عما نهوا عنه.

و قوله: «لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» و فتحت اللام لام القسم و تقديره اقسم لبئس ما كانوا يفعلون كما فتحت لام الابتداء لأنها لما لم تكن عاملة ك (لام الاضافة) اختير لها أخف الحركات. و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا فى باب (أن) و لا تدخل على الماضى.

و (ما) فى قوله «لَبِئْسَ ما» قيل فيها قولان: أحدهما- أن تكون (ما) كافة ل (بئس) كما تكف فى (إنما) و (بعد ما) و (ربما) و الآخر- أن تكون اسماً نكرة كأنه قال: بئس شيئاً فعلوه، كما تقول بئس رجلا كان عندك.

و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر، لأن كل شيء ذم اللَّه عليه.

فواجب تركه إلاـ أن يفيد بوقت يخصه، لأن ظاهر ذلك يقتضى قبحه، و التحذير منه. و المنكر هو القبيح، سمى بذلك لأنه ينكره العقل من حيث أن العقل يقبل الحسن و يعترف به، و لا يأباه و ينكر القبيح و يأباه و الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۶۱۱

ضد الإقرار. فما يقر به العقل هو الحق، و ما ينكره، فهو الباطل.

و قيل فى معنى (المنكر)- ها هنا- ثلاثة أقوال: أحدها صيد السمك فى السبت. و الثانى- أخذ الرشوة فى الحكم. و الثالث- أكل الربا و أثمان الشحوم.

و قال رسول اللَّه (ص) لا قدست أمَّة لا تأخذ لضعيفها حقه غير مضيع.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۰]..... ص: ۶۱۱

تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ (۸۰)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه للنبى (ص) يقول له «تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ» يعنى من هؤلاء اليهود فى قول الحسن و أبى على. و قال غيرهما يعنى أهل الكتاب أى «يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» من عبدة الأوثان فى قول الحسن و غيره. و قال أبو جعفر يتولون الملوك الجبارين و يزينون لهم أهوائهم ليصيبوا من دنياهم.

فان قيل: كيف يتولى أهل الكتاب عبدة الأوثان مع إكفارهم إياهم على تلك العبادة؟! قلنا لأنهم يعملون عمل المتولى بالنصرة و المعاونة و الرضا بما يكون منهم من عداوة النبى (ص) و محاربته. و يجوز أن يكونوا تولوهم على ذلك فى الحقيقة، فيكون على جهة تقييد الصفة.

فان قيل ما الفائدة فى اخباره (ص) يراه و هو عالم به؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- التوبیخ لصاحبه فیقرعون بما هو معلوم من حالهم.

و الآخر التنبیه علی باطن أمرهم بما یدل علیه ظاهر حالهم المعلومة التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۶۱۲

فینکشف باطنهم القبیح.

و قوله «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما بئس شیئاً قدموه من العمل لمعادهم فی الآخرة فی قول أبی علی.

و اللام لام القسم علی ما بیناه.

و الثانی- إنه یجری مجری قوله: «سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ» أی قدمت لهم أنفسهم بما بعثهم علی تولی الذین کفروا مع مخالفتهم. و قوله: «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ» قیل فی موضع «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ» قولان:

أحدهما- رفع کقولک: ما قدموه لأنفسهم سخط اللَّه أی هو سخط اللَّه علیهم و خلودهم فی النار بما کان من تولیهم و رفعه کرفع (زید) فی قولک:

بئس رجلا زید.

الثانی- أنه جر علی تقدیر لان سخط اللَّه علیهم و حصلوا علی الخلود فی النار و قال الزجاج: یجوز أن یکون نصباً علی تقدیر بئس الشیء ذلک، لأن أکسبهم السخطة علیهم.

قوله تعالی: [سورة المائدة (۵): آیة ۸۱]..... ص: ۶۱۲

وَ لَوْ کانُوا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِیِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِیاءَ وَ لکِنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ (۸۱)

آیة بلا خلاف.

قیل فی معنی قوله «وَ لَوْ کانُوا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِیِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ» مع العلم بأنهم لا یؤمنون بالنبی قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد أنه فی المنافقین من الیهود.

الثانی- المراد بالنبی موسی (ع) و معنی (لو)- ها هنا- النفی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۶۱۳

لایمانهم و إن لم یکون حرف نفی لکنه خرج مخرج الحجاج الذی یدل علی نفی الایمان. و انما معناه تعلیق الثانی بالأول فی أنه یجب بوجوبه، فإذا ظهر أن الثانی لم یجب دل علی ان الأول لم یکن قد دخله معنی النفی من هذه الجهة.

فان قیل: إذا کان المؤمن باللَّه لا یطلق علیه اسم مؤمن إلا و هو مؤمن بالنبی و بما أنزل الیه فلم ذکرا؟.

قلنا للدلالة علی التفصیل لان تلک الصفة و ان کانت دالة فإنما تدل علی طریق الجملة و قوله «مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِیاءَ» یعنی هؤلاء لو کانوا مؤمنین علی الحقیقة لما اتخذوا المشرکین أولیاء و (ما) یجوز أن تکون جواب (لو) و لا یجوز أن تکون جواب (ان) لأن حرف الجزاء یعمل فیما قبله و (ما) لها صدر الکلام فلا یعمل فیها. و لیس کذلک (لم) فلذلک لم یجز ان آتینی ما ضرک و یجوز ان آتینی لم یضرک. لأنه یجوز أن تقول زیدا لم أضرب و لا یجوز أن تقول زیداً ما ضربت و قوله: «وَ لکِنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ» إنما وصفهم بالفسق و إن کان الکفر أعظم فی باب الذم لامرین:

أحدهما إن معناه خارجون عن أمر اللَّه فهذا المعنی لا یظهر بصفة کافر.

و الآخر ان الفاسق فی کفره هو المتمرد فیه و الکلام یدل علی أنهم فاسقون فی کفرهم أی خارجون الی التمرد فیه.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۸۲]..... ص: ۶۱۳

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الْیَهُودَ وَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قالُوا إِنَّا نَصاری ذلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦١٤

آية بلا خلاف.

قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و عطاء و السدى: إنها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة و أصحابه لما اسلموا.

و قال قتادة: نزلت فى قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى (ع) فلما جاء محمد (صلى اللّه عليه و آله) آمنوا به.

و قال مجاهد: نزلت فى الذين جاءوا مع جعفر بن أبى طالب (رحمه اللّه) مسلمين و اللام فى قوله «لتجدن» لام القسم. و النون دخلت لتفصل بين الحال و الاستقبال، هذا مذهب الخليل، و سيبويه و غيرهما. و قوله:

«عداوة» منصرف منتصب على التمييز.

وصف اللّه تعالى اليهود و المشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع أن المؤمنين يؤمنون بنبوة موسى و التوراة التى أتى بها، فكان ينبغى أن يكونوا الى من وافقهم فى الايمان بنبيهم و كتابهم أقرب. و ظاهروا المشركين حسداً للنبى (عليه السلام).

و قوله: «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى يعنى الذين قدمنا ذكرهم- عن المفسرين. و قال الزجاج يجوز أن يكون أراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظاهرة للمشركين، و به قال الجبائى.

و روى عن ابن عباس أنه قال: من زعم أنها فى النصارى فقد كذب. و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦١٥

هم النصارى الأربعون الذين فاضت أعينهم حين قرأ النبى (ص) عليهم القرآن اثنان و ثلاثون من الحبشة، و ثمانية من أهل الشام. و سارعوا الى الإسلام و لم يسارع اليهود.

و المودة هى المحبة إذا كان معها ميل الطباع يقال: وددت الرجل أوده ودا و وداداً و مودة: إذا أحببته و ودته: إذا تمنيته أوده وداً. و منه قوله «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» «١» .

و قوله «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً» فالقسيسون العباد فى قول ابن زيد و القس و القسيس واحد الا أنه قد صار كالعلم على رئيس من رؤساء النصارى فى العبادة. و يجمع قسوساً و أصله فى اللغة النميمة يقس قساً إذا نم الحديث. قال رؤبة بن العجاج:

يضحكن عن قس الأذى غوافلا لا جعبريات و لا طهاملا «٢»

الطهامل من النساء القباح. و مصدره القسوسة و القسيسة فالقس الذى ينم حاله بالاجتهاد فى العبادة. و الرهبان جمع راهب، كراكب و ركبان و فارس و فرسان. قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا و العصم من شعف العقول الفادر «٣»

و قيل: إنه يكون واحداً و يجمع رهابين كقربان و قرابين و رهابنة أيضاً قال الشاعر:

---

(١) سورة القلم آية ٩.

(٢) اللسان (قسس)، (جعبر) و رايته (يمسين) بدل «يضحكن» .

(٣) قائله جرير ديوانه: ٣٠٥ و اللسان (ذهب)، و معجم البلدان (مدين).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦١٦

لو عاينت رهبان دير فى القلل لأقبل الرهبان يمشى و نزل «١»

و كل ذلك من الرهبة التى هى المخافة و رهب يرهب رهباً إذا خاف و الترهيب ضد الترغيب. و قوله «وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» معناه إن هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق و الانقياد له كما استكبر اليهود و عباد الأوثان و انفوا من قبول الحق، و أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن مجاورى النبى (ص) من اليهود، و مودة النجاشى و أصحابه الذين أسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت الى المدينة و بها اليهود و الى الحبشة و بها النجاشى و أصحابه فأخبر عن عداوة هؤلاء و مودة أولئك.

---

(١) تفسير القرطبى ۶: ٢۵١ و تفسير الطبرى ١٠: ۵٠٣.

تم المجلد الثالث من التبيان و يليه المجلد الرابع و أوله قوله تعالى:

«وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴١).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ١۵٩؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب٢٨، ج١/ ص٣٠٧).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ١٣۴٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨۵ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب کشک، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماکن الدينيّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المرکز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حکوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الکلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.